## تصدير..

الشاعر مرآة عصره ومجتمعه بما أوتي من رهافة الحس، وصادق الإلهام، يعكس الآمال والآلام، التطلعات والإنجازات، ويغنّي لليوم والغد، ويذكر الأمس، كل ذلك ليؤدي من خلال الشعر والإبداع، رسالة الشاعر إلى بني قومه وللإنسانية جمعاء.

وبما أن مجتمع الشاعر وعصره هما المصدر الذي يلهمه ابداعه في شكله وموضوعه فمن الطبيعي والحال هذه، أن يكون الشاعر الحق، موضع تفاعل مع معاصريه من الشخصيات الأدبية والفكرية والعامة، ومجايليه من الشعراء والمبدعين.

ولم يكن الأخطل بدعاً في ذلك، غير أن تميزه الشعري وتفرده الصحفي منذ مطلع القرن وحتى أوائل الثلاثينات منه، جعله الناطق الأصدق بلسان قومه، وجمع حوله القلوب والعقول. فكتبوا عنه شاعراً وناثراً وصحفياً بلسان صدق وحق، يشاكل ما أبدعه الأخطل الصغير بصدق وحق.

وكان من يمن طالع هذه الدورة من دورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وهي الدورة التي تحمل اسم «الأخطل الصغير»، أن يتوافر لديها من ضمن المواد التي تجمعت عن الشاعر، مادة غزيرة لما قاله الآخرون في الأخطل الصغير، من نقد لشعره، ولمقالاته الصحفية، ولتوجهاته الوطنية والقومية، سواء أكان هذا النقد بالسلب أم بالإيجاب.

وتضمنت هذه المادة – الشهادة، قصائد وكلمات قيلت في الأخطل الصغير يوم مبايعته أميراً للشعر العربي عام ١٩٦١، وفي وفاته عام ١٩٦٨، وتأبينه عام ١٩٦٩ في الذكرى الأولى لرحيله.

ولمزيد من الاطلاع على حياة الأخطل الصغير وإبداعاته، ذُيّل هذا الكتاب بثبتٍ مفصّل يتضمن مصادر دراسة الأخطل الصغير من كتب ودوريات ومراجع (عربية وفرنسية) مع توسع في الدوريات من مجلات وصحف زادت عن (٣٨ دورية) إضافة إلى جريدة «البرق».

وإذ تسعد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تكون هذه الشهادات في الأخطل من بين إصداراتها لهذه الدورة في كتاب بعنوان «الأخطل في عيون معاصريه» تشكر الدكتورة سهام أبو جودة على جهودها في جمع مادة الكتاب.

لقد كان تبويب هذه المادة ومراجعتها موضع جهود كبيرة نهض بها الأستاذ عدنان جابر فله الشكر.

ويبقى القول أننا سنواصل على هذا الدرب ما اختطته المؤسسة منهاجاً لها في خدمة الحركة الثقافية العربية والشعر والشعراء بصورة خاصة، وليعلم الشاعر المجيد والملهم أن شمسه وقمره لا يغيبان بغيابه وأنه خالد خلودهما وأن وَتَره سيبقى صادحاً وإن رحل.

ولله المنة والحمد من قبل ومن بعد،

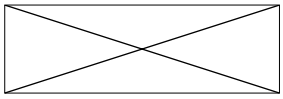

# القسم الأول

ابيض

# الأخطل الصغير

## استعراض أدبي

**فؤاد الشايب**

إن حق لي أن أستعرض حوادث أيام خلت وأشباح سنين انصرمت، فلأضع حدا لطلائع تلك الحوادث التي تلاها الكثير وتوالى بعدها ما ليس باليسير، إذ لا أعد نفسي إلا حديث عهد في ما أستعرضه، ويحق لي أن أقول أن العهد الذي شعرت به في الحياة هو مذ حق لي استعراض ماض أدبي أي منذ سبع سنين أي قبيل الثورة السورية – وكنت إذ ذاك بين الرابعة والخامسة عشرة – وفي أيام الثورة قرأت ديوان الثورة السورية وفي أيام الثورة والدخان قرأت العذراء «لخير الدين» وتلمظت بنكهة طيبة في غزليات «شفيق» وفيما عدا ذلك فقد رددت كثيراً من شعر أستاذي يومئذ الذي يقول:

**يريدون مني غير طبعي تخنثا**
**وما أنا والشعر البليد المخنث**
**يريدون قولا أعجمياً مفككاً**
**يعيث بذات الضاد جهراً ويعبث**

وقلت للأستاذ الشاعر ذات يوم: في أي كتاب يجب أن استهل حياة الأدب؟ فأشار علي بالبحتري، ثم أردف وهو يبتسم بألم! – وكنت أعهده متألماً– : لا تشغل نفسك بالأدب، «حرام عليك» وأجاهر بالحقيقة لم أستوعب أحجية الأستاذ «حرام عليك» فرحت أنحت من صخور البحتري وغيره وغيره. هكذا ابتدأت وبالأنحس الحظوظ، كلما استعرضت شيئاً من جحافل الماضي تذكرت قول الأستاذ «حرام عليك».. وأخيراً فهمت.

كان في الغوطة، وقاسيون وبردى وجلق، من أولئك الرجال حاملي «الربابة» ومنشدي الهوى والصبابة ومستحلي الأسى والكآبة. كان.. وكنت أصيخ إليهم كثيراً

■ جريدة الشام – العدد ١٤ – سنة ١٩٣١.

وأكرع بكل حواسي، أنفاسهم، في الماء والهواء وفي مجاهل الأرض، ومناحي الفضاء. واليوم....«سكنت ضوضاء من في الحي لا حي تراه»[1]

ولبنان الجميل كنت أسمع عنه شيئاً ولكن أول ما فتح عيني بوله وشوق، نحو غياض لبنان وأرزه وهضابه ووديانه هو «أ. ص» مع أنني كنت أسمع شيئاً «لبدوي الجبل» ذي الروح الثائرة – وهو كما أجابني رفيق لي يوم سألته عنه: «موظف يا أخي».

«أ.ص»؟! من هو صاحب ذاك اللقب؟ الأخطل الصغير، ومن هو الأخطل الصغير؟ هكذا كنت أسائل نفسي إلى أن ظهرت «الأحرار» المصورة وكان فيها صفحة أدب رائعة، فقرأت يوما قصيدة تحت عنوان:

«**عش أنت إني مت بعدك**» والإمضاء «أ.ص».

وطلبت «الأحرار »المصورة من قرائها معرفة صاحب الإمضاء. فجاءت الردود الكثيرة والأجوبة العديدة واكتشف «أ.ص».

وكان المتسابقون أكثرهم ينطلقون في التحليل كأن الأخطل يحضرهم ويملي عليهم فأدركت اهتمام الرجال برجلهم، وعرفت ما للشاعر من اجلال وتقدير في قلوب الجميع، فحل وشعره قلبي وكان القلب بعد رحباً خالياً تقريباً.

**مـــا كـــان ضـــرك لـــو عـــدلت**
**أمـــا رأت عـــيـــنـــاك قـــدكْ**
**وجـــعـــلت من جـــفـــنيَّ مـــتـــكـــأً**
**ومن عـــيـــنـــيَّ مـــهـــدك**
**ورفـــعت بي عـــرش الـــهـــوى**
**ورفـــعت فـــوق الـــعـــرش بـــنـــدك**
**وأعـــدت لـــلـــشـــعـــراء ســـيـــدهم**
**ولـــلـــعـــشـــاق عـــبـــدك**

(١) من قصيدة لخير الدين الزركلي.

... تلك فلذة حمراء من صميم تلك المقطوعة الشعرية للأخطل الصغير وكانت ختام عهده بحياة سياسية وافتتاح عهد شعري رائع.

ما كان ضرك لو عدلت؟! فأعدت للشعراء سيدهم، وللعشاق «عبدك»... أترى كيف ينشد «الأخطل» كلا السيادة والعبودية؟! ومن أين؟!

وتنقّلْ في فسيح ذاك البساط السحري الذي قده من حشاشته وليوف فؤاده، تر في كل خطوة، جديداً مستجداً بليغاً في جماله عميقاً في روعته وجلاله.

**وحـــيـــاة عـــيـــنك وهي عـــنـــدي**
**مـــثـــلـــمـــا الإيمـــان عـــنـــدك**
**مـــا قـــلـــب أمك إن تـــفـــارقـــهـــا**
**ولـم تـــبـــلـــغ أشـــدك**
**فـــهـــوت عـــلـــيك بـــصـــدرهـــا**
**يـــوم الـــفـــراق لـــتـــســـتـــردك**
**فـــتـــشم صـــدرك والـــدمـــوع**
**بـــعـــيـــنـــهـــا وتـــشـــد زنـــدك**
**بـــأشـــد من قـــلـــبي انـــصـــداعـــاً**
**يـــوم قـــيل خـــفـــرت عـــهـــدك**

وفي تلك الواحة المزهرة من جنان الخلد، دموع وندى ونسمات وزفرات، ودماء كحمرة الشفق، ولهثات كنسيمات الأصيل فانظر كيف ينضدها وينظمها عقداً رائعاً لجيد الشعر.

**... كـــانت بـــقـــايـــا لـــلـــغـــرام**
**بمـــهـــجـــتي فـــخـــتـــمت بـــعـــدك**
**أنـــقى من الـــفـــجـــر الـــضـــحـــوك**
**فـــهل أعـــرت الـــفـــجـــر خـــدك**
**وأرق من طـــبع الـــنـــســـيم**
**فـــهل خـــلـــعت عـــلـــيه بـــردك**

**وألـــــــذ من رشف الـــــــكـــــــؤوس**
**فـــهل أبـــحت الـــكـــأس شـــهـــدك**

عش أنت، إني مت بعدك!!! أترى كيف يدب اليأس في قلب الشاعر فبشطر واحد يلقي بنفسك الروعة ويستجدي من مآقيك الدمعة..؟!

انظر كيف يبكي الأخطل في قطعة شعرية نسيت أكثرها ولم يبق عالقاً في هذه المخيلة البالية سوى هذين البيتين:

**الـهـوى والـشـبـاب والأمل المـنـشـود**
**تـوحي فـتـبـعث الـشـعـر حـيـا**
**الـهـوى والـشـبـاب والأمل المـنـشـود**
**ضـاعت جـمـيـعـهـا من يـديـا**

هذا ليس شعر بين شطريه فراغ، هذه فلذ نفسانية قطعها الأسى فكانت شعراً. هي ليست فلسفة ولا أحاجي معماة. كلا! تظن أنها ليست بشيء وهي كل شيء.

وهكذا يكون من يَحزن فيُحزن ويَبكي فيُبكي. في هذين البيتين يموت كل شيء في الشاعر. فينشدك بعد الموت. إذاً فالموت هو الذي يوحي اليوم للشاعر وهكذا الشاعرية تستجدي حتى العدم.

بهذه القصيدة الخالدة وبأمثالها كان أول عهدي بالشعر الرقيق، شعر العاطفة والوجدان والألم والقلب المكلوم فتعلمت من ذاك اليوم أن في العربية غير مدائح البحتري ومراثي المتنبي ومقامات الحريري في دولة الشعر، إمارة مترامية الأطراف هي إمارة الغزل والنسيب الرقيق، بشارة أفندي الخوري هو حامل لوائها ورافع منارها. مع كل هذا الإيجاز لا بد أن نذكر شيئاً عن صفات الشاعر وهي أشياء وقفنا عليها بين أوراق صفراء قديمة في دبور «١٩٢٧».

قال الدبور في باب «في المرآة»: أبو عبدالله وإذا أردت، قل بشارة البرق، أو الأخطل الصغير. وجه يجمع دزينة من الأخاديد، عينان غائرتان. لولا العوينات لصح فيهما القول: كوخ نصف متقد.

رأس من الأهوال شاب قبل الأربعين، نغمة واطية تحتاج معها إلى «بوق» ليساعدك على سماع حديثه.

حذار من الاقتراب منه حين يكتب ولكن لا تبتعد كثيراً فإنه سيناديك عندما ينتهي لتشاركه في انتقاد نفسه.

كل ما نظم الأخطل الصغير تتناقله ألسنة العشاق ويتغنى به المغنون، ولو كان للشعر جمهورية لكان صاحب البرق زميلا لشبيهه الدباس.

إذا سألته النظم أجابك بلا شك:

**كيف ترجو النظم ممن**

**زود العشق سلاما**

وإن تكن صلاة الوالدات في ليلة القدر بنافعة وواقية كان رأس صاحب البرق القديم سالماً بفضلها وهي وحدها قد أعمت عيون جمال باشا عنه أيام كانت ولا تسل كيف كانت وإدارة البرق «ملفى» أبناء السياسة والأدب و«وكراً» للمخابرات والسياسات وجرنال البرق ينشر ما يُخشى التفوه به حتى في الخفاء.

وبين الأدغال والأشواك كان ينظم وفي مهاوي الأودية كان يكتب عين في الدمع وعين تتقي الرقباء.

هذه هي صورة الأخطل الذي يتشوق الكثيرون الى معرفة شيء عنه تجاه معرفة الأشياء الكثيرة عن شعره، على أننا لو حدقنا في مرآة شعره لوجدنا أكنَّ دفائن نفسه.

.. وبين الأدغال والأشواك كان ينظم وفي مهاوي الأودية كان يكتب: «**عين في الدمع وعين تتقي الرقباء**». «هذه هي نفسية صاحب البرق» عين دامعة أبداً، غريب والله! هي السنة الثالثة بعد العشرين تمر على «البرق» وكان ومايزال رأس مجلات

الأدب عندنا. تزوج الأخطل الصغير، ومرت بعد الزواج فترة سكون ورجع ثانية، فشغلته السياسة، ثم واصل الأدب ثم هجر، ثم عاد ثم نفر، وهكذا بين الكر والفر، والإقبال والإدبار، يعجم عود الشاعرية، فيزداد مرونة، ويتطاير عبيراً ذاك لأن للشاعر قلباً – مهما فقد منه لا يفقد – فقلبه في صحافته، وقلبه في سياسته. وقلبه في شعره، وقلبه في عقله.

... وكلما غام أفق الحياة وتجهم وجهها، يعود «البرق» فيخط ومضة بارقة في حواشي الفضاء ويصيح «الأخطل الصغير» والحنين يفلذ حشاشته من وراء تلك الحجب المكفهرة: «ما تهدمه السياسة يبنيه الأدب». حسناً...

ليكن ذلك يا سيدي، هدِّم ما شئت وابنِ ما شئت فنعم الهادم الباني.

**فؤاد الشايب**

****

# خطاب الكيالـي
# فـي تكـريـم الخـوري

**أرسل الينا حضرة الطبيب الوطني العلامة عبدالرحمن بك الكيالي ملخص الخطاب الذي ألقاه يوم الجمعة في حفلة تكريم الشاعر بشارة الخوري.**

**أيها السادة!!**

إن ليلة في الشهباء يتجدد فيها عهد الأدب فيكرم فيها شاعر طالما تغنى بمجد أمته وماضيها، وشدا في حبها وحب حسانها وعلمائها وحب أبنائها وبلادها، وطالما أسمعها صدى نفسها المتوجعة وصدى نفسه المتألمة، وطالما ألقى على مسامعها من وحي قلبه وإلهامات عاطفته شعراً، سامي الديباجة، حلو التشبيه، بديع الاستعارات محكم الألفاظ دقيق المعاني، منسجم النظم متين المبنى، شعراً حلّى آدابها وأثار إعجابها. وأذاقها عذوبة التشبيب وفصاحة الوصف، وحلاوة الوطنية ومتعها بعلو الخيال، وإن ليلة كهذه لا شك بأنها ليلة من ليالي العمر، فطبت يا شهباء بما تمايزت به من حب للعلم والأدب وليت ميزتك هذه وسواها لم تقيدها القيود بل تركت حرة طليقة انطلاق الحسناء في رياض الخلود عارية من كل ستار زائف ومصونة من كل تعد ظالم فيعلم العالم أن التقصير ليس في بنيك ولا في بني قومهم سجية، بل هو الدهر الخؤون إذا استضعف أمة سلبها محاسنها ليلبسها غيرها.

هذا وللمحتفى به نظم عقد هذه الليلة – ولمن أسمعنا وأنشدنا وشدا لنا ولمن غذانا بعلمه وأدبه وفنه ولمن نشطنا بسعيه ألف شكر وتقدير.

■ الاتحاد الحلبية ، ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٥ ، السنة ١١ ، العدد ٥٥٩.

وبعد فمن البديهي وأنا ألمس تذوقكم الشعر ومدلولات الفكر واستعدادكم لمعرفة الحقيقة من تأثركم العميق، وما يطفو على ملامحكم من علائم الارتياح والتحمس والغيرة أن أجعل موضوع حديثي [تأثير الشعر في نهضة الأمم].

ما هو الشعر وما هي النهضة وما علاقة الأول بالثانية؟

يعرّف الشعراء والأدباء معنى الشعر بتعاريف مبنية على الشعور والخيال، ولكن التحليل العلمي يقول [بأنه العاطفة إذا تأثرت وتكلمت، والكوامن الغريزية إذا اندفعت وانسكبت واللاشعورية إذا وعيت] وبعبارة أخرى هو تجلي الروح ورمز الهواجس، وصدى النفس الباطنة وقل هو جسر الاتصال بين عالم الشعور وعالم الأدب وهذه المدلولات بأجمعها «أنا وأنت» فوق الحيوانية والمادة مصوغة في ألفاظ يسكبها الفن ويصيغها مجسمة تجسم الجمال والمثل العليا، حصولاً للذة الروح ودواماً لنشاط الحياة.

خذ الشعر من الأدب فما يبقى من أركانه؟ وخذ الفن من الحياة فما يبقى من جمالها؟ أين الحسن، أين الذوق، أين المدنية أين العمران!!!

هو ذا الإنسان إن فقد الذهن فقد العلم وإن فقد العاطفة فقد الفن وإن فقد الإرادة فقد العمل وإن فقد الجميع فقد الحياة بل عماء وجمود وموت، وفناء!!!

هذا معنى الشعر ومقامه. وأما النهضة فالمقصود منها الحركة بعد الجمود واليقظة بعد الغفلة لتدارك ما فات واستكمال ما يلزم من الحاجات بأنفع الطرق وأسهلها وتهذيب الطبائع والدوافع والأطوار حتى لا تطغى عليها الغرائز، وإنماء القوى الروحية والعقلية حتى لا تسقط وتنحط تحت ضغط المؤثرات الخارجية المادية والعوامل الداخلية المعنوية وهذا لا يتم إلا باشتراك قوى العقل وقوى الأدب وقوى الروح.

فهل من هذه المقدمة الوجيزة يتراءى لكم أثر الشعر في الأمم.

قال أحد علماء السياسة والفلسفة الاجتماعية الأستاذ [هو كينغ] إن مقاييس التمدن ثلاثة. «الأولى» في الأمور العملية وهي [مقدرة الأمة على استخدام قوى الطبيعة بتطبيق مبادئ العلم والاقتصاد والعمل.

ثم الأخلاق العامة التي تحفظ الترابط الاجتماعي وتضمن الاطمئنان والهدوء الروحي ثم حالة الشعب من حيث صيانته من الأمراض والعلل ومداواته من الآلام ومنعه من البؤس والشقاء].

«والثانية» في الأمور العلمية وهي [المقدرة على حكم الشعوب الأخرى ثم يكون المشاريع الكبرى وحسن ادارتها واستثمارها، ثم الاختراع والاكتشاف].

«الثالثة» في الأمور الأدبية والمعنوية وهي [نبل الأفكار والمبادئ وسمو اللغة وسعتها وحسن الآداب وعذوبة المحادثة وكرم الضيافة والذوق والرقة وبداهة الشعر والشعور في ما وراء الطبيعة].

فإذا صدقت هذه المقاييس وعدت عوامل في نهضة الأمة وتقدمها فهل يبقى إبهام لفهم تأثير الشعر وعلاقته؟.

وزيادة في الحجة يجب أن نبرهن فيما إذا كان الإنسان في حاجة للشعر دائما وهل ضرورته في جميع أدوار رقيه؟.

لا شك بأن الشعر حاجة ضرورية كبقية الحاجات الآيلة لتغذية القوى الأدبية والمعنوية وإشباع العواطف والغرائز، كما بينا وحيث إنه أحد أركان الفن، والفن بأنواعه متمم وضروري لها وحيث إن الغرائز ومنها غريزة الجنس وغريزة حفظ الذات كما يقول «فرويد» سببا وجود الدين والمدنية والعمران والاجتماع، والقوانين حتى الأحلام، وحيث إن الشعر من أقوى الوسائل لتصويرهما وإرضائهما فهو لذلك ضروري وسائر مع الرقي في جميع الأدوار.

والشعر مهما يكن فقد نطق به الإنسان منذ أقدم العصور ورافق الغناء والموسيقى وتقدم جميع مظاهر الفن وثبت أنه موهبة تنمو في البعض كثيراً وتقل أو تنعدم في البعض الآخر وتتوارث، ويؤثر في نموها عامل المحيط وتجلوها التربية،

والزمن والعادة. ومن كانت فيه قوية أبعدته عن مجهودات الذهن والتعمق في المعرفة والاستنباط والقياس لأنها تستفز العاطفة وتستنفذ قوى العصب والدماغ وتبدو شاذة ويكون لشذوذها أثر في تطور الخلق، ولهذا كان الشعراء في كل واد يهيمون وكانوا أكثر الأفراد شذوذاً في طبائعهم، وأطوارهم، وعلاقاتهم وحوادثهم.

والشعر كسائر الفنون الأدبية والجميلة إن لم يتوافق مع طبيعة المحيط وذوق الأفراد والشعب ويتلاءم مع الحاجة ورقي الفكر وتقدم العصر قلَّ تأثيره ونفعة، إذ الحركة والجمود والتقدم والتأخر أضداد لا تجتمع ولكل مجال مقال، ولكل مقال زمان.

ولكي يؤدي الشعر غايته السامية كما تؤدي الأحلام الصحيحة غايتها، والشعر من نواح عديدة (حلم اليقظة) ومن نواح قليلة «يقظة الحلم» ويكون موطناً للإلهام. ومداراً لإرضاء النفوس، وقوة لإثارة العواطف يجب أن يكون ناقلاً صادقاً للمشاعر والعواطف والأفكار عندما تتأثر بصوت الطبيعة وتلمس أثرها، وتمس جمالها وتلاحظ صورها وصور الكون البديعة وعندما تشاهد الحوادث وتكثر فيها الهواجس وتزدحم عليها الأهوال والمصائب والآلام أو تنهال عليها اللذات والأفراح.

والشعر لا يصدق التعبير ولا يحسن الدخول إلى القلوب التي لها لغتها القائمة على الذوق السليم ولم يصور ألوان المروج وانعكاسات النور وينقل ما يعلمه البدر وأخواته الشمس والنجوم، إذ هي تشرق على الأكوان وتظهر في وحي الليل وترى ما يعمله المحبون والعشاق بين الأشجار وفي الغابات وفي القصور أو ما يرتكبه المنتحرون ويعمله المجرمون ويصف ما يكون على الشواطئ أو في قاع البحار أو في صحارى اللانهاية – وأن يحمل تباريح الجوى، وأحاديث النجوى وأسرار الغرام والهوى وما تتناقله الأعين وما تؤديه الشفاه وما يجري من همسات وغمزات وإشارات لاسلكية وأن يترجم ما يشعر به الطفل والولد والأم والوالد والأمم والجماعات والطبقات، وما تحويه نغمات الأطيار، وأصوات البلابل، وهدير المياه، وحفيف الأشجار ورعود السماء

وبروقها، وما تشير إليه قطرات الندى وجيوش الغمام وما تكتبه يد القدرة في سفر التكوين وعلى قمم الجبال وسفوحها وفي الوديان والسهول والغابات والفراديس والرياض والقفار، وما تعانيه البشرية من لذات الحياة وبؤسها وخيرها وشرها ويجب أن يتحدث للأجيال عما للأجداد وأن يستظهر التاريخ وصوره والحوادث ومعانيها، وأن يجسم الحب والجمال وينقش وحي الأفكار وينظم كوامن النفس وقراراتها ويقوم مقام الكهربائية في نقل الأفكار ومقام العقل في قراءتها ويحرك العواطف ويشحذ الهمة ويخلق القوة ويوجد العمل.

فإن كان كما يجب وكانت ألفاظه مصوغة من الرقة، والتناسب، والانسجام وحافظة لتمام المعنى ومطابقة للإفهام للطفل والعامة والخاصة ومطابقة للواقع وموافقة للحال وإيقاع الموسيقى وسار حيثما تتطلبه الحاجة في التراتيل والعبادات والحروب والأفراح والأحزان والرقص والتمثيل والحركة واللهو والسفر والحل والترحال والركوب والطيران، فأثره في تهذيب الأمة ثابت ولا يتقدمه أي عامل آخر مادام هو أقرب المقربين إلى العواطف والمشاعر.

وحيث إنه فن والفنون لا حدود لها ولا قيود تقيد متسعها ومرماها بل هي قيد النسبة، والزمن والذوق والاعتبار والحاجة، فتقييده الشعر بأحكام محدودة واعتبارات لا تتغير ولا تتبدل يجردانه من الروح التي تحرك الفن وتسير به إلى الكمال، وإذا أدركنا هذه الحقيقة عللنا جمود الشعر العربي في عصرنا الحاضر ومنذ ثلاثمائة سنة حتى الآن.

إن الشعر العربي الغني في مواده الصناعية ولغته الشعرية وبلاغته وفصاحته قد رافق الأدوار التي مرت بهذه الأمة وخدمها أيام جاهليتها وأيام فتوحاتها وأيام حضاراتها وأيام علمها وصناعاتها وتفوقها، خدمها في جميع النواحي وكان يتكيف بحسب الحاجة وطبيعة المحيط، ولما توقفت الأمة عن التقدم وقضي على استقلالها

وطغى عليها الجهل توقف الشعر وقصر في مهمته.

واليوم وان بدأ يستعيد نشاطه ويجدد قواه فالحاجة إليه ليست في كثرة قائليه ولا بكثرة منتوجاتهم ولا بالرجوع إلى ما كان عليه الأقدمون ولا بتخصيصه بطراز واحد ولا لطبقة واحدة مع أن الشعر للجميع، بل بتثقيفه وتهذيبه وتلوينه بألوان الحضارة وإملائه بعناصر القوة ومولدات الحركة وقاتلات الجراثيم، ومكثرات الفيتامين ومهدمات القيود، ومهشمات الاستعباد، وباعثات الهمم وموقدات النار، وبتنويعه وبتوسيعه حتى يملأ جميع القلوب وتهضمه جميع الأفكار وتستسيغه جميع الأذواق.

وكما هذا شأن الشعر العربي فشأن الموسيقى لا يقل عنه، كلاهما يحتاجان لجمال الفن وتطور الزمن.

وفي الختام إن صح قولي فتأثركم مما قيل وسمعتم وأثره في نفوسكم لخير دليل والسلام عليكم.

**عبدالرحمن بك الكيالي**

****

# هنيئاً لك

## أبا عبدالله إمارة الشعر

**بدوي الجبل**

نشرنا في العدد الماضي من «الصياد» رأي الشاعر الكبير «بدوي الجبل» في شعراء سورية ولبنان وقد جاء فيه أن أمين نخلة هو أشعر شعراء هذا البلد، وأن بشارة الخوري لم يعد ذلك الفارس المجلي!

ويظهر أن هذا الرأي لم يرق لأديب معروف في لبنان فجاءنا غاضباً محتجاً ثم دفع إلينا بأحد أعداد جريدة «البرق» وقال: خذوا اقرأوا، بل وانشروا على الناس رأي بدوي الجبل في بشارة الخوري...

وقد قرأنا في «البرق» كتابا كان أرسله بدوي الجبل إلى بشارة الخوري بمناسبة نشر قصيدته الخالدة «عمر ونعم» ونزولا عند رغبة الأديب الغاضب ننشر في ما يلي نص هذا الكتاب(*)، قال بدوي الجبل:

أخي... الله أكبر، ما هذا يا رجل؟ والله إن قصيدتك في عمر ونعم لأخلد من عمر ونعم.

وقسم آخر: والله لم ينظم في العربية كقصيدتك هذه. لا أستثني شاعراً ولا أستثني شعراً لا في قديم التاريخ واللغة ولا في حديثهما.

هنيئاً لك أبا عبدالله إمارة الشعر. من غلمانك عمر، من حجّابك المتنبي، ومن حراسك شوقي، ومن ندمائك ولي الدين.

أمتع الله بك لبنان، بل الجزيرة بأسرها بل العبقرية والخلود.

**بدوي الجبل**

**محمد سليمان الأحمد**

****

■ الصياد ، السنة الأولى العدد ٣، ص٩، سنة ١٩٤٣.

(*) انظر نص هذا الكتاب وصورته في «رسائل إلى الأخطل» من إصدارات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود

ابيض

# شاعر الهوى والشباب

**محمود تيمور**

خلوت الى «ديوان الهوى والشباب» ساعة، أسائله عن صاحبه، وأزداد من تعرف به، فأنست وطابت لي النجوى معه، واستروحت منه متاعاً وسلوة، طويت الكتاب في إكبار له، وانثنيت الى نفسي أسائلها: لطالما نعى النقاد على الشعر العربي أنه غنائي كله، ولطالما أهابوا بشعراء العربية أن ينزعوا تلك المنازع التي يحفل بها شعر الغرب، فهل قصد النقاد في نعيهم على ذلك الشعر وإهابتهم بأولئك الشعراء، أن يحرموا أدب العروبة هذا اللون الذي نستشرف أطيافه الخلابة في قصائد الشاعر «بشارة الخوري»؟، يحضرني هنا قول شاعر الهوى والشباب:

**الصوت موهبة السماء فطائر**
**يشدو على غصن وآخر ينعب**
**يا هند إني كالهزار فإن يكن**
**هو مذنباً فأنا كذلك مذنب**

في هذه الهتفة الصادقة مفتاح الجواب الصادق.. فإن ألوان الشعر ومنازعه، توزن ويفاضل بين بعضها وبعض، بما يكمن فيها من قوة الموهبة، وأصالة الفن وصدق التعبير، قبل مختلف القيم والاعتبارات وبذلك يدين شاعرنا في قوله:

**إن لم يكن لك حسن الوجه تعرضه**
**فقد ظلمت به أثوابك القشبا**

على أن الشعر الغنائي باق ما بقي الكائن البشري نَزَوعاً إلى التغني بما يجيش في وجدانه، ولوعاً بالتعبير عن مباهجه وأحزانه، تخالجه تلك المشاعر

■ الأديب - السنة ١٢ - م٢٥ - ص٧١ - عام ١٩٥٣.

الرقاق، كأنها نبضات القلب الحساس، هادئة لا تكاد تبلغ الأسماع، ولكنها هي السر كل السر في ضجيج الحياة وجلبة الكون جميعاً.

ولعل شاعرنا كان ينظر الى هذه القضية الأدبية حين قال في تحيته «للمتنبي» :

**لم ألق كالشعر مظلوماً فقد حشدوا**
**لحربه حسد الحساد والنُوَبا**
**يرمى بكل قبيح من مثالبهم**
**ويرفعون له الأنصاب إن ذهبا**
**مثل المسيح تغالوا في أذيته**
**وألّهوه ولكن بعد أن صُلبا**

هذه نفس شاعرة، توهجت فيها العاطفة أكبر ما تتوهج، ورقّ إحساسها بالحياة والمجتمع وحلقت في آفاق من الأخيلة رحاب، فرفَّ تعبيرها نغماً جميلاً يترسل على السمع كأنه رقية ساحر..

وصاحب «الهوى والشباب» يعرف ذلك من نفسه حين يقول:

**قسمت فؤادي بين بؤسي والهوى**
**فهذا له شطر وهذا له شطر**

لقد توافر له أجمل ما يتوافر للشاعر العربي من خصائص البيان العربي، فاللفظ منتقى، والنسج رقيق، والقوافي ميسورة عليه لا يتكلف لها، ولا يعيا بها، وإن امتد نفس القصيد.. ولكن هذه المزايا تحتشد من ورائها عبقرية التصوير والأداء، تلك العبقرية التي تسفر بها الأخيلة والمعاني جديدة الطابع، طريفة الإطار، تسجل لصاحبها طرازه الخاص بين شعراء عصره بل شعراء الأدب العربي منذ العصور الماضي الى يومه الحاضر.

أعجب العجب في ديوان «الهوى والشباب» ذلك الشعر الذي نسميه «شعر المناسبات» فقد احتوى الديوان قصائد من نحو المرثيات والاجتماعيات، ولو أننا أغفلنا

عنوانات هذه القصائد، وأنشدنا أبياتها نستجلي ما فيها من المعاني، لراعتنا منها صور شعرية، لا ترتبط بالمناسبة، ولا تستمد منها ما فيها من قيمة فنية.

هذا مطلع قصيدة له:

**حكمة الدهر أن نعيش سكارى**
**فاجمعا لي الكؤوس والأوتارا**
**واجلواها دنيا ممتعة الحسـ**
**ـن كما تجلوان إحدى العذارى**
**فانهب العيش لا أبا لك نهباً**
**واطرح عنك وجهك المستعارا**
**لست مهما عمرت غير جناح**
**حط في الدوح لحظة ثم طارا**

ليس هذا مطلع قصيدة لهو ومجون، وإنما هي أبيات تمثل لك فلسفة الحياة وحكمة الوجود، وتصور لك في مجراها الى منتهاها نفساً شاكية تلتاع أسى لما يلقى النابغون من ظلم الدهر وجحود المجتمع ..إنها قصيدة في تأبين الشاعر «جبران خليل جبران».

واستمع الى قوله:

**أيها الجدول الوديع الذي ينـ**
**ـشر سر الحياة في جريانه**
**أيها المدمع الحنون الذي لولاه**
**ما افتر مبسم عن جمانه**
**أيها المنشد الكئيب الذي تسـ**
**ـمر زهر الدجى على تحنانه**
**أمن العدل أن تعفر في التـ**
**ـرب ويزهو ورد على أغصانه**
**أمن العدل أن تنام على الصـ**
**ـخر ويغفو قطر على ريحانه**

أمن العدل أن تنوح على العشـ
ـب ويشدو طير على أوكانه
هكذا الشاعر الشقي يغني
فيغذي الأفراح من أحزانه

بهذه الصورة الشعرية الشاجية يرثي الشاعر صديقه «الياس فياض».

وفي قصائده: «الجبل الملهم» و «تحية فلسطين» و «زاهرة الربى» أمثلة من شعر المناسبات، تريك منهجه في استيحاء موضوعه، واستلهام مناسبته، بروح الشاعر وطبعه، فهو لا يجرد من نفسه خطيب محفل، ولا واعظ منبر، ولا فيلسوف صومعة، ولا صواغ قافية، وإنما هو شاعر هيمان الروح يتصيد بشاعريته روائع من الصور الفنية تحمل في ثناياها سريرة الحياة وجوهر الوجود.

لقد خلص «بشارة الخوري» بشاعريته للحب والجمال والخير، فهو وصاف الجمال في المعاني والصور، وهو يتغنى بالحب أروع التغني، فلا غرو أن يحنو على ذكرى المحبين يصور وجدهم وأشجانهم في قصائده: «عروة وعفراء» و «عمر بن أبي ربيعة» و «سلفين وجيروم».

وإنه ليبث آلامه لمآسي الحياة في قصص شائق، كما في قصائده «الريال المزيف» و «المسلول» و «عذراء لبنان». ولست أدري وقد آنس الشاعر من نفسه هذا التوفيق في صياغة القصة الشعرية، وعرض الشخصيات في ذلك المعرض الجميل، كيف ضن على الأدب العربي بالتمثيليات المطولة وضعاً أو ترجمة وهو على النهوض بذلك قادر، وعسى أن يكون قد فعل، أو لعله فاعل.

شاعرنا يهز نفسك في مطاوي شعره بوثبات من التأمل والتفكير تملك عليك لبك، إذ تتبين فيها وعي الشاعر في تعرف أسرار النفوس وخفايا الحياة.

يقول في قصيدة «المتنبي»:

طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة
فشاء ربك ألا تدرك الطلبا

**إذن لأثكلتَ أم الشعر واحدها**
**وعطَّل الوكر لا شدواً ولا زغبا**
**لولا طماحك ما غنيت قافية**
**بوأتها الشمس أو قلدتها الحقبا**
**قد يؤثر الدهر إنساناً فيحرمه**
**من يمنع الشيء أحياناً فقد وهبا**

وهكذا يمجد في «المتنبي» ذلك الحرمان الذي آتاه شاعريته والطماح الذي ألهب نوازع نفسه، وهو بذلك يكتشف لنا سر عبقرية «المتنبي» في لمحة شعرية بارعة.

وقد سوى لنا شاعرنا تمثالا من الحسن في فتاة تشكو الى أمها وفرة المتهافتين عليها، وذلك في قصيدته «هند وأمها» وختم القصيدة بقوله:

**فقالت وقد ضحكت أمها**
**وماست من العجب في بردتين**
**عرفتهم واحداً واحداً**
**وذقت الذي ذقته مرتين!**

وتلك لفتة إنسانية عميقة، تجلو غريزة في نفس المرأة أصيلة وإن سيقت في القصيدة مساق الدعابة والمفاكهة.

وأنت تقرأ مترجمات الأستاذ «بشارة الخوري» من الشعر الغربي، فإذا هي في حضانة شاعريته قد نمت وترعرعت وبدت عربية السمات، مأنوسة الطابع، لا تكاد تحس فيها أثر النقل، فلو شاء ادعاها لنفسه لا ينازعه فيها أحد.

حيا الله شاعر الهوى والشباب، ولا خلت يده من دنياه التي يقول فيها:

**من كان من دنياه ينفض راحه**
**فأنا على دنياي أقبض راحي**

**محمود تيمور**

****

ابـــــــ

# رد علـــى
# «حول رائعة الأخطل الصغير»

**المحامي جمال مرسي بدر**

اطلعت في عدد مارس من «الأديب» ١٩٥٣ على كلمة الأستاذ عبدالقادر رشيد الناصري من بغداد عن لامية الأخطل الصغير المنشورة في عدد فبراير وفيها يرجع الكاتب الفاضل بشارة الخوري:

**عـيـد الجـلـوس أعـرني مـنك بـارقـة**
**أريك لـيل الـقـوافي كـيف يـشـتـعل**

إلى بيت أبي تمام في لاميته التي مدح بها المعتصم:

**تـغـايـر الـشـعـر إذ سـهـرت له**
**حـتى ظـنـنت قـوافـيه سـتـقـتـتل**

وعندي أن الصورة الشعرية في بيت الأخطل الصغير غيرها في بيت أبي تمام فحبيب يجعل من قوافيه اشخاصا تتنافس في إرضاء الممدوح وتتقاتل على الظفر بمكان في قصيدة مدحه، وهي رائعة من روائع أبي تمام لم يفت نقاد الشعر أن يشيدوا بها قديما وحديثا.

أما الأخطل فيصور استلهامه الوحي من موضوع قصيدته فيخاطب «عيد الجلوس» مستعيراً منه بارقة يحيل بها ليل القوافي نارا مؤججة ونورا ساطعا، فالصورة هنا تدور حول علاقة الشاعر بموضوع شعره وتصور ما يفعله الخيال الشعري إذ يواتيه الإلهام فيكفيه أقل باعث كي يحلق في سماء الشعر كل محلق.

ولئن كانت بين البيتين جامعة فهي أن كليهما استعارة بديعية تدور حول القوافي،

■ الأديب، ١٩٥٤ سنة ١٢، ص٦٦.

ولكن ذلك لا يكفي للقول بأن أحد البيتين مأخوذ عن الآخر. ولئن صح أن بشارة الخوري قد نظر في بيته ذاك إلى بيت أبي تمام فإن تحويله المعنى من مجال إلى مجال ينفي عنه مظنة النقل بحيث يصدق عليه قول الجرجاني في «الوساطة»: «... تشترك الجماعة في الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى إليها دون غيره فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع» [ص ١٨١ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥].

لهذا أجدني أميل إلى رأي زملاء الأستاذ الناصري الذين وجدوا في بيت الأخطل الصغير معنى جديداً وصورة شعرية لم يُسبق إليها، وليس ذلك بمستغرب من ذلك الشاعر الفحل، ففي القصيدة ذاتها نجد بيتاً أظن الأخطل الصغير ابن بجدته، ومعنى أرى أنه مفترع عذرته وذلك إذ يقول:

**جذبت زهر الدراري من غدائرها**
**فلم يزل في يدي من شعرها خصل!**

وإني لأذكر للشاعر بيتا آخر فريداً في صنعة عاصر الخمر أو ساقيها وذلك قوله:

**يا ذابح العنقود خضب كفه**
**بدمائه بوركت من سفاح!**

وأعتقد أن هذه الصورة لم يُسبق إليها بشارة الخوري على كثرة ما في الشعر العربي قديمه وجديده من خمريات تتناول وصف مجلس الشراب وعاصر الخمر وساقي الندامى، ومن اقترب من هذا المعنى من الشعراء لم يزد على الإشارة إلى حمرة أنامل الساقي لكثرة معالجته الخمر وذلك كقول الأسود بن يعفر النهشلي:

**يسعى بها ذو تومتين مشمر**
**قنأت أنامله من الفرصاد**

فهل أصبت إذ أفردت الأخطل الصغير بهذا المعنى أم تراني قد غفلت عن شعر قديم سبق إلى هذه الصورة المطربة؟.

**المحامي جمال مرسي بدر**

# الأخطل الصغير

## فوزي سابا

ولد في بيروت ١٨٩٠ ودرس في مدرسة مطرانية الروم في الأشرفية ثم تركها الى مدرسة الحكمة ومنها الى مدرسة الفرير، على أن شيطان الشعر والأدب حمله على ترك المدرسة فأنشأ جريدة البرق سنة ١٩٠٨ أي في أعقاب الدستور العثماني، واندمج في الصحافة فتغلب شيطان الشعر على الصحافة فإذا به يجدد أمجاد الأخطل الكبير ويتلقب باسمه، وقد عرف العالم العربي فضله فبايعه أميرا للشعراء سنة ١٩٦١ في حفلة ضخمة في الأونيسكو ..

اشتهر شعره بالرقة والغزل، على أنه، وهو من الرومنطيقيين الأوائل في لبنان، لم يستطع إلا تطعيم هذا الشعر بالتأثرات الوطنية:

**مؤلفاته:**

- الهوى والشباب، مجموعة شعر، ١٩٥٣- شعر الأخطل الصغير، ١٩٦١ .
- مخطوطات: من بقايا الذاكرة، وهو مذكرات وخواطر.

**١ - أبوعبدالله بشارة الخوري:**

**نميل على جوانبه كأنا**
**إذا ملنا نميل على أبينا**
**نقلبه لنخبر جانبيه**
**فنخبر ما شمماً ولينا**

عرفته والعود أطراه، وهو على ناصية الارتياح ، يشار اليه بالبنان، ويُصغى لكل همسة تجول على شفتيه.

■ المواسم ، آذار ١٩٦٦، العدد الأول، السنة الأولى.

كنت أسمعه من على المنابر بصوت يوحي إليك الألم المفرح، فيه نعومة ورقة على بحة تجمل الجرس، وأقرأه في الصحف زمن العافية الأدبية في لبنان، أزمان ينادون على صحفهم باسم قصيدة لشاعر كبير، أو مقال لأديب مرفه اليراعة، لكن النشوة المفيحة لم تكتمل إلا بلقياه.

ذلك وقد انصرم العام الدراسي سنة ١٩٣٦ . وكنا رفاقا أنهوا دراستهم وآن لهم الافتراق بعد زهو صحبة، فراحوا الى الليل في طواف وثني لكأنهم ينهلون العمر على قطرة، وكان آخر المطاف عند – أبوعفيف – ملقى الأدباء والشعراء آنذاك.

رفاق أخذتهم شتى المعتقات، ولم يبق لديهم ما سيتمطرون سوى الابتهال ليكون لهم حدس بأمر، وأبوعفيف، زمن الدنيا فتية، زهو وأدب وشعر، لكأنه عكاظ على مآدب، فلا تبرح الكهرباء مشعة في أرجائه، والطرف الأدبية تتناثر في أفواه الخيرين.

كم يذكرني – أبوعفيف – بصاحب ذلك المقهى، أبوالياس، الذي كان يجتمع إليه الأدباء والشعراء، ضحى القرن العشرين، على فارق واحد، هو أن – أبوعفيف – كان غالبا يقبض ثمن المأكل والمشرب، أما أبوالياس فكان يقول لزوجته آخر الليل، وقد تركه أصحاب القلم على – تصبح بخير – قومي كنسي (أشعار) يا أم الياس ..

أبوعفيف، كان يتناول الشعر ويخمره من يوم الى آخر، ذلك أن مجالس الأدب كانت تستمر على دوران الساعة.

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، والخمرة مالت الى الوجوه بعد عربدة مثلى، ونحن نلمح في إحدى زوايا أبوعفيف، بشارة عبدالله الخوري، الأخطل الصغير على انسجام والكأس.

ودرنا من حوله، فإذا بنا والمجلس صخب وابتهال وكأس تدعو الى كأس وكأن بشارة الخوري عنانا بقوله:

**ونحن حولك عكّاف على صنم**
**في الجاهلية ماضي البطش قاهره**

أبوعبدالله بشارة الخوري، وكأس وشباب ولا يكون الشعر لماظة الأرواح؟ وكان الحاكي ينشد لمحمد عبدالوهاب:

**يا ورد مين يشتريك ..**

لكأن سلكاً مسَّ شاعرنا كاد يوقع الكأس من يده، – سامح الله محمد عبدالوهاب فقد أجبرني أن أصبح زجالا مصريا.. هذا الورد لم يكن كما يغنيه اليوم، لكن رغبته جعلتني أمسخ القصيدة – قصيدة الورود. وعلا الهتاف ولججنا بالطلب على قرقعة الكؤوس، وكيف، وما هو أصل القصيدة؟ وتحتم الأمر على الأخطل الصغير، إذ لا رأي في مجلس كالذي نحن عليه، قال: كنت ذات صباح وعبدالوهاب في حديقة الورد قرب منزلي، وبينما نحن نرشف القهوة نظرت الى وردة وشّاها الندى بأعراق ونقطها باللؤلؤ، وكان عبدالوهاب وراء أحد أفلامه وقد طلب مني قصيدة، فجذبتني. – الوردة الشهوان الى الشعر، فقلت:

**يا ورد عاش الورد**
**طاب الذي شمك**
**يا برعماً في نهر**
**شق الهوى كمك**

أعجب عبدالوهاب بالمطلع لكنه رغب إليَّ أن أجعل القصيدة زجلا ذلك أن الجمهور المصري يرغب في الأزجال عن القصائد، لا سيما وكان قد لحن قصيدتي – الصبا والجمال – للفيلم ذاته ..

يحملني ونحن على هذه الذكريات، رجوع إلى حادثين وقعا لبشارة الخوري أحدهما مع محمد عبدالوهاب والثاني مع سيدة أديبة.

كان محمد عبدالوهاب، يقوم بإخراج أحد أفلامه في باريس، وشاء أن يحليه بقصيدة من بشارة فأبرق إليه ملحّاً بالطلب، استلم بشارة البرقية* صباح يوم ربيعي

* – انظر حول هذا الموضوع نصوص رسائل محمد عبدالوهاب وصورها إلى الشاعر في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سابق، ص(١٣٥–١٤٠)

العبق ندي الرواح، وهو بين بساتين الليمون المحيطة بدارته، فما كان إلا وقد كتب على ورقة البرقية ذاتها مطلع قصيدة – جفنه علم الغزل:

**جـــــفـــــنه عـــــلـــم الـــــغـــــزل**
**ومـن الـــــعـــــلـــم مـــــا قـــــتـل**
**فـــحـــرقـــنـــا نـــفـــوســـنـــا**
**في جـــــحـــــيـم من الـــــقـــــبل**

وأرسلها على جناح البرق إلى محمد عبدالوهاب، الذي حار، عند استلامها، على أي الألحان يطلقها، وبينما هو في حيرته هذه، إذ بأنغام الرومبا تتصاعد من مقهى بالقرب من غرفته فتآخى الشعر والنغم ودخلت الرومبا للمرة الأولى في الغناء العربي..

والحادث الثاني وقع في دارة إحدى الأديبات، والمجلس على شراب وشعر، وكانت السيدة ولوعة بجمع تواقيع الشعراء على نفثة من أطايبهم تدون في مذكرة عطرية الشذا حريرية الرقاع، فتقدمت من بشارة، والمجلس أنس الى الزهو والحنان، والجمال على أشكاله وأنواعه، مواسم قطاف، تقدمت وسألته أن يدون خاطرة في مذكرتها تلك فكتب:

**تـــهـــوين أن أملأهـــا صـــفـــحـــة**
**بـــيـــضـــاء كـــالـــقـــلـب الـــذي تحـــمـــلـــين**
**بـــرئت من عـــقـــلـي وشـــعـــري مـــعـــاً**
**إن كـــنت أرضى لـــهـــمـــا مـــا يـــشـــين**
**أأحـــــمل الـــــســـــحـــــر الى بـــــابل**
**وأســكب الــعــطــر عــلى الــيــاســمــين**

وكان بدء أدب المذكرات ... هكذا عرفت بشارة عبدالله الخوري، وهكذا عرف هو اللين والأناقة والرقة الى العالم.

صخب مجلسنا عند أبوعفيف، قادني الى معرفة الاخطل الصغير معرفة حق فبقينا على وداد أهلني لأحمل القلم محاولا بعث تلك الأيام، فلا يذهب بها النسيان ويتطرق الى وضاحها شكوك.

عرفته على المنابر، في الجامعة الأميركية مع – عمر ونعم – وفي الحكمة وفي الأقطار العربية جمعاء، ففتح لي أن أتعرف الى الحس المرهف والنفس الطويل والروح الطيبة فالكلمة ملساء متى تناولها بشارة. والأطياب منغمة متى تمر على يديه، ففي مجالسه على كثرة آهات التطريب، لا يميل خاطر عن الجمال متى انشراح مؤنق مع لطافة مطلب وأناقة بلوغ.

عرفت بشارة، وقد نقم عليه فتيان أطلعهم وأنشأهم ثم أطلقهم فحق له عليهم القول:

**وكم علمته نظم القوافي**
**فلما قال قافية هجاني**

وهنا لا نستطيع المرور بهذا المجال دون النظر الى الظروف التي أدت الى تمكين العلاقات بين الأخطل الصغير ومحمد عبدالوهاب كما رواها لي الأخطل الصغير ذاته:

عندما جاء أحمد شوقي لبنان في طريقه إلى دمشق للاشتراك بالحفلة التأبينية التي أقامتها سوريا لفوزي الغزي اصطحب محمد عبدالوهاب، وبما أنني كنت أحد خطباء الحفلة قد جمعتني به عدة مناسبات إحداها في قصر رئاسة الجمهورية في عاليه.

كنا جماعة نأنس الى الطرب، وكان بيننا شاب مصري ذو صوت رخيم، ينشد على هواية بعضاً من أشعاري، ويظهر ان محمد عبدالوهاب سمعه ينشد أبياتي:

**الهوى والشباب والأمل المنشود**
**توحي فتبعث الشعر حيا**
**الهوى والشباب والأمل المنشود**
**ضاعت جميعها من يديا**
**يشرب الكأس ذو الحجى ويبقي**
**لغدٍ في قرارة الكأس شيا**
**لم يكن لي غد فأفرغت كأسي**
**ثم حطمتها على شفتيا**

وبعد انتهاء المأدبة، وبينما نحن نتناول القهوة جاءني صديق يطلب مني الخروج الى الشرفة حيث يقدم الي عبدالوهاب. على شرفة القصر الجمهوري في عاليه التقيته، على أناقة وشباب، ودار بيننا الحديث حول الشعر، ليطلب مني السماح له بتسجيل قصيدة «الهوى والشباب»*، وبما أنها كانت قصيدة لا تكفي – لأسطوانة – فإنه سألني أن أضيف اليها بعض الأبيات.

لم أجزم له بالأمر، إنما وعدته أن أجرب جهدي عندما أعود من الشام الى بيروت، ويظهر أنني استطعت إكمال القصيدة، فلم يمر أسبوعان حتى كانت بين يدي عبدالوهاب تتهادى على تيه المدل.

وهكذا كانت أول معرفتي به، هذه المعرفة التي تحولت الى صداقة، وألفة، جعلته لا يأتي لبنان إلا ويحل ضيفا علي حيث نقضي أجمل الأوقات بين حدائق الورود.

عرفته ذلك الأب الكريم، لا شفقة منه ولا عجزا، بل أنفة وسماحا، فما مر بهم، على الهالات التي أداروها حول أسمائهم، إلا على فضائل، ولولا ألم يصيب نفس هذا الكبير، إن نحن سللنا الأقنعة لكشفنا الوجوه ورحنا الى الأسرار نستلها لكن هناك حوادث خجل هو من ذكرها، كي لا يعاب الذين أتوها، ولم يخجل فاعلوها بل راحوا ينشدونها هنا وهناك ..

من ذلك، وقد روى الحادثة صلاح لبكي في كتابه لبنان الشاعر، ومنتدى «وست هول» في الجامعة الأميركية مهرجان للشعر والأدب، والنخبة المثلى على تلهف للإصغاء، أنشد الأخطل الصغير عصماءه – عروة وعفراء، التي مطلعها:

**مهد الغرام ومرتع الغزلان**
**حيث الهوى ضرب من الإيمان**
**يتعانق الروحان فيه صبابة**
**ويعف أن يتعانق الجسمان**

(*) انظر حول موضوع هذه القصيدة نص رسالة محمد عبدالوهاب وصورتها الى الشاعر، في كتاب «رسائل الى الأخطل الصغير» مرجع سابق ص (١٣٧ ، ١٣٨)، غير أن عبدالوهاب يشير في رسالته إلى

مـــا دار ثَمَّ ســـوى الحـــديث كـــأنه

راح يـــديـــر كـــؤوســـهـــا المـــلـــكـــان

وما انتهى، بين تصفيق الجمهور وهتافهم، حتى صعد المنبر الخطيب الثاني وكان لا يزال في ميعة الصبا يشير بأن يصبح شيئا، فخالطه الغرور، وراح ينثر آراءه يمنة ويسرة، من ذلك قوله: «أنا لا أقيم وزنا لأديب أو شاعر، قضى عمراً في الأدب والشعر ولم يصدر كتابا يحمل اسمه، كما أشفق على شاعر يغسل البحر قدميه ويكلل صنين رأسه ثم ينتزع ذاته من هذه الجمالات رائحا الى الصحراء ليدبج قصيدة».

لم يخْفَ مقصد الخطيب الشاب على المستمعين فما انتهى، حتى هتفوا: نريد بشارة نريد بشارة، وما انفكوا حتى صعد بشارة المنبر ليقول: لست بزجال لأساجل إنما تذكرت موقفي من فتيان جاؤوا إلي، فلما اكتمل ريشهم، أو ظنوه، راحوا يطارحونني العداء فقلت فيهم:

ومـعـشـر حـاولـوا هـدمي ولـو ذكـروا

لـكـان أكـثـر مـا يـبـنـون من أدبي

تـركـتـهم في جـحـيم من وسـاوسـهم

ورحت أســحـب أذيـالي عـلـى الـسـحـب

وراحت بنا الأيام، وبينما نحن على أحاديث الشعر وأزماته، ألمحت إليه بأمر ذلك الخطيب الشاب فأجابني: عفا الله عما مضى، وغفر لمن ابتدأ، كلهم أولادي، وما كان أمرهم بأكثر من عاصفة في فنجان.

لكن كم يصدق الشاعر في حال هؤلاء، – يرضى القتيل وليس يرضى القاتل – ففي المهرجان العكاظي الذي أقيم للأخطل الصغير، تكلم صاحب الحادث، وكنا نأمل أن تكون السنون قد ذهبت بغرور الشباب، وطوت نزواته، وكم كانت دهشتنا عندما رجع إليه، لكأنه ابن ساعته، وحبذا لو اكتفى بالتلميح لعذر، لكنه ذهب الى منتهى

اللامبالاة مضفيا على الحادث أكثر من لون علّه يستطيع إظهار نفسه أنه محب، وغيره تتأكله البغضاء. أما بشارة، فبقي وكأن شيئا لم يحدث، فقلت له: كم يصدق قولك:

**كلما أطبق الغبار عليهم**

**حشرجوا تحته وماتوا اختناقا**

فكان يقول لي، إنهم أصدقاء، خلَّص، إنهم طيبون، إنهم شعراء وأدباء لبنان، وما الأعمال إلا بالنيات.

نعم أنفة على لين، وحنان على بذخ، وروح للرضوى عندها أكثر من باب وأبعد من مزار، هذ هو بشارة عبدالله الخوري الشاعر الإنسان ..

زمن الحرب العالمية الأولى، وكم فتح لأناس وكم أغلق على أناس، وكان له لو أراد أن يفتح له على نعم شتى، وقد حاز جميع المؤهلات والوسائل والظروف، لكنه، وهذه من سجاياه، أشاح بكل المغريات من مادية ومعنوية، وألقاب ورتب ليبقى مع الإنسان الذي في صدره... وكانت قصائده، (الريال المزيف)، و (الفقراء)، و (المهى أهدت إليها...) وغيرها، فنقم عليه العثمانيون وكان الاضطهاد والتشريد:

**كل ليل تهب من نومها الأم**

**وتهفو الى سرير الوليد**

**حيث تجثو بقربه وتمنيه**

**بفجر من الحياة جديد**

هذا البلد اللبناني له الحماية الإلهية. فلا يصاب بعباقرته، ولئن، فبقية البقية لها الرضوى المفيحة على الكمال المثالي، ولولا ذلك أكان قدر أن يكون العالم المؤرخ محمد كرد علي في الديوان العرفي في عاليه، وكان له صداقات مع كبار العثمانيين فعلم أنهم وراء بشارة حياً أو ميتاً.

صحبةُ عمْرٍ، كانت علاقة محمد كرد علي بالأخطل الصغير، فهبط الى بيروت مفتشاً عن بشارة ولما لم يجده أسر الى بعض أصدقائه، فتولوا هم ترحيله إلى ريفون بعيدا عن أعين البوليس.

في ريفون قضى بشارة معظم سنوات الحرب العالمية الأولى منتحلا اسم (حنا فياض).

حنا فياض عاش سنوات الحرب في ريفون، يحمل همه وهم اليائسين وما أكثرهم آنذاك في لبنان، وكان للشعر اللبناني قصيدة (الفقراء) وسواها من الخرائد الثائرة على الظلم والاستبداد:

**أيها الأغنياء إن غناكم**
**شيدته سواعد الفقراءِ**
**القصور التي تقيمون فيها**
**من بناها لكم سوى الفقراء**
**والطعام الذي تلذون من هم**
**صانعوه لكم سوى الفقراء**
**... لا تقولوا وساوس من فقير**
**دوخته طوارق الأرزاء**
**إن للفقر ثورة لو علمتم**
**تسبح الناس دونها في الدماء**

وتأتي الدنيا، ويرتفع الكابوس عن صدر لبنان، وتعود مجلة البرق الى العالم العربي، عروسا مجلوة، زاهية. مجررة الأذيال، ويرجع بشارة الى دارته الهانئة في الدورة، وتدب الحياة الأدبية على عادتها في مكتب ـ البرق ـ وتحلو له الدنيا.

وظن الانتداب أنه يستطيع امتلاك صناجة العرب، الأخطل الصغير ويجعله بوقاً له، فأرجع اليه البرق وغمره بالنعم، لكن أين الثريا من الثرى؟ فالإنسان الذي في صدره أعلى وأكبر من أن تأخذه العطايا المادية، وكانت قصيدة ـ يا أمة غدت الذئاب ـ التي يقول فيها:

**يـا أمـة غـدت الـذئـاب تـسـوسـهـا**
**غـرقت سـفـيـنـتـهـا فـأين رئـيـسـهـا**
**غـرقت فـلـيس هـنـاك غـيـر حـطـائم**
**يـبـكي مـؤبـنـهـا ويـضـحك سـوسـهـا**
**تـتـمـرغ الـشـهـوات في حـرمـاتـهـا**
**وتـعـيث في عـظـمـاتـهـا وتـدوسـهـا**
**تـعـسـا لـهـا من أمـة، أزعـيـمـهـا**
**جلادهـا وأمـيـنـهـا جـاسـوسـهـا**

وتلتها قصيدة «الجابي»:

**مـن الـنـاعب قـبـل الـفـجـر**
**مـن هـذا عـلـى الـبـابِ**
**أعـيـذ الـقـبـح من قـبـح**
**بـأظـفـار وأنـيـاب**
**أقـبـل الـشـمس في الآفـاق**
**والـعـصـفـور في الـغـاب**
**ومـا زار الـكـرى جـفـنـي**
**ولـم تـعـلـقـه أهـدابـي**
**ولا غـذيـت أطـفـالـي**
**سـوى هـمـي وأوصـابـي**

**فوزي سابا**

****

# إلى متاهاتنا وافانا... فأحببناه

**املي فارس ابراهيم**

يوم انطلقنا في متاهات الصبا، سادرين حائرين، نحس ولا نعرف أن نترجم أحاسيسنا إلى كلمات أو أنغام بكم، لا نحسن النطق بالعاطفة، فيحرقنا صخبها المتأجج في المطاوي العميقات، البعيدات المحطات. تائهين ضائعين، في اللاوعي المضني.

يومذاك انطلق إلى هاتيك المتاهات، وأسمعنا من قيثارته أنغاماً شجية عذبة، لكلمات ساحرات تنطلق من السجية الإنسانية التي كنا نعيشها ولا نعيها. فالتفتنا إلى مصدر القيثارة الساحرة، ووعينا أنفسنا وأحببنا المنشد البارع. فكان لنا في جيلنا المطل على مشارف الحياة في حيرته، خير معبر عن مشاعرنا الغامضة، وصار لنا شاعر العاطفة، شاعر تلك الزاوية الحميمة في نفوسنا، فعرفنا الأخطل الصغير. وإن كان من منتقدين لشاعرنا، لأليف نفوسنا ذاك، استرساله في التأملات العاطفية والاختلاجات البشرية، وجعل أكثر إنتاجه من هذا اللون وحسب، فإننا قد نشكره على كونه لم يفلسف شعره، لم يفلسف العاطفة، بل أبقاها على غنى السجية في الكائن الإنسان.

وهنا يقفز إلى الخاطر سؤال خطير، سؤال قد لا يجوز تخطيه في عصر تشابكت فيه شؤون الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي، ومن حيث هو طاقة في مجتمعه، يصعب أن ينطوي على ذاته وأن يضيع في مبهمات انخطافاته، مهملا ما يدور حوله من مشاكل.

سؤال يدور حول هل يجوز له أن يبقى غافلا عما يطالع الناس حوله من قضايا وعما يستطيع أن يساهم به من مجهود في سبيل إنجاح تلك القضايا وفك معقداتها؟

---

- الورود - أيار سنة ١٩٦١ - السنة ١٤ - ج٩.

الجواب هنا ينطوي على سؤال آخر، فأقول: هل أن إرهاف الحس في الإنسان، الحس المعافى الصحيح، يعيق غضبته للكرامة إن أهينت، وثورته على الظلم إن طغى، والاستماتة في سبيل حق إذا اغتصب؟ الجواب عندي، لا!

فكثيرة هي الأمثلة على بطولات أتت من أصحاب أمزجة عاطفية، استرخصوا الموت في سبيل وقفة عز، وقدموا دماءهم بسخاء في عفوية رائعة، قرابين لامست القدسية من أجل انتزاع حق أو رفع ظلم.

إنها خواطر عامة، قد تبدو، وكأنها تدور في مدار المطلقات، فعتبي على صاحب الورود، الصديق بديع شبلي الذي طلب مني أن أقول كلمتي في مناسبة تكريم شاعرنا بشارة الخوري في الجزء الخاص من مجلتنا، بشاعر العاطفة، ولم يمهلني الوقت الكافي للدراسة والمقارنة والاستشهادات، حتى أثبت رأيي بالأسلوب العلمي المفروض في مثل هذه المناسبات.

ولكني رغم ذلك، أصر على القول: إنه من صنّف الشاعر في لون معين، أو من دفعه إلى أن يصنف نفسه في اتجاه معين ولم يتركه على سجيته الإنسانية، مخططا له مجرى معينا، إن من يفعل ذلك يفقد من قوة تأثيره على النفس، ويجمد في هذه النفس قابلية انفعالها، بما يصدر عن زفراته، أو صرخاته، من تأثير صادق، قد يدفع به إلى أروع البطولات.

وهكذا ظل بشارة الخوري في خاطرنا، ذاك الذي أصدقنا التعبير عن مشاعرنا فوعينا نفوسنا. ووافانا إلى متاهاتنا البشرية الحلوة، فأحببناه وتذوقنا أنغامه الساحرة!.

**املي فارس ابراهيم**

****

# بشارة الخوري الصحفي

## توفيق وهبة

طغت عليه شهرة الشاعر فتضاءلت عنه شهرة الصحفي. زاول الأخطل الصغير الصحافة يوم كانت الصحافة قلما وفكرا، وزاولها يوم كان الكاتب يحرر الصحيفة من الباب الى المحراب، وزاولها يوم كانت أمجادها تقوم على كتف صاحبها وأدبه وقوة يراعه، فإذا كان الصحفي كاتبا حقا، ومنشئا فذا، تجلت مواهبه على صفحاتها، وراجت صحيفته بفضل هذه المواهب مجردة عن المغريات العصرية والمشوقات الحديثة.

واليوم، ليس من المحتم أن يكون صاحب المصنع خبيرا بالصناعة التي ينتجها، ولا صاحب الصحيفة كاتبا منشئا أو أديبا محررا، فقد قام مقام كل هذا شيء آخر اسمه «كوداك» (آلة التصوير) واسمه «كوتنبرج» (الآلة الطابعة) والراديو، واللاسلكي وشركات الأنباء، والتلبرنتر (اللاقطة) والضارب بالرمل (صفحة الحظ) وواضع الألغاز (الكلمات المتقاطعة) والمخرج السينمائي (صور كواكب المسرح) ومروض الخيول في ميدان السباق، وفضولي المجتمعات الفاضح أسرار المخادع، ومصمم الأزياء النسائية، والراسم الهزلي، ومبدع النكتة، وواضع جوائز من البائع الى المستهلك.

ولا أريد من بيان هذا الفارق بين صحافة الأمس وصحافة اليوم، أن أوثر جيلا على جيل، وأنا القائل: لعصر الآلة آلة عصرية، ولكنني أحب أن أطري بشارة الخوري الصحفي مثلما يطري سواي الأخطل الصغير الشاعر بإثبات أن رواية الصحافة وقتئذٍ كانت تقوم على بطولة ممثل واحد، فلا إخراج ولا أقنعة ولا تزويق، ولا ملابس كرنفالية، ولا ستار فضي، ولا ملقنون، إنه كان كالخطيب وحده على المنبر، سلاحه حنجرته وفيض قريحته، وسلاح الصحفي فكره وقلمه، فإما أنه ذو فكرة وذو قلم، وإما أنه مفلس خالي الوفاض.

■ الورود - أيار ١٩٦١ - سنة ١٤ - ج٩.

واليوم تستطيع أن تستكتب أهل القلم، وأن تبتاع النبأ، وأن تنوع الألوان، والانتشار. وقد تتوق الى المزيد من المستوى القلمي الرفيع، فتخصص زاوية صغيرة لكاتب كبير وتستطيع اليوم أن تروج لصحيفتك بخبر مثير، ورسم عار، ووضع شهواني وفضيحة كبرى، واختلاق حادث، ثم تجسم هذا الحادث بالسرد والعنوان، فتضمن الإعلان.

واليوم فإن أبطال الصحيفة كثيرون، موزعون على نقاط ستراتيجية ومراكز حربية، تحاصر القارئ، وتسد عليه منافذ الفرار، فللتجار لوحة البورصة، وحركات البواخر، وللمصارف أسعار النقد العالمي، وللطلاب روايات الجيب وصور الممثلات، وللأطفال مسابقات الجمال والألعاب، وللنساء وللبنات أصداء الأزياء. أما المقال الأول المقال الموجه، مقال بشارة الخوري وميشال زكور وعلي ناصر الدين وخليل ثابت، وداود بركات وأحمد حمزة، واستفان لوزان، وأمثالهم من أئمة الصحافة فقد غدا ضرباً من ضروب التنويع لإعلاء الشأن الأدبي أو التذكاري.

والصحافة اليوم ميدان عراك، لشدة المنافسة، فثمة حامل العلَم، هو واضع العناوين الضخمة، وثمة واضع الخطط الحربية أي المشرف على التبويب والترتيب. وحامي المؤخرة أي مغذي الصحيفة.

والجميل في صحيفة اليوم أن كل قائد يجول في ميدانه، وقديما كان القائد الواحد يتزعم مصير المعركة كلها!

كان بشارة الخوري الصحفي، إذ إن أمجاده وأمجاد «برقه» قامت على منكبيه، فكان قطب البرق ومحوره، يسانده على نطاق النكتة الضيق طانيوس عبده في «نقدات طائرة» فكانت البرق تقرأ هياما بقلم بشارة الخوري، وتقرأ الصحيفة اليوم لسعة أبوابها وأخبارها وجمالها الشكلي، أو مغرياتها المسرحية، وتقرأ لفرط ما تثير من موضوعات شائكة، وفضائح اجتماعية، وما تقدم للناس من مضاعفات توقظ فيهم الفضول وما إليه من تسلية وتلهية.

وليس من الضروري أن يكون جميع قادة الصحيفة اليوم عباقرة، أو أن يكونوا متفوقين في البطولة، فالجمع ستار كثيف، والضم ينجد، والجرم الموزع يخف. أما الصحفي البطل المنفرد فإن ضعف قلمه يخذله عند أول صدمة، إذ ليس وراءه ولا أمامه ولا حوله جوقة (كوروس) وليس عنده أركان حرب، وهيئة تحرير، وأسلاك شائكة لاصطياد القارئ، ولا شيء، سوى قلمه وعقله. إنه يحارب وحده، فإما أنه شجاع فيظفر، وإما أنه جبان فيقهر.

وبشارة الخوري حارب وحده وكان شجاعا لأنه كاتب أديب، يحرر بنفسه وبذوقه، واليوم يحرر القراء الجريدة بأقلام وأذواق جماعاتهم وباسم ما سموه التحقيقات (ريبورتاج) بحجة أن الصحيفة ملك القراء، وعليهم أن يسهموا في تحريرها.

إن على الصحفي اليوم أن يتحلى بصفات خاصة كحاسة الشم الدقيق، وقوة العضلات، والذكاء التجاري الفينيقي. وقبلا كان على الصحفي أن يكون كاتبا، وأديبا فحسب.

واليوم اكتب ما تشاء بأي أسلوب أردت، شرط أن تنضد مقالك بالحرف الأسود، وتوقعه بحروف مخطوطة، ثم اجثم وراء الجوقة، ووراء الهيكل الجبار، وخلف الورق الصقيل، والطباعة الملونة، ونم مطمئنا.

نعم إن هذا العصر عصر التجميل، فالمرأة تتجمل، والمدن تتجمل، والصحافة تتجمل، والغناء يتجمل، ولكن وراء التجميل جمالا أبهى وأسمى وأرقى، فلنحرص عليه أولاً.

ثم ليس عليك أن تكون كاتبا لتكون صحفيا، فكثيرون هم الذين لا يكتبون صحفهم، ومن نكد الدنيا أنهم يفرضون على الناس قراءة ما لا يكتبون.

**توفيق وهبة**

****

ابـــــــــــــــــــــيـــض

# لبنان في شعر بشارة الخوري

**جورج غريب**

قبل بشارة الخوري، ما عرفنا النحول في المردة...

ولا التقى الدويُّ بالوتر، قبل شعره! ..

ولا كان لبنان أروع، قبل غناء الأخطل الصغير ! ..

عجبت كيف صغر الاسم عليه، وهو الشاعر الأكبر...

هذا القادر على نحت الجمال وصقله، والتلاعب بتقاسيمه، وملامحه، وتقاطيعه...

المتعبد القانت في هياكل البهاء، يتلمس أقدام التماثيل بأصابعه... يقبلها...

هذا الساكب العرق في الحجر...

المقطر الدمع في النحاس...

الرافع العزم في الأصلاب...

المجمد الذهول في الأعين الجاحدة...

الباني القباب على القمات العاصيات...

المتسامي بلبنان الى البقاء...

المنطلق على الموج... الى حيث الفتح وقف – في كل جيل – على واحد من هذا الجبل... فلبنان، بفضل قادة النخبة القلائل، مطرح مزروع بالأسطورة... موسم من مواسم الزمن.

---

■ **الورود – أيار ١٩٦١، سنة ١٤، ج٩.**

إن بشعر بشارة الخوري سنعيد ما تهدم من أبنية بعلبك...

فالجمال عنده... أشهى من الجمال...

**لا تـــقل خـــانت الـــقـــوافي فـــحـــسب**

**الـشـعـر مـنـهـا أبـيـاتـهـا المـعـدوده**

**يـــتـــهـــادين في غلائل كـــالـــورد**

**ويـــهـــبـــطن من ســمـــاء بـــعـــيـــده**

**شـــهـــد الـــله مـــا لمـــسن جـــبـــيـــنـــا**

**من تـــــراب الا كـــــتـــــبن خـــلـــــوده**

العبـــادة لغير الله لا تغتفـر...؛ مـــا لم يركـع شـــاعر فـــي مـحـــراب الوطـن... ولقد ظل الأخطل الصغير – أول العبّاد – راكعا، طوال أزمنة العطاء، في هيكل اللبنانية – فغفرنا له – !..

أفنى شفتيه صلوات وابتهالات، امام المعبود الأرضي.. .. مذيبا روحه على مذبحه «شموعا طويلة الأعمار» ..

فـهل يلام الورد – وعمـره بعض يـوم – إذا أسـكره رحـيق الجمـال، فـإذا بذبول ورقاته عطر هذا الكون...

هذا هـو سلاحنـا الأكبر منذ كانت الدنـيا لنـا... بطيبـها وشـميـمـها... بهديها ومحبتها.. برسالة الخلق والجمال.

فماذا جنينا على الغرب ليشهر بوجهنا السلاح؟!.....

ألأنا أطلعنا من أفقنا الشمس، ووزعناها على العالم هديا ونورا وخيرا ؟!.

**أ لأنـــــا من صـــــدرنـــــا ولـــــد الحب**

**الـــذي شـــيـــد الحـــضـــارة قـــبـلا**

**... شـــرف الـــفـــتح: أن تحـــطم قـــيـــدا**

**عن رقـــاب الـــورى، وتـــنـــشـــر عـــدلا**

لم يُطل بشارة الخوري الاقامة في هذا الصعيد الخير من المعاضل الكونية...

بل أطربه أن يظل غريدا في قفص اللبنانية المذهب .. في حرم المشرق الحالم الموجع ... أن ينتقل بأجنحته المكوكبة من روض لروض، يرش العطر هنا والسخاء، ويهرق الهوى هناك والغناء، ملهبا في كلا الملعبين طيش الفراشة العاشقة المتلبسة بسحر الطبيعة في هذا الوطن ... لا تتعدى بأجنحتها الملونة حدود الأرض...

**فـــتن الجـــمـــال وثـــورة الأقـــداح**

**صـبـغت أسـاطـيـر الـهـوى بـجـراحي**

**ولـد الـهـوى والخـمـر لـيـلـة مـولـدي**

**وسـيـحـملان مـعي عـلـى ألـواحي**

لم تضخم ثقافة الأخطل الصغير العالمية، وكان هذا الشاعر.. فلو ضخمت ... لكانت المعجزة ... ولكنه غنى لبنان أغنيته الكبرى ... يوم كان بأشد الحاجة إليها ... فحمله – ومن ورائه الشرق – أعذب وترٍ شدّ الى صدر ...

**لـبـنـان كم لـلـحـسن فـيك قـصـيـدة**

**نـثـرت مـبـاسـمـهـا عـلـيـهـا الأنجمُ**

**كـيف الـتـفت فـجـدول مـتـأوه**

**تحت الـغـصـون، وربـوة تـتـبـسم**

**أكـمـاته الـبـيـضـاء تحت سـمـائه الـز (م)**

**رقـــاء أطـــفـــال تـــنـــام وتحـــلم**

**تـتـصـاعـد الـقـبلات من أنـفـاسـهـا**

**وتـمـر بـالـوادي الـوديع وتـلـثم**

غنى لبنان فكان القلب واللسان ... واللوحة والريشة ... والعينان والأصابع والنهم والعطاء ... والعطر والألوان .. وكان البوح والزأر ... والمشعل والاحتراق:

**قل لـــوكـــر الـــنـــســـور، قـــدست وكـــرا**

**كل يـــوم تـــهـــدي إلى الافق نـــســـرا**

**عـــبـــقـــري الجـــنـــاح أقـــرب مـــرمـــاه**

**الـــســـمـــاء كـــان إن أراد مـــقـــرا**

كان النقاد العرب قديما، عندما يعجبون ببيت من الشعر، يقولون: لو قال – قائله – هذا وسكت لكان أشعر الناس ... فما ظنهم بالذي لم يسكت أبداً وظل إبداعا في بيت، ورونقا في كلمة؟!.

إن الجمال قاعدة في دنياه ... في أحرفه وكلماته ومقادير تراكيبه ... في ألوانه وجلال لوحاته ... فنحن نظلم بشارة الخوري اليوم إذا رددنا معه:

**إيه لـــبـــنـــان، والجـــداول تجـــري**

**فـــيك بـــردا، فـــتـــنـــعش الـــظـــمـــآنـــا**

**إيه لـــبـــنـــان، والـــنـــســـيم عـــلـــيلا**

**يـــتـــهـــادى، فـــيـــعـــطف الأغـــصـــانـــا**

**حـــبـــذا الـــســـفح مـــعـــبـــدا لـــصـــغـــار**

**الـــطـــيـــر، تـــشـــدو لـــربـــهـــا الألحـــانـــا**

نظلمه، إذا تغنينا معه، بمثل قوله:

**فـــالـــعـــنـــاقـــيـــد، من أغـــان ومن شـــعـــر**

**تـــتـــلـــوى عـــلى الـــثـــرى المخـــضـــابِ**

**أنـــا مـــنـــهـــا، وقـــلب لـــبـــنـــان في**

**قـــلـــبـــي، واهـــدابه عـــلى أهـــدابي**

نظلمه إذا جئنا بالشوارد من روائعه، ولم نقذف لبنان والمشرق بديوانه ...

لقد عاش «أخطلنا» – أمد الله بعمره – في حقب مريرة من عمر هذا الشرق، فكيف لا تتجاوب أصداء الأوجاع في خاطره، وهو العاشق المدنف ... وكيف لا يكون لبنان – حبيبه الأول – ومن ورائه مطلع الشمس، صيحات داويات في شعره، ونفح دماه ...

إن «ليالي الجهاد» عنده ذكريات، «يسوغها الفكر نهلا» ... «قيثارة علاها غبار المجد، غنت عرس البطولة» تستريح على جدار التاريخ وتستعرض مواكب الأزمان ...

يسأل أنشودة الأمس أن تعصف في النفوس وتمشي عجلى إلى المكارم..

يسأل نشء لبنان الفداء.. فأمة لا تستبق الفجر، سيان، ذلت أو نامت في الطريق..

**نحن لا نحسب الحياة حياة**
**او نفدي أوطاننا المعبوده**
**لن تراها، إن لم تمت في هواها**
**أمة حرة، ودنيا جديده**

حقب مريرة زرعها الاستعمار ذلاً.، فنفضنا، عن وجوهنا التراب، ولا أثر للذل عليها... خلطوا فيها أعيادنا بالمآتم ... وظلت جراحنا تتبسم ... عصروا في مآقينا الدموع، وبقيت جمراً لاذعاً ... أهرقوا نفوسنا المتألة في كؤوسهم وثبتنا على الأنفة والوفاء.

أخلوا لغير أبنائنا أبنية بنيناها بالكد والدماء، ولم ينخفض لنا شموخ مداميك .

**لبنان ما لفراخ النسر جائعة**
**والأرض أرضك أعلاها وأدناها**
**لو مس غيرك هذا الذل من أسد**
**لعضَّ جبهته سيف وحنّاها...**

أطلوا علينا بأوجه كالحة ... نبذوا الأحرار واطرحوهم ... أخرسوا في أعيادنا الأناشيد ... حولوا أعراسنا مآتم ... سلبوا من كرومنا العناقيد ... فكان على الأحرار

أن يهبوا، فسيان «من نام عن حق ومن ماتا ...».

كان عليهم أن يجردوا الأقلام والسيوف:

**سيان عند ابتناء المجد في وطن**

**من يحمل السيف أو من يحمل القلما**

وكان على الشاعر الغاضب أن يعود، – متناسيا عتابه – فتترنم بعودته المعابد ... ويستفيق تشرين على صداحه:

**تشرين، قل للتشارين التي سلفت**

**لنا عتاب، ولا نرضاه إن جرحا**

**أسمى وأكرم عفو أنت مانحه**

**عفو الذبيح عن السيف الذي ذبحا! ..**

فمن هذا الوطن الموجع ... من موطن «حرب» على «المتقحم الذواد»

**يلقي على قدم الغريب بنفسه**

**ويشيح عن أبنائه الأمجاد**

سيذهب بشارة الخوري بعيدا يطوف، باسم لبنان، في بلاد الشرق الحبيبة يضمد جراحها ... ويبكي أعلامها ... وينفحها الود صافيا ...

سيذهب بعيدا في تلك السماوات المشرقية، وعلى فمه، روعة النشيد:

**غنيت للشرق الجريح، وفي يدي**

**ما في سماء الشرق من أمجاد**

**فمزجت دمعته الحنون بدمعتي**

**ونقشت مثل جراحه بفؤادي**

سيسأل الله أن يحفظ «مهجة الشعر في الشرق» ويقيه عاديات الزمان ... أن لا

تفطم القلوب فيه عن الحب. أن تظل العروبة على مفرقه تاجا... وفي الأفئدة خفوقا ... وفي الأفواه نداءات عفيفة ... فشاعرنا، في أي قطر حل، وعلى أي جار نزل، كان القلب الخافق والطير الشادي ...

سيذكر طه حسين غداً – في مهرجان أخطلنا الحبيب – أننا – في نظر الشاعر – وأبناء النيل «فرعان، والحضارة أصل» ...

فهناك هرم «تجثم العظائم فيه» ، وهنا «سفين على البحار يُدل» .. فيا مصر:

**كُلُّ أهلٍ لك أهلُ**
**وكُلُّ صَدرٍ**
**مَحلُّ**
**ليسَ تَألو الرِّياضُ**
**أن توقظَ الزَّهر**
**وأن تَجمَعَ الشَّذا**
**ليسَ تألو**

**لِتُريقَ الأريجَ**
**سَكباً وتهتاناً**
**على وجهِ مِصرَ**
**حينَ يُطلُّ**

سيذكر دمعة بشارة على سعد زغلول ودمعته على شوقي، فيردد معه:

**قف في ربى الخلد واهتف باسم شاعره**
**فسدرة المنتهى أدنى منابره**
**... ما للملاعب في لبنان مقفرة**

**وللمناهل عطلا من حرائره**

**أودى القريض فللأحزان ما لبست**

**على سليل الدراري من عباقره**

**سألتنيه رثاء، خذه من كبدي**

**لا يؤخذ الشيء إلا من مصادره**

سيذكر طه حسين أن النيل حبيب الرياحين في شعر بشارة الخوري.. وسيقول معه:

**يا مصر ما نظم الجهاد قصيدة**

**إلا استهلَّ بذكرك الفواح**

**أو سال جرح من جبين مجاهد**

**إلا عصبت جراحه بجراح!**

كما سيذكر عمر أبوريشة، أن الشام دائمة الحنين الى أخطلٍ سالت نفسه في مغاني الكرام الصيد ... في وادي بردى ...

في «جنة طهرت أرواحها من كل رجس ودنس».

**قالوا تحب الشام؟ قلت جوانحي**

**مقصوصة فيها، وقلت فؤادي**

أسمى ما تتبادله الشعوب هو رسالات الوفاء والأخوة، لاسيما إذا جمعت بينهما الارض وألفت السماء.

أما لبنان، فقد أدى قسطه من القلب واللسان ... وحسبك منه ... هذا الأخطل الجبار ... يغني، بأعذب ما يغني به، جار عزيز وأخ مفدى:

**يا ربى لا تتركي وردا ولا تبقي أقاحا**

**مشت الشام إلى لبنان شوقاً والتياحا**

فـافـرشي الـطـرق قـلـوبـاً وثـغـوراً وصـداحـا
جـمع المجـد عـلى الأرز سـيـوفـاً وجـراحـا
فـتـساويـنـا جـهـاداً وتـآخـيـنـا سلاحـا
ونـشـرنـاهـا عـلى الـدنـيـا جـنـاحـاً وجـنـاحـا

وسيذكر الجواهري أن من قلب بشارة في العراق فلذات:

قل لـلـعـراق أيـقـضي شـيخ الـعـراق اغـتـرابـا
يـؤلف الـبـؤس مـنـه في كل يـوم كـتـابـا
وقـد بـنى لك بـيـتـا من الـعـلى جـوابـا
بـيـتـاً بـنـاه وبـيـتـاً أقـام فـيه خـرابـا

وإن من روحه في الصحراء بقايا تلك الصحراء التي حفلت له، وقد حمل منه السُّرى شبحا مريبا يكاد يكون نورا.

يوم «التفت الكثيب الى الكثيب» «وتنصتت زمر الجنادب» ...

يوم لاح طيف لقيس، وضرجت التمتمات على الشفاه بالنسيب ..... يوم راح الفتى العربي يحدو في الزي الغريب..... يوم ذرف في وطن الجهاد ..... في بغداد... دمعة لاهبة على الزهاوي، على شيخ القريض..... سيذكر الجواهري بعض ذلك ويقول معه:

صـحـراء يـا بـنت الـسـمـاء الـبـكـر والـوحي الخـصـيب
أنـا لـو ذكـرت، ذكـرت أحلامي وأنـغـامي وكـوبي
إحـدى الـشـمـوع الـذائـبـات أمـام هـيـكـلك الـرهـيب
أنـا دمـعـة الأدب الحـزين، رسـالـة الألم المـذيب
من قـلـب لـبـنـان الـكـئـيب لـقـلـب بـغـداد الـكـئـيب
لـبـيك نـابـغـة الـعـراق وحـجـة الـشـرق الـقـريب

**حب الخلود وكم أريق عليه من جفن سكيب**
**لولاه لم تلد الطروس الحمر إكليل الأديب**
**وأخو الوفا لبنان يرفل منه في الثوب القشيب**
**هو والعراق الحر، مهد هوىً وأيكة عندليب**
**فجران من مزن السماء ووردتان على قضيب**

لا بل ستذكر الأعراب غدا، كما ذكرت بالأمس، شاعر لبنان الأول... وتردد معه:

**جذبت اليه العرب بعد نفارهم**
**وذوّبت في كاساتهم نغماتي**

فيا بشارة! .. يا حبيب الأيك والغدران والطيور ... يا رفيق الأنسام والفراشات والأجنحة ... يا كرَّة الحساسين وشهقة العنادل ... يا دوي الأمس وإعصار المستقبل... لك عهد الوفاء منا ... أن يظل لبنانك الحبيب أغنيتك الكبرى ...

أن تظل كل صخرة فيه روضة، وكل أفق مطلعا ...

أن يظل الهوى في شدوه على الأغصان ..

أن يثني العنفوان العريق هذا الجبل أن يطأطئ للدهر رأسا ...

أن يؤثر الموت في كوخه الصغير، إذا كانت القصور الباقيات تذله...

أن يبقى وكر النسور مقدسا «حر الجوانح بارز المنقاد ...»

أن تبقى سماؤنا صافية ... ويبقى نبعنا ضاحكا ...

أن تظل جبال وطنك مِرادا عظاما ...

أن لا يزرع البهتان والكذب حول نبي القوافي فيحجب عنا نور الشمس ...

أن لا يذهب الجنون بحكمة الملاح ...

أن نعود الى القرى التي سلختنا عن قلبها المدن.

أن لا يكون حبك الأخير آخر ما نغني ...

فقبلات حبك الأول زاد النفوس الدائم .

لك عهد الوفاء منا ... أن نظل نردد معك:

**كم عـــلى الـــصـــحـــراء وشي من خـــيـــال**

**وعـــلى الـــبـــحـــر يـــتـــيـــمـــاتي الـــغـــوالي**

قبل بشارة الخوري لم يخطط شاعر جيلا ...

لم يكن للشرق – بعد شوقي – إمارة ...

لم تفجر «سيوف الدول» متنبياً ثانيا ...

لم تسطع للبحتري ديباجة مشرقة ...

لم يُسلَّ للأعراب سيف قاطع ...

لم يتسنم لبنان ذروة الكلمة المغناة ...

قبل بشارة الخوري لم يشْدُ وتر ... وينزف جرح ... وتصدح أغنية ... وتجلجل قافية ... وتحط في الآفاق أجنحة ...

**هـــو شـــاعـــر الأطـــيـــار، لا مـــتـــكـــبـــر**

**صـــلف، ولا هـــو بـــالإمـــارة مـــعـــجب**

قبل بشارة الخوري لم يكن عندنا من يقول:

**لـــبـــنـــان، يـــا وله الـــبـــيـــان، أذاكـــر**

**أم لـــست تـــذكـــر نجـــدتي وكـــفـــاحي**

قـــبـــلت بـــاســـمك كل جـــرح ســـائل
وركـــزت بـــنـــدك عـــالـــيـــاً في الـــســـاح
أنـــا إن حـــجـــبت فـــلـــيس بـــضـــائـــري
وعـــلـى الخـــواطـــر غـــدوتي ورواحي
تـــتـــحـــجب الأرواح، وهي خـــوالـــد
وتـــرى الـــعـــيـــون زوائل الأشـــبـــاح!.

**جورج غريب**

****

# الجو الشعــري
# عند الأخطل الصغير

**عبداللطيف شرارة**

تكاد ميزة الشاعر بشارة الخوري، كشاعر، تنحصر في هذا الجانب الخفي من شخصيته الفنية الخلاقة، وهو قدرته العجيبة على إيجاد ما نسميه (الجو الشعري)، فأنت لا تكاد تأخذ في قراءة الأبيات الأولى من قصائده، أو سماعها إذا كانت تتلى، حتى تنتقل إلى أفق، الى عالم، الى فضاء – سمه ما شئت – تحس معه أن للحياة «لوناً» يختلف عما تعودت رؤيته في معاشك اليومي، وسيرك عبر الحوادث والتجارب.

وقد كان الأخطل الصغير مفتونا في قرارته بمعاني الحياة الجميلة، الغنية بالعطور والأزهار والأشجار والينابيع والأضواء والظلال وكانت النضارة والطلاوة والملاحة والصباحة وما شاكلها من صور، هي ما يطفو على الآفاق والعوالم التي ينقلك إليها، جاء ذلك اللون الذي يخلعه على الحياة بشاعريته، بمجرد شاعريته، ذا صفة «ربيعية». ومعنى ذلك، أن الربيع وما يواكبه من أشكال وأحاسيس، هو الجو الشعري الذي يعيده بشارة الى الروح، الى العين، الى الذهن، من غير قصد وعن غير وعي.

وليس ذلك هو المعنى كله، فالربيع هنا ليس لونا وحسب، أو جواً طبيعياً استأثر بالنفس والفكر وأصبح يغشى ما يقال في أشعار بشارة في زيارات مكررة عن طريق الذكرى، وإنما هو بالإضافة الى ذلك «فلسفة» قائمة بذاتها، شاملة، نافذة يعيش منها صاحبها في وحدة متماسكة تنتظم شعوره بنسبة ما تنتظم تفكيره في كل شاردة وواردة من شوارد الحياة وسوانحها.

---

■ الورود ، أيار ١٩٦١، سنة ١٤، ج٩.

إذا أنت قرأت هذا البيت، في مستهل إحدى القصائد:

**عـشت فـالـعب بـشـعـرهـا يـا نـسـيم**

**واضـحـكي في عـيـونـهـا يـا نجـوم**

شعرت في الحال بأن ثمة فتاة ذات شعر يلاعبه النسيم، ولها عيون تضحك لها النجوم، وانتقلت الى هذه الصور، أو انتقلت في ذهنك ترفه عنك، وتنتزعك من الهموم، وتحملك على جناح من حبور واستمتاع بمناظر عهدتها من قبل، وأخذت الآن في تذكرها.

ذلك هو شأن هذا الشعر في الحياة النفسية، وذلك هو أثره في الكيان الروحي لدى كل من يتلوه، ويتمرس بمعانيه، وينغمس في أجوائه، على نحو أو آخر.

عرج الآن على أثر هذا الجو الشعري نفسه حين يطوف بك الأخطل الصغير في شؤون المجتمع، وقضايا الحياة العامة، ويتحدث إليك عن أحوال الوطن وأسباب نهوضه، والدفاع عن حريته:

**يـا دمـاء الـشـبـاب مـا أنت إلا**

**ذائب الـطـيب يـا دمـاء الـشـبـاب**

**ادفـقي رحـمـة وغـوثـا وكـوني**

**جـدول الـسـفح أو هـزار الـغـاب**

إنه هنا، وهو يثير معاني الفداء والبطولة والذب عن حرمات الأوطان، لا يغيب عن منظر الربيع ولا يتحول، حتى ألفاظه عن مناخه الشعري الذي ألفه منذ نعومة أظفاره، فالطيب، والشباب، والدفق، والرحمة، والغوث، والجدول، والسفح، والهزار، والغاب وما يواكبها جميعا من صور وأحاسيس تخلق حتى في أحرج مآزق الحياة وأحفلها بدواعي السخط والغضب والعذاب – أي الفداء – جوا محببا الى النفس، قريبا من القلب.

ارجع الآن الى المواقف التأملية، أي إلى تلك الحالات التي يصبح بها المرء وحده إزاء الكون، ويتحلل فيها من شؤون الحياة اليومية، وينصرف معها الى نفسه

يدرس ما يخامرها، ويصور أحاسيسها ويفتن – قدر المستطاع – في بيان حقيقتها العارية من غير مواربة، أو اصطناع، أو تجنٍ على الذات والوجود معا، فماذا تجد؟

– لن تعثر على شيء من الحيرة أو اللاإرادية التي تطالعك في «طلاسم» أبي ماضي مثلا، أو ثورة المتنبي، أو تبرم المعري، أو استرسال الخيام، وإنما تلاحظ «بساطة» يصعب تحليلها، لأنها ليست مركبة من عدة عناصر، وليس وراءها غير حقيقة واحدة، هي «حب الحياة»:

**من كـــان من دنـــيـــاه يـــنـــفض راحه**
**فـــأنـــا عـــلى دنـــيـــاي أقـــبض راحي**
**إني أفـــدي شـــمس كل اصـــيـــلـــة**
**حـــذر المـــغـــيب بـــألف شـــمس صـــبـــاح**

هذا الحب للحياة ليس في الواقع تعلقا بالعيش نفسه، ولا إيثارا للعافية على التضحية، ولا تجنيدا لقوى النفس في السعي وراء اللذات والمتع «الدنيوية» كما قد يبدو ولأول وهلة، وإنما هو ، قبل كل شيء، وفوق كل شيء، ولع بالجانب الشعري من الدنيا، من الحياة، من الوجود، وتحسّبٌ لفقده، واضطراب إزاء خلو العالم منه عند الغياب عن هذا العالم وليس شيئا آخر.

ولقد أصبح الشاعر هنا، لفرط ما ألف جوه الشعري الربيعي، وعمق ما ائتلف معه، يخلط بينه وبين الحياة، دون أن يعي شيئا من موقفه الفكري هذا، وأصبحت الدنيا في نظره هذه «الجملة» من المعاني الشعرية المترابطة المتداخلة التي تجمعها كلمة «الهوى» كما تجمعها كلمة «الشباب» أو تلخصها كلمة «الربيع» شكلا ومضمونا، صورة وروحا.

ودليلنا على صحة ذلك لا يؤخذ من قصيدة أو بيت أو موقف شعري معين، وإنما هي أشعار بشارة الخوري برمتها، من ألفها الى يائها، وشاعريته نفسها، والينابيع الكبرى التي ترد منها، وتصدر عنها، هما اللتان تعطيان الدليل الدامغ على سلامة هاتيك الفكرة، وتضعانها موضع اليقين.

وحسرة بشارة إذ يفتقد في حياته ذلك الجو، تمثل نقطة المركز من دائرة العذاب حوله، وترده الى حالة أشبه بالمأساة في ذروة تناميها، بل إن افتقاد ذلك الجو في أي حالة، وأي وضع من أوضاع المجتمع، هو المأساة بعينها، فإقباله على الوجود كالوجود نفسه يصبح بلا معنى، ولا جدوى، إذا خلا من رونق الصبا، ومتع الهوى، وطلاوات الأمل.

وهذا هو سر كآبته التي تعرض بسببها لغضب المتفائلين، وتنكرُّ نفر من المفكرين، يوم شاعت على ألسنة الناس قصيدته «الهوى والشباب والأمل المنشود ...» وتغنى بها المغنون.

ولقد رأى بعضهم في هذا الموقف الشعري المتكرر الذي اتخذه بشارة في حياته الشعرية، ولم يحد عنه في قليل ولا كثير – رأوا فيه نزعة تأخذ جذورها من أدب الغرب، ولا تمت بنسب الى واقع بلاده وما يدور فيها، وما ينبغي أن توجه إليه، وتحمل على الأخذ به في تلك الظروف التي كانت تجتازها، أي يوم كان بشارة يتغزل، ويناجي الطبيعة، ويتألم، ويحب ...

وحقيقة الأمر أن هذا الاعتراض الذي واجهه الأخطل الصغير – وكان أشد ما واجه من اعتراضات – لا يقوم على أساس موضوعي في النظر الى الشاعرية، وتقييم الأثر الفني. ولا هو يلزم الشاعر كشاعر في أن يأخذه بعين الاعتبار.

هذا في جانب، والجانب الثاني من الحقيقة هو أن بشارة الخوري لم يكن ليصدر في ما ينظم عن اعتبارات مدرسية، واتجاهات تربوية – اجتماعية، فالقول بأنه «رومانطيقي» لا يجعله تلميذ الغرب في رومانطيقيته، ولا ينزع عن شعره، بله شاعريته، صفة الأصالة، بل إن أصالته تبلغ من الوضوح حد الإشراق، فإذا تعقبنا سلسلة نسبها الروحي، وتتبعنا جذورها في تراثه كشاعر عربي، نجد الخبر اليقين من أمرها عند ابن أبي ربيعة، وعروة بن حزام، وجميل بثينة، والعباس بن الأحنف، حتى تبلغ البهاء زهير.

«والأخطل الصغير» كما يوحي هذا اللقب الذي اختاره، وعرف به في الأوساط الأدبية والاجتماعية، نشأ عربي الثقافة، عربي الروح، عربي الاتجاه، وقد حدثني أن كتاب «الأغاني»، موسوعة الشعر العربي القديم، كان زاده الوحيد تقريبا في أكثر مطالعاته. وقصائده عن «عمر ونعم» و «عروة وعفراء» فضلا عن قصائده القومية في أحداث التاريخ العربي الحديث، تكشف مدى ما حققته أصالته العربية من سطوع وظهور، وتبين كيف كان يستوحي منها، ويستلهم أغنى وأروع ما لديها من مثل عليا صحيحة.

أما جوه الخاص الذي تحول في كيانه الشعري الى فلسفة كما أوضحنا في مستهل هذا الحديث، فلا يعدو أن يكون جو لبنان، وجباله، ومناخ قراه وسفوحه وينابيعه وازهاره وحدائقه.

الجو الشعري عند الأخطل الصغير، هو هذا الجو الذي يتميز به لبنان من أقصاه الى أقصاه، في صحوه وائتلاقه، في دفئه ووداعته، في طهره، وصفائه، وفي عواصفه أيضا وزمهريره، حين يجد الجد، ويتعرض لمكاره الخطوب، وعنت الأيام.

إنه جو الجمال في لبنان، وجو الطبيعة اللبنانية سواء تمثلت في مغاني السفوح، وخمائل الأودية، وروابي الصنوبر، أو في انطلاق النفوس، وخفقات القلوب، ومناجاة الأحبة، والإخلاص للمبادئ الروحية العالية السليمة التي تتحول في البيان الى شعر، وفي الأعمال الى صفاء وطهر ...

**عبداللطيف شرارة**

****

ابيض

# علاقتنا بالأخطل الصغير

**فاضل سعيد عقل**

معرفتنا بالأخطل الصغير معرفة عريقة في قدم الأيام وأصالة الوشائج.

معرفة عائلتي به ومعرفتي أنا.

بشارة عبدالله الخوري ووالدي كانا رفيقين حميمين وزميلين صديقين، على الرغم من بعض المناظرات التي قامت بينهما قبيل الحرب العالمية الأولى حول أمور داخلية وإدارية تتعلق بوضع الجيل الحكومي آنذاك.

ويطيب لي أن أنوه هنا بالذكريات العذبة التي يحفظها الأخطل عن والدي ويسردها لي ولأخصائه بشغف وتفصيل هي دليل المحبة والوفاء.

وانتقلت الصداقة للأخطل من والدي إلى أعمامي: المرحوم أسعد الذي كان من أشد المعجبين ببشارة الخوري والمدافعين عنه، والمرحوم جورج الذي حفظ شعره ولحن وغنى له، فبادله الأخطل المودة وألقى قصيدة بمدحه في حفلة تكريمه بسينما الماجستيل، وعمي يوسف الذي يعتبر الأخطل مرجعا وفخرا، والعم بشارة الذي يرتاح الى نفسه الرحبة وأدبه الكريم. بل إن عائلة عقل بأسرها لا تعد في صفوفها إلا الأصدقاء الحقيقيين للأخطل الصغير وإلا رواة أبياته وإلا المساهمين المتراصفين، في جيش محبيه والغيارى على الناعمين بدفء روحه وعشرته.

أما أنا، فحسبي من بشارة عبدالله الخوري أن عيني تفتحتا على شعره وأنا تلميذ، فعب عقلي من معينه الصافي الخصب وارتوت إحساساتي بأنغامه التي ملأت الدنيا بالصداح الحلو البهيج.

---

■ **الورود ، أيار سنة ١٩٦١، السنة ١٤، ج٩.**

وأذكر أنه لما استأنف الأخطل إصدار «البرق» أسبوعية أدبية قبل الحرب العالمية الثانية بسنوات، أرسلت إليه من مقاعد المدرسة مقالاً عن الكاتب الفرنسي رينه بازان، فرحب به وعالج أخطاءه برفق ونشره في مكان بارز مع مقدمة رقيقة، فشجعني بذلك على المضي في رسالة القلم.

وكنا، في معهد العلم، نتباهى بمواقفه الخطابية ونحلل قصائده ونردد أبياتها شغوفين مترنمين، ويحلو لنا أن نسكر بغزلياته ووجدانياته السلسة الناعمة.

ولما رثى الأخطل الصغير، أمد الله بعمره، عمي وديع عقل، رحمه الله، في التياترو الكبير، كانت قصيدته الرائعة موضوع تحليل ودراسة بيننا وبين أستاذنا فؤاد أفرام البستاني لفترة طويلة.

إن اسم الأخطل الصغير قد سجل إلى جانب اسم الأخطل في تاريخ الأدب العربي، بل تاريخ الشعر الإنساني، وصيته قد تجاوز حدود البشر، وشخصيته فرضت نفسها على العقول واستأثرت بالمخيلات، حتى لقد أضحى الأخطل الصغير أسطورة من أساطير لبنان وهالة من هالات عنفوانه وكبريائه الوطنيين.

إن تكريمه في حياته عزاء لنا، وإن كان واجبا منا نحوه.

فبشارة عبدالله الخوري من هؤلاء الذين خلقوا للبنان أمجادا كأرزات الجبل فكانوا له أمجادا كأرز لبنان!.

**فاضل سعيد عقل**

****

# الوجدانيـــــة
# في شعر بشارة الخوري

نسيم نصر

في عصاري نهار صافي الأديم، من أواخر ربيع سنة ١٩٣٣، كنت وصديقا لي في مقهى الروضة، من مدينة حمص. وبينا نحن نتجاذب أطراف الأحاديث، من هنا ومن هناك شأن من يروح عن نفسه ويزيح عن خاطرته، جاءنا صديق آخر يدعونا الى حلقة عقدت في إحدى فسحات الحديقة يتصدرها شاعر مشهور.

وما إن استقر بنا المقام، بعد أن تلافى خدام المقهى «أزمة الكراسي» حتى استأنف الشاعر قطب الحلقة، قراءته رأيا لمجلة «السمير» في شعره الوجداني. ثم، بعد أن انتهى من إعلان رأي إيليا أبي ماضي. فإذا هما يتبادلان حسن التقدير والاعتبار، قائمين على صفاء الوجدان.

وكان في الحلقة شاب من آل البستاني اللبنانيين، في بزته العسكرية، إذ كان طالبا في المدرسة الحربية، التي كان المنتدِب قد أنشأها، في بعض ضواحي حمص، مشتركة للراغبين في الجندية على أساس الفنون والعلوم العسكرية. ولأمر ما ألح شاعرنا على الشاب البستاني أن يروي على الجالسين إليهما شيئا من شعره. وأجاب الطلب طالب المدرسة الحربية، فأنشدنا قصيدة من وحي الانضباط العسكري نزع فيها فتاها الى بث الشكوى مما تقتضيه تلك التربية الصارمة التي كان يعانيها..!!

وتناول الكلمة أحد المتحلقين حول الشاعر فسأل: «من تراه أجدر بمقام إمارة

---

■ الورود ، أيار ١٩٦١، سنة ١٤، ج٩.

الشعر بعد شوقي؟ – وكان شوقي قد مات في خريف سنة ١٩٣٢، بعد أن عرف زمنا: «أمير الشعراء» – فبادر الفتى البستاني الى الاجابة فقال: «ليس أجدر بهذا المقام من بشارة الخوري الأخطل الصغير».

وجمجم «قطب الحلقة» وحمحم عند سماعه هذا الرأي، ثم قال: «بشارة الخوري خليفة شوقي ...؟! لا، لا هذا رأي لا يمكن أن يؤخذ به ..!!».

وفي وجمة الفتى البستاني، ودون أن يتعرض أحد للرد على الشاعر المتصدر، مضى يقول:

«بشارة الخوري شاعر غزل والغزل أولى درجات سلم الشعر الطويل العالي، فكيف تؤمّر من لم يتجاوز منه بعد، الدرجة الدنيا، ولم يتعدها إلى سواها ؟!»

أما إذا كانت سيرورة شعر بشارة الخوري في الناس، عالقاً بالأذهان هي المستند إليها في الترشيح الخطير، فذلك أمر لا تلبث قيمته أن تتبدد. أما لاحظنا اعتماد الشاعر إثارة العواطف الجنسية، ودغدغة أهواء الشباب كسبا للإعجاب والاستحسان حتى مرثاته في حافظ ابراهيم لم تخل من ذلك الاعتماد .. !!».

وفيما كان «قطب الحلقة» مطمئنا الى سلطانه على سامعيه، يبحث عن شعر جديد في أوراق تأكّلها الطي في جيوبه، استأذنته بالكلام، معتذرا عن اضطراري الى الكشف عن خطأ رأيه في بشارة الخوري، أنا الذي التقيه لأول مرة يسعدني فيها الحظ بالتعرف إليه شخصيا وكأن جرأتي هذه بددت اطمئنانته الى انه في حلقة من المنصتين ينزل عليها بالرأي من فوق ... فالتفت نحوي، وكنت قريبا من يسراه، وفي وجهه ملامح المفاجأة، وقال: «تفضل بما تريد!».

فقلت:

«الغزل، يا أستاذ، ليس أول درجة من سلم الشعر الطويل العالي، وإنما هو نحو

من الشعر له سلمه المدرجة، وبشارة الخوري بلغ القمة التي بلغها قلة من الشعراء العرب، جاء أقدمهم عمر بن أبي ربيعة، الذي زاحمه أمس بشارة في «عمر ونعم». ولعل أفضل ما بز فيه المتأخر المتقدم هو في مثل قوله:

**«ما الحسن لولا الشعر إلا زهرة**
**يلهو بها في لحظتين النظرُ**
**لكنها إن أدركتها رقة**
**من شاعر أو دمعة تنحدر**
**سالت دماء الخلد في أوراقها**
**ونام تحت قدميها القدر**
**فأعجب لذي حسن يجافي شاعراً**
**يشقى على تخليده وينفر**

وبعد الأخذ بتعديل الإقرار بغزل بشارة ورفعه الى المستوى الأعلى بروائع الغزل، علينا ان ننظر معا في رد الانكار.

لقد قلت، يا أستاذ، إن بشارة الخوري شاعر الغزل، وغزل لا غير! في حين أنه شاعر وجداني أيضاً، ومن طراز رفيع. أوليست الوجدانية أشد الأعماق الغنائية جذبا إلى المشاركة في مثار الأصالة الانسانية ؟.

أوليس بشارة الخوري شاعر وجدانية نابضة بالأصالة الإنسانية نبضا يسيطر على المشاعر والمدارك سيطرة عارمة، في مثل قصائده: «من مآسي الحرب» و «الريال المزيف» ، و «المسلول»؟؟.

أوليس من أجل هذه النزعة الجياشة بإنسانيتها تعجب، يا شاعري، بأبي ماضي كما يعجب بك هو أيضا من أجلها؟! ولعل البيتين:

**«والشعر روح الله في شاعره» .. «وغذاؤه الاخلاق في برعمها»**

يقيمان بعض الدليل على السوية الرفيعة التي يعرفها للشعر الأخطل الصغير!!.

نقف عند هذا الحد من إثارة تلك «الذكرى» التي نبرأ فيها من التعريض بذي رأي

مخالف لما نرى، ولم يكن إيرادها إلا تذكيراً بأن بشارة الخوري من أولئك الكبار الذين قد تتناولهم ظلامة «الأحكام الآنية» التي تجيء وليدة ظروف لا تلبث أن تتبدل فيتبدل ما تولد عنها..!!

والآن لا بد لنا من العودة إلى إلقاء نظرة عابرة على هذه القصائد التي لا تستأثر بوجدانية شاعرها، ولكنها أقوى مشاركة من سواها بما تقوم عليه من سعة التجربة الشعورية الصادقة، ولما يعتلي فيها من غضبة مكارم الأخلاق التي ينفذ تأثيرها الى الصميم من النفوس الحساسة.

«الريال المزيف»، و«من مآسي الحرب» قصيدتان نظمهما بشارة الخوري في حادثتين وقعتا إبان الحرب العالمية الأولى، إحداهما سنة ١٩١٦ والثانية سنة ١٩١٧ . غير أنهما وإن كانتا تعتمدان، في الأساس، عنصرا معنويا واحداً، هو العفاف المزق، وعاملا ماديا واحدا أيضا هو الجوع، فإن وجه المأساة الخلقية في «الريال المزيف» مبطن بخطة التزييف وازدواج الصدمة الوجدانية، بعد أن تبين أن المرأة الضحية هدرت عفافها دون أن تستطيع إنقاذ حياة ابنتها، بينما يبدو وجه المأساة الخلقية نفسها في «مآسي الحرب» وقد بث الحاكم الفاسق شباكه لاصطياد الجمال في أسيرات المجاعة التي وقع فيها لبنان بمحض إرادة هذا الحاكم وحملهن إليه ليمسين ضحايا الفسق الحكومي.

ها هو شاعر «الريال المزيف» يستهل بصيحة وجدانية صاعقة قائلا:

**ويح الفقير فما تراه يلاقي**
**سدت عليه منافذ الأرزاقِ**
**عصفت به وبسربه ريح الشقا**
**فتساقطوا كتساقط الأوراق**
**فإذا بصرت به عجبت لشمعة**
**كالزعفران تجول في الأسواق**
**عَلَقُ المجاعة مص بعض دمائه**
**وتعسُّف الحكام مص الباقي**

وفيما هو يمضي بارعا في تمثيل هذا المنزلق الإنساني الاجتماعي، مبدعا في التعبير عن الصراع الذي دار في ذات الأم صراعا ضاريا بين الاحتفاظ بعفتها وبين إنقاذ حياة ابنتها، يصل الى خيبتها في إنقاذ حياة ابنتها بعد أن أضاعت شرفها فيعمد الى هذا القول المزلزل أركان الإنسان:

**سقطت على قدم الشقا فبكت لها**
**عين العلى ومكارم الأخلاق**
**وبكى عفاف الآنسات عفافها**
**خلل السجوف بمدمع مهراق**
**يا طير عفتها فديتك طائرا**
**هلا حذرت حبائل الفساق**
**طلعت عليها الشمس وهي سجينة**
**وفتاتها ضيف على الأسواق**
**أما الأثيم فلا تزال شباكه**
**منصوبة لنواعس الأحداق**
**يسقى الرحيق بأكؤس ولواحظ**
**والله يكلأ، «وهو نعم الواقي»**

ولكن الشاعر، في موشحه «من مآسي الحرب»، يبدو أكثر ضيقا بالصبر على هذه التجربة الوجدانية فصاحب السلطان المفروض فيه أن يكون حامي الأخلاق ودرعها هو نفسه يغتال الأعراض تحت ستار بسطة الكف للمعونة. فبعد أن يمثلها وقد صدقت أنها استدعيت لتلقي العون، إذ يقول:

**وقفت «مي» بباب الحاكم**
**كملاك الله مقصوص الجناحِ**
**وقفت عطشى كطير حائم**
**حول ماء يحسب الوِرد مباح**

وتـــخـــطـــتـه بـــرجـــلـي صـــائم

او بـــرجـــلـي ثـــمل من غـــيـــر راح



وهي لـــو أن لـــديـــهـــا كـــســـرتـــين

لـــثـــنـــتـــهـــا عـــزة عن ذا الـــلـــقـــا

إنمـــا يـــأس الـــفـــتى لـــيس بـــهـــين

لا يـــبـــالي يـــائس أن يـــخـــفـــقـــا

ينتهي الى تمثيلها، وقد افترسها الحاكم «الراعي» فيقول، في مرارة اليائس من عدل الأرض:

رب قل لـــلـــجـــوع يـــصـــبح شـــبـــعـــاً

وانـــقـــذ الـــطـــهـــر الـــذي قـــدســـته

أما قصيدة «المسلول» فهي آية من آيات الغناء الوجداني: فيها للشعر كما فيها للعبرة، وفيها فوق هذا وذاك من لباقة الحوار التمثيلي ما يعرض لأدق الحالات الجنسية فيثيرها وجدانيا دون أن يخمش صفحة الحياء أو أن يبذل رواء الفن الذي تميز به بشارة تميزا توشك أن تعرفه به، أياً كان متناول الشعر الذي تصدى له.

وإذا ما بلغت في هذه القصيدة المقطع المتناول وصف الشباب المستنزف والعبرة المتجسدة، ابتداء من قوله: «سنة مضت...» فأنت أمام لوحة من لوحات الوجدان العازف على أوتار القلب البشري، أبعد ألحانه مدى، في استنفار الأصالة الإنسانية لتحد من تكرار مثل هذا الحب المأساة. ولعل أقوى ما في هذه الرائعة الوجدانية من قوة الشاعرية، هو حيث ينتهي المعشوق الضحية الى الضعف الذي جسده الشاعر في قوله:

قـــد كـــان مـــنـــتـــحـــراً لـــو أن له

شـــبـــه الـــقـــوى في جـــســـمـــه الخـــضـــد

لـــكـــنـه والـــداء يـــنـــهـــشه
كـــالـــشـــلـــو بـــين مـــخـــالب الأســـد
جَـــلِـــدٌ عـــلـى الآلام يـــنـــجـــده
طـــلل الـــشـــبـــاب ودارس الـــصَّـــيَـــد
مـــتـــوحـــد أمـــا الحـــبـــيب فـــمـــذ
خـــاف انـــتـــقـــال الـــداء لم يـــعـــد
فـــقـــضى ولم يـــأنس بـــذي رحم
يـــأســـو ولم يـــســـعـــد بمـــفـــتـــقـــد
حـــاشـــا مـــدامـــعه وكُنَّ له
غـــوثـــا مـــتى يـــســـأل نـــدىً يـــجـــد

ويفرغ بشارة الخوري من مسلوله وقد أقام من قبره نصبا للعبرة في أقسى حقيقتها وألطف التعبير عنها، إذ يقول:

مـــات الـــفـــتى فـــأقـــيم في جـــدث
مـــســـتـــوحش الأرجـــاء مـــنـــفـــرد
مـــتـــجـــلل بـــالـــفـــقـــر مـــؤتـــزر
بـــالـــنـــبت من مـــتـــيـــبِّسٍ ونـــدي
وتـــزوره حـــيـــنـــا فـــتـــؤنـــسه
بـــعض الـــطـــيـــور بـــصـــوتـــهـــا الـــغـــرد
كـــتـــبـــوا عـــلى حـــجـــراته بـــدم
ســـطـــرا به عـــظـــة لـــذي رشـــد:
«هـــذا قـــتـــيل هـــوى بـــبـــنت هـــوىً
فـــإذا مـــررت بـــأخـــتـــهـــا فَـــحِـــد»

لا أزعم أني عرضت، من وجدانية بشارة الخوري في ما قدمت، غير التماعة من

ألق يغمر شعره، فهو في حقيقته ممثل جامع لميزات حقبة من نهضة الشعر العربي كان لبنان فيها يدرك بأن أخطله الصغير شاعر كبير جدير بأن يقول كلمته الشعرية في مشتركات المشاعر والمحافل، مبرزاً يدق أبواب الخلود! أوليس هو القائل في شوقي قولة نراها له وفيه:

**«قف في ربى الخلد واهتف باسم شاعره**

**فسدرة المنتهى أدنى منابره»**

**نسيم نصر**

****

# بشارة الخوري كما عرفته

**منصور أبي صالح**

صحافي لبق وشاعر رقيق، جناحاه العقل والذوق، انصرف إلى الشعر فحلَّق..

من كبت حَميديّ صارم وعهد تركي داجن انفجر بركان الثورة في السلطنة العثمانية :«حريت، إخاء، عدالت، مشروطيت» فانطلقت الألسن وعمت الفوضى (سنة ١٩٠٨).

وطلع بشارة عبدالله الخوري برسالة صحيحة (لا تجارية ولا بازارية) في جريدته «البرق» وطنية لبنانية عربية عثمانية نزولا على حكم واقعها.

ولمع «برقه» بجناحي العقل والذوق كاتبا وشاعرا. ولك من نثره في تولستوي مثال:

ذكاء وشَعره الأبيض يوحيه. و... تبارك يمين المبدع فيه.

ومن شعره: «وقفة أيها القمر».. «خبروها إذا أتيتم حماها».. «قلل الشرق حاذري أن تميدي».

كل ذلك إلى انتقاد مُرٍّ غير هياب حتى حاول المصعوقون التخلص منه بالرصاص فنجا وزميله اميل خوري من الاغتيال.

وحسبك نكتته اللاذعة ورؤوس حرابه الذائعة. بمثل ذلك جذب إليه أرباب القلم شيبا وشبانا وزعماء سياسيين فظهر في «برقه» اسكندر العازار، ومحيي الدين الخياط، وجبر ضومط، وعارف الزين، وشوقي مصر، الى رصافي العراق، وخوري

■ الورود، أيار ١٩٦١، السنة ١٤، ج٩.

الشام، إلى تقي الدين، والجميل، وريحاني لبنان، إلى الفئة الناشئة زكور وكرم، الى ما لا يسهل حصره.

فكان «برقه» دائرة معارف علمية أدبية سياسية تاريخية اقتصادية مما يصح اتخاذه اليوم قاعدة لنهضتنا.

ثم بحكم الظروف والأحوال انصرف الى الشعر فكان الأخطل الكبير فعلا، والصغير تأدبا.

هذا الذي صرف ستين عاما في خدمة البلاد بقلمه، ولا يزال ناشطا يحق له التكريم غير مقتصر على الأقوال، بالاحتفال بتخليد تذكاري ترخص في سبيله الأموال ليبقى نورا لامعا ومثالا يحتذى.

**منصور أبي صالح**

****

# بشارة الخوري كما عرفته

**منصور أبي صالح**

صحافي لبق وشاعر رقيق، جناحاه العقل والذوق، انصرف إلى الشعر فحلَّق..

من كبت حَميديّ صارم وعهد تركي داجن انفجر بركان الثورة في السلطنة العثمانية :«حريت، إخاء، عدالت، مشروطيت» فانطلقت الألسن وعمت الفوضى (سنة ١٩٠٨).

وطلع بشارة عبدالله الخوري برسالة صحيحة (لا تجارية ولا بازارية) في جريدته «البرق» وطنية لبنانية عربية عثمانية نزولا على حكم واقعها.

ولمع «برقه» بجناحي العقل والذوق كاتبا وشاعرا. ولك من نثره في تولستوي مثال:

ذكاء وشَعره الأبيض يوحيه. و... تبارك يمين المبدع فيه.

ومن شعره: «وقفة أيها القمر».. «خبروها إذا أتيتم حماها».. «قلل الشرق حاذري أن تميدي».

كل ذلك إلى انتقاد مُرٍّ غير هياب حتى حاول المصعوقون التخلص منه بالرصاص فنجا وزميله اميل خوري من الاغتيال.

وحسبك نكتته اللاذعة ورؤوس حرابه الذائعة. بمثل ذلك جذب إليه أرباب القلم شيبا وشبانا وزعماء سياسيين فظهر في «برقه» اسكندر العازار، ومحيي الدين الخياط، وجبر ضومط، وعارف الزين، وشوقي مصر، الى رصافي العراق، وخوري

■ الورود، أيار ١٩٦١، السنة ١٤، ج٩.

الشام، إلى تقي الدين، والجميل، وريحاني لبنان، إلى الفئة الناشئة زكور وكرم، الى ما لا يسهل حصره.

فكان «برقه» دائرة معارف علمية أدبية سياسية تاريخية اقتصادية مما يصح اتخاذه اليوم قاعدة لنهضتنا.

ثم بحكم الظروف والأحوال انصرف الى الشعر فكان الأخطل الكبير فعلا، والصغير تأدبا.

هذا الذي صرف ستين عاما في خدمة البلاد بقلمه، ولا يزال ناشطا يحق له التكريم غير مقتصر على الأقوال، بالاحتفال بتخليد تذكاري ترخص في سبيله الأموال ليبقى نورا لامعا ومثالا يحتذى.

**منصور أبي صالح**

****

# بشارة الخوري.... شاعر الهوى والشباب

**عادل الغضبان**

نفح الريحان وشعاع الصهباء..
وحمرة الشفق وخضرة الأرز ...
ونعومة الحرير ورقة خدود الورد ...

إذا جُبلت بندى الصباح وبسمة الفجر ونفخ فيها النسيم من نفثاته كانت صورة صادقة لروح بشارة الخوري شاعر الهوى والجمال. عاش حتى اليوم بتلك الروح الرقيقة الحلوة ينبض بها الشعور الحي الخافق فأسالها على أوتار الشعر غناء تنتشي منه القلوب قبل الأسماع وحمل ذلك الغناء الى قلوب الناس صوراً من جراحات الهوى وبسماته فكان لنفوسهم مهزّة حركت جوانح الهانئ السعيد وسكبت العزاء على فؤاد الشجي العميد.

للأخطل الصغير اليوم في الأمة العربية منزلة الأخطل الكبير في الدولة الأموية، فما من بلد عربي إلا وله في نفوس أبنائه المكانة الرفيعة، فإن لم يكن شاعر دولة بعينها أو شاعر أمير بعينه فلأنه شاعر الدول والأمراء أجمع وشاعر الأمة العربية جمعاء، انزلته من فؤادها في الصميم وجعلته فيه بين النخبة المختارة من شعراء القرن العشرين الذين تؤثرهم بالمحبة والإعجاب.

ولئن كان الأخطل الكبير يدخل على الملوك في مجالسهم ويحظى عندهم وكان الخليفة يكرمه وأولاد الملوك والأمراء يعظمونه ويبجلونه، لقد حظي الأخطل الصغير عند كل ملك ورئيس وأمير بله حظوته عند شعوب الأرض طراً. وكان للأخطل الكبير راوية اسمه جرير يروي شعره وينشره في الناس. أما الأخطل الصغير فله جيوش من الرواة، فقد سار شعره

■ الجريدة الأسبوعية ، ١٩٦١.

على لهوات المغنين يتفننون فيه تلحيناً وإنشاداً وسار على أفواه المعجبين يتناشدونه في كل مدينة وقرية، وهذا منتهى ما يصبو إليه الشاعر العبقري الصداح.

ولكن هل تقف المشابهة بين الأخطلين عند نصرانيتهما ومكانهما من الرؤساء. لا نظن هذا وحده هو الذي أوحى الى بشارة الخوري بأن يتسمى بالأخطل الصغير عندما اضطرته الأحوال الى التكتم والاستتار، فلا بد أن يكون بينهما تجاوب روحي حمل شاعر القرن العشرين على أن يختار اسم الأخطل. وإننا لنلمس ذلك التجاوب في شعرهما الذي يصور لنا تشابه نفسيهما فكلاهما شاعر الهوى والجمال.

يتألق شعر الأخطل الكبير في كثير من قصائده بوصف شجون الفؤاد ومطارح الهوى والصبابة ولا يخلو من وصف جمال المرأة على النحو الذي كان يستسيغه ذوق العصر، فالمرأة في نظره:

**أسيلة مجرى الدمع أما وشاحها**
**فجارٍ وأما الحجْل منها فما يجري**

ويظل يتعقب ذلك الجمال يبحث عنه مدفوعاً إليه بخفقان الفؤاد ونهم العين لا يرتوي منه ولا يشبع فكلما سكن فؤاده حركه هوى جديد وجمال جديد:

**وإذا أقول صحوت من أدوائها**
**هاج الفؤادَ دُمىً أوانسُ حور**

ومثل هذا التجدد في روح القلب وريحانه يشعر به الأخطل الصغير ويسرّ به في قرارة نفسه غير أنه لا يلبث أن يصيح صيحة القوي المعتد بنفسه:

**كفانيَ يا قلب ما أحمل**
**أفي كل يوم هوى أولُ**

وإنه لدلال من الشاعر ليس إلا... فما صرخته هذه وما صرخته السابقة التي يتأفف فيها من حمل تبعات الهوى وحده إلا استفهام إنكاري خرج عن معناه كما يقول البلاغيون.

والأخطل الصغير لا يرى جمال المرأة حيث يراه الأخطل الكبير أسالةً في الخد وضموراً في الخصر وعبلاً في الذراع والساق. إنه يراه أولاً في الروح الرهيفة السامية السابحة في غمرات الضياء فوق مناكب الحسن فلا يعدلها في الأرض إلا أرواح الملائكة في السماء. ويوم يشاء أن ينظر الى المرأة نظرة أهل الأرض نراه يرسمها كما رسمها شعراء العرب ولكن بأضواء وظلال جديدة وبطلاء جديد لا يكتفي فيه بألوان قوس قزح بل يتأنق فنه في المزج بين لون وآخر ويبتدع ألواناً جديدة هي من صنع عقله وقلبه وفنه، فرسومه تلك مبثوثة في جوانب شتى من قصائده.

ولقد يبرز الأخطل الكبير في غير فن من فنون الشعر وقد يتجاوب وشاعرنا في كثير من نزعات النفس وخفقات الفؤاد ولكنه في الهوى والجمال تلميذ للأخطل الصغير ولا غلو. فراية شاعر بني أمية في هذا الميدان تقصر عن راية ابن لبنان المشكوكة في أعلى قمة من جبل الوحي والإلهام. فليس للأخطل الكبير على كثرة ما غنى للهوى والجمال أفانين الأخطل الصغير ولا خفة روحه وليس له فيهما تلك المعاني التي تهز السامع وتنتزع منه آهات الإعجاب وترقصه على حبال الطرب ولو كان أرسخ من صنين حلماً ووقاراً.

فليس للأخطل الكبير مثل هذا الشعر المرقص المطرب:

**ما كان أحلى قبلات الهوى**
**إن كنت لا تذكر فاسأل فمكْ**
**تمر بي كأنني لم أكن**
**ثغرك أو صدرك أو معصمك**
**لو مر سيف بيننا لم نكن**
**نعلم هل أجرى دمي أو دمك**

وليس له مثل هذه الحكمة في الحب والعشاق:

**هكذا أهل الغزل كلما خافوا الملل أنعشوه بالقبل**

ولا له هذا الإغراء الذي يطيح برصانة القلوب وعفاف الشفاه:

**مـا لـلـشـفـاه الـكـسـالى لا تُـزوِّدنـا**
**فـقـد حَـمـلْـنـا عـلـى افـواهـنـا الـقـربـا**

ولا عرف أن يبلغ المحبين رسالات الهوى على هذا النحو اللذيذ الفاتن:

**رسـالـة من فـمـه لـفـمـهـا**
**كـذا رسـالات الـهـوى تُـخـتـصـر**

وهذا هو الإعجاز في الإيجاز. وللأخطل الصغير في مثل هذه المعاني المنتقاة من ينابيع الهوى والجمال ذخيرة وافرة بل كنز ثمين تجعله أغنى شعراء الحب ثروة وأرفعهم ذروة وأوفرهم تفننا فهو إمام المحبين يوزع عليهم الكاسات والأقداح ويملأها لهم من شراب الهوى والصبابة ولا يضيره أن يكون واقعي المذهب أحياناً قاسياً على الحقيقة وعلى الحبيب معاً وأنى يحفل بالرمز إذا هو علّ من نبع الواقع فاسمع لتلك الفراشة ماذا تقول:

**فـأنـا بـصـدر حـبـيـبـتي**
**كـفـراشـة في قـلـب ورده**

فلينهل ما شاء من عطر الورود فإذا ارتوى وأراد المقيل وفر له الهوى وساداً وثيراً ناعماً جميلاً وصفه فقال:

**ورمى الـهـوى بـي فـارتـمـيت**
**وكـان نـهـداهـا المخـده**

وإمامته في الحب وسلطانه الأعلى فيه وعلمه الخفاق في شعر الحب كل هذا يلبسه هذا الثوب من الأثرة فيرشف ما يشتهي ويتسد حيث يشتهي غير حافل بما تحت الوساد من قلب خافق ونفس مضطربة فيحيى بن تبعي الأندلسي لم يكن في مثل شجاعته عندما قال:

**حـتى إذا مـالت به سِـنَـةُ الـكـرى**
**زحـزحـته عـني وكـان مـعـانـقي**

**بـــاعـــدته عن أضـــلـع تـــشـــتـــاقه**
**كي لا يـــنـــام عـــلى وســـاد خـــافق**

وفيمَ يتشجع الأخطل الصغير وعلاَم يترفق وهو الأمير المنشّر الأعلام في دولة الهوى والجمال، فلئن عرف للحسن مقامه وجلاله إنه يدر أيضاً للشعر قوته وسلطانه.

فإن صح أن يكون أحدهما التابع والآخر المتبوع فحري بأن يكون الشعر هو السيد المؤمر وعلى هذا فمن حق الشعر أن يتيه دلالاً على الحسن ففي يديه نشر صيته وبث محاسنه وفي قوافيه مقاصير الخلود يُسكنه إياها منعماً متفضلاً، فلله شاعرنا مفاضلاً بين الشعر والحسن مكللاً جبين الشعر بغار السبق إذ يقول:

**مـــا الحـــسن لـــولا الـــشـــعـــر إلا زهـــرة**
**يـــلـــهـــو بـــهـــا في لحـــظـــتـــين الـــنـــظـــرُ**
**لـــكـــنـــهـــا إن أدركـــتـــهـــا رقـــة**
**من شـــاعـــر أو دمـــعـــة تـــنـــحـــدر**
**ســـالت دمـــاء الخـــلـــد في أوراقـــهـــا**
**ونـــام تحت قـــدمـــيـــهـــا الـــقـــمـــر**

ولم تقف المشاكلة الروحية بين الأخطلين عند حد الهوى والجمال فقد تعدتهما إلى بنت الكروم وإلى إبداع كل منهما في وصفها حية ومقتولة.

**عادل الغضبان**

****

ابـــــــ

# رسالـــة غبطـة
## البطريرك المعوشي في مهرجان الأخطل(*)

البركة الرسولية تشمل ولدنا العزيز الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخوري الأخطل الصغير المحترم.

وجهت إلينا اللجنة المنبثقة من مؤتمر أدباء لبنان دعوة للاشتراك بالحفلة التكريمية التي تقيمها لكم في الرابع من الشهر الجاري.

إننا إذ نشكر اللجنة المحترمة دعوتها نثني على العاطفة الطيبة التي أحاطكم بها إخوانكم الأدباء تقديرا للنتاج الخير الذي تفتقت عنه قريحتكم نثراً أنيق الديباجة، وشعراً من أطيب الشعر جاء سحراً حلالاً ولُعاً صادقة مما استعر بين جوانحكم من عاطفة وطنية وأتى صدى عميق الأغوار لما اكتنز في روعكم من ثقافة شرقية غربية زاهية الألوان وتجلى صورة ناطقة لما تزخر به طبيعة لبنان من جمال وروعة وقد غنيتموه قصائد ستبقى مثاراً للنخوة في صدور الأجيال الطالعة ومتعة للأذن واللسان والخيال.

وفيما نشترك في حفلة تكريمكم بالفكر والعاطفة نزجيها إليكم تهنئة أبوية خالصة سائلين الله أن يسبغ عليكم ثوب العافية ويمتعكم برغد العيش لتظلوا في دولة الشعر والأدب علماً من أرفع أعلامها وفخراً للناطقين بالضاد ومجداً للبنان.

**البطريرك بولس بطرس المعوشي**

****

■ الورود، حزيران ١٩٦١، السنة ١٤، ج١٠.

(*) انظر نص رسالة البطريرك إلى الشاعر وصورتها في «كتاب رسائل إلى الأخطل الصغير» ، مرجع سابق، ص (٢٨،٢٧).

**ابـــــــــــــــيـض**

# فـي محـراب الشـاعر

**الشيخ عبدالله العلايلي**

لعلـها البادرة الأولى الحميدة، في لبنان، أن نكرم ألمعياً والحياة ملء برديه، فيعرف أن مجتمعه يقدره قدره، ولم يغفله زهرة تذوي على ذات نفسها في النضرة، في العبق، في الطيب.. ولم يدعه كالشمعة وهي تعطي الضياء تسيل قطرة قطرة موصولة بقطرة، وعبرة لاتنفك عن عبرة إلى انطفاء.

وخليق بعبقري أعطى، أن يجزى، وقليل مهما جل العطاء في جنب العبقري النافع الجزاء.

إنه يراعة من منابت الآلهة، فما جرت على قرطاس، إلا رسمت ألف لون ولون، وانهمرت الجمالات انهمار الشعاع من فم الفجر، وبتعبير شاعرنا في الغلاييني:

**فـــتن الـــفـــجـــر ســـنى عِـــمَّـــتِه**
**فـــأتى يـــلـــثـــمـــهـــا فـــانـــطـــبـــعـــا**

سواء أكان الفن هو الذي يقلد الطبيعة، أم الطبيعة هي التي تقلد الفن، فمما لا ريب فيه، أن الشعر يجنحها جميعا، فالشعر في حقيقته، هو الغاية التي ينتهي إليها كل تكيف فني.

ففيه الطبيعة ضرب من الحس المبدع، وفيه الفن لون من الاتساق الأزلي الخالد...

وهذه الكلمة ـ على أني لم أعقدها لحديث الشعر الخاص بل للإشارة إلى الشاعر ـ لا أجد معدى، وأنا أحس بالصلة الشاملة، عن أن أقيمها على بعض خطوط وصفية

---

■ **الورود، حزيران ١٩٦١ ، السنة الرابعة عشرة ، ج: ١**

يلوح من خلالها وجه الشعر الحق.. وأعني: يلوح من خلالها وجه الشاعر.

أرى في الشعر: أنه كائن حي فيه وحدة الحياة الإنسانية ووحدة الحياة الشائعة في سائر أجزاء الوجود..

وجميل حقا أن نرى الشعر من هذه الزاوية، زاوية أنه كائن يتمتع بأخص صفات الحياة.. فهو يأمل ويألم، ويحب ويهيم، ويفكر ويحلم، الى غير ذلك كله من خصائص الأحياء، ولكنها في الشعر خصائص كلية.

نعم إن الشعر الحي، يرينا في القطعة المتفجعة أنفاسا تذوب حقا وتتقطع حقا في صدر قريب منا، تضطرب حناياه وتطرد، حتى لنسمع ونبصر دموعه المتساقطة الى مهواها. كما يرسم في القطعة الضاحكة، الشفاه المفترة، حتى لكأنما هو يجسد اللحظة الملهمة، والهنيهة في قلب الإبداع.

أما القطعة حين لا تجيء أكثر من صورة، فإنها صنو الجسد الثاوي: فيه تقاطيع، وفيه جمالات وفيه أشكال تامة، ولكنها فاقدة الحرارة لأنها فاقدة الحياة.

وشاعرنا الأكبر من بعد، جاء بحق هبة نادرة عن يد الشعر، وفي بسطة كف امتدت بجود وسخاء. وأنت دون شك، تلمس من هذا الجود وهذا السخاء، وتلمس كثيرا في ما يعرض من صور مشبوبة الحس، تواقة الروح، بادية الخصب.

ولصوره طابع متميز، فهي تعطيك ولا تفتأ، تعطيك ولا تنقطع... وإذا أنت على العهد القريب بها، تحسبها جديدة، جديدة كأنما لم تقع إليك من قبل.. وإذا أنت تقبل عليها وتقرؤها بلذة الطريف البدع، في كل ما له من حرارة وتعلق.

وهذا الاعتمال الدائب، هو ميزة فن الحياة، أو قل هو ميزة الحياة حينما تتأنق لتعطي فنا.

وأبونواس في العهد العتيق، أحس بهذا الاعتمال إحساسا حسنا وعبر عنه تعبيرا صادقا في هنيهة شعرية ملهمة:

**يـــزيـــدك وجـــهه حـــســـنـــا**

**إذا مـــــــــا زدتـه نـــــــــظـــــــــرا**

فـهذا الوجه النواسي ليس كما تعرف من الوجوه الفاتنة، التي تختصر فتنتها بـنظرة ثم تنـزلق.. بل وجه لا يكاد يتـراءى لك حتى تعلـق عليه مقلـتاك، لأنه لا ينفك يتكشف عن جديد، ولا يفتأ يتزحزح عن أسرار.

فإذا النظرة نظرة موصولة وهكذا نتوهم، وإذا هي بدايات مطردة لا تموت في نهاية.

هذا الاعتمال أو هـذا الدفق الزاخر بموهبـة الجمـال، الذي أحس به أبو نواس حيال شيء من الحياة.. نحن نحس بمثله حيال بعض من الأدب، وحيال بعض من الفن.

وليس لي في هذه الكلمة العجلى أن أضع محاسن شاعرنا الكبير أو بعضـها، موضع التحليل فشأن ذلك دراسة كاملة مستفيضة.

وحسبي من الإشارة إليه: أنه على إبداعه، مترع البيان مترفه، حتى لتخال أن حروفه مسحتها شفاه مرآة.

**الشيخ عبدالله العلايلي**

****

ابيض

# يوم الأخطـل

## يوم الشرق العربي، يوم مبايعته بالإمارة

**بديع شبلي**

شهد لبنان، ما لم يشهده الشرق العربي، حتى في أزهى عصوره، وأطلق نهضاته الأدبية، شهد مهرجان تكريم الأستاذ بشارة الخوري، الأخطل الصغير.

غصت في الرابع من هذا الشهر، قاعة قصر الاونيسكو في بيروت، بجماهير غفيرة مختارة من سياسيين: شعراء ووزراء، وقناصل، وكثيرين من علية رجال الدين على اختلاف المذاهب، وصحافيين وأدباء وشعراء، حتى من البلدان العربية الشقيقة أتوا ليشهدوا سوق عكاظ، وأين سوق عكاظ الغابرة، من سوق تكريم صاحب «الهوى والشباب» الذي أحيا الكلمة، وألبس الشعر مطارف الجلال، فخطر في قشيب تزهو جدته في كل عصر، فمزق الحجب عن بهاء القديم ووسمه بجديد من قلبه، وعقله وخياله، حتى لتكاد تلمس فيه نبضه، وتحس بدفء أنفاسه العطرة، وجوارحه الرقيقة الحنونة الملتهبة حبا. وإذا سألتنا عن صوته وكأنه لدى الإلقاء، صاعد من كهوف الدهور، أو من وراء حجب المستقبل، فاقرأ شعره، وإليك ديوانه الجديد قلادة العصر في جيد الشعر.

ليس بكثير أن يكرم شاعرنا في حياته أمد الله بها، فكم هتف باسم لبنان والعرب، وغناهما على أروع ما يكون الغناء، أليس هو الذي بايع المغفور له شوقي، بإمارة الشعر، فها شعراء البلاد العربية يبايعونه بها، فقال الشاعر صالح جودت ممثل شعراء الإقليم الجنوبي في الجمهورية العربية المتحدة، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية:

**«.. وجلا من خيوطها أشعاره**
**فعقدنا له لواء الإماره»**

■ افتتاحية، الورود، حزيران ١٩٦١، السنة الرابعة عشرة، الجزء العاشر.

وبايعه شاعر الإقليم الشمالي عمر أبوريشة بقوله:

**«ضـــــفـــــروا لـه من دوح أرزك غـــــاره**

**أكـــرم بمـــضـــفـــور له وبـــضـــافـــر»**

وأمين نخله شاعر لبنان أنشد مبايعا:

**«أيـــقـــولـــون أخـــطل وصـــغـــيـــر**

**أنت في دولـــة الـــبـــيـــان أمـــيـــر»**

أما قصيدة الجواهري شاعر العراق الأكبر، فقال فيها:

**«أبـــــشـــــارة أنـــــذا لـــــديك**

**مـــحـــمـــلاً غـــار الـــقـــلـــوب»**

لقد اغتبط لبنان بعرش هذه الإمارة، وإن كان أخطلنا، منذ أمد بعيد، متربعا عليه بجدارة وجلال، والشعر عنده كل يوم في عرس. وأعلن في أثناء الاحتفال، معالي الوزير عبدالله المشنوق، أن الحكومة أقرت نصب تمثال المحتفى به في باحة قصر الأونيسكو، وإطلاق اسمه على أحد شوارع بيروت، كما أعلن معالي الوزير صفي الدين، إقرار وزارة التربية بتعليق رسم الشاعر، في دار الكتب الكبرى، وهو من روائع ريشة الفنان الكبير رشيد وهيبي.

اتصل بنا جميع الذين نثبت قصائدهم وكلماتهم، في هذا الجزء من الورود الخاص بحفلة تكريم أمير الشعراء بشارة الخوري، لما لاقت من نشرها في جميع الجرائد إلا أقلها، من تشويه وتجريح وتهشيم من شتى الوجوه. وها نحن ننشرها بحسب ترتيبها، كما ألقيت في مهرجان الأخطل الصغير، إعادة لاعتبارها، مزفينها مجلوة، الى مشتركي الورود الأعزاء، وقرائها الأكارم..

**بديع شبلي**

****

# كلمة الحكومة

**لدولة الرئيس صائب سلام(*)**

الأخطل الصغير الكبير، قطعة من قلب لبنان وصوت جاب الآفاق وروح شفافة ضمت مشاعرها آمال وآلام، وقيثارة عربية الأوتار تلاقت على أنغامها بيروت والقاهرة والقدس وبغداد ومكة وصنعاء، ودمشق والمغرب، في ملاحم تبقى على الدهر ما بقي الشعر بل ما بقي العرب.

فالشاعر الكبير الذي نكرم اليوم، مفخرة لوطن، وحدث في تاريخ شعب.. وجه في كتاب التاريخ للعرب جميعا.. خمسون عاما خلت، أفاقت فيها الدنيا العربية على صوت الأخطل الصغير وأترابه من فحول الشعراء ينفخون في عروقها بنداء الحرية فيصيب منها شاعرنا العظيم نصيبه الوافر ويعي قلبه الكبير الملهم أفراح الأمة وأتراحها وهي تمر بأحلك أيام محنتها وانتفاضة نهضتها فيسكب كل ذلك في شعر صبغت حروفه بالدم، تخطه أنامله لا تحفل بغير الحب والحق والجمال، فإذا بهذا الشعر يغدو على مر الأعوام سفارة لبنانية من الصميم وفي الصميم تحمل قلب لبنان الى قلب كل بلد عربي، وإذا بهذا الشعر نشيد الحب والحرية يرويه الرواة بكل أرض. وكأن شوقي رحمات الله عليه قال بلسانه، بلسان الأخطل بيته الخالد:

**رواة قصائدي فاعجب لشعر**

**بكل محلة يرويه خلق**

■ **الورود. حزيران ١٩٦١، السنة ١٤، ج: ١٠.**

**(*) انظر نص رسالة صائب سلام وصورتها إلى الشاعر عندما أهدى إليه ديوان «الهوى والشباب» في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سابق، ص: (٦٩، ٧٠).**

أو المتنبي في بيته الصامد:

**ومـــا الـــدهـــر إلا من رواة قـــصـــائـــدي**

**إذا قـلـت شـعـراً أصـبـح الـدهـر مـنـشـدا**

أجل يا شاعرنا الكبير. لقد أضفيت على لبنان مجدا نعتز به رئيسا وحكومة وشعباً، وأضفت إلى تراثنا الأدبي ـ مد الله بعمرك ـ أغلى الروائع، ونهضت برسالة الشعر إلى سدتها العليا وحملت لواء الحرف عاشقاً ومجاهداً، فكنت المجلي في ساحتين:ساحة الحب والجمال، وساحة الجهاد والنضال.

وإني لأشيد مفاخراً بعمل اللجنة التكريمية التي هيأت ودعت إلى هذا المهرجان. لأنها بعملها النبيل أتاحت لنا ولممثلي البلاد العربية الشقيقة هذا اللقاء السعيد، وأتاحت لي شخصياً شرف تمثيل رئيس لبنان فأحمل إلى شاعرنا العظيم، من على هذا المنبر تحيته وتحية لبنان.

فيا صديقي شاعر العرب، حسبك هذا الإجماع على تقدير نبوغك وتكريم إبداعك وحسب لبنان أنك تخطيت بشعرك الحدود، ونفذت إلى كل أرض عربية،تحمل إليها عبير الحب وأريج الأخوة، كما تحمل إليها عروبة لبنان الأصيلة الصافية، وحسبي أنا – وروابط الوداد التي تشدني بك موضع اعتزازي – أن ألقاك بهذا اليوم الخالد السعيد لأقول لك: ستبقى إلى الأبد موضع تكريم لبنان.

**دولة الرئيس صائب سلام**

****

# كلمة الصحافــة

**عفيف الطيبي**

حدثتنا السير عن الخالدين، فعشنا معهم تراثا، ننهل من المورد، ونتغنى بالعطاء، فحمدنا المورد لا يشح ولا ينضب، وأكبرنا في الأثر، النعمة وسخي العطاء.

غبطنا تلك الأجيال بما كانت علامتها، وبما بقيت مكانتها تيها وعجبا بمن عاصرت، وقد كتب لها أن تراهم، عينا وأن تقاربهم عيشا حتى كان من الجيل عطية، ونصيب، فكتب لنا أيضا، أن نزهو كما زهوا، وأن نباهي بمثل ما قد باهوا، اليوم تعود للبنان قيمة كبرى من قيمه، كأنها تأخذ مكان الصدراة، مكانها.

اليوم، أرى وجه لبنان، حفظ بقلبه، ولسانه، وبكل تاريخه وأعلامه، الأمجاد والكنوز وأضاف على الأمجاد وفاء ومجداً، فكان القلب بما حفظ وأوفى، صورة الوجه تألقا وإشراقا، وكان الوجه تعبير القلب، قطعة أبدع وأجلى.

اليوم، وما كان لبنان إلا هذه الصورة، وما هو إلا هذه الصورة، وما هو إلا هذه القيمة ويبقى.. نعيش الحقيقة ونحياها، كما أرادها الباعث والحافز، غنى لبنان والعرب، أرق الشعر وأعذبه، ألهب الحب، والكفاح أذكى، فأعاد وزاد على التاريخ، بأنه في غير سهل وفي الليل الكالح حقا أعلى بالذي أعلى منذ جعل لبنان قصيدة عربية خالدة، ومنذ كان لبنان أرضا وفكراً، ذمة وعهداً.

ـ من هذا الناحل؟ تعب جسده في روحه ومراده.

ـ من هذا الملهم الكبير؟ كبر الفكر في أفقه والمدى.

---

■ **الورود، حزيران ١٩٦١، السنة ١٤، ج ١٠ ، في حفل تكريم الأخطل ١٩٦١.**

ـ من هذا المعطاء؟ في الخير باذلا، وتقوى الله امر في سؤاله

ـ من هذا الناحل الفرد؟ أخذنا كثرة وأمة، ولا زال مما أعطى، لكل أن يمعن أخذا.

ـ على كل المشارف من بيض راياته راية.

ـ وبكل يد من جيد صنيعه، صفحة وآية.

ـ صحافة لبنان وهي ترحب بكم، تشكر دولة الرئيس السيد صائب سلام، ولكم هذه المشاركة، في أبهى أعراسها وفي عيد أعيادها. وتقول:

– منا وعميدنا هذا الرجل.

**عفيف الطيبي**

****

# الشاعر العطية

**سعيد عقل**

عندما، في صدفة سعيدة، خَطَّت أنامله لأول مرة، بيتا من قصيد، كانت السماء قد نوت خيرا بالجمال وبأزاهر البال.

وكأني به، في تلك الهنيهة، افتتن بسطر أطلعه صنوا للشهقة في الحب الكبير، فقال: حسن أن أكون عنبا من غيب وتعركه يد من غيب، حسن أن أكون سكر العقول.

في الهنيهة تلك، وقد طرب هو، تقرر أن يكون في لبنان أمير كلمة، وتطرب الدنيا.

لكان بوسع الصدف أن تشاءه يحرك فرشاة لا قلما، إزميلا أو بركارا، لكان حتما ولد لنا من يرقص الظل واللون، أو من يوقف الزمن في المرمر، أو من تدين له الأثقال العجب ومن بعلبك تضاحكه الستة حاملات الشمس.

هذا الشاعر عطية.

وعطية أن يكون صلى تحت أحلى سماء، كما تقول الأغنية بفم فيروز. آيته أنه دس الغزل في كل شيء، هذه لن أنساها له (اعذروني إن تكلمت كلام القيم على مجدنا الذي يهيأ أو على تفردات لبنان) بوسع هذا الشاعر ـ الثروة أن لا يحبني ما هم. أنا أحبه. إنه بمعالجته الخواطر بالغزل ـ كما العدو بالحب ـ أضاف الى شعرنا بعداً آخر جديدا، ولبنان، أصلا، جدة وعجب، فمن أتى بشيء منهما عددناه أرزة في الأرزات. وليعمل بعدها ما يشاء: خطيئته نفسها تغدو تبريكا، صلاة، ورضوانا من الله.

ومشعل الشعر حمله لا أنانيا ولا جبانا: فما كان لوطنه وحسب، لا وإنما كل رملة من رمال الشرق مدينة له بعنفوان. أما في مجالدة القبح والظلم فما ونى ولا هاود.

■ الورود، ١٩٦١.

أحببته أحببت، ودوماً من أجلهما في الحميم من زوايا الصدر ضفرت له إكليلا. من هنا إنني أضمرت له الدعوة الى هذا اليوم طويلا طويلا قبل أن أطلقت النداء. ولو لم تستجب إليَّ أمة ودولة وبلابل من كل غصن لكنت خجلا بي أمام الشعر.

إلا أن اسم الأخطل الصغير أزاح الحوائل وفتت الصعاب تتشعب وتتكاثر. لأنه ما من زهرة في الشرق إلا كانت قد استوردت منه خدا أو نفسا طريفا.

سبحانك شعرهم، بك ايضا ـ عفوه تعالى ـ يتبلج الحق، تتهادن الأحقاد، وتتحول الكلمة سماء مكوكبة.

**سعيد عقل**

****

# «الأخطل الصغير»
## دراسة فنية لشعره

أنور المعداوي

«عندما يتزوج الفكر الحياة ، تولد التجربة في الفن». إذا لم تخني الذاكرة، فألبير كامي هو صاحب هذه الكلمات. وبقدر ما تحمل كلماته هنا من روح الشعر، فهي تحمل الكثير من منطق التجديد العلمي الضابط للمقاييس النقدية. ذلك لأن مفهوم المزاوجة بين كل طرفين متقابلين، هو أن تكون هناك عملية ارتباط تفاعلية، يتحقق فيها عنصر التبادل المثمر أو المشاركة المنتجة، إنها عملية يتوفر فيها جانب الإرادة كما يتوفر جانب الإدراك، لأننا حين نفكر في أن نرتبط بالطرف المقابل لوجودنا الإنساني، ندرك ما وراء اتجاهنا من رغبة ملحة في الشعور المكثف بالحياة.. من خلال رؤية عقلية معينة. من هنا يتم تفتيت اللحظة الزمنية في بوتقة التفاعل المزدوج بين الوجود الداخلي والوجود الخارجي، أو بين حركة التأمل الفكري للفنان، وحركة الحياة المندمجة في حركة الزمن. وتفتيت اللحظة الزمنية إلى جزئيات، متغيرة ونامية، وهو ما نعبر عنه بمراحل التجربة. والتجربة النفسية في الفن، تقتضي – لكي نتم لها كل أبعاد التجسيم – أن نعين في قلب اللحظة الزمنية، وأن نراقب نموها من الداخل. ذلك لأن عملية المعايشة من الخارج – بعيدا عن مجال المراقبة التأملية الدقيقة – لا يفتح من نوافذ الرؤية لمراحل النمو المطرد، غير تلك النافذة التي نطل منها على مرحلة التبلور النهائي، عندما يقتصر الفنان على أن يعطينا خلاصة التجربة.

---

■ الآداب ، حزيران ١٩٦١، سنة ٩، عدد ٦٠.

وعملية المعايشة من الخارج، يترتب عليها من جهة أخرى أن تعرض التجربة وهي مبتورة، أو بمعنى آخر، وهي جذور بغير امتدادات، وإذا ما اقتصرت هذه المعايشة على دور التفاعل الحسي بيننا وبين مشاهد الحياة، فهنا تتلاشى التجربة النفسية المكثفة، لتأخذ مكانها اللوحة الوصفية المجردة!

بشارة الخوري أو الأخطل الصغير – في هذا المجال التجديدي وعبر الرؤية النقدية – يبدو وهو شاعر اللوحة وليس شاعر التجربة.. أنه رسام لوحات مبدع، وصاحب لغة شعرية ممتازة. وهو في محيط التعبير بالألفاظ والصور، يتيح للنقد أن يعتبره واحدا من شعراء الجيل الماضي، وأن يعتبره في الوقت نفسه واحدا من شعراء هذا الجيل. إن النقد – على ضوء السمات التعبيرية لشعره – يستطيع أن يلحقه بمدرسة الشعر التقليدي إلى جانب شوقي ومطران، ويستطيع أن يلحقه بمدرسة الشعر التجديدي إلى جانب إيليا أبي ماضي وعلي محمود طه. فكما نجد في شعره من ملامح المدرسة الأولى ذلك الميل إلى التقريرية والخطابية والاحتفاء برنين اللفظ، نجد من ملامح المدرسة الثانية تلك العناية بأن يحل التجسيم الإيحائي والموسيقى الداخلية والصورة المركبة، محل التقرير والخطابة والتعبير المباشر.

في محيط الشكل التعبيري يمكننا أن ننسب بعض شعر الأخطل الصغير إلى المدرسة الأولى، وأن ننسب بعضه الآخر إلى المدرسة الثانية.. وعندما نقول إنه ليس شاعر التجربة، فإنما نعني التجربة بشكلها الفني الناضج كوليد كامل النمو لزواج الفكر بالحياة. إن عملية الارتباط التفاعلي بالوجود المقابل عند بشارة الخوري، تعتمد على حركة الحواس الخارجية اللاقطة، أكثر مما تعتمد على حركة المشاعر الداخلية المتأملة.. وفي نطاق التخطيط الإطاري والموضوعي للقصيدة، نلمس بوضوح مدى تفوق اللوحة المرسومة على التجربة المعاشة. بل إن هذا التفوق ليبلغ من السيطرة ذلك الحد الذي تتضاءل معه التجربة، بحيث تبدو لنا وهي نقطة ارتكاز بغير انطلاقات.. وإذا ما نظرنا إلى الشعر على أنه مزيج متعادل من المعايشة الحسية والنفسية للوجود المقابل،

فإننا نستطيع أن نكتشف جوهر التفاوت بين نجاح اللوحة وإخفاق التجربة في شعر الأخطل الصغير، وجوهر التفاوت بين المدرسة الأولى والمدرسة الثانية عندما نذكر «الطلاسم» مثلا لأبي ماضي أو «الله والشاعر» لعلي طه، كنموذجين تطبيقيين لتلك العلاقة الزوجية بين الفكر الشعري وبين حقائق الوجود، ومدى ما توفر للتجربة من توازن الأبعاد الموضوعية المختلفة، في مجال انعكاس المد الخارجي على جدران الذات.

وإذا ما نظرنا إلى بشارة الخوري كواحد من شعراء المدرسة الثانية – بالنسبة إلى الشكل التعبيري واتجاهات المضمون الشعري – فإنه يؤكد لنا أصالته كوجه فني لا يعكس ملامح الآخرين.. إنه هنا نسخة غير مكررة، لا تحمل طابع أبي ماضي ولا طابع علي طه، على الرغم من وحدة الخط التجديدي الذي يلتقي على امتداده الشعراء الثلاثة. إن من أهم القيم الفنية لشعرنا المعاصر أن يكون لكل شاعر طعمه الخاص، ولونه المتميز، وطابعه المستقل. إننا بذلك نضمن تنوع الشخصية الشعرية على أساس من تنوع الأداء، حتى لا يستطيع شاعر واحد يمثل مركزية الطابع والاتجاه، أن يلغي من وجودنا الذوقي كل المتفرعين من نقطة البداية، ولقد قلنا يوما على صفحات «الآداب» ونحن نشير إلى الفن الغربي ممثلا في القصة واللوحة والقصيدة، إن النسخة الأصيلة هناك، تبهرنا دائما حيث لا تحدث ظاهرة التكرار والتقليد لشكلية العمل الفني وموضوعيته، مهما اتحد الاتجاه المذهبي عند الكتاب والشعراء والمصورين. جان بول سارتر وألبير كامو بينهما اتجاه وجودي في القصة، وبول ايلوار ولوي أراجون يجمع بينهما اتجاه يساري في الشعر، وبابلو بيكاسو وسلفادور دالي يجمع بينهما اتجاه سريالي في التصوير، ومع ذلك فلن تجد واحداً من هؤلاء – في حدود الاتجاه المذهبي– نسخة مكررة عن الآخر، إنهم جميعاً يمثلون هذه الظاهرة في تاريخ الفن، ونعني بها ظاهرة الاستقلال.

هذه هي صورة الأخطل الصغير كشاعر مجدد، أما حين تلقاه كشاعر كلاسيكي ومن داخل الإطار بضم صورتي شوقي ومطران، فإننا لا نستطيع أن نميز وجهه

الشعري في زحمة الوجوه المتشابهة. ذلك لأن المجرى التعبيري العام لتدفق الطاقة الشعرية عند شعراء المدرسة الأولى، كان يعتمد على كثير من الروافد الجانبية للشعر العربي القديم.. من هنا فقد شعر هذه المدرسة – وهي المدرسة التي اقتطعت جزءاً من الوجود الفني والزمني لبشارة الخوري – جوانب مهمة من مفهوم التنوع الحاسم للشخصية الشعرية، وهو التنوع الذي لا يمكن أن يقوم إلا على أسس ثابتة من الاستعداد والأصالة.

ونعود بعد ذلك إلى مجموعة من نماذج التطبيق، لنكرر القول بأنه شاعر اللوحة وليس شاعر التجربة. إنك في معرض هذا الشاعر الرسام، يواجهك عدد من اللوحات الوصفية.. منها «هند وأمها».. «سلمى الكورانية».. «الصبا والجمال».. «عمر ونعم».. «ندى ووداد».. ونشير إلى هذه اللوحات لأنها تمثل في مجال التعبير بالصور ملامح المدرسة التجديدية، وتقدم إلينا ذلك الطابع الاستقلالي المتميز لواحد من شعراء المدرسة الثانية. ولنقف أمام أول لوحة رسمتها ريشة الأخطل الصغير:

**أتت هند تشكو إلى أمها**
**فسبحان من جمع النيرين**
**فقالت لها إن هذا الضحى**
**أتاني وقبلني قبلتين**
**وفرَّ فلما رآني الدجى**
**حباني من شعره خصلتين**
**وما خاف يا أم بل ضمني**
**وألقى على مبسمي نجمتين**
**وذوّب من لونه سائلا**
**وكحَّلني منه في المقلتين**

وجـئت إلى الـروض عـنـد الـصـبـاح
لأحـــجـب نـــفـــسيَ عن كل عـــين
فـنـــادانيَ الـــروض يـــا روضـــتي
وهـم لـــيـــفـــعل كـــالأولـــيْن
فـــخـــبـــأت وجـــهي ولـــكـــنه
إلى الـــصـــدر يـــا أم مـــد الـــيـــدين
ويـــا دهـشـتي حـين فـتـحت عـيـني
وشـــاهـــدت في الـــصـــدر رمـــانـــتـــين
ومـــا زال بي الـغـصن حـتى انـحـنى
عـــلى قـــدمي ســـاجـــدا ســـجـــدتـــين
وكـــــان عـــــلى رأسه وردتـــــان
فـــقـــدم لي تـــيـــنك الـــوردتـــين
وخِـفت من الـــغـــصن إذ تـــمـــتـــمت
بـــأذنـيَ أوراقه كـــلـــمـــتـــين
فـــرحت إلى الـــبـــحـــر للابـــتـــراد
فـــحـــمّـــلـــني ويـــحه مـــوجـــتـــين
فـــمـــا ســـرت إلا وقـــد ثـــارتـــا
بـــردفيً كـــالـــبـــحـــر رجـــراجـــتـــين
هـــو الـــبـــحـــر يـــا أم كم من فـــتى
غـــريق وكم من فـــتى بـــين بـــين
فـــهـــا أنـــا أشـــكـــو إلـــيك الجـــمـــيع
فـــبـــالـــله يـــا أم مـــاذا تـــرين
فـــقـــالت وقـــد ضـــحـــكت أمـــهـــا
ومـــاست من الـــعُـــجْب في بـــردتـــين

عـــــرفـــــتـــــهمُ واحـــــداً واحـــــداً

وذقت الـــــذي ذقـــــتـه مـــــرتـــــين

في هذه القصيدة صور جزئية تعبر عن مختلف النقلات التخطيطية للريشة الراسمة.. إن الشاعر يرسم لنا لوحة ممتازة، مضمونها إبراز المفاتن الجسدية لفتاة جميلة في دور التكوين. ثم يتيح لنا أن نتابعه وهو ينتقل بريشته من مرحلة إلى مرحلة، وكأنه يقوم بسياحة خارجية لمعالم هذا التكوين الجسدي، من الوجه الأنثوي إلى القدم.. وهو يستخدم الضحى والليل والروض والغصن والبحر، يستخدمها كمجالات خلفية لصورة المرسومة.. ومن الملاحظ أنه لم يلجأ كما هو الحال عند المدرسة الكلاسيكية – إلى التعبير المباشر في التشبيه. لم يلجأ إلى طريقة التجسيم التقليدية ليشبه بياض الوجه بنور الضحى وسواد الشعر بظلام الليل وبريق الأسنان بضوء النجوم، إلى آخر السلسلة من تلك القائمة الرتيبة والمكررة. لقد كانت وسيلته الأولى إلى التجسيم، قائمة على الرمز الإيحائي للصورة المركبة.. صورة الضحى مثلا في موقف التقبيل، والدجى في موقف العناق، والغصن في موقف الهمس والسجود، وما يكمن وراء كل حركة من أمثال هذه الحركات الموقفية، من معنى رامز أو دلالة موحية. أما وسيلته التجسيمية الثانية، فقد ارتكزت على ذلك الجو القصصي الذي غلفت به أجزاء المشهد المعروض، فأكسبتها عنصرا جديدا من ثراء التلوين وديناميةالترابط. ولقد ختم الشاعر مجموعة لمساته الحسية بلمسة نفسية أخيرة في أسفل اللوحة، مضمونها أن غيرة المرأة الجميلة من المرأة الجميلة شعور أصيل من شأنه أن يلغي أمام المنافسة، منطق الاعتراف للطرف المنافس – بقيمه الجمالية... لأن المقارنة في أساسها غير عادلة. وحين نقف وقفة أخرى أمام اللوحة الثانية، يواجهنا في بدايتها نفس الطابع الفني الذي عرفناه في اللوحة السابقة، وهذه هي بداية «سلمى الكورانية»:

تـــعـــجب الـــلـــيل مـــنـــهـــا عـــنـــدمـــا بـــرزت

تـــسـلـــسل الـــنـــور في عـــيـــنـــيـه عـــيـــنـــاهـــا

فـظـنـهـا وهي عـنـد المـاء قـائـمـة
مـنـارة ضـمـهـا الـشـاطي وفـدَّاهـا
وتـمـتـمت نجـمـة في أذن جـارتـهـا
لمـا رأتـهـا وجـنّت عـنـد مـرآهـا:
انـظـرن يـا إخـوتـا هـذي شـقـيـقـتـنـا
فـمن تـراه عـلى الـغـبـراء ألـقـاهـا؟
أتـلك من حـدثت عـنـهـا عـجـائـزنـا
وقُـلن إن مـلـيك الجن يـهـواهـا؟
فـأطـلق المـارد الجـبـار عـاصـفـة
تـغـزو الـنـجـوم فـكـانت من سـبـايـاهـا؟
قـصَّت نجـيـمـتـنـا الحـسـنـاء بـدعـتـهـا
عن نجـمـة الـشط والآذان تـرعـاهـا
وكـان بـالـقـرب مـنـهـا كـوكب غـزل
يـصـغي فـلـمـا رآهـا سـبح الـله
وراح يـقـسم أن لا بـات لـيـلـتـه
إلا عـلى شـفـتـيـهـا لاثـمـاً فـاهـا!

☆☆☆☆☆

يـا مـلـعب الـشط من «أَنْـفـا» أتـعـلم مَن
داست عـلى صـدرك الـبـازيّ رجلاهـا
ويـا نـواتئ من مـوج ومن زبـد
أثـنى عـلـيك وحـسب الـفـخـر نـهـداهـا
والـشط في الـصـيف جـنـات مـفـوّفـة
كم فـاخَـرَ الجـبل الـعـالي وكم بـاهى
إذا أرتك الجـبـال الـغـيـد كـاسـيـة
فـالـشط أذوق مـنـهـا حـين عـرّاهـا!

لو قدمت إلينا هذه اللوحة لسلمى الكورانية وهي غير موقعة أو غير «ممضاة»، أفلا نستطيع أن نضع عليها – دون خوف من الوقوع في الخطأ – توقيع الشاعر، أو إمضاء الأخطل الصغير، إن لهذا العمل الفني قيمته التي لا تنكر من الناحية الشكلية، ناحية الإطار القصصي وما يحتوي عليه من صور إبداعية في التعبير، واستخدام الطاقتين كوسيلة موفقة من وسائل التجسيم.. ولكن كان من المفروض أن يضعنا الشاعر أمام تجربة، أمام تجربة عاطفية عاشتها البطلة كموقف متطور، ومارستها كانفعال حي. وتبعاً لأن المعايشة الخارجية قد اقتصرت على دور التفاعل الحسي مع الحدث، فقد أثر ذلك على حركة النمو الداخلي لتلك اللحظة الزمنية الطويلة، الحافلة بالصراع والتوتر، لتحيل التجربة في النهاية إلى لوحة مجردة... وبدلاً من أن نخرج من موضوعية اللوحة بجوهر المضمون الصراعي لقصة حب مخفق، خرجنا بلمسات سردية سريعة تمثل التخطيط الحدثي لهذا المضمون. ومن خلال رؤية شعرية غائمة، لم نستطع أن نتبين دوافع الانفصال بين سلمى وحبيبها فؤاد، لأن الأبيات التالية تضع المفتاح في ثقب الباب ولا تفتح:

**وراح يقرع باب الرزق مشتملا**
**بعزمة سنّها علم وأمضاها**
**حتى انثنى وعلى أجفانه بلل**
**ودّ الإباء لها لو كان أعماها**
**بكى فؤاد لسلمى والبلاد معاً**
**وأنفسٍ رضيت في الذل مثواها**
**فحمل الموج من أشجانه حمماً**
**وشد يضرب أولاها بأخراها**
**وقال – واليأس يمشي في جوارحه –**
**ديار سلمى على رُغمٍ هجرناها**

إننا ندرك لماذا بكى فؤاد من أجل سلمى، ندرك ذلك بطريقة إيحائية.. معنى أن ينفصل محب عن إنسانة تحبه، معناه بالنسبة إلى هذه الإنسانة شعور بالضياع. في مثل هذه المواقف يحتاج الشعر إلى التركيز ولا يحتاج إلى التفصيل.. ولكن الذي يجب أن يفصل هو لماذا بكى من أجل البلاد. ماذا حدث لهذه البلاد حتى يرغم على هجرها وهجر حبه؟! خضوع وذل؟ ما هي حقيقة هذا الذل وذلك الخضوع.. والصراع الذي دار من داخل البطل كمرحلة رئيسية من مراحل التجربة، كتوتر انفعالي متبادل بينه وبين من يحب؟ كل ما عرفناه بعد ذلك أن «خمسا من السنوات السود قد صبت بلاياها على رأس لبنان»، وأن حب سلمى ما يزال حيا يقتات على الذكريات.. وهكذا نجد أنفسنا أمام لوحة قصصية يغلب فيها جانب التسجيل على جانب التحليل، لأن عملية المراقبة تتم من الخارج!

وتستمر جولتنا في معرض الصور حتى نقف مرة ثالثة أمام هذه اللوحة لعمر بن أبي ربيعة. اللوحة الأولى جمعت بين هند وأمها، واللوحة الثانية جمعت بين سلمى وفؤاد، واللوحة الثالثة جمعت بين عمر ونعم... هذه الازدواجية الصانعة لنوع من المقابلة بين طرفين، قيمتها في الشعر الوصفي أنها تنقذ اللوحة المرسومة من التسطح وتجعلها لوحة ذات أبعاد.. منها بعد الحركة، وبعد التجسيم، وبعد الخلفية المجالية ولابد من الإشارة إلى أن الحركة في لوحة «عمر ونعم» تختلف في نوعيتها عنها في اللوحتين السابقتين.. الحركة هناك ناتجة عن تدرج الأحداث وانبثاق المواقف، سواء أكان ذلك في منطقة الرؤية التخيلية أو منطقة الواقع المحس، ولكن الحركة هنا ناتجة عن تحويل المجرى التعبيري نفسه من منعطف موضوعي إلى آخر، أشبه بحركة الكاميرا المتنقلة من زاوية إلى زاوية:

**أخـــاك يـــا شـــعـــر فـــهـــذا عـــمـــر**

**وهـــــذه نُـــــعْمٌ وتـــــلك الـــــذكـــــرُ**

لـــوحـــان من فـــجـــر الـــصـــبـــا ووردة
غـــذّاهـــمـــا قـــلـب وروّى مـــحـــجـــر
فـــرخـــان في وكـــر تـلاقى جـــانـح
وجـــانـح ومـــنـــقـــرٌ ومـــنـــقـــر
يـخـتـلس الـقـبـلـة من مـبـسـمـهـا
هل تـعـرف الـعـصـفـور كـيف يـنـقـر؟
وهـــو إذا أمـــعن في ارتـــشـــافـــهـــا
عـــلَّـــمـــنـــا كـــيف يـــذوب الـــســـكـــر
رســـالـــة من فـــمـه لـــفـــمـــهـــا
كـــذا رســـالات الـــهـــوى تـــخـــتـــصـــر!

الموضوع الشعري في هذه الأبيات، يمثل نقطة البدء الانطلاقية لمجرى التعبير.. ونشعر أن الحركة تنساب فوق أرضية مبطنة بأحلام التصور إنها لوحة جزئية ممهدة ، يلعب فيها الحلم الشعري دور التحضير لواقع حسي مغيب. الشاعر هنا يحلم بالرؤية.. الرؤية المجسدة التي يمكن أن يتصور من خلالها حسية العلاقة بين نعم وعمر، على مدار هذه التوزيعات المشهدية.

وفي المقطوعة التالية، يتحول المجرى التعبيري الى منعطف جديد.. ينتقل من غيب التهويم الى حضور المواجهة، وبعد أن كانت حركة التعبير مصبوبة في قالب الحديث عن عمر، غير الشاعر من اتجاهها لتصب في قالب الحديث الى عمر:

قل لي بـــنـــعم وبـــأتـــراب لـــهـــا
يـــلـــعـــبن مـــا شـــاء الـــصـــبـــا والأشـــرُ
لـــيـــلـــة ذي دَوْران هل كـــانت كـــمـــا
حـــــدثت أم أخـــيـــلـــة وصـــور؟

ونُـــعْمٌ هل كـــانت كـــمـــا صـــوَّرتَ أم
بـــالغ في تـــلـــويـــنـــهـــا المـــصـــور؟
يـــا لـــلـــمـــنى أعن يمـــينٍ كـــاعبٌ
وعن شـــمـــال كـــاعبٌ ومُـــعـــصـــر
فـــمن هـــنـــا حـــيث تـــنـــدّى الـــزهـــر
ومن هـــنـــا حـــيث تـــدلّى الـــثـــمـــر
وأنت لا تـــألـــو دعـــابـــاً في الـــهـــوى
شم وتـــقـــبـــيل وأشـــيـــا أُخـــرُ!

ويتغير الاتجاه مرة أخرى ـ في معركة صاعدة ـ من البعد المكاني للذكريات، الى تلك الشرفة البعيدة التي تتحول الى ساحة عرض صغيرة، لبعض جوانب الشخصية النسائية المسهمة في ازدواجية الصورة.. ويلاحظ أن اتجاه الشاعر الأساسي إلى عملية التصوير من الخارج، هو الذي يدفعه غالبا إلى أن ينظر الى المرأة من زاوية التكوين الجمالي للوجه والجسد، حيث لا يظفر التكوين النفسي بما يحتاج إليه من سياحة داخلية:

قـــالـــوا الحـــجـــاز مـــجـــدب لمـــا عـــمـــوا
ونـــــعـــمُ فـــــيـــه روضـــــة ونَـــــهَـــــر
إن زقَّت الـــعـــود انـــاشـــيـــد الـــهـــوى
حنَّ لـــهـــا الـــعـــود وجنَّ الـــوتـــر
أو صـــفّـــقت لـــلـــهـــو في أتـــرابـــهـــا
مـــاج لـــهـــا الـــوادي وغـــنى الـــشـــجـــر
الحب مـــذبـــوح عـــلى أقـــدامـــهـــا
والحـــسن في ألحـــاظـــهـــا يُـــكـــبِّـــر

تـعـرت الـشـمس عـلى وجـنـتـهـا
وانـشق ـ لـو تـعـلم أين ـ الـقـمـر
الـعـنب الأحـمـر مـسـفـوح عـلى
شـفـتـهـا، مـا الأقـحـوان الأصـفـر؟
والـوردة الـبـيـضـاء أو قل نـهـدهـا
كـأنه من خـيلاء يـسـكـر!

هذه النظرة الى المرأة كتكوين جمالي، مقبولة في الشعر إذا ما كانت انبثاقاً تجريديا لتجربة حسية بحتة ومقبولة نسبيا في «عمر ونعم»،وغير مقبولة على الإطلاق في «ندى ووداد».. ذلك لأن التجربة هنا عاطفية تحتل مكان القمة من مرتفع العلاقة الإنسانية. إنها تجربة الشعور المتبادل بين عاطفة الأبوة وعاطفة البنوة، تجربة الوجود الإنساني الذي يلغى فيه معنى الإحساس بالعدم، حين يتحقق له امتداده الحياتي المتصل الحلقات بحركة الزمن الدائبة.. إننا لا نكاد نرى «وداد» ابنة الشاعر وهي في العشرين، إلا من خلال رؤيته البصرية:

يـا قـطـعـة من كـبـدي
فـداك يـومـي وغـدي
وداد يـا أنـشـودتـي الـ
ـبـكـر ويـا شـعـري الـنـدي
يـا قـامـة من قـصب الـسـكْ
كَـر رخـص الـعُـقَـد
حـلاوة مـهـمـا يـزد
يـوم عـلـيـهـا تـزد
تـوقَّـدي في خـاطـري
وصـفّـقـي وغـردي

تـــســـــتـــــيـــــقظ الاحـلام في
نـــفـــسي وتـــســـقـــيـــهـــا يـــدي



عـــشـــــرون قل لـــــلـــــدهـــــر لا
تـــبـــرح ولـــلـــدهـــر اجـــمـــد
عـــشـــرون... يـــا ريـــحـــانـــة
فـي أنمُـــــلـــيْ مـــــبـــــدد
عـــشـــرون... هـــلِّلْ يـــا ربـــيـ
ـع لـــلـــصـــبـــا وعـــيِّـــد
وبـــشِّـــر الـــزهـــر بـــأخـ
ـت الـــزهـــر واطـــرب وانـــشـــد
وانـــقل الـى الـــفـــرقـــد مـــا
نمـــنـــمـــتُه عن فـــرقـــدي

الرؤية البصرية ـ في هذه الأبيات ـ هي الغالبة، والمسيطرة، وعبر هذه الرؤية تلوح لنا «وداد» وهي مجموعة من صور التكوين الجمالي: أنشودة وشعر، قامة من قصب السكر، حلاوة زائدة، ريحانة عبقة، زهرة يانعة.. وهلل يا ربيع واجمد يا دهر ولا تبرحي يا شمس! الشاعر الأب يسجل أكثر مما يحلل.. ولو حدث العكس، لاستحالت اللوحة على امتداد الرؤية النفسية الى تجربة.. تجربة تتفتت فيها تلك اللحظة الزمنية المفجرة لطاقة الانفعال، الى جزئيات متغيرة ونامية. هذه اللحظة التي تعتبر مركز التفجير الانفعالي هي تلك التي دار حولها الشاعر بمجموعة من اللفتات الذهنية.. لحظة الإحساس بالوصول الزمني للابنة الى سن العشرين. وإذا ما أردنا أن نفتت تلك اللحظة الى جزئيات، أعني الى لحظات فرعية ومتولدة، فمن المحتم علينا ـ ونحن نأخذ مكان الشاعر ـ ان نعيش في قلب اللحظة، لنراقب نموها من الداخل. عندئذٍ تبدو لنا

هذه اللحظات الجزئية الوليدة، وهي أشبه بانعكاسات الأشعة المنطلقة من مركز الضوء، الى كل اتجاه.. لقد كانت اللحظة الزمنية ـ لحظة سن العشرين ـ هي مركز الانطلاق لأشعة الفكر الشعري بالنسبة الى تجربة الشاعر. انطلاقة الى الماضي وأخرى الى الحاضر وثالثة الى المستقبل، وتلك هي الاتجاهات النفسية التي يمكن أن تلتقي بعد ذلك في نقطة تجمع فكرية، أساسها ارتباط الأزمنة الثلاثة في الوجود الداخلي للطرفين المتقابلين، لنحقق فكرة الشعور بذلك الامتداد الحياتي المتصل الحلقات بحركة الزمن.

وما نقوله هنا نقوله عن لوحة «ندى» وهي في الخامسة.. إنها ـ في منظار الشاعر ـ بسمة الورد، وهمسة الطهر، وشعلة الحب، ووشاح الجمال، وأخت الفراشات، ولكن الأخطل الصغير يهزنا بعنف في ختام المقطوعة الأخيرة، يهزنا لأنه قد أعطانا على الأقل «خلاصة» التجربة.. أعطانا مرحلة التبلور النهائي لوقع اللحظة الزمنية ـ لحظة سن الخامسة ـ على وجوده الداخلي كإنسان. هذا الوقع مجسم بانفعال صادق ومركز، في الأبيات الثلاثة النهائية من هذه المقطوعة.

**نـــــداي من ســـــلـــــسل الخـــــمـــــر**
**في الـــــثـــــنـــــايـــــا الـــــعـــــذاب؟**
**من صـــــفـــف الـــــشـــــعـــــر فـــــوق**
**الجـــــبـــــين ســـــطـــــر كـــــتـــــاب؟**
**رددت لـي بـــــعـــــد يـــــأسي**
**حـــــلـم الـــــهـــــوى والـــــشـــــبـــــاب**
**من انتِ؟!**
**الـــــلـــــه الـــــلـــــه لـمـــــا**
**عـــــضت عـــــلـى الـــــعـــــنّـــــاب**
**وصـــــفـــــقت بـــــيـــــديـــــهـــــا**
**وغـــــمـــــغـــــمت بـــــالجـــــواب**

سل الـــــريـــــاحـــــين عـــــنـي

وسل حـــــنـــــين الـــــربـــــاب!

بقدر ما كانت «ندى» ـ في بداية العمل الشعري ـ انعكاساً لتكوين جمالي عبر رؤية البصر والتخيل أصبحت – في نهاية هذا العمل – وهي انعكاس لتكوين وجودي عبر رؤية الشعور والفكر.. اللحظة التي تعض فيها الطفلة على الشفتين، وتصفق باليدين، وتغمغم بالكلمات، معناها بالنسبة الى الأب، أن وجوده الإنساني قد بدأ ـ بصورة منطقية ـ من نقطة البدء الحقيقي لهذا الكيان الطفولي الذي ينتسب إليه.. إنها عملية إثبات للوجود، وظاهرة امتداد، ونفي للعدم. وكل هذا نستطيع أن نستشفه من خلاصة التجربة أو من مرحلتها النهائية، وهو في الوقت نفسه يؤكد لنا مدى الخسارة التي يمكن أن تلحق بالشعر، إذا لم تكتمل لتجاربه كل المراحل الزمنية لارتباط الفكر بالحياة.

وليس معنى ذلك أن شعر بشارة الخوري يخلو من التجربة.. تجربته الذاتية أو تجارب الآخرين. ولكن المشكلة هي طغيان اللوحة واحتلالها أكبر حيز من الموضوع الشعري، مما ينتج عنه أن ينكمش مضمون التجربة، فيصبح وهو تفريجة نفسية في مرحلة العبور الفكري للحظة زمنية، يقتضي الوصول إليها أن نسلك الكثير من المنحنيات. وإذا عثرنا عنده على تجربة لا تطغى عليها اللوحة، واجهتنا مشكلة الأداء التكنيكي الذي يعرضها من خلال تصميم بنائي مترابط، تبدو فيه مراحل التجربة وهي وحدة عضوية متناسقة. ومن نماذج التطبيق التي يمكن أن تجسم لنا هذه المشكلة، تجربته المعاشة عن طريق «الذات» في قصيدته «الى امرأة»، وتجربته المعاشة عن طريق «الآخر» في قصيدته «رب قل للجوع». النموذج الثاني مثلا يقدم لنا تجربة فتاة شريفة، مات أبواها ولم يتركا لها غير ثروة ضخمة من الجمال تعادلها في الضخامة ثروة من الفقر.. وموطن التجربة لبنان وأرضيتها الزمنية أيام الحرب. وتنتهي مراحل الصراع بين الجمال الشريف وبين ذل الحاجة، الى أن تغامر الفتاة بذهابها الى قصر الحاكم ـ مخدوعة بكلمات قوادة عجوز ـ

لتلتمس لنفسها ولأخيها الصغير، ما يعينهما على الصمود في معركة الجوع. وهناك ـ داخل حجرة مغلقة ـ أعطت الفتاة قبل أن تأخذ.. أعطت شرفها وهي مرغمة!

لو اكتسب الأداء التكنيكي شيئا من النضج في هذه القصيدة، لأتاح لمراحل التجربة أن تكون خيوطا حية لنسيج عضوي موحد. فبدلا من أن يهيئ الشاعر لهذه المراحل أن تتتابع ـ في خط سير نموها الاطرادي ـ دون حركة انفصال معوقة، رأيناه يقطع خط السير في بعض المواضيع ليفسر موقفا أو يعلق على حدث.. ومن الطبيعي أن ينتج عن هذا التدخل المتكرر أن تظهر الفجوات في البناء العضوي للتجربة، لتحول بين خيوطها الناسجة وبين وحدة التماسك، وإذا عدنا الى نموذجه الشعري الأول بما فيه من تجربة ذاتية، لمسنا اختلافا جوهريا في ما يتصل بالأداء التكنيكي المناسب.. فبقدر ما نشاهد هناك من انفصال بين اللحظات الزمنية الرامزة الى مراحل التجربة، نشاهد هنا ـ في قصيدة «الى امرأة» ـ من الإسراف في الترابط، مظهرا من مظاهر الضغط الذي يصيب الأبعاد التحليلية لكل مرحلة، بشيء من التقلص والضمور.. وتتراءى لنا ـ تبعا لذلك ـ كل المراحل وهي مجموعة من المفاتيح، اكثر مما تتراءى لنا وهي مجموعة من الغرف المفتوحة:

**ماذا؟ أحقاً كنت بي تهزئين**
**وكنت في حبك لي تكذبين**
**لم تخدعيني مطلقا إنما**
**نفسك يا هذي التي تخدعين**
**منعت حبي عنك لكنما**
**منحت عفوي شيمة الأكرمين**

**مهلاً فمصباحك لم يأتلق**
**إلا بما من شعلتي تقبسين**
**مهلا فإني مثل ذاك الذي**
**في عرس قانا أدهش العالمين**

صـــيّـــرت خـــمـــراً آسن المـــاء في
نـــفـــسك: خـــمـــراً يـــنـــعش الـــشـــاربـــين
ولـــيـــمـــة كـــانت لـــنـــا في الـــهـــوى
أكـــثـــرت فـــيـــهـــا عـــدد المـــعـــجـــبـــين

هل كـــنت في أبـــهى لـــيـــالي الـــهـــوى
أيـــام كـــنت فـــتـــنـــة الـــنـــاظـــرين
هـل كـــــنت إذ ذاك ســـــوى آلـــــة
ألحـــانـــهـــا مـــني ومـــنـــهـــا الـــرنـــين
أنـــشـــــدت أحلامي عـــــلى فـــــارغ
من خـــشب الـــقـــلب الـــذي تحـــمـــلـــين
كـــالـــنـــغم الـــرنـــان في آلـــة
فـــارغـــة تحت يـــد الـــضـــاربـــين

الأبعاد التحليلية في هذه المراحل الثلاث من مراحل التجربة، مضغوطة الى درجة الاختزال.. وما دام الشاعر قد وضعنا أمام تجربة «بجماليونية»، تتحول فيها المرأة «التمثال» الى امرأة «حية»، يتدفق في كيانها الرخامي ـ بفضل لمسات الفنان ـ كل معاني النبض والحركة، فقد كنا ننتظر من بجماليون الشاعر أن يحدثنا ـ بشيء من التفصيل ـ عن دوره الإحيائي للرخام البارد، وكيف تنكر له الرخام الحي، حتى قرر في النهاية أن يقف من تمثاله هذا الموقف الذي يشبه التحطيم:

والآن ســـيـــري في الـــطـــريق الـــذي
شـــئت فـــلـــي أيـــضـــا طـــريق أمـــين
ســـيـــري ولا تـــنـــسي بـــأن تـــســـتـــري
إن كـــنت تـــســـتـــحـــين، ذاك الجـــبـــين

مـــأدبـــة أفـــرغتُ كـــأسي بـــهـــا
وقـــمتُ عـــنـــهـــا لا كـــمـــا تـــزعـــمـــين
فـــفـــضـــلـــة الـــكـــأس الـــتي عـــفـــتـــهـــا
تـــركـــتـــهـــا لـــلـــخـــدم الـــســـاقـــطـــين

ما الذي نريد أن ننتهي إليه من وراء هذه الجولة النقدية الدارسة؟ هو ما قررناه في البداية من أن بشارة الخوري ـ من خلال هذه النماذج وكواحد من شعراء المدرسة الثانية ـ وجه فني أصيل ومتميز، لا يمكن أن تخطئه العين الفاحصة.. هو على هذه الصورة بالرغم من كونه شاعر اللوحة وليس شاعر التجربة. ويتضح من هذه الدراسة أنه يعيش تجاربه، ولكنه يعيشها بطريقته الخاصة التي تكسب لوحاته أولوية التفوق من الناحية الفنية، تبعا لاكتمال الموهبة عند الشاعر الرسام أكثر من اكتمالها عند الشاعر المفكر.. وإذا كان هنا جانب النقص فهناك جانب التعويض.. وفي ميدان الإضافة الى هذا الجانب الأخير، أنه واحد من الأساتذة القلائل في شعرنا المعاصر، بالنسبة الى ارتفاع المستوى التركيبي للجملة الشعرية.

أما حين نسلط عليه الضوء كواحد من شعراء المدرسة الأولى ـ وعلى مدار شعر الترديد والتقليد ـ فإننا لا نستطيع أن نحدد قسمات وجهه الشعري في غمرة الزحام.. إن وجهه يختلط أحيانا بوجه شوقي، ويختلط بوجه مطران، ويختلط بوجوه أخرى في شعرنا العربي القديم. ونفس الظاهرة تنسحب على كل شعراء تلك المدرسة ولا تقتصر على الأخطل الصغير:

عـش أنـت إنـي مـت بـــــــعـــــــدكْ
وأطـل الـى مـــــا شـــــئـت صـــــدَّكْ
مـــا كـــان ضـــرك لـــو عـــدلت أمـــا
رأت عـــــيـــــنـــــاك قـــــدّك
وجـــعـــلت من جـــفـــنـيَّ مـــتـــكـــأً
ومـن عـــــيـــــنـيّ مـــــهـــــدك

أي شيء هنا يميز بشارة الخوري من ناحية الشكل والمضمون؟ إننا نواجه شعر «الاكليشيهات» اللفظية التي تحمل طابع النسخة المكررة، ومن وراء هذا المطلع التقليدي للقصيدة، نستطيع أن نلمح وجه البهاء زهير.. الشاعر المصري القديم وهو يقول:

**تـــــعـــــيش أنت وتـــــبـــــقى**
**أنـــــا الـــــذي مت حـــــقـــــا**

هذا الموت «الرومانتيكي» كان بعداً رئيسيا من الأبعاد الموضوعية لشعر الغزل عند شعراء المدرسة الأولى، وهو مظهر من مظاهر التبعية لقافلة الغناء العربي المتوارث، حيث تتفرع من نقطة البداية ـ في إيقاع رتيب كل أنغام الحداء المتشابهة.. وبشارة الخوري – كواحد من هؤلاء الحداة – يتغنى مرة أخرى برومانتيكية الموت، ليذكر بقصيدة «أزوار بيت الله» للعباس بن الأحنف:

**بـــلـــغـــوهـــا إذا أتـــيـــتم حـــمـــاهـــا**
**أنـــــنـــي متُّ في الـــــغـــــرام فـــــداهـــــا**
**واذكـــــروني لـــــهـــــا بـــــكل جـــــمـــــيل**
**فـــعـــســـاهـــا تـــبـــكي عـــلـــيّ عـــســـاهـــا**
**واصـــحـــبـــوهـــا لـــتـــربـــتي فـــعـــظـــامي**
**تـــشـــتـــهي أن تـــدوســـهـــا قـــدمـــاهـــا**

ويبقى بعد هذا كله بشارة الخوري من الناحية الاتجاهية من ناحية الحكم عليه كشاعر صاحب موقف من قضايا مجتمعه الذي يعيش فيه. إن الشاعر كفنان – في مجال العرض والتقييم – لا يمكن أن يفصله عن الشاعر كملتزم وكمرتبط بمشكلات الجموع بصورة أخلاقية في نفس المجال نجد تجاوباً واضحاً وتعاطفاً اصيلا بين الكيان النفسي للشاعر وبين الكيان القومي للبنان ككيان محلي لوجوده الذاتي المحدد وكوطن عربي لوجوده الإنساني الكبير. ولك أن تلقاه في «وكر النسور».. وفي ختام «سلمى الكورانية» وفي «نحن والموت»، وفي «غنيت للشرق الجريح» وفي «لبنان عيد ما

أرى» وفي «غصة السراب» وفي «ليالي الجهاد» وفي «ثورة من دمنا» وفي «يا أمة، غدت الذئاب».. وأخيراً في «بني وطني» و«صدى القبلات»:

**بـــني وطـــني والحـــادثـــات غـــنـــيـــمـــة**
**فـــمـــالي أرى هـــذي الـــعـــيـــون غـــوافـــيـــا**
**ألا فـانـهـضـوا نـبـني الحـصـون مـوانـعاً**
**ونـعـلـي عـلـى مـر الـعـصـور المـبـانـيـا**
**ونـــرسي عـــلـى أسِّ الـــعـــلـــوم مـــدارســـا**
**تـــوحـــد أمـــيـــال الـــبـــنـــين الجـــوافـــيـــا**
**ونـــرفع في هـــذي الـــبلاد مـــصـــانـــعـــا**
**تـــضمّ إلـــيـــهـــا الـــعـــاملات الأيـــاديـــا**
**ونـكـشف عن هـذي الـسـمـاء غـيـومـهـا**
**فـــنـــبـــصـــر وجه الأفق أزهـــر صـــافـــيـــا**
**فـــيـــا لك أحلامـــا إذا مـــا تحـــقـــقت**
**رضـــيت حـــيـــاتي أن تـــكـــون ثـــوانـــيـــا**

هنا شاعر اليوم والغد شاعر الحاضر المشهود وشاعر التطلع إلى المستقبل والخطاب موجه إلى وطنه العربي الكبير، وآماله المستقبلية تحلق في أفق التسليح والتثقيف كوليد شرعي لوعي الرؤية العقلية البعيدة إنها تجربة أحلام أمسية معاشة، وهي تعاش اليوم ، كتجربة واقع يومي محقق، ولاحاجة للشاعر – في تعليل أمنية الأمس – إلى أن يكون الثمن المقابل هو التضحية بالحياة، وعلى امتداد التجاوب والتعاطف في كل بقعة من بقاع العروبة تلوح له الأرض العربية المقدسة للوطن السليب:

**يـــا جـــهـــاداً صـــفق المجـــد له**
**لـــبس الـــغـــار عـــلـــيه الأرجـــوانـــا**
**شـــرف بـــاهت فـــلـــســـطـــين به**
**وبـــنـــاء لـــلـــمـــعـــالي لا يـــدانى**

إن جـــرحـــاً ســـال من جـــبـــهـــتـــهـــا
لـــثـــمـــته بـــخـــشـــوع شـــفـــتـــانـــا
وأنـــيـــنـــاً بـــاحت الـــنـــجـــوى به
عـــربـــيـــاً رشـــفـــته مـــقـــلـــتـــانـــا
نـــحن يـــا أخت عـــلى الـــعـــهـــد الـــذي
قـــد رضـــعـــنـــاه من المـــهـــد كلانـــا
يـــثـــرب والـــقـــدس مـــنـــذ احـــتـــلـــمـــا
كـــعـــبـــتـــانـــا وهـــوى الـــعـــرب هـــوانـــا
قم إلى الأبـــطـــال نـــلـــمس جـــرحـــهم
لمـــســـةً تـــســـبح بـــالـــطـــيب يـــدانـــا
قم نجع يـــومـــاً من الـــعـــمـــر لـــهم
هـــبْهُ صـــوم الـــفـــصح هـــبه رمـــضـــانـــا
إنمـــــا الحق الـــــذي مـــــاتـــــوا له
حـــقـــنـــا نمـــشي إلـــيه حـــيث كـــانـــا

في هذين النموذجين يعيش الأخطل الصغير تجربة الجموع العربية في وطن بلا حدود... والشعور بالقومية في النموذج الأخير هو مركز التجربة وقلبها النابض، حين يلتقي معنى الجوع الديني المشترك من أجل فلسطين في وجدان الشاعر، بمفهوم وحدة الأرض واللغة والتاريخ والتقاليد. أما تجربة الجموع العربية في الوطن الذي وضع نقطة البداية لوجوده الإنساني، لبنان، فهي هنا مجسمة في هذه الزفرة التي أطلقها بشارة الخوري في يوم له تاريخ.. وما أكثر أيام وطنه التي أذاقته طعم الغناء والبكاء.

لـــبـــنـــان عـــيـــد مـــا أرى أم مـــأتم
لـــلـــه أنت وجـــرحك المـــتـــبـــسم
عـــصـــروا دمـــوعك وهي جـــمـــر لاذع
يـــتـــنـــورون بـــهـــا وصـــبـــحك مـــظـــلم

قل لـــلـــرئـــيس إذا أتـــيت نـــعـــيـــمه
إن يـــشقَ رهـــطك فـــالـــنـــعـــيم جـــهـــنم
أيـــطـــوّف الـــســـاقي هـــنـــا بـــكـــؤوسه
ويـــزمـــجـــر الجـــابي هـــنـــاك ويـــرزم
تـــعـــرى الـــصـــدور هـــنـــا عـــلى قُـــبل الـــهـــوى
وهـــنـــاك عـــاريـــة تـــنـــوح وتـــلـــطم
والـــكـــهـــربـــاء هـــنـــا تـــشع شـــمـــوســـهـــا
وســـــراج أكـــثـــر من هـــنـــاك الأنجم

وهو بعد ذلك شاعر الدعوة إلى العمل.. شاعر الدعوة إلى الحياة، والحياة من وراء منظاره سلوك جاد وأيدٍ خشنة وسعي متصل وميدان للتضحية:

نشء لـــبـــنـــان هـــذه رايـــة الأرز
فـــإمـــا الـــفـــداء بـــالـــنـــفس أو لا
قم نـــخـــشّن مـــنـــا الـــيـــدين فلا
نـــحـــصـــد حـــقلاً إلا ونـــزرع حـــقلا
الأكفّ الـــلـــدان من شـــغف الـــغـــيـــد
فـــحـــدد مـــنـــهن لـــلـــحق نـــصلا
شـــقـــيتْ أمـــة إذا المجـــد نـــاداهـــا
تـــلـــوَّتْ عـــلى الأسِّـــرة كـــســـلى

هذا هو الأخطل الصغير بناحيتيه الفنية والالتزامية.. كصاحب طابع شعري متميز، وكصاحب موقف اتجاهي واضح المعالم. وحسبنا هذه النماذج من شعره لتتحدث عنه وتشير إليه.

**أنـور المعـداوي**

****

# هكذا أرى الأخطل الصغير

**يوسف يونس**

شباب ولا هوى، لبيت مهجور، يعصف فيه الهواء!..

وهوى ولا شباب، لقلب يرقص على نبضاته، كأنه الطائر المذبوح!..

أما الأمل المنشود، الأمل الذي يفجر الشرارات المتوهجة، فهو الذي حوّل عصف الهواء هينمة ونبضان القلب موسيقى، فيولد الشعر!..

وإنا لفي موسم من مواسم الشعر. بل في مهرجان الهينمة والنبضان. في نهاية الهجعة وبداية اليقظة. في موكب الهوى والشباب، في إشعاع الأمل المنشود!..

والأمل المنشود في الفرد، غيره في الأمة، فإذا كان الفرد رجلاً ينشد واسطة لغاية، وينشد غاية لبلوغ ذروة، فإن الأمة تنشد عنواناً لمستواها فتنشد الرجل!.. والرجل في الأمة ما كان يوما مفقودا، ولا نادرا. وإنما هو مجهول في جهل الباحثين عنه، يوم كانوا ينيرون مصابيحهم في وهج الشمس ليلفتوا الناس الى فلسفة الهجوع!..

إن فلسفة الهجوع كانت عجزا، واستمرارا في الخمول، أما اليوم فإن زمن البحث عن الرجال، بمصباح «ديوجين» توارى، وتبدد، وأصبحنا في زمن البحث عن عوالم الآفاق.

لقد بدا العلم حيث انتهى الشعر. ويوم وصل إنسان الصاروخ الى مستوى الانحدار والالتواء، المتحررين من فوق وتحت أعلن البث الصاروخي،

■ الورود، حزيران ١٩٦١، السنة ١٤ ، ج١٠ ، ص١٥.

أن وميض خيال الشاعر مشرق على «المستوى» العصي، وما برحت آثار القوافي متناثرة على جانبي الطريق!.

لقد كان «البث» عجيبا. لا لأن الأرض اتصلت بالعلاء، ولا لأن الإنسان ارتفع ليشق طريقا الى القمر، بل لأن الشاعر هو الذي حدد الآفاق، وهو الذي رسم الطريق الى الأجرام المنورة!...

ترى من هو الشاعر؟. ليت سؤالي ظل فكرا عابرا. إذن لأعطيت الجواب كأنني أداعب. أما وسؤالي كلمة كتبت لتقرأ. فإني لأخشى مغبة الدعاب، لأن أشعر الشعراء في عصر الوصول الى القمر، وهو من كانت قوافيه مسدسات في أوساط رجاله!...

أراني أهذي. وإلا ما الصلة التي تربط الشعر بالمسدس!

ألم أقل إنني أهذي؟!.. ومع ذلك، ألسنا في عصر يسمى فيه الهذيان شعرا؟.

لقد طالما شكرت الله لأنه لم يخلقني شاعرا. ومع ذلك فإني أحب الشاعر، لأنني أحب نفسي!

وإني أعود فأسأل: ترى من هو الشاعر؟ الجواب ليس سهلا اليوم، لأن الشعراء يصغون مثلنا الى البث الصاروخي، وكلهم يظن أن قوافيه هي التي وجدت متناثرة على جانبي طريق القمر!..

ولكن، الجواب لا بد منه، ولعله يكون كما أحسه!..

الشاعر. وهو من يولد في نفسي إحساسا جديدا، فأرى كل شيء جديدا.

هو من يجعل الأقطار جمعاء، قطرا واحدا، فيكون قلبا واحدا في كل صدر!..

هو المنفحة والمجمرة معا، ففي الأولى ضوع أزهار يتنشقه الهانئون، وفي الثانية، شواء قلوب يشمه الأشقياء!..

هو القائل ما لا يستطيع الناس قوله، والسامع ما تسد دون سماعه الآذان!

هو روح الأمة، في مهزة الفخر، وانحناءة الذل. فإن غنى تسابقت البلابل الى الأفنان. وإن بكى حامت الغربان فوق المقابر!..

هو الإباء المصفّى، في معتكر الفاقة، بل هو القائل:

**ليس يرضى لي السؤال**
**حيائي ومحتدي**
**نفس حر شعارها**
**الردى خير مورد**
**فأخي في خصاصتي**
**كالجنيب المعبّد**
**ومع اليسر من نأى**
**كأخي منذ مولدي**
**هكذا منذ نشأتي**
**غير ذا لم أعوَّد!..**

هذا هو الشاعر، هذا أحد الذين وجدت آثار قوافيهم على جانبي طريق القمر، وما برح القمر صديق الأخطل الصغير. وقد تشاكيا وما بكيا وتصاحبا، وما تعاتبا. أما القمر فتنتهي استدارته كل شهر ليولد قلامة ظفر، وأما الأخطل، فتتجدد عظمته كل ساعة ليظل عنوان أمته!.

**يوسف يونس**

****

ابـــــــــيـض

# حملنا إلى القمة

**رياض طـــه**
نقيب الصحافة اللبنانية

يا أبا عبدالله،

إن يومك هذا لخالد خلود يوم مولدك!

وقد شاء لنا حسن الطالع أن نقف هذه اللحظات، في حرم التاريخ،

نطلّ معك على الدهر الذي سيكون من رواة قصائدك،

وعلى الأجيال التي ستتناقل شعرك جيلا بعد جيل...

والصحافة التي افتقدتك نقيبا وعميدا:

لن تنسى أنك كنت من روّادها،

وأنك خضت معارك حريّاتها وجهادها،

لقد شرّدك الطغيان الذي اغتال رفاقك الشهداء،

لكنك واصلت نضالك بشجاعة وصلابة!

وها نحن إذ نودعك الآن:

نشعر بالأسى بقدر ما نشعر بالاعتزاز،

فقد حملتنا الى القمة،

وجعلتنا أهل الفخر في هذه الدنيا!

****

■ قيلت في تأبين الشاعر إثر وفاته.

# حامل الصولجان

**سعيد عقل**

وتمر ببالي حياة الأخطل الصغير...

من، إلى سنوات، تنادينا من كل الأقطار

نكرّمه ونواليه

ولجبينه نضفر إكليل الإمارة!

كان أجمل قلب، ولبنان أجمل قلب.

كان السيف بين السيوف، له الفتكة الأولى عنها لا يتنازل!

ودّعه لبنان وداع الملوك:

فهو حامل الصولجان باسم لبنان!

قلم الأخطل الصغير، من شراراته الشمس التي

لا تغيب.

أمس، على قلم الأخطل الصغير – لأول مرة –

غابت الشمس!

إن كان الشعر إباء: فالشعر اليوم في حداد.

****

■ قيلت في تأبين الشاعر إثر وفاته.

# منذ الحرب الأولى

**الدكتور فؤاد صروف**

(النهار)

أثر شعر الأخطل الصغير عندما أقرأه هو أثر مستمر في نفسي،

لأني ما زلت أتابع

قراءة هذا الشعر منذ أن كنت طالبا

في الجامعة أيام الحرب العالمية الأولى

والآن، عندما يستبد بي تعب أو عسر ما،

فإنني أخرج هذا الديوان من

بين كتبي وأترنح بتلاوة قصائده

الأثيرة عندي: فيعاودني نوع من

الراحة الفكرية والنفسية، تتجدد معه

همتي فأعود إلى عملي وكأنني

إنسان جديد.

****

■ قيلت في تأبين الشاعر إثر وفاته.

# أغنية جميلة

**الياس الديري**
(النهار)

الأخطل الصغير، بالنسبة اليّ، أغنية جميلة

تثير في جمهورها لذة الإصغاء والطرب.

أغنية تسمعها وتحب أن تظل تسمعها

وتنفعل بها...

أثر الأخطل، في النفس، عاصف يدهمها

كالإعصار...

الشاعر كالأرض، كالوطن تنتمي إليه الأجيال وتتحد به.

الشاعر قضية لا زمان لها

ولا حدود!

****

# صفحة حلا...

**عصام كرم**

غاب عن لبنان كبير من كباره،

وعظيم من عظمائه،

وشاعر هو في قمة شعرائه!

رحل الأخطل الصغير...

رحل بعدما أعطى العرب أحلى أشعارهم

وأجمل القوافي.

لقد طويت صفحة من صفحات الحلا،

وتاريخ وطن،

وقافية مودات...

****

■ **قيلت في تأبين الشاعر إثر وفاته.**

# الأخطل الصغير

**الأب طانيوس منعم**

أن يكرم لبنان الأخطل الصغير

ذلك بعض حقه عليه

فشاعر لبنان الكبير

قيمة من شعر

على قيمة من تراث



نغم ينساب، في صفاء، عبر أناقة اللفظ، ورشاقة البيان،

ولمسات راعشة بالفن والجمال، عبر قيثارة الشعر العربي

تنهل، في مثل فوح الورد

من يراعة الأخطل الصغير



أغنية.. تناغمت بها الحناجر.. وانتشت المنابر

هنا، في ظلال الأرز. وهناك، في ضفاف بردى، والنيل، والفراتين.

■ الانطلاق، السنة الأولى، العدد ٩ ، سنة ١٩٦١.

في لغة القلب، بدع هو الأخطل الصغير

في رسالة الكلمة، سفير لبنان الى العالم

وحسبه من عطائه هذا، أنه في القمة

من الإنصاف له ، أن يكون قدره في مستوى عطائه.

لبنان، في شعر الأخطل الصغير، صور من كفاح وجراح، ألوان من حب وجمال..

نهلة عبير على خرير جدول، وشدو هزار

وفاء للبنان الشاعر.. للبنان الرسول.

يقام للأخطل الصغير مهرجان

ففي حقبة من تاريخ، كان الأخطل الصغير وما يزال مهرجان لبنان.

**الأب طانيوس منعم**

****

ابيض

# دور الأخطل الصغير
# في الشعر العربي المعاصر

**د. إحسان عباس**

عندما نشبت الحرب العظمى عام ١٩١٤ كان بشارة عبدالله الخوري الذي عرف فيما بعد بلقب «الأخطل الصغير» يناهز الخامسة والعشرين من عمره، وبين ذلك التاريخ والعام الراهن حدثت حربان عالميتان وثورتان عربيتان، وقامت في إبان ذلك شؤون وشؤون، وشهدت الأيام تقلبات كثيرة وأحداثا صغيرة وكبيرة ونجاحا وإخفاقا، وتغيرا في المقاييس والفلسفات والتكوينات الحزبية والمذهبية وما هو أكثر من ذلك بكثير، لأن تلك الفترة في هذه الزاوية من الأرض تمثل التاريخ الحديث للأمة العربية في كفاحها المجزأ والمشترك وفي ضياع فلسطين وفي الهزات العنيفة والثورات التي أصابت العالم العربي بعد ذلك، كما تمثل مراحل التطور في تاريخها الأدبي من ثورة على التعبير القديم الى ثورة رومنطيقية شاملة الى تفرع في المذهبية الأدبية ونمو في فنون الأدب الى ثورة على الشعر والمجتمع معاً في مواجهة دعوة التضامن بين الشعر والمجتمع – تجربة ضخمة وفيرة الجنى ولكنا لسنا بحاجة في هذا المقام إلا إلى محض التنويه بها، لأنها لا تنعكس بهذا الجبروت وتلك الضخامة والغزارة في شعر الأخطل الصغير، فقد بدأ شعره يوم بدأ آملاً مستشرفاً في ظلال الثورة العربية الأولى التي لم تلبث إلا قليلا حتى انتكست فيها الآمال، ثم شهد تحولاً واحداً فحسب ووقف عنده لا يتعداه، وذلك كان يمثل الاتجاه العام للشعر في العقد الرابع من هذا القرن، ثم لم يتأثر كثيرا بالتقلبات السريعة التي تمت على أثر الحرب الثانية.

■ الآداب ، حزيران ١٩٦١، سنة ٩ ، عدد ٦.

هي فترة طويلة – إذن – حافلة بالكثير من التجارب، وكثرة التجارب – وبخاصة التي تلد الإخفاق – كثيرا ما تبعث الشعور بالتخمة منها والزهد فيها، لأنها تثلم الحد وتبلد الحاد المشحوذ، ومثلها يتطلب نفساً مستعدة دائما لاستكشاف شيء جديد في التجارب المتجددة المتلاحقة وتفتحا لا تحس النفس معه «بعادية» الأشياء والأحداث، ولا تفقد الشعور بالمفاجأة والجدة والإيحاء، كما لا تسأم التكرار ولا ترى أن التاريخ يعيد نفسه، لأنها لو فعلت ذلك لاستسلمت حينئذٍ للمثبطات الداخلية وقنعت بالنظر العابر الى كل المتجددات، إذ ترى فها ظلالا للقديم ولا تحس نحوها بانفتاح ولا تلمس فيها معنى التطور. ويحتاج الشاعر في هذا الموقف فلسفة عميقة ذات أبعاد بعيدة، ولم تكن هذه الفلسفة ميسورة للأخطل الصغير لأنه حين تباعد قليلاً عن نقطة الانطلاق في نشوء هذه الفلسفة أصبح يقول في يأس من صلاح الحال:

**حكمة الدهر أن نعيش سكارى**

**فاجمعا لي الكؤوس والأوتارا**

بدأت نقطة الانطلاق ترسل أشعتها يوم اصطدم الشاب بأهوال الحرب الكبرى سنة ١٩١٤، فنطق معبرا عن مأساة الإنسانية في أتونها وأنطق معه الحديد والخشب والكهرباء بتغيظها من الحرب ونقمتها على أن لا تصبح أدوات تسند السلم بين بني الإنسان وجعلها جميعا تقف لتخطب في مؤتمر الجماد:

**الفولاذ:**

**وقف الفولاذ فيهم خاطباً**

**بكلام كالرحيق السلسلِ**

**وقال لو أنصفت ما كنت سوى**

**سكة أو معول أو منجل**

**أسعف الإنسان في الحرث ولا**

**أتوانى عند حصد السنبل**

**الخشب:**

**عـــنـــد هـــذا الخـــشب اهـــتـــز وقـــد**

**قـــال فـــلـــتـــقـــطع يمـــين الـــرجل**

**حـــبـــذا الـــيـــوم الـــذي كـــنت به**

**غـــصـــنـــاً عـــنـــد ضـــفـــاف الجـــدول**

**أنـــا لـــو أنـــصـــفـــني المـــرء لمـــا**

**كـــنت إلا مـــغـــزلاً في مـــعـــمل**

**أنـــسج الـــصـــوف فـــأكـــســـوه ولا**

**أشـــتـــكي من تـــعب أو مـــلل**

**الكهرباء:**

**عـــنـــد هـــذا الـــكـــهـــربـــا، قـــالت وقـــد**

**لمـــعت أنـــوارهـــا لـــلـــمـــجـــتـــلي**

**قـــوتل الإنـــســـان كم دمـــر بي**

**وأنـــا روح الـــنـــظـــام الأمـــثل**

**قـــســـمـــاً لـــو كـــنت أدري أنه**

**لـــســـوى الآثـــام لم يـــشـــتـــمل**

**لـــتـــحـــجـــبت فـــلم أظـــهـــر له**

**ولمـــا دنس يـــومـــاً هـــيـــكـــلي**

وكان هذا المؤتمر – مؤتمر الجماد – سخرية «مسبقة» بمؤتمر الصلح الذي عقده المنتصرون كي يحققوا غايتهم من المعاهدات السرية التي كانوا قد اتفقوا عليها في ما بينهم، ولعلنا قبل أن نمضي بعيدا في التحليل نقرن بهذه القصيدة أبياتا أخرى قالها

الشاعر بعد سنوات شهدت خيبة الآمال العربية في العهود والمكاتبات والمواثيق، وعرفت اضمحلال الثقة العمياء في القوي وتبدد الحلم في الثورة العربية – قال الشاعر:

**قل لـــتـــلك الـــعـــهـــود في رهج الحـــر**

**ب وفي ســـكـــرة الـــقـــنـــا والـــغلاصم**

**قـــد لمحـــنـــاك في عـــيـــون الـــثـــعـــالي**

**ولمـــســـــنـــــاك في جـــلـــــود الأراقم**

**حـــدثـــونـــا عن الحـــقـــوق فـــلـــمـــا**

**كـــبَّـــر الـــنـــصـــر أعـــوزتـــنـــا الـــتـــراجم**

**نـــفـــحـــتـــنـــا بـــهـــا الحـــروب سلامـــاً**

**ورمـــــانـــــا بـــــهـــــا الـــــسلام أداهم**

**قل – وُقـــيت الـــعـــثـــار – في نـــدوة الـــقـــو**

**مِ مـــتى أصـــبح الحـــلـــيف مـــخـــاصم**

**أيـن ذاك الـــــهـــــيـــــام في أول الحب**

**وتـــــلك المـــوشـــحـــات الـــــنـــــواعم**

**كـــدت أخـــشى عـــلـــيـــكمُ تـــلف الـــنـــفس**

**بـــبـــان الـــلـــوى وظـــبي الـــصـــرائم**

وهذه السخرية تكشف لنا عن عمق اليأس، ولكنه يأس دعا الى الاستسلام للفلسفة التي تقول: «حكمة الدهر أن نعيش سكارى».. وإذا مفتاح شخصية الشاعر في موقفه من الشؤون الكبيرة «كتجزئة المستعمرين الوطن العربي وغفلة السياسيين الكبراء الذين جازت عليهم الخدعة وغرتهم الوعود واستناموا الى الكسب القليل» إذا هو قوله:

**هـــفـــوة جـــرهـــا الـــزمـــان عـــلـــيـــنـــا**

**لا مـــــلـــــــوم أنـــــا ولا أنـــــا لائم**

وهذه هي نقطة «الصفر» فإما أن تكون أنا وأنت وهو ملومين فنحاول أن نجدد موقفنا وأن نخلص من آثار الخطأ القديم، وإما أن نكون لائمين فنبين بقوة ونؤلب النفوس بعزم ونضع سمة «التجريم» على المجرمين، ولا ينفرد الشاعر بهذا اليأس، كما أن مسؤولية الشاعر – أي شاعر – لم تكن قد تحددت بعد، وكان الشعر في تلك الحقبة يمخر بحر الحياة في سفينة رومنطيقية يتغذى ركابها بآلام فرتر وماجدولين وروفائيل وأشعار لامرتين ويبكي بدموع المنفلوطي، وكان التناقض الجريء بين شفافية الأسلوب في شعر شوقي وكذب العاطفة الذاتية يهيئ الجو للدعوة الى عودة للذات، ومن أكبر المتناقضات في تاريخ الأدب الحديث أن يكون أكبر داعيين لهذه الرومنطيقية اثنين من أكثر الناس بعداً بطبيعة ذهنيهما عن هذا المذهب أو عن استجلاء حقيقة الذات الفردية – وهما العقاد وشكري – وأخذت السفينة تشتد وتقوى بأشرعة جديدة ركبها لها جبران – الجو كله يتنفس بالرومنطيقية في محاكمة الأمور والنظرة الى الأحداث وإلى الإنسان، ولدى الأخطل الصغير استعداد عميق لمعانقة هذا الاتجاه – لم يتحول تحولا مفاجئا ولكن خصائص الجذوة العميقة أخذت تلون ما حولها – وكان القديم الذي يحبه الأخطل الصغير والجديد الذي يملك انتباهه يتفقان، على غير ما هي الحال في صراع القديم والجديد لدى المدرسة المصرية ومدرسة المهجر.

أما الجديد فقد جاء يقول: إن الشاعر طائر مغرد، إنه إنسان ملهم متفرد، إنه عبقري زمانه، إنه بين الناس رحمان أو إله، إنه وإنه... وآمن الأخطل الصغير بأن الكون ذو مركز وأن هذا المركز فيه هو الشاعر سواء أكان في صورة إله أو في صورة إنسان أو في صورة تجدد سنوي....

وإذا آمن الشاعر بهذه النظرة في الكون وفي نفسه لم يكد يحترم في الوجود إلا طبيعة «الخلق» واتخذ لنفسه قسطاً من الحرية باسم الحق الإلهي والصفة الفارقة، وأصبح مترفعا في مقاييسه عن كثير مما يقره الناس «العاديون»، وإذا لم يظهر أثر

ذلك في طبيعة السلوك ظهر في طبيعة الموضوع الشعري نفسه، وهذا ما حدث في موضوعات الأخطل الصغير «وإن لم يذهب ذهابا تاما بالصوت الأول» – ذلك بعض ما قدمه الجديد.

وأما القديم فكان يقدم له صورة الاستشهاد في الحب وخصوصا بعد أن أخذ يؤمن أن الحب هو الرابطة التي تصل بين الموجودات من أحياء وغير أحياء، فأخذ يختار قصصه الشعري من مواقف الحب الذي يفضي الى الموت، فودع أولا اتجاهه القديم في نظرته للبؤس وويلات الحروب بقصة مي في قصيدته «رب قل للجوع» ...

وفيها صور انتصار الشهوة على العزيمة في مقاومة الجوع فكان بذلك يبتعد عن الغاية الأخلاقية التي أسرف في التلويح بها في سياق القصيدة، هذا مع أنه في قصائده الأخرى يرفع من قيمة الموت في سبيل الحب، بينما لم يبح لبطلة القصة الموت في سبيل الشرف – أقول: قدم له القديم قصص الحب، فصور في قصة طويلة كيف مات عروة وماتت عفراء في أثره شهيدي غرام، ثم تناول قصة عمر ونعم فلم يستطع أن يصنع منها قصة ولكنه حرك فيها إثارة شهوانية عميقة تبلغ أدق ما استطاعه من تصوير، في قوله:

**تعرت الشمس على وجنتها**
**وانشق - لو تعلم أين - القمرُ**
**العنب الأحمر مسفوح على**
**شفتها ما الأقحوان الأصفر**
**والوردة البيضاء أو قل نهدها**
**كأنه من خيلاء يسكر**
**من ثمر الفرصاد في ذروته الريا**
**نة المعطار «كبش» أحمر**
**أو أنه رأس ملاك أشقر**
**يحمله صدر حنون أشقر**

دغـــدغه أخـــو الـــهـــوى فـــمـــد من
لـــســـانه وراح شـــهـــداً يـــعـــصـــر

ثم صور الصراع بين الحب والموت في قصيدة «المسلول» – دون أي غاية أخلاقية في القصة إلا غاية أن ينتصر الموت في النهاية – وفي هذا نفسه يلتقي القديم والجديد، فكلاهما في إسار الرومنطيقية يؤثر هذا اللون، ويجعل الموت حلا للعلاقات على نحو باك مؤثر مليء بالآلام، إلا أن للقديم لعنة خاصة جعلت المجاز القريب لدى الشاعر خاضعا للموت، وتلك هي مبالغة الصورة التي تجعل الشاعر كلما تغزل – ولو غير صادق – زعم أنه أصبح على حافة القبر، وقد تغلغلت هذه اللعنة في شعر الأخطل الصغير كثيرا حتى أفقدته عذوبة الغناء الجديد في بعض الأحيان، وجعلته وكأنه شاعر من شعراء العصور السالفة – تجد لديه مبالغات مفضوحة – وتحس فيه عبودية مصطنعة كعبودية البهاء زهير:

احـــتـــمـــلـــني تحـــمل بـــقـــيـــة روح
تـــركـــتـــهـــا لـــشـــقـــوتي الأيـــامُ
رمق مـــثـــلـــه تـــخـــيـــلك الـــوهم
وجـــسم – حـــاشـــا المـــضـــاء – حـــســـام
لـم يـــعـــد في الـــســـراج زيت
وكـــمـــا يـــنـــطـــفي انـــطـــفـــيت
فـــأنـــا الآن مـــثـــل مـــيـــت
مـــالـه غـــيـــر ســـاعـــتـــين
لـــو تـــرين
بـــلـــغـــوهـــا اذا أتـــيـــتم حـــمـــاهـــا
أنـــني في الـــغـــرام مت فـــداهـــا
واذكـــروني لـــهـــا بـــكل جـــمـــيل
فـعـســاهـا تـبـكي عـلـيّ عـســاهـا

واصحبوها لتربتي فعظامي
تشتهي أن تدوسها قدماها
.....
أين عيناك تنظراني وكفي
فوق قلبي ومدمعي فوق خدي
شبح طائف كسته يد الليل
ببرد كوجهه مسود
.....
ناداك والرمق الأخير بصدره
.....
عش أنت إني مت بعدك
وأطل الى ما شئت صدك
.....
مولاي لم تبق مني
حيّاً سوى رمقين

اصطلح القديم والجديد إذن – وإن أنكر الثاني هذه المبالغات الشعرية في صورة تقرير، وأراد الجديد أن يكسب جولة أخرى على رغم تلك المصالحة، وكان الشاعر – كما قلت قبل قليل – قد أخذ يؤمن أن الحب هو الرابطة التي تصل بين الموجودات، فلِمَ لا تكون لغة الحب هي لغة الشعر؟ وهنا يجيء تحول الاستعارة التصويرية في شعرنا المعاصر، لا على أن كل شيء يصوره الشاعر يضعه في صورة المحبوب فحسب بل على أنه يستغل الصور المستمدة من الحب وملابساته حين يتحدث في أي موضوع وصفيا كان أو حماسيا أو ناظراً الى الطبيعة... الخ فلبنان مثلا:

أكماته البيضاء تحت سمائه الزْ
زرقاء أطفال تنام وتحلم

تـتـصـاعـد الـقـبلات من أنـفـاسـهـا

وتـمـر بـالـوادي الـوديع وتـلـثم

والنيل «حبيب الرياحين»، وجناح الهوى شراع سفينة .. الخ، وتبدو هذه الصور مقبولة حين تكون بعثا للحياة في شؤون الطبيعة ولكن كيف يكون حالها والشاعر يتحدث عن فلسطين – مثلا –:

فـلـسـطـين أفـديك من دمـعـة

تـهـاوت عـلى بـسـمـة حـائـره

تـعـانـقـتـا فـاسـتـحـال الـعـنـاق

لـهـيـبـا عـلى شـفـة ثـائـره

ها هنا تخرج صور الحب الى أوهام لا ترضي ولا تشبع ولا تطرب ولا تهز. ولكن هذه الظاهرة خلابة وقد تفشت في أدبنا المعاصر – شعره ونثره إلى درجة الكظة الثقيلة. واصطلح القديم والجديد مرة أخرى في ابداع أجمل ما حققه الأخطل الصغير في تصوير العلاقة بين المرأة والطبيعة «وهي إحدى علاقات الحب» فمنذ أن تغنى الشاعر الجاهلي بأن المرأة بانة وكثيب «حديقة صحراوية» ظلت العلاقة بين المرأة والطبيعة في الشعر العربي علاقة تبادل مستمر فالمرأة طبيعة جميلة والطبيعة امرأة فاتنة:

قـالـوا الـحـجـاز مـجـدب لمـا عـمـوا

و «نـعـم» فـيـه روضـة ونـهـر

إن زقت الـعـود أنـاشـيـد الـهـوى

حن لـهـا الـعـود وجن الـوتـر

أو صـفـقت لـلـهـو في أتـرابـهـا

مـاج لـهـا الـوادي وغـنى الـشـجـر

الحب مـذبـوح عـلى أقـدامـهـا

والحـسن في ألحـاظـهـا يـكـبِّـر

وجاء الجديد فصبغ هذه العلاقة بكيفية التعبير عنها، وتفرد الأخطل الصغير بالاهتداء الى إحدى الكيفيات، وكان اهتداؤه الى ذلك عن طريق التجربة، أعجبه أن يقول مرة:

**المها أهدت إليها المقلتين**
**والظبا أهدت إليها العنقا**

.....

**ودرى الروض بتين المنحتين**
**وقديما يعشق الروض الحسان**
**فكسا بالورد منها الوجنتين**
**وكسا مبسمها بالأقحوان**
**ورمى في صدرها رمانتين**
**من رأى الرمان فوق الخيزران**

.....

**ورآها الليل فاختار المقام**
**ولقد طاب له في شعرها**
**وصبا الفجر فأضحى حين هام**
**بهواها درة في ثغرها**
**فإذا هي كما شاء الغرام**
**ما شجا ذو صبوة من أسرها**

فإذا به يخرج هذا المعنى في صورة قصصية جديدة فكهة مرة أخرى:

**أتت هند تشكو الى أمها**
**فسبحان من جمع النيرين**
**فقالت لها إن هذا الضحى**
**أتاني وقبلني قبلتين**
**وفر فلّما رآني الدجى**
**حباني من شعره خصلتين**

وما خاف يا أم بل ضمني
وألقى على مبسمي نجمتين
وذوب من لونه سائلا
وكحلني منه في المقلتين
وجئت الى الروض عند الصباح
لأحجب نفسي عن كل عين
فناداني الروض يا روضتي
وهم ليفعل كالأولين
فخبأت وجهي منه ولكن
الى الصدر يا أم مد اليدين
ويا دهشتي حين فتحت عيني
وشاهدت في الصدر رمانتين

وهكذا الى آخر القصيدة، وهذا التبادل بين الطبيعة والمرأة صورة مكملة لمعنى الحب العام بكونه رابطة الموجودات جميعا. – وهو إذا جزأته بطريقة التحليل كان منطويا على استحالة، ولكنه يؤخذ كله على سبيل الاستطراف ويكون معنى «العطاء» السخي هو المحمل الوحيد الذي يربط بين نوعي الجمال. غير أن المعنى الجميل كالخمر ينتشي به صاحبه، وقد انتشى الشاعر بهذا المعنى واشتط في إبرازه في صورة ثالثة حين قال:

قتل الورد نفسه حسداً منك
وألقى دماه في وجنتيك
والفراشات ملت الزهر لما
حدثتها الأنسام عن شفتيك
سكر الروض سكرة صرعته
عند مجرى العبير من نهديك

فقد تحول «العطاء» الى حركات من الخشوع المنتحر أمام رمز الحب، وهذه الصورة كثيرة التردد في شعر الأخطل الصغير لأن الحب في قانونه لا يتطلب شيئا أقل من الموت، حتى الحب نفسه يموت عند رمز الحب وتجسده:

**«الحب مذبوح على أقدامها» و «نام تحت قدميها القمر»**

الى غير ذلك من هذه الصور التي تتمشى ومفهوم الحب لدى الشاعر. وما دمنا في نطاق الحديث عن الحب والألوان التي اصطبغ بها شعر الأخطل الصغير بسببه فلنستطرد الى ذكر شيئين يتصلان بالموضوع: الأول أن الحب لديه متصل بالذكرى فهو جزء من الماضي، متصل بالفعل «كان» ، «أتذكر» ويكاد يكون في الحاضر شيئا باهتا أو يكون الحاضر به قد تحول الى الماضي، والثاني تلك الصورة التي يرددها الشاعر ترديده لصور الارتماء الخاشع والخشوع المنتحر، أعني صورة «لمس» الجرح أو تقبيله ونراها مستمدة من جراح «الصلب» وهي ضرب آخر من التعبير عن الخشوع أمام التضحية والألم والفداء:

**قبلت باسمك كل جرح سائل**
**وركزت بندك عاليا في الساح**

.....

**إن جرحا سال من جبهتها**
**لثمته بخشوع شفتانا**

.....

**قم الى الأبطال نلمس جرحهم**
**لمسة تسبح في الطيب يدانا**

عند هذا الحد نستطيع أن نقول إن الشاعر وجد لنفسه اتجاها في الموضوع والطريقة والعبارة وأحب هذه العناصر وتقيد بها، والاتجاه للشاعر طريق ذات صوى إذا أخرجته عنها ضل، أو كان الاتجاه الشعري يشبه الجو المائي بالنسبة للسمكة، وكان الاتجاه التعبيري لدى الأخطل الصغير يقوم على طلاوة العبارة وجدة الصورة –

وهذان مطلبان غير هينين – وطلاوة العبارة أكسباها العذوبة في الطعم والنغم، واللمعان في المظهر، وجدة الصورة تقوم على خدع كثيرة، وهذا كله يعني أن تغيير الأسس تحطيم للاتجاه، ولذلك لا يحاول الناقد أن يطبق على هذا اللون من الشعر مقاييس ومبادئ أخذ النقاد ينادون بها ويدعون اليها، ويكفي أن نشير من ذلك في هذا المقام الى واحد منها هو مبدأ «وحدة القصيدة» ماذا يحدث لو أنّا طبقنا هذا المبدأ على شعر الأخطل، وهو الشعر الذي يجذبنا بحلاوته العامة ورونقه الجميل، وأحيانا بصوره ومبتكراته في التعبير؟ قد يكون ذلك ضربا من التجني – في ما أعتقد – لأن هذا الشعر لا يستند الى الوحدة بل لعله في محاولته لإبراز الألق الخالب يسهو أحيانا فيتورط في ضروب من التناقض – منها تناقض السياق كما في قوله:

**ونعم هل كانت كما صورت أم**
**بالغ في تلوينها المصورُ**
**يا للمنى أعن يمين كاعب**
**وعن شمال كاعب ومعصر**
**فمن هنا حيث تندى الزهر**
**ومن هنا حيث تدلى الثمر**
**وأنت لا تألو دعاباً في الهوى**
**شم وتقبيل وأشيا أُخرُ**

فالقارئ للبيت الأول يستحوذ عليه مدى التشكيك في صدق ما صوره عمر ثم إذا بالشاعر المصور يضفي من خياله على صورة «المجن والكاعب والمعصر» فيمثل لنا أن عمر كان مقصرا في شرح لذته وتنعمه ويضفي معاني الزهر والثمر والأشياء الأخر على الصورة. ومن ذلك أيضا قوله في رثاء سعد:

**صلى عليه النصارى في كنائسهم**
**والمسلمون سعوا للقبر واستلموا**

ثم يقول في أثر ذلك:

**المـؤمـنـون بـسـعـد أين أبـصـرهم**

**والمـعـجـبـون بـسـعـد أين أين هم؟**

وهل هؤلاء الذين صلوا عليه وسعوا حول قبره يؤدون واجباً فحسب دون أن يؤمنوا بسعد؟.

ومنها تناقض في الجو الشعري نفسه: ومن يطالع بإمعان قصة مي في قصيدة «رب... قل للجوع» يقف على هذا اللون من التناقض. في هذا الجو الشعري تتمثل الألوهية وتتجه القصيدة في ضراعة الى الله قبل سرد القصة:

**رب إن الـكـون مـهـمـا عـظـمـا**

**هـو في عـيـنـيك لا يـحـسب شي**

**قـدرة ذلت لـديـهـا الـعـظـمـا**

**كـلـهم فـانٍ وسـبـحـانك حي**

**رب لـو شـئت لمـا سـالت دمـا**

**أمـرك الأمـر فـمن ذا يـنـكـر**

**ولمـا يـتّم من قـد يـتـمـا**

**ولمـا استـل الـسلاح الـعـسـكـر**

**رب إن نـحن بـلـغـنـا الـهـرمـا**

**أو يـكن حـان الـذي يُـنـتـظـر**

**مُـر ولا كـفـران ذين الـكـوكـبـين**

**يـخـرقـا الـنـامـوس أو يـحـتـرقـا**

**واسـتـرح مـنـا فـنـغـدو بـعـد عـين**

**أثـراً لا بـد أن يـنـمـحـقـا**

وبعد أن تطمئن النفس – أو لا تطمئن – الى هذه المناجاة والتوسلات، نرى الشاعر يفاجئنا بنقلة الى رحاب الوثنية:

**ضـاق «جـوبـيـتـر» صـدرا فـانـبـرى**

**يـتـمـشى في فـراديس الجـنـانِ**

فـــبـــدا أهـــيب شيء مـــنـــظـــراً
وعـــلـــيه حـــلـــة من أرجـــوان
ورمى لـلأرض مـــنـــه نـــظـــرا
فـــرأى الـــهـــول وأنـــواع الـــهـــوان
مـــلـــعـــبـــاً لـــلـــشـــر مـــا من صـــالـحـين
فـــوقـــهـــا أو أخـــوين اتـــفـــقـــا
فـــرمى غـــيـــظـــا عـــلـــيـــهـــا جـــمـــرتـــين
فـــتـــلـــظت وتـــلـــظى حـــنـــقـــا

وجوبيتر هذا الذي فعل ما قد يفعل «مارس» – إله الحرب – دخيل على الجو الديني الذي يصل بين رجاء الإنسان وعدل السماء.

ومن ضروب التناقض أيضا اضطلاع القصيدة بتحقيق غايتين متضاربتين كما في قصيدة «المهاجر» فإن ما يزيد على نصفها الأول بكاء على المهاجر الذي فارق وطنه وأطفاله، حتى غدا كل شيء حزينا بعده:

جـرس الـكـنـيـسـة لـو تـكـلـم لاشـتـكى
ولـــبـــان فـــيـه مـــذ نـــأيت تـــصـــدع
وتـــلـــفـــتت فـــيـــهـــا الـــدمى وتـــســـاءلت
عن بـــاقـــة في صـــحـــنـــهـــا تـــتـــضـــوع

وآخرها إشادة بأعمال المهاجر وتمجيد له:

حـــتى انـــدفـــعت فـــكل صـــخـــر روضـــة
– ســـلـــمت يـــداك – وكل أفق مـــطـــلـع
وفـــتـــحت فـــتح الـــعـــبـــقـــريـــة تـــاركـــا
في مـــســـمع الـــدنـــيـــا صـــدى يـــتـــرجع

والغايتان حقيقتان بجهد الشعر ولكن من التناقض جمعهما في نطاق واحد. مبدأ وحدة القصيدة إذن مبدأ خطر إذا أنت تناولت به هذا اللون من الشعر، بل أبعد أيضا فأقول إن الخروج على سياق الوحدة أصبح ضرورة من ضروراته. وذلك للصراع

القائم بين الصدق الذاتي وبين متطلبات المناسبة الملحة، فالصدق الذاتي وحده قد يحول دون المشاركة في المناسبات، وإذا كان ولا بد من الوقوف في مناسبات كبيرة فلا بد من التحيل على الشعر بطريقة أو بأخرى، وقد جرى الأخطل الصغير في مثل هذه المواقف على الهرب من الموضوع المباشر فإذا حقيقة القصيدة عنده تكمن في هذا الهرب، لا في ما يقوله في الموضوع المباشر، وهذا يصدق تماما في شعر الرثاء، فأكثر مراثيه انحياز عن طبيعة الموضوع، عن الرثاء نفسه إلى أمور جانبية، وهي طريقة يعتمدها في قصصه إذ يترك القص الى التأمل والحكمة ويطيل في ذلك حتى يخيل إلينا أنه نسي القصة الأصلية، ولا يتسع هذا المجال للإكثار من الأمثلة «بل يستطيع القارئ أن يراجع مراثيه» حسبنا على ذلك ما جاء في قصيدته الجميلة التي قالها في الزهاوي:

**قولي لشمسك لا تغيبي**
**وتكبدي فلك القلوب**

فإن أجمل ما فيها الأبيات التي يحيي فيها بغداد والتي يصف فيها رحلته الصحراوية:

**بغداد ما حمل السرى**
**مني سوى شبح مريبِ**
**جفلت له الصحراء والتفت الـ**
**ـكثيب الى الكثيب**
**وتنصتت زمر الجنا**
**دب من فوياتها الثقوب**
**يتساءلون وقد رأوا**
**قيس الملوح في شحوبي**
**والتمتمات على الشفا**
**هِ مضرجات بالنسيب**
**تبكي لها قبل الصبا**
**ويذوب فيها كل طيب**

يـــتـــســـاءلـــون من الـــفـــتى الـ

ـــعـــربي فـي الـــزي الـــغـــريب

الى أن يقول:

أنـــا دمـــعـــة الأدب الحـــزيـ

ـنِ رســـالـــة الألـم المـــذيب

من قـــلـب لـــبـــنـــان الـــكـــئـــيـ

ـبِ لـــقـــلـب بـــغـــداد الـــكـــئـــيب

ثم لا شيء مما يتصل بالزهاوي – بل إن قوله من بعد «أليت أقتحم الجحيم» وإن كان إشارة إلى قصيدة الزهاوي في الجحيم هو عودة الى صورة الرحلة الصحراوية التي بلغته بغداد، ولا تنبئ بشيء ذي بال عن الزهاوي.

في نطاق هذا الخروج عن الوحدة جمال الجزء الجميل، لا نكران في ذلك، وفي نطاق هذا السياق الذي اختاره الأخطل الصغير تكمن قاعدة جديدة هي «الدفقة» الأصيلة التي تأتي الأبيات الأخرى تكملة لها أو مقدمة «ومصيبة الشعر أن يحرم هذه الدفقة» فإذا شئنا أن نقدر هذا الشعر بحثنا عن تلك الدفقة وميزناها بعلاماتها، ذلك لأنها تستطيع أن تصبغ ما حولها بألوان توهم الوحدة وتخدعنا عن عناصر التناقض الداخلي؟ وفي نطاق هذا الفهم نستطيع أن نجد للأخطل الصغير شعرا ذا نسق معجب من الجمال كقصيدته «ضفاف بردى» ففيها ينتحل الشاعر بساطة الطفل في نظرته للأشياء والذكريات، وأستطيع أن أجعلها نموذجا أعلى لخير ما استطاع أن يحققه في ميدانه:

سل عن قـــديم هـــواي هـــذا الـــوادي

هل كـــان يـــخـــفق فـــيه غـــيـــر فـــؤادي

.....

أنـــا مـــذ أتـــيت الـــنـــهـــر آخـــر لـــيـــلـــة

كـــانت لـــنـــا ذكّـــرته إنـــشـــادي

وســـألـــته عن ضـــفـــتـــيه ألم يـــزل
لـي فـــيـــهـــمـــا أرجـــوحـــتي ووســـادي
فـبـكى ليَ الـنـهـر الحـنـون تـوجـعـا
لمـــا رأى هـــذا الـــشـــحـــوب الـــبـــادي
ورأى مـــكـــان الـــفـــاحـــمـــات بمـــفـــرقي
تـــلك الـــبـــقـــيـــة من جُـــذَى ورمـــاد
....
بـــردى هل الخـــلـــد الـــذي وعـــدوا به
إلاك بـــــين شـــــوادنٍ وشـــــوادي
قـــالـــوا تحب الـــشـــام قـــلت جـــوانـــحي
مـــقـــصـــوصـــة فـــيـــهـــا وقـــلت: فـــؤادي

فمن شاء أن يجد طواعية الشعر في النغمة والعبارة فإنه يحسن به أن يقرأ القصيدة كلها، فهي طرفة من الجديد القديم كما ارتآه الأخطل الصغير وأراده وحققه.

وليس بهذا وحده حقق الأخطل الصغير دوره في الشعر المعاصر، إذ سيظل مكانه في تاريخ هذا الشعر «منطلقا» لاتجاهات شتى، وإذا كان الشعر المعاصر قد عمد الى نوع من «التخصص» فإن فروعه المختلفة تلتقي لديه على التسوية والتعادل. سيذكر بين أصحاب القصص الشعري إذا ذكر مطران وأضرابه في هذا التيار؟ وإذا ذكر أدب الحقد الشهواني الذي طوره أبو شبكة فإن القارئ يستطيع أن يتذكر قول الأخطل الصغير:

مـــأدبـــة أفـــرغت كـــأسي بـــهـــا
وقـــمت عـــنـــهـــا لا كـــمـــا تـــزعـــمـــين
فـــفـــضـــلـــة الـــكـــأس الـــتي عـــفـــتـــهـــا
تـــركـــتـــهـــا لـــلـــخـــدم الـــســـاقـــطـــين

وإذا تحدث المتحدثون عن النزعة الريفية في الشعر وجدوا له مثل قوله في النزعة الريفية الواقعية:

عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى فـــلـــقـــد
ســـلـــخـــتـــكم عن قـــلـــبـــهـــا المـــدنُ

**لا الحـــقل يـــبـــسم عن مـــعـــاولـــكم**
**فـــــيه ولا تـــــتـــــــرنم المـــــــهن**
**ذوَتْ الـــــريـــــاض ومـــــاؤكم عـــــمم**
**وتـــعـــطـــلت من حـــلـــيـــهـــا الـــقـــنن**
**مـــحـــــراثـــكم صـــدئ الحـــديـــد به**
**والـــفـــأس ملء عـــيـــونـــهـــا الـــوسن**
**وخـــــوت زرائـــــبـــــكم وكـــــان عـــــلى**
**جـــنـــبـــاتـــهـــا يـــتـــدفق الـــلـــبن**
**خـــلت المـــرابط من ســـوابـــقـــهـــا**
**وتـــثـــاءبت بـــحـــبـــالـــهـــا الأتن**
**عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى فـــعـــلى**
**بـــســـمـــاتـــهـــا يـــتـــمـــزق الحـــزن**

وربما عثروا لديه على خطرات رمزية أو سريالية موشحة بالغموض وتعبيرات كأنها شطحات صوفية مثل:

**إن تكن أنت أنا وجعلنا الزمنا قطرة في كاسنا**

ولن يفقدوا في بعض مقطوعاته لذع «الابجرام» واستدارته في مثل قوله:

**إذا مـــا ضـــربت الـــكـــلب يـــعـــوي وربمـــا**
**تـــــقـــــحَّم مـــــؤذيه وعض بـــــنـــــابه**
**وفي الـشـرق نـاس لـو سـحـقت رؤوسـهم**
**لمـــا نـــبـــســـوا فـــلـــيـــخـــجـــلـــوا من كلابه**

وإذا تحدث الناس عن طبيعة الأسلوب الملون بصور الحب في مدرسة كبيرة تضم معروف الارناؤوط وكرم ملحم كرم وعمر أبو ريشة وسليمان العيسى وعمر النص وأنور العطار فإنهم سيشيرون أيضا الى أستاذ مهد هذا الطريق لسالكيه. أما تبيان قيمة هذا الدور في أدبنا المعاصر فلا يظهر إلا بالمقارنة مع سائر الأدوار الأخرى.

بقي مظهر واحد طال إرجاؤنا له ونحن نستقصي النواحي الجمالية – في الأكثر – وتصدينا له في هذا المقام يصل آخر هذه الدراسة بأولها، ونعني به الآفاق الرحبة التي استشرفها الشاعر ذات يوم الى أن اصبح وجودها في شعره كأمواج الصوت حين تبتعد عن مصدرها، وهي تلك الأقانيم الثلاثة: التي تصله بالدائرة الجماعية – : الشعور بآلام الإنسانية، والشعور بلبنان، والشعور بالعروبة، ولا ريب في أن هذ الثلاثة مجتمعة هي مفتاح الاتجاه الأصيل في شعره، ذلك لأنه ترعرع أول أمره في أحضان الإحساس بآلام الجماعة، وفي ظل الفكرة العربية وفي ظل التجارب النفسية بينه وبين الوطن. وقد رأينا في أول هذا المقال نظرته الإنسانية الى الحرب، وهي آية الوعي الجماعي في البواكير وقد استمر هذا الصوت المثلث يشير الى هذا الوعي الصادق مدة طويلة: فتمخضت وقفته الى جانب الفقراء عن عدة قصائد مثل «الفقراء» و «رب .... قل للجوع» و «قصر العظيم» و«الجابي» وفي هذه القصيدة الأخيرة يصور حال الريف اللبناني وما يعانيه من فقر بالنسبة لما يتمتع به الناس من رخاء في بيروت:

**بـــــــرب الأرز حـــــــدثـــــــني**
**أحـــقـــاً قـــولـــهم حـــقـــا**
**بـــأن الـــنـــاس في بـــيـــرو**
**ت لا تـــشـــقى كـــمـــا نـــشـــقى**
**وأن الأثْـن والـــــثـــــيـــــرا**
**نَ تـــلـــقى الـــعـــطف والـــرفـــقـــا**
**فـــــإن صح الـــــذي قـــــالـــــوا**
**أيـــرضى الـــعـــدل ذا الـــفـــرقـــا**
**ويـــرضى صـــاحب الـــســـلـــطـــا**
**نِ أن نـــــفـــــنى وأن يـــــبـــــقى**
**ألـــلـــحـــكـــام مـــا نجـــني**
**مـــتى كـــنـــا لـــهم رزقـــا؟**

ويقول في قصيدة «لبنان عيد ما أرى» مصورا هذا التفاوت:

**قل للرئيس إذا أتيت نعيمه**

**إن يشْقَ رهطك فالنعيم جهنمُ**

**أيطوّف الساقي هنا بكؤوسه**

**ويزمجر الجابي هناك ويرزم**

**تعرى الصدور هنا على قبل الهوى**

**وهناك عارية تنوح وتلطم**

**والكهرباء هنا تشع شموسها**

**وسراج أكثر مَنْ هناك الأنجم**

وليس الذي يستثيره فحسب هذا التفاوت بين المدينة والريف، بل لعله أشد تأثرا لهذه الفرقة في وطنه:

**أمّا الشعوب فقد تآلف شملها**

**فمتى يؤلف شعبك المتشعب**

**نضبت موارده وجف أديمه**

**وتقلص الريان والمعشوشب**

**كم مورد لك في السراب وغصة**

**أرأيت كيف يغص من لا يشرب**

وشعوره بالعروبة صريح لا مواربة فيه فهو الأخطل الصغير شاعر الدعوة العربية مثلما كان الأخطل الكبير شاعر الدولة العربية، والرابطة التي تربطه ببردى والنيل والفرات قائمة على الحب والمشاركة في المجد واللغة والتاريخ:

**من مبلغ مصر عنا ما نكابده**

**إن العروبة فيما بيننا ذمم**

**ركـنـان لـلـضـاد لم تـفـصم عـرى لـهـمـا**

**هم نـــحن إن رزئت يـــومـــا ونـــحن هم**

حتى الشمس في الشام عربية:

**والـــشـــمس فـــوق ســـهـــوله ونجـــوده**

**عـــربـــيـــة الإمـــســـاء والإصـــبـــاح**

ولكن عيب هذا الاتجاه في شعر الأخطل الصغير أن يكون خطرات تقتضيها المناسبات، وأن يظل منبعه راكدا حتى يثيره حادث هنا وحادث هناك، ويبدو أن النظرة الجمالية «المجردة» تجني - أو جنت - على هذا النبع. حتى غدا شعر الأخطل الصغير إذا أنت مثلته لنفسك كالكأس البلورية المكسورة في غير موضع، وأصبح القِدم إحـــدى خصـائصـــها وإن لـم يفقد بعض جوانبها شيئا من البريق والتلاميع.

**د. إحسان عباس**

****

# كلمـــة

## ألقيت في مهرجان الأخطل الصغير
## فـي الأونيسكـــو

**حافظ المنذر**

فجر هذا اليوم، غداة انكساف الظلمة، تلفتت نجمة الى أختها تقول: ليتنا من بنات النهار يا أختاه.. إن لبنان الجميل يقيم في الصباح عيداً لكبير من شعرائه. اسمه بشرى وقلبه نجوى، وهواه شراع جوال ما ترك يمّاً إلا هدهدته فيه الأنسام أو أغوته أخطار العواصف.

هو ابن الليل ونجيّنا فيه، أليف الشذى، عاشق طرف الجمال يزفها البوح جوارح من قلبه، صاغ الحرف فتناً من السحر تزوغ وأرسل البرق نذيراً بدواهي الصواعق.

قديم هوانا له يا سهى.. وحسرتي الآن مريرة، كيف تستأثر به هذه الشمس ولا تكون الكواكب جميعاً شموعاً مضاءة في عيد الشاعر

يا حبيب النجوم.. لقائي بك اليوم، أي شيء أعز وأنقى وأرفع؟..

فيه من مناي تلك الغالية التي طالما تاقت الى صباح عيد ألقاك فيه، بهجته والرواء ترفل بالكبر وأزهو أنا بك كبراً.

وفيه مما أقول صوت أبي المعلم الغائب يهتف بي: هو الوفاء يا بني.. وفاء لمن يصنعون أمجادنا أن يكونوا عز جباهنا وشموخها.

وفيه من رجائي أن لبنان التائه ارتد في يومك هذا الى صواب لنلتقي عندك جميعاً فوق أهوائنا والصغار.. في نقاء الجمال والفرح والأمل.

■ «المراحل البرازيلية»، كانون الثاني ١٩٦٩، العدد ١٥٠ ، السنة ١٤.

وفي هذا اللقاء، أجوب من دنيا شعرك الرحيبة مطارح مطارح، ليس لها عد ولا حد.. هنا من الزهر غمر.. وهناك شذى وعناق وقمر.. وهنالك من الحكم وصف درر.. وبعدها آلام الجراح وأحلام رواد الكفاح عالم برمته، عالمنا نحن يضج عميقاً في صدرك، لينطلق الشعر من فيك لا أعذب ولا أصدق ولا أروع.

أرسلت لوعة الجوى عتاباً أرق من رف الجناح، وأشعت الأمل ربيعاً يغلب الجهمة ويتجدد على الدوام تبسماً وعبيراً...

**حافظ المنذر**

****

# السبـــك فـــي شعـــــر
# الاخطـــل الصغيـــر

د.علي شلق

**المرحلة الأولى:**

الأصوات معاناة حياة، تعبير عنها، لذلك فهي صور لتلك الحياة، تجيء في حالاتها الأولية غامضة الرمز، خفية الدلالة.

بعد اكتشاف الحرف، أصبحت تلك الحروف أصداء تحاكي الأصوات، وعلى شيء من التهذيب، والتطوير. فإذا بنا بعد مرحلة، نكتشف إمكانية هائلة عند الإنسان، تجلت في مكنة التعبير عن الوجدانيات والروحيات بتلك الحروف، بعد مرحلة محاكاة الأصوات.

الأصوات في الأصل حالات، رمز اليها بالأصوات، فالصوت والمعنى لا ينفصلان في الكلمة.

والكلمة شخصية مستقلة بذاتها، لها عالمها الخاص، كالكوكب يدور حول نفسه بتناغم ذاتي يعشق حركته. لكن هذه الذاتية لا تمنع أن يكون لها دوران آخر، أوسع وأشمل في مجتمعها، أي في التركيب، وذلك يشبه الدورة الكبرى حول المركز العام، شمس الأثر الأدبي، فهي لها معنيان، واحد في الأفراد، وآخر في التركيب. والكلمة بهذه المثابة وسيلة، غايتها التركيب، فهي مادة ما نسميه التجربة، أما صورة التجربة الكاملة فهي في الأثر الذي يكتمل بما نسميه الطريقة.

للكلمات المفردة دلالات وهي ذات قوة إيحائية، محدودة في رمزها للتجارب، لكن الكلمات في التركيب الأدبي تفسح لنا مجال الخيال، والخيال لا حدود لتجاربه. لهذا كانت الحروف صناديق تخزن الأصوات، والألفاظ صناديق التجارب، أما الأسلوب فهو فن.

---

■ الأديب ، يوليو ١٩٦١، عدد ٧، ص: ٤-٧.

فكل أدب هو في حد ذاته موصل لتجارب ذات قيمة، وكل تجربة لا تصل إلينا ليست ذات وجود، هنا، لا نقف عند حدود الألفاظ والجمل، بل لا بد لنا من القول إن هذه الألفاظ والجمل، تشكل ما نسميه الحالة الثانية، الجو، أو العالم الذي نقلتنا إليه تلك الألفاظ والجمل.

وأخيرا بمقدار ما يستطيع الأديب أن يوصل، أي أن يكتشف الألفاظ، ويوفق الى التعابير التي تثير الخيال، وتقدر على النقل، بمقدار ما يكون ذا موهبة، وصاحب طريقة.

فهل تكون الطريقة اختصارا لشخصية الفنان، ودلالة على إمكانياته؟.

يجيبنا عن ذلك لونجينوس، وهو صاحب رسالة عظيمة في الجلال الشعري بأن الأسلوب هو الرجل.

**المرحلة الثانية**

بعد هذه التوطئة من تراه يكون بشارة الخوري في أسلوبه الذي هو صورة عنه؟ للإجابة على سؤال يعدل حياة الكائن البشري ذاته، نتناول ديوانه «الهوى والشباب» الذي يقع في ما يقارب المئتي صفحة من القطع المتوسط، قدم له الأستاذ عادل الغضبان، ونشرته دار المعارف سنة ١٩٥٣.

تصدرت الديوان قطعة من خمسة أبيات عنوانها «لبنان» تناول فيها الأخطل الصغير معارض الحسن في لبنان، من مجالي الأرض، ومشارف النجوم، بين تأوه الجداول، وابتسام الروابي، ورفيف الغصون، ثم انتقل فجأة على طريقة القصيدة القديمة الى الحديث عن فاطمة ومريم، إذ هما رمزان لوحدة الصف اللبناني، ثم عاد الى أكماته البيضاء، وسمائه الزرقاء، وشبهها بأطفال تنام وتحلم، وتتصاعد قبلاتها كما تمر بالوادي فتلثم جوانبه.

لم يفعل بشارة الخوري أكثر من تعداد معارض الحسن في لبنان، بأسلوب حلو، وكلمات رقيقة، وذلك يصور لنا لطافة روحه، ونعومة ذوقه، بيد أن الأمر اقتصر بالشاعر عند هذا الحد من تسطيح الشاعرية، فلا انغمار صوفيا في طبيعة لبنان، ولا لهثة روح تنعقد بينها وبين الأشياء وحدة عناق حميم.

وعندما تخطر المرأة أمام عينيه، وجوانب قلبه، تتمادى كأنها تمشي في دروب مكشوفة، لا حنيات أو أغوار فيها، إنها دروب معبدة، معشوشبة من الهامشين، لا يوحي لك اجتيازها أبعادا، وأسئلة، وجلالات، ولو قسنا قصيدة من قصائده في مقابلة المرأة بالطبيعة، مع ما عرفنا لابن الرومي في بستان المغنية، ووحيد، لظهر فارق السماوية عند ابن الرومي، والضحضاحية عند بشارة الخوري:

**المها أهدت اليها المقلتين**
**والظبا أهدت إليها العنقا**
**فهما في الحسن أحلى حليتين**
**للعذارى جل من قد خلقا**

إلى أن يقول:

**فكسا بالورد منها الوجنتين**
**وكسا مبسمها بالأقحوان**

وقوله عن النهدين:

**فهما في صدرها كالموجتين**
**أي صب ما تمنى الغرقا**

إن في ترديد فعل «كسا» لفتور ظاهر، وفي تمني الصب أن يغرق في أمواج الصدر بساطة، وضآلة إيحاء، لكن في قوله:

**أو هما، وليسلما، كالتوأمين**
**كلما همت بأمر قلقا**

غنجة فاتنة، واعذيذابا مسكرا، لا يقل عنه قوله في القبلة الأولى:

**إن كان أحلى الحب أول قبلة**
**ما ضره لو مات أول عمره**
**كالزهر مات مكفنا بأريجه**
**ووسيم نضرته، ونشوة طهره**

على أن البيتين على ما فيهما من ترقرق الكلمات، وحريرية الأجواء، لا يوحيان بما مثله ميشال طراد، والموضوع واحد، فحملنا على مخمل جناح الكلمة الى ليل من أطياف مسحورة، تفتح لنا أبعادا، وصورا:

**يا صاحبي ما كان أسعد هالدني**
**لو كان مثلي فيك عمتتصورا**
**وتعيش عمرك مثل عمر السوسني**
**عاكاس خمر ومجوز وضحكة مرا**

في بيتي ميشال، هز موسيقى، وصخب جو، والتفاتات وجلة، حزينة، فرحة، هنا نكهة صوفية، وهي أقدس ما عند الشاعر، من وسائل يصل بها الى حرم الهيكل. وإن كنت لا أنكر أن بيتي بشارة الخوري يشرحان صورا زغباء الريش عن ميتة الزهر مكفناً بأريجه، ووسيم نضرته، ونشوة طهره، غير متجاوز قيمة هذه الكلمات الموحية وسيم، نضرة، نشوة، طهر.

والصوفية في الشعر أخت الفلسفة، أو هما جناحا الشاعرية الحقة، تلك التي بجلالها تمسح آفاق الإنسانية ولا تقف أو تنحسر بين حدود المكان، والجنس. فأي تساؤل طفل أولي في ما يلي:

**من ترى يشرح لي ذنب الفقير**
**أو ترى يظهر لي فضل الغني**
**يرثان البؤس والعيش النضير**
**ويقيمان معا في الكفن**

إلى قوله:

**ما ترى يفعل مكتوف اليدين**
**أترى يقدر أن لا يغرقا؟**

وفي قصيدتيه «آه ما أحلى الحميا»، و«من رأى الشاعر تاب» قال الأولى سنة ١٩٣٩ والثانية مغفلة التاريخ، يبدو شاعرنا فيهما مراهق الحبكة، وإن كانت بعض توترات شعرية هنا وهناك، في جو غير بعيد من الوهن، والخروق التي لا تمنح الوفاق الجمالي، الذي يجيء وليد الجو البديع.

فأية صورة موحية كلمة (القرب) في بيته القائل:

**مـا لـلـشـفـاه الـكـسـالى لا تـزودنـا**

**فـقـد حـمـلـنـا عـلـى أفـواهـنـا الـقـربـا؟**

تصور قربة سوداء، باهتة، مشققة، محمولة على شفتين، وهي تطلب لفراغها امتلاء من شفتين بخيلتين، أو كسولتين، ذلك لا يعادل قوله:

**رسـالـة من فـمـه لـفـمـهـا**

**كـذا رسـالات الـهـوى تـخـتـصـر**

وإذا قال:

**قـلـت أهـواك يـا ملاكي فـردت**

**مـقـلـتـاه لـكن تـلـعـثم فـوه**

ليست لها إيحائية قولة أمين نخلة:

**وألـذ تـأديـة وأمـتـع مـنـظـرا**

**إغـفـاء عـيـنك يـومـذاك وصـمـتـهـا**

أما الصورة الحلوة في بيته التالي:

**والـنـسـيم الخـفـيف يـلـهـو بـثـوبـيـنـا**

**كـالـطـفـل أهـلـوه مـا هـذبـوه**

فهي تستر ما تواهن من بعض صوره، في مطلع شبابه حيث يفوته حسن انتقاء الألفاظ كما تتواهن الجدلة الشعرية في أبياته التوشيحية، إذ يقل هنا عنه في الأوزان المرتاحة، الرتيبة، شأن شعراء عصره ومن سبقوا عصره، بالتنويع في القوافي، والأوزان، ظاهرة لم تستلن إلا لأقلام المعاصرين، وقرائحهم.

**صـداح يـا مـؤنس الأراك**

**مـا لـي أراك؟ تـشـدو، فـسـبـحـان من قـد بـراك**

ألوان باهتة، تساؤل رخيص لا يدب في النفس، بل تجفل منه الأذن، فهل يسأل الكوكب لماذا يشع؟ والزهرة لماذا تفوح؟.

**صفق كما شئت بهذا الجنـاح فـلا جناح**

**وشم خد الزهرات الصبـاح فـهـو مباح**

**فالروض لم يختر مليكا سواك، فـانشـــر لـواك، فكلنا فـي هـــواك**

الأوزان والقوافي مستعجلة لحشر الكلمات فيها ردما للهوة التي تفزع من الفراغ الشعري.

**وبعد فافعل مـــا تشا في فتاك فشفتاك حسبي، فماذا تبتغي مقلتاك؟**

شفتا الصداح، ومقلتاه، لا سر فيهما، بل السر في منقريه، وجناحيه، فإلصاق الفتنة في عيني الصداح وشفتيه، عمليه ردم لا دوزنة عمارة شعرية. وأين النحت، والتحكيك في رخام اللفظ والفلذة الشعرية عندما يقول:

**آه يـــا هـــنـــد لـــو تـــرين**

**مـــوقـــفي بـــين حـــائـــطـــين**

فأية حائطية طينية في هذين الحائطين؟. وتفوته البراعة في قصائده المقتبسة عن اللغات الأخرى كما تفوته البراعة في معظم شعره. قبل سنة ١٩١٤ نلاحظ الفتور في الصفحات ٤٤ –٥٥ – ٦٤ تحت عنوان: قلب خافق – أنا لو كنت يا سليمى، وماذا أقول له، سواها.

وفي قصيدته الطويلة «الريال المزيف» يدعو الى الملاحظة: فالأبيات الأربعة الأولى، تبدو منقطعة عن باقي المنظومة، وإن كان بارعا في رصف مداميك الكلمات، وتنسيقها.

على أنني لا أستثني من موشحاته التي لم يوفق بها إلا موشحته «اسقنيها بأبي أنت وامي» والتي غنتها ذات الحنجرة الفضية أسمهان، تلك التي تصور لنا صهيل حصان من نحاس، يرقل على خدود القمر، وإن كانت هذه الموشحة مقتبسة الوزن، والأجواء من قصيدة ابي العتاهية.

**قـل لمـن لـــــــــست أســـــــــمّي**

**بـــــــــــــــــأبـــي أنـــت وأمـــي**

اختم الحديث عن هذه المرحلة الثانية التي عرضت فيها لشعر الأخطل الصغير قبل سنة ١٩١٤ وما يليها بقليل فشعره في هذه الفترة كان يجب أن يلغى، وإن كنا نلمح استلانة الألفاظ، وطواعية القافية في بعض قصائد هذه الفترة، كقصيدة «هند وأمها» ، إلا أننا نفتقد الأبعاد الشعرية، كالعباب، والذرى، والأغوار، وبقينا في ضحضاح من الماء، عذب، صاف، يترقرق على رخام أملس، ملون، لا غير.

**المرحلة الثالثة**

هذه الفترة تعرض لنا شعر بشارة الخوري المتميز بخصائص الشاعر، وتناغمه في الشكل والمحتوى، مع ما نسميه العمارة الشعرية. إذ نلتقي بالكلمة المختارة، بالمكان الملائم، بالجو الأنيق المنغوم، لنقابل أبا عبدالله رقيقا، عذبا، جليلا، محلقا:

**قـــبـــة من مـــكـــارم، وجـــدار**
**من فـــخـــار، وعـــتـــبـــة من جـــبـــاه**

كلمات تترقرق على قلم أبي عبدالله، مشوقة الى أخواتها فإذا بثريا العناقيد تأتلق، وبنسيج الطيلسان يهدل بجلال رب من الأولب، ورشاقة حورية على عشب مزهر، يومئ البحر الى عاج ساقيها فتنزلق في الماء تتبرد، ارتماء الهنيهة في المطلق كما يقول أخونا سعيد عقل مهندس الكلمة الشعرية.

**رقـدت تـرشف الـكـرى مـقـلـتـاهـا**
**مـثـلـمـا يـرشف الـعـطـاش المـيـاهـا**
**صـاعـدات أنـفـاسـهـا هـادئـات**
**كـصلاة الأطـفـال طـهـر شـذاهـا**
**تحـلم الحـلم لـؤلـويـاً فـتـمـلـيه**
**طـهـورا عـلـى الـصـبـا شـفـتـاهـا**
**وأزاح الـنـسـيم عن صـدرهـا الـثـوب**
**فلاحـا، ولا تـقل نـهـداهـا**

كلمات أبراج، صور معنبرة، مقصوبة من تفتا الشمس، من برفير القمر، لكن الكلمة التي لا يقولها بشارة في البيت الأخير، أغدق نعمة، وحركة، ورمزا.

لنقف عند قصيدة «قد يغني الفتى» وقصيدة «عمر ونعم» حيث تقابلنا شواهق العمارات الشعرية، بقناطرها وأعمدتها التي تشارف الفلك، ولا تمنح إلا في نادر العطاء.

وإن كنت ألاحظ كثرة حروف العطف التي يجنح بنا تتابعها الى شيء من التساهل في رصف حبات العقد، والتي يخفف من أثرها التساؤل الحلو المستساغ:

**تـعـرت الـشـمس عـلـى وجـنـتـهـا**
**وانـشق - لـو تـعـلم أين - الـقـمـر**

وقوله:

**مـــا الحـــسن لـــولا الـــشـــعـــر إلا زهـــرة**
**يـــلـــهـــو بـــهـــا في ســـاعـــتـــين الـــنـــظـــر**
**حـــــتـى إذا مـــــا أدركـــــتـــــهـــــا رقـــــة**
**من شـــاعـــر أو دمـــعـــة تـــنـــحـــدر**
**ســـالت دمـــاء الخـــلـــد في أوراقـــهـــا**
**ونـــام تحت قـــدمـــيـــهـــا الـــقـــمـــر**

وكلماته: رأس ملاك أشعر، وصدر حنون أشقر وشهدا تقطر، هي من فلتات التوفيق في جري السباق الشعري، كما أن الشاعر هنا يعمد الى الإشارة المفصحة عن أصالة في فهم الفن التي مؤداها أن الشاعر كفنان يعمد الى الصورة فيجسدها بالكلمة، وعملية التجسيد هذه محاولة للتفوق على الزمان، وإمساك جريه فلا تنهمر شآبيب الفناء.

إن العمل الفني في حقيقته تخط للفناء، لأنه موصول بالمنطق الذي يقف المكان والزمان عند شواطئه، لهذا لا سبيل الى خلاص أي كيان بشري إلا بالفن، خلاصا يحمل الى مدار الغبطة والفرح والدوام.

غاية الفن التعبير عن الجمال، الفن وسيلة الجمال النهائية، الجمال وفاق مع النفس، والوجود، لأنه عنوان الوحدة.

هنا نرى أن بشارة الخوري أدرك نسبة ما بين عمل الطبيعة المتغير، وعمل الفن الخالد، فزهرة الطبيعة غير زهرة الفن، تلك تذبل، وتفنى، وتلك ينفخ فيها فنان خلاق من روحه فتتخطى دائرة التغير.

على أن عملية الخلق إذا أمعنت في خطوط الشكل وعالم الظواهر تنسيقا، كان ذلك بمثابة تطريز دروب التغير، بعيدة عن تجسيد الشوق، وتشخيص الحنين النابعين من أعماق الكائن المبدع، في سبيل الاتحاد الكامل بالنهائي.

إن عمل الفنان يتم برفع الوسائل، التي هي ظاهرية الى أن تنطلق، وتتصل بعالم الكمال، أما الاقتصار على التصنيع فهو عمل إلهاء، وخداع سرابي عن حقيقة الضمنيات.

بشارة الخوري قد يمعن في التصنيع أحيانا، فيبعدنا عن سماء الخلق، ويلهينا بقواقع لا حياة فيها، وذلك يحصل لكل فنان، في بعض أعابيثه الطفلية، حيث يروقه البهرج ويغفل عن درر القاع.

**قتل الورد نفسه حسداً منك**

**وألقى دماه في وجنتيك**

قتل، حسد، دم، كل ذلك مسلط على وجه حسناء فيالأصداء أبي تمام في مقابلاته القوقعية وطباقاته، التي بعدت به عن جوهر الفن!

وربما انفتحت أبواب الهنيهة الخلاقة، والشاعر يعبث بأصدافه على الشاطئ، فإذا به ينفض جناحي شراعه، ثم يطفر فوق العباب، ويمسح جوانب الآفاق.

**عيناه عالقتان في نفق**

**كسراج كوخ نصف متقد**

الكلمات في حد ذاتها موحية، لكنها في التركيب، فتحت أمامنا بالخيال مدى رحباً على كثافة الصور، ويا ليته خرّج في قصيدته «خيال من دمر» هذه الرياض والغابات التي توطئ لدخول الشام، عن تسطيحه التشابيه والاستعارات، الى رفيف الشراع، وخفق الريش.

**أيها الدوح دوح دمَّرَ إني**

**لست أنسى تلك الليالي اليتامى**

ولعله إن فعل ذلك يرضينا بمثل قوله:

**لم يلبسا ريش الهوى لكنما**

**هو ريش أحلام وريش أمان**

وقوله:

**فجرى يرقص عوده الشعري على**

**صدر المروج ومعصم الغدران**

فيصوغ هنيهة النسيم قصائدا

ويرد زمزمة الغدير أغاني

ولا أدري هل وفق أبو عبدالله في جعله الشعر سببا من أسباب الكشوف العلمية الحديثة في مثل فريدته:

له على الآفاق فتح زاهر

وفي عباب الماء فتح أزهر

تعلَّق العلم على أسبابه

فحلَّق الطود، وقال الحجر

بشارة تأثر بالرومنطيقية أكثر من شعراء عصره، وتلاقى بالآخرين الذين اتخذوها مثالا ينسج على غراره، لكن الكلاسيكية، والرومنطيقية، والرمزية، وخلافها من مدارس الشعر والرمز، إذا كانت وسائل تعبيرية للنسج والتفصيل، والهندمة، فهي قبل كل شيء عمل فكر ينبع، ومشاعر تفيض.

أنا أدرى بالطير حين تغني

كم جراح سالت على الأعواد

ومن هذا قوله:

عذرتك يا قلب مَن للهوى

أنتركه بعدنا يذبل

سكتنا فما غرد العندليب

وتبنا فما صفق الجدول

هويناك يا أبا عبدالله، كدت تفجر قلوبنا جراحا ونحن في مدارج الخمسين! ولا يغيبن عن البال أن الجناح الحسوني في ساعة يرف من قوافي الأخطل الصغير على الأقحوان، والغصون اللدنة، يبقى على طراوته، ورقته ساعة ترجف الأعاصير، وتزأر الأزمات. إنه مفن الكلمة الصناع، فهو يختار لها البحور حسب الزخم الزاخر في قريحته وأجوائه.

ضجت الصحراء تشكو عريها

فكسوناها زئيرا ودخانا

وما كنت أظنه سيلبس بردة النؤاسي، ويمد يده الى كيانه فيتناول قلبه، ويعلقه الى جانب قلبه، نابضا بمشاعره وأحاسيسه، ذاك الذي له سكرتان وللندمان واحدة، ثم يلتفت الى الحسين بن الضحاك الأشقر الخليع، فتعجبه أبعاد التجنيح في الكلمة، كما تروقه صناجية الأعشى، وخشاخش الأخطل الكبير، فيطلع على آفاق الشعر العربي المعاصر بفريدة الفرائد:

**فتن الجمال وثورة الأقداح**
**صبغت أساطير الهوى بجناحي**
**ولد الهوى والخمر ليلة مولدي**
**وسيُحملان غداً على ألواحي**
**أشتف روحهما وأعطي مثلها**
**روحاً، وأُسلم ليلتي لصباحي**

وهو مثلما كان يمعن في المحسنات اللفظية، عند مدارج شبابه، أصبح يزهد فيها بعد اتكائه على عرش الشاعرية، صنو المعري في مستهل أمره، وإذا بدرت تصنيعية في شعره الواثق من ذاته، فإنما هي حيث وضعت، ويبدو التميز عنده في لطف الكنايات والاستعارات، ودقة المقابلات التشبيهية:

**جمع الأحسنين في أوزانه**
**روح حَسّانِهِ، ووجه حِسَانه**

ولا أدري كيف تحضرني في البال صور من رومنطيقية لامارتين، ووهمية ابن الرومي ساعة اقرأ هذه الأبيات:

**يحمل الابتسام في شفتيه**
**والمنايا تسيل من أردانه**
**كسراج في جوف دير قديم**
**هرقت روحه على جدرانه**
**كعليل على فراش من السل**
**بعيد المزار عن إخوانه**

**كـــلـــمـــا ألحف الـــســـعـــال عـــلـــيه**

**أطـــعم المـــوت قـــطـــعـــة من جـــنـــانه**

**هـــكـــذا الـــشـــاعـــر الـــشـــقي يـــغـــني**

**لـــيـــغـــذي الأفـــراح من أحـــزانه**

أما براعته في التقطيع، والتوزيع، وهما غير الترصيع الشعري الذي يقابل السجع النثري، الشيء الذي يريح في توزيع الفلذات الشعرية، والموجات النغمية، فهو فريد بها:

**حـسـامـهم مـا نـبـا في وجه من ضـربـوا**

**ومـــهـــرهم مـــا كـــبـــا في إثـــر مَنْ هـــربـــا**

إلى جانب الصور التي يشرح بها انفعالات الأعماق، وتشوفات الخواطر:

**أو هـــضـــبـــة من خـــرافـــات مـــرقـــعـــة**

**بـــأعـــين من لـــظى أو من رؤوس ظُـــبى**

وقوله:

**مـــاذا نـــسـمـــيه؟ قـــال الـــبـــعض صـــاعـــقـــة**

**فـــقـــال كلا، فـــقـــالـــوا عـــاصـــفـــاً فـــأبى**

إلى قوله:

**يـــرى الـــســـراب عـــبـــابـــاً هـــاج زاخـــره**

**والـــرمل يـــلـــتـــحف الأزهـــار والـــعـــشـــبـــا**

يلتفت إلى ابن الرومي في قوله عن أمواج دجلة:

**كـــأني أرى فـــيـــهن فـــرســـان بـــهـــمـــة**

**يـــلـــيـــحـــون نـــحـــوي بـــالـــســـيـــوف الـــقـــواضـــب**

هنا، أجدني فتحت الباب، مدخلا لشعر الأخطل الصغير، الحبيب أبي عبدالله، متخذا من عبقريته في اكتشاف كنوز اللفظة وأجواء التركيب، وطريقة النسيج، والرصف، والتنغيم، كي أعود إليه مرة أخرى في منازع فكره، وأغراض شاعريته، التي رفّت وحدها في مجرى ثلاثين عاما على دنيا العرب، تغني أفراحهم، وتبكي مآسيهم، وتزرع اللهب، والعصف في يقظاتهم وثوراتهم.

هنا، قولوا لي، أي شاعر عربي في مدى ربع قرن لم ينهمر على مائدة بشارة الخوري، وينسج على طريقته؟ أقول واثقا ولا أستثني.

**د.علي شلق**

****

# شعر الأخطل الصغير
# بشارة عبدالله الخوري

**يوسف الخال**

النقد مشكلة مطروحة على بساط البحث. هل تصح أو لا تصح؟ فإن صحت فكيف، وعلى أي أساس، وإلى أية غاية؟ أينطلق الناقد من الأثر، فيشرحه ويحلله ويستخلص منه، كعمل إبداعي مستقل، حدوده وأحكامه وعالمه الخاص به وعطاءه الفريد؟ أم يتناول الأثر، فيقيسه بمقاييس سالفة تمت إلى هذا المذهب أو ذاك؟ ومن جهة أخرى، هل يجوز للناقد تقييم الأثر والحكم عليه، إطلاقاً، أم يكتفي بالإعراب عما تركه الأثر في نفسه وما أثاره فيه من مشاركة وتفاعل؟

هناك تساؤل من نوع آخر، هو ما يعنيني هنا. هل ننقد الأثر من ضمن إطاره التاريخي وبمفاهيم الحقبة التي وضع فيها، أم ننقده بمعزل عن الزمان والمكان وبمفهومنا الراهن، بما في ذلك ذوقنا الناجم عن تطور الحياة حولنا وفينا؟ وبكلمة أخرى، هل للأثر الإبداعي، في حضرة الحقيقة المعراة أمام بصيرة الناقد، شفيع خارجي؟ هل يجوز تبريره بحدود الزمان والمكان؟

جوابي على ذلك أن لا. إذ لو أقام كل جيل شفيعاً خارجياً لآثار الأجيال التي سبقته، فلم ينتق منها ما يجد فيه معنى لحياته الحاضرة المتطورة وعوناً له في سعيه نحو الأفضل – لأن هذا، في الأخير الأخير، علة وجود الأدب والفن إطلاقاً – لاختلط جيدها برديئها وتراكم بعضه فوق بعض في استمرارية توقع الأدب والفن في خطر الجمود. فمن طبيعة الحياة الحركة والتغير، كما من طبيعة العقل اليقظ إعادة النظر

■ شعر، عدد ٢٢ ، السنة ٢٦ ، ص١٠٧، سنة ١٩٦٢.

دائماً وفي كل لحظة، فكيف من جيل إلى جيل. وكثيراً ما يكتشف النقد آثاراً سالفة مغمورة، أو يبرز ناحية ما من نواحي أثر لم يكن له في زمنه، لأهل زمنه، المعنى الذي أصبح له اليوم. بل كثيراً ما يخفض النقد من قدر أثر سالف أو يرفع منه، والأمثلة على ذلك عديدة في تاريخ الآداب والفنون.

في عملية الغربلة الدائمة هذه، جيلا بعد جيل، تسمو بعض الآثار إلى مرتبة «الروائع»، وهي في تاريخ الحضارة قليلة. من خصائص هذه الروائع أنها تنطوي على قيم ذات معنى لكل جيل متعاقب، مهما تغيرت الحياة حوله وفيه. ويعود ذلك الى انفلات «الرائعة»، من حيث هي شكل ومضمون معاً، من حدود الزمان والمكان واستقرارها في الوجدان الإنساني الذي لا يحده زمان ومكان. فالإنسان يتغير في الرأي، وفي طريقة الحياة، وفي العادات والتقاليد، وفي الإصرار على هذه القيمة أو تلك من قيم الحياة والوجود، إلا أنه في جوهره يظل هو: يحب أو يبغض، يسالم أو يحارب، يفرح أو يتألم، يأمل أو يخيب، يعدل أو يظلم، يطيع أو يتمرد، يصادق أو يخون، الخ...، كما كان شأنه منذ آلاف السنين.

من هذا كله يتضح أن النتاج الإبداعي الذي يتجاوب مع جيل ما لأنه وجد فيه معنى لحياته، قد لا يتجاوب مع الأجيال اللاحقة لأنها لم تجد فيه أي معنى لحياتها. والعكس صحيح. على أن هنالك شرطاً أساسياً لا يصدق هذا القول إلا به، وهو أن يكون الوجود الثقافي في الأجيال اللاحقة وجوداً متحركاً لا جامداً، حراً لا مقيداً، منفتحاً على الحضارة لا منغلقاً عليها. ففي مثل هذا الوجود فقط، يتاح للعقل الناقد الباحث أن يعيد النظر في مآثره الإنسانية السالفة.

هذا الشرط قد بدأ يتحقق لنا اليوم، للمرة الأولى، منذ زوال آخر معقل لثقافتنا العربية الإسلامية في الأندلس. فوجودنا الثقافي، بل وجودنا عامة، هو اليوم على طريق الحركة. لقد انطلق ولن تقوى على تجميده ثانية أية عقيدة كلية، ثابتة، معصومة، تلجأ إلى البقاء والاستمرار عن طريق الأنظمة الزمنية الفوقية وما تنطوي عليه من تشجيع لـ «عبادة الفرد»، ومن مد الكائن الإنساني جسراً تعبره الدعوات المثالية المجردة إلى بناء

«المجتمعات الفضلى».

ساقتني إلى هذا القول مطالعتي الأخيرة لـ «شعر الأخطل الصغير»، بشارة عبدالله الخوري، هذا الشاعر الذي تبوأ بين الحربين العالميتين، ولا يزال، مكان الصدارة في الشعر العربي المعاصر: درسنا له القصائد ودرّسناها، ورويت لنا ورويناها، وغنيت على مسامعنا فرددنا الغناء. كان يمثل لبنان في المناسبات الكبرى، هنا وفي العواصم العربية، فيبيض الوجه ويخلع على المناسبة وشاح الرقة والصفاء والزهو. وكان الى ذلك رفيق كبار شعراء الجيل وجليسهم، ولعله كان أصغرهم سناً. حتى لقد سأله شوقي أن يرثيه بعد وفاته، كما يروي هو، وكما نعلم من هذا البيت في مرثيته:

**سألتنيه رثاء خذه من كبدي**
**لا يخرج الشيء إلا من مصادره**

وهي من خير قصائد الديوان، بل لعلها من خير ما قيل في الرثاء.

كان، إذن، لشعر الأخطل الصغير معنى لحياة اللبنانيين، بل العرب أجمعين، في الحقبة التي قيل فيها، أي ما بين الحربين العالميتين. كانت حياتنا آنذاك، في جوهرها لا في مظاهرها السياسية والاقتصادية، هادئة مستسلمة في ظلال عصبة الأمم والسيطرة الخارجية المشمولة برعايتها. لم يكن في العالم العربي دعوة دينمائية تتناول، بالنقض والرفض وإعادة النظر، أسس وجودنا القديمة. كان هنالك دعوة الى الاستقلال الوطني والتحرر من النفوذ الأجنبي، إلا أن غاية هذه الدعوة لم تتجاوز ذاتها. لم نكن نحن وحدنا هكذا. كان العالم كله، على وجه العموم، هادئا مستسلماً في ظلال الرجعية المتجددة التي حاولت الدول الاستعمارية والرأسمالية تعزيزها بواسطة عصبة الأمم. وحين بدأت أسس ذلك العالم تنهار، بدءاً من الضائقة المالية التي زعزعت أسس المجتمع الأميركي، مروراً بانتهاج النازية والفاشية سياسة متطرفة لم تكن في الحسبان (التوسع الألماني واحتلال الحبشة)، وبالحرب الأهلية الاسبانية وبسقوط عصبة الأمم، حتى الانتهاء بوقوع الحرب، ظللنا نحن هادئين مستسلمين. حتى القنبلة الذرية لم

تحركنا، كما أن نكبة فلسطين لم تحركنا أيضاً إلا بعد حلولها بسنوات. وإذا كنا قد تحركنا، بتأثير هذا السبب وحده أو بالإضافة الى أسباب أخرى، فلا يعني أننا دخلنا المرحلة «الثورية» في الصميم، إذ نحن لا نزال منها على الجوانب والأطراف.

وهكذا نجد وضعنا في تلك الحقبة منعكساً في شعر الأخطل الصغير، بل في شعر مجايليه جميعاً. وكان ، إذن، في هذا الشعر معنى لحياتنا، فنصفق له، ونردده، ونغنيه.

فما هي خصائص هذا الشعر؟ إنه شعر وجداني رقيق الأسلوب مشرق اللفظ، كأنما كتب للطرب والغناء. لا أثر للهموم الكيانية فيه، ولا للقلق أمام الوجود والمصير، إنه شعر بلا قضية. الموضوع المفضل: الحب. ولكنه الحب بمعنى شخصي ضيق – بث لواعج، ووصف جمال، ومطارحة، وعتاب لصد وهجران ، وتحرق لوصل أو استرجاع له. لقد عرفنا هذااللون في تراثنا الشعري بالغزل. وظل هو إياه، جيلا بعد جيل، منذ الشنفرى. وما كان ليدوم هكذا على تعاقب الأجيال لو لم يكن وجودنا الثقافي، بل وجودنا إطلاقاً، على ما ذكرته من الجمود.

إن موضوع الحب يظل الموضوع المفضل في الشعر. ولكنه الحب الذي ينطلق من تجربة الشاعر الشخصية الى المجابهة الشاملة التي تتكشف عندها قضايا المصير. إنه الحب الذي، وقد لمس بأنامله السحرية قلبين بشريين، يرتفع على الجلجثة في طريق صعوده الى الملأ الأعلى. كل حب، لكي يكون موضوع الشعر، يجب أن يكون الفداء والخلاص معاً. هذا النوع من الحب، كما يدل على ذلك شعرنا، لم نعرفه في تاريخنا الطويل. وما ذلك إلا لأن المرأة في تقاليدنا العربية كانت جسداً للحب لا تجسيداً له. لذلك انتهت وظيفتها عند حدود الجسد، عوضاً عن أن تبدأ به.

هل من لزوم التمثيل على ذلك من شعر الأخطل الصغير؟ لنكتف بهذا المثل من قصيدته «إلى امرأة»:

**هل كنت في أبهى ليالي الهوى**
**أيام كنت فتنة الناظرين**
**هل كنت إذ ذاك سوى آلة**

ألحانها مني ومنها الرنين
... إن جاءت الألحان تسبي النهى
فأي فضل عندها تدعين
... لقد كفاني أنني عاشق
وأنني كنت من المؤمنين

ومن قصيدة «يا حب، أهلا»:

يا حب أدركت قلباً
لولاك كان تحطم
... يا حب، يا حب أهلا
يا مشتهى العين والفم
أصبحت أعظم مثر
عندي سوار ومعصم!

لقد اشتهر الأخطل الصغير بين أقرانه بهذا النوع من الغزل الوجداني الرقيق، الدائر إلى حد بعيد في مدار الغزل العربي المتوارث. على أنه عُني كمجايليه بأغراض الشعر التقليدية، كالمديح والهجاء والرثاء الخ، ولم يقصر فيها. وله قصائد ناجحة، منها في رثاء شوقي وفيصل الأول. وكأني به قد أراد أن يبعد عن نفسه صفة كونه «شاعر مناسبات»، فأحب لقب «شاعر الهوى والشباب» وآثر أن يغفل الإشارة في صلب الديوان إلى المناسبات التاريخية التي قيلت فيها القصائد. بل إنه اقتطع، في بعض القصائد، الأجزاء الخاصة بالمناسبة، وأثبت ما تبقى على أنها قصائد مستقلة. وهو أمر، في نظري، لا يجوز. إذ إن القصيدة التي توحي بها مناسبة ما، هي جزء لا يتجزأ من القصيدة نفسها.

قلت إن من خصائص شعر ما بين الحربين العالميتين، وهي الفترة التي نظم فيها الأخطل الصغير معظم قصائده، الوجدانية والرقيقة والشكلية واللفظية وما إلى ذلك مما ليس، بالضرورة، خصائص تفرد بها الشعر في تلك الحقبة، وما ذلك، كما ذكرت،

إلا لأن الوجود الثقافي العربي ظل في جوهره هو إياه. وأريد أن أضيف هنا خاصية أخرى لهذا الشعر، هو أنه كان شعراً انتقالياً بين القديم والحديث، كحياتنا في تلك الحقبة تماماً. كان استمراراً للقديم، ولكنه كان ينطوي على بذور للجديد. لقد انتهى إلى شعرائنا آنذاك، أكثر من أي وقت مضى، خبر وجود شعر في العالم، فأقبلوا عليه إقبالا متفاوتاً في السطحية أو العمق. ومن الطبيعي أن يتأثروا به (شكلا أكثر مما تأثروا به مضموناً)، فقويت عند بعضهم وحدة بناء القصيدة، وعند البعض الآخر النزعة الرومانسية أو الرمزية. وحاول آخرون المسرحية والملحمة، كما حاولوا القصة الشعرية على غرار ملتون وشلي ولامارتين ودي موسه وسواهم من شعراء الحركة الرومانسية في القرن التاسع عشر. وإننا نجد هذا الأسلوب الشعري عند الأخطل الصغير، كما في قصيدتي «الحرب العالمية الأولى»، و «رب... قل للجوع». وهو أسلوب أول من أدخله إلى الشعر العربي المعاصر، على ما أعلم، خليل مطران.

هذا الشعر الانتقالي، الحائر بين الاتباع الصارم والتجديد الخائف المتردد، نعتبره مرحلة هامة وضرورية في تاريخ تطور شعرنا العربي. لقد مهد لحركة الشعر الحديث، في مطلع النصف الثاني من هذا القرن، إذ فتح أعيننا على الشعر في العالم، وأثار اهتمامنا به على مختلف فنونه ومذاهبه. وإذا كان هذا الشعر العربي، في مرحلة الانتقال هذه، قد افتقر، كحياتنا، إلى قضية تتناول وجودنا ومصيرنا وتضعنا في مستوى الإنسان الحديث، بمشاكله وهمومه، فإنما يكفيه أن يكون الجسر الذي عبرنا عليه إلى ضفة الحاضر.

هذه أفكار أثارتها مطالعتي لـ «شعر الأخطل الصغير». وهي لا تطمح إلى أن تكون دراسة نقدية تفي هذا الشاعر حقه، وهو الذي يتبوأ مكانته المرموقة في شعرنا المعاصر.

**يوسف الخال**

****

# صفحات مجهولة
# من حياة الأخطل الصغير
## ذهابه إلى بغداد لرثاء فيصل الأول

**فوزي سابا**

**فـــــراشي يـــــا وقـــــاك الـــــلـه**
**مـــــنـه بـــــعض أعـــــشـــــاب**
**وهـــــذي كـــــوبـــــتي الـــــفـــــخّـــــار**
**مـــــا فـــــيـــــهـــــا ســـــوى صـــــاب**
**فـــــمـــــا تـــــبـــــغـــــيه من بـــــابي**
**ومـن أنـت؟ أنـــــــــا الجـــــــــابـي**

كانت مجلة «البرق» لا تترك آهة من آهات هذا الشعب إلا وسجلتها بأحرف من نار حتى تمادى الجور وبلغت الأزمة المالية أقصى حدودها، وخيف من مجاعة تضرب هذا البلد، والدولة لاهية، لا هم لها سوى الإكثار من الضرائب وجمعها بدون شفقة أو رحمة من الفقراء والقرويين الجائعين، بينما راحت هي تقيم المآدب وتولم الولائم وتسفح الخمور والكرامات على أقدام أصحاب الانتداب.

وكانت مأدبة – عين تراز – التي أقامها حبيب باشا السعد – رئيس الجمهورية – إكراماً لأركان المفوضية الفرنسية بمناسبة عيد أول أيلول – عيد استقلال لبنان، تلك المأدبة التي تحولت الى ما يفوق ليالي ألف ليلة وليلة، باعثاً لقصيدة (عين تراز) التي طلع بها بشارة في مجلته «البرق» صبيحة العيد:

**لـــبـــنـــان عـــيـــد مـــا أرى أم مـــأتم**
**لـــــله أنـت وجـــــرحك المـــــتـــــبـــــسمُ**
**عـــــصـــــروا دمـــــوعك وهي جـــــمـــــر لاذع**

■ المواسم ، نيسان ١٩٦٦ .

يـتـنـورون بـهـا وصـبـحك مـظـلم
قل لـلـرئـيس إذا أتـيت نـعـيـمه
إن يـشْقَ رهـطك فـالـنـعـيم جـهـنم
أيـطـوّف الـسـاقي هـنـا بـكـؤوسه
ويـزمـجـر الجـابي هـنـاك ويـرزم
تـعـرى الـصـدور هـنـا عـلى قُبل الـهـوى
وهـنـاك عـاريـة تـنـوح وتـلـطم
والـكـهـربـاء هـنـا تـشع شـمـوسـهـا
وسـراج أكـثـر من هـنـاك الأنجم
لـبـنـان يـا بـلـد الـسـذاجـة والـوفـا
حـلـم وهل غـيـر الـطـفـولـة تحـلم
هـذا حـصـيـرك والحـبـيـبـات الـتي
كـانت غـذاؤك والـلـحـاف المـبـهم
بـيـعت لـتـهـرق في الـكـؤوس مـدامـة
هـي لا روتـهـم أنـفـس تـتـألم

ويهوي نسر قريش، فيصل الأول، ويتهافت العرب الى مدينة المنصور، بغداد ويتلفت لبنان فلا يرى سوى بشارة الخوري، يرفع لواء الشعر على ضفاف النهرين.

يحجم بشارة أول الامر، لسببين لا ثالث لهما، أنه وقد أرخت النوائب أثقالها عليه، من مادية وسواها، لا يريد أن يزيد في حقدها، وثانيهما أن الانتداب، ولم يبق بينه وبين بشارة، حتى ولا شعرة معاوية، يكره أن يقول لبناني كلمة الحق في فيصل.

أحجم بشارة لكن إحجامه لم يطل، وقد ألح عليه أصدقاؤه، ولأن لبنان في الميزان ومن لها إذا لم يكن هو؟ فذهب الى بغداد وكانت قصيدة – مصرع النسر – :

فـيـصل الـعـرب مـا هـززنـاك إلا
بـالجـفـون المـقـرّحـات الـسـواجمْ
بـالمـنـى الـذابلات بـالأمل الـدامي
بـثـكل الـهـوى وفـقـد المـراهم
فـهـززنـا لمـا هـززنـاك دنـيـا

من جـــمـــال وجـــنـــة من مـــراحم
قل لـــتـــلك الـــعـــهـــود في رهج الحـــرب
وفي ســـكـــرة الـــقـــنـــا والـــغلاصم
قـــد لمحـــنـــاك في عـــيـــون الـــثـــعـــالي
ولمـــســـنـــاك في جـــلـــود الأراقم
حـــدثـــونـــا عن الحـــقـــوق فـــلـــمـــا
كـــبـــر الـــنـــصـــر أعـــوزتـــنـــا الـــتـــراجم

كنا نتساقط أخبار وافدي العرب في يوم فيصل الأول في بغداد، ويد على قلب وابتهال الى الأعالي، أن لا يسوء لنا فأل ولا تسود لنا صحائف، لا سيما ونحن على سنان رمح والعالم أعين الى وافدنا وما طلعت علينا قصيدة الأخطل الصغير إلا ونحن على أبعد مما عنى الشاعر:

أفـــســـحـــوا في مـــحـــفل الـــشـــعـــر لـــنـــا
نـــحـــن من لـــبـــنـــان من عـــلـــيـــا دنى

رحنا نضرب سهامهم على أهدافنا، ونحك جوهرهم على محكنا، وكم كان من أشواط بين مراميا ومراميهم ولكم تفاكهنا على مطلع قصيدة أحدهم:

أبـــوغـــازي قـــضى فـــأقـــيم غـــازي
فـــأجـــزلـــنـــا الـــتـــهـــاني والـــتـــعـــازي

كلما جلست الى بشارة، تروح بي الذكريات الى أيامنا تلك فلا أزال حتى أتمثل قوله:

هـــكـــذا مـــهـــبط الـــنـــســـور وســـاد
من جـلال وقـــــبـــــــة من طـلاسم

وتسير الركبان على حداء شاعرنا وتعم النعمى العالم الفني، ويرجع بشارة الى لبنان، ليجد السلطات المختصة قد انتقمت من مجلته – البرق – لأنه أظهر وجه لبنان الوضاح وأعلى اسمه الفني.

مجلة البرق، الولد الذي نماه، وغذاه من روحه وجوانحه ونشأ وإياه على مجاملة أين منها مجاملة الملوك، شب والبرق، وارتاح إليها، خادنها وآخاها ولما الربيع يكاد يزهر، جاء السيف فقطع الوداد وشطر الحياة فبقي بشارة كفاً مفردة،

ووتراً تكاد به الريشة.

تألم وأي نفس تنعم باللمسة المنقاة وتستحم بالأرج الإلهي المنور ولا تذوب شجى أو تحني ذاتا متى زوغان مئخاذ، واعتزاز على مهانة..

(البرق) ذهبت لأن كلمة حق صدرت عن شفاه استحلى الندى أن يكون قطرة طيب مع لهاثها.

ذهبت (البرق) لأن سيفاً من عندنا ظن به الفلول، فلما جرد كان للنصل بهر على العيون ورواح الى الكبود، فراحوا إليه على ثأر وثني، ولما لم يجدوا سوى – البرق – يشبعون منها غلهم – انقضوا عليها وأطفأوها..

ما هاون هذا الرجل ولا حابى ولا لان، ولئن ذهبت (البرق) فليبق شعره، فراح منسجماً مع المزايا التي صدرت مخلوقاً على مخلوق يستأنس بالفردوسي على بروق ورعود:

**أدهى النصيحة ما يأتيك مرتديا**
**ثوب الصداقة تضليلاً وتمويها**
**ضننت بالذهب ابن الترب تمنعه**
**عنه وجاءك بالأفلاك يهديها**
**إن الملوك على العلات إن وعدت**
**فليس غير زوال الملك يثنيها**
**الله أكبر نفس الشاعر انفجرت**
**حمر القذائف لم تخطئ مراميها**
**رمى بها العرش فاصطكت قواعده**
**وطوقت جيد محمود أهاجيها**
**يا للعقوق أيبني مجد أمته**
**حتى إذا ساورت نفسا أمانيها**
**حتى إذا مد للألاء راحته**

نـحـو الأريـكـة عـضـتـه أفـاعـيـهـا
فـارتـد يـلـمس جـنـبـيه أأنـصُـلـهـا
أهـوت عـلـيه أم انـقـضت ضـواريـهـا
أإن وفت أمـة يـومـاً لـشـاعـرهـا
رمـاه سـافـلـهـا عن قـوس بـاريـهـا
إذا أسـاءت الى الآداب مملـكـة
فـاصـبـر عـلـيـهـا فـقـد قـامت نـواعـيـهـا

لئن لم يلن أو يحاب، زمن الانتداب، أيطلب منه أن يفعل ذلك ولبنان يسترجع أمجاده؟. سنة ١٩٤٣، ولبنان يتسلم مقاليد الحكم ويعز على اقتدار، وقف بشارة الأخطل الصغير، يتطلع الى الأفق فلم ير برقا ولا لمعا، وانتظر وصبر، علهم يفكرون فيردون إليه بعض ما له من أياد عليهم، ويرجعون البرق الى الحياة، إن لم يكن إكراماً وعرفاناً بالجميل، فعلى الأقل، كي لا يقال: ذهب الوفاء من الجبل..

انتظر بشارة بادرة خير من رفاق – المنزل الخشن – الذين أصبحوا حكاماً للبلد اللبناني، وأبت عليه كرامته، ثم ضناً بكرامتهم، أن يذكرهم أو ينبههم، فتجاهلوا أمره، وبقي هو صابراً يضم ألمه الى سره، فقد آلفه وبات من جوانحه، حتى كان زوال الرفاق وقيام سواهم، فظن الناس أن بشارة سيثأر منهم بالتقرب الى سواهم، ناسين أنه ما تقرب ولا تودد، ولا ساير إلا الحق، وكانت قصيدة – تشرين – وكان صفحهُ عنهم – الرفاق الذين نسوه – أقتل لهم من الحكم عليهم:

يـخـضـب الـشـوك من كـفـي ومن كـبـدي
دم عـلـيـه جـنـي الـورد قـد نـفـحـا
ألـبـست تـشـرين مـنـه يـوم مـولـده
ألا تـراه بـلـون الـورد مـتـشـحـا
عـرس أهـازيـجـه جـمـر وأكـؤسه
يـرويك مـغـتـبـقـا مـنـهـا ومـصـطـبـحـا
أرزيـة يـعـربـيـات شـمـائـلـهـا

لـو قـبّـلت أبـكـمـا في ثـغـره فـصـحـا
لـــكـــنه وطن فـــديت مـــهـــجـــته
بمـهـجـتي نـبـذ الأحـرار واطـرحـا
سـقـيت ريـحـانه من مـدمـعي ودمي
هـــذا إذا انـــهل أو هـــذا إذا ســـفـــحـــا
شـطـران قـلـبي، شـطـر لـلـمـقـيم به
عـلى الـوفـاء وشـطـر لـلـذي نـزحـا
تـشـرين قل لـلـتـشـارين الـتي سـلـفت
لـنـا عـتـاب ولا نـرضـاه إن جـرحـا
أسـمى وأكـرم عـفـو أنت مـانـحه
عـفـو الـذبـيح عن الـسـيف الـذي ذبـحـا

خلال جميع أحاديثي مع الأخطل الصغير، وفي أضنى حالاته النفسية، وحتى إبان مرضه، لم ألحظ عليه يأساً مشلاً مثلي عندما كنت أذكره بالبرق وتلك الحقبة الدكناء الموجعة..

قال لي، ونحن على سمر، وكأني بالذكريات تتكاثف مجسدة ذاتها هنا وهناك في الزوايا وعلى المقاعد، قال لي: أعجب العجب في الناس، أنني أنا الذي ضحيت بكل ما أملك، والتفت الى البنايات الشامخة التي تحيط بداره والتي كان يملك أرضها، أنا بعت كل هذه الأملاك، بعتها كلها بأبخس الأثمان من أجل الإنسان الذي في صدري ومن أجل الكرامة التي صنتها لي وللآخرين، فلما يسروا وتربعوا على منصات الحكم تنكروا لي ضاربين بالقول عرض الحائط:

إن الـــكـــرام إذا مـــا أوســـروا ذكـــروا
من كـــان يـــألـــفـــهم في المـــنـــزل الخـــشن

حتى مجلتي ـ البرق ـ التي شغلت العالم الأدبي وكانت منبراً لأقلام العرب الحرة، من شعر وأدب، ضنوا علي بها، وماشوا أسياد الانتداب في تحريمها، لكن:

عـجـبـاً لـشـاعـر أمـة حـسـنـاته
في جـيـدهـا ويـكـافـأ المـتـمـلقُ
أنـا لا أمنّ رضـيت أني طـيـرهـا الـشـا

**دي وأني جـــفـــنـــهـــا المـــغـــرورق**

نعم أنا لا أمن، إنما أشفق على هؤلاء، فالتاريخ لا يرحم، ولئن مروا على صفحاته فسيعلم الناس أيّنا الصدي.

أنا لا أمن، وحسبي ما قلته عندما تكرموا بدعوتي الى حفل من مآدبهم، ثم راحوا يسألون عن أوسمتي كما يفرضه قانون التشريفات:

**أيـــفـــرضـــون عـــلـى مـــثـــلـي ملابـــســـهم**
**ويـــســـألـــون ثـــيـــابـي عن نـــيـــاشـــيـــنـي**
**كـــأنـــنـي لم أكن عـــنـــوان فـــخـــرهم**
**يـــوم انـــطلاق الـــقـــوافي في المـــيـــادين**
**إني لمن مـــعـــشـــر لـــولا يـــراعـــتـــهم**
**مـــا كـــان لـــبـــنـــان غـــيـــر المـــاء و الـــطـــين**

ما عرفت في هذا الرجل إلا الرجولة، كثيرون أخذوا عليه لدانة العود ولين الجانب، وآخرون حسبوا رقته ضعفا، حتى لقد ذهب بعضهم الى نعته بالشاعر البكّاء، وأصدروا كتيبا على هذه الناحية منه، أما عارفوه فمتأكدون من أن مماشاة عليا المثل وكمالها، هو أن تكون أنت كاملا وأن بشارة قد أصاب بقوله:

**ومن الـــدمع مـــا يـــهـــزك لـــلـــعـــطف**
**ومـــنـــه المـــدمّـــرات الـــهـــوادم**

لكنه لم يأبه بهم، لأنه لو راح يسود الصفحات على هؤلاء وأولئك داحضا مزاعمهم لتقززت نفسه وأصيب بالسهم الذي أرادوه له.

حسب بشارة أنه والعرب يسعون الى ذكرى شاعر النيل حافظ ابراهيم، والأعين شاخصة والأكف على الصدور، أن يكون هو الواحد الذي غنّى الموت جاعلاً منه عرسا:

**عـــرس مـــاجت الـــبـــشـــائـــر فـــيه**
**وتـــوالت صـــبـــابـــة وعـــنـــاقـــا**
**واســـتـــثـــار الأرواح في الملأ الأعـــلى**
**فـــأتـــلـــعْن نـــحـــوه الأعـــنـــاقـــا**

يـــتـــضـــاربن بـــالجـــوانح تـــزحـــامـــاً
ويمـــعن في الـــفـــضـــاء ســـيـــاقـــا
ومـــشى بـــالـــدنـــان حـــور وولـــدان
عـــصـــرن الخـــدود والأحـــداقـــا
ونـــثـــرن الأزهـــار ممـــا كـــســـا الـــروض
وممـــا كـــســـا الـــقـــدود الـــرشـــاقـــا
وهـــززن الـــنـــهـــود من خـــلل الـــوشي
ولمـــلـــمن مـــا أحـــاط الـــســـاقـــا
فـــتـــغـــنى وشـــبب المـــتـــنـــبي
وتـــصـــابى الـــصـــابي أبـــو إســـحـــاقـــا
مـــرحـــبـــا روح حـــافظ دونك الخـــلـــد
عـــيـــونـــا وأكـــؤســـاً ورفـــاقـــا

قلت: اني عرفت بشارة الخوري على أبعد ما في المعرفة من حقائق، أما في عرس حافظ ابراهيم، فقد عرفه العالم على أبعد متاهات الفن الرفيع، وعرفه العرب على مطلق السماح:

مـــا نـــســـيـــنـــا لك الـــقـــصـــائـــد حـــمـــراً
يـــوم عـــاثـــوا في المـــشـــرقـــين شـــقـــاقـــا
فـــغـــســـلتَ الجـــراح بـــالـــســـلسل الـــعـــذب
وصـــيَّـــرت كل خـــلـــف وفـــاقـــا
ودوى صـــوتك الـــنـــذيـــر بمـــصـــر
كـــمـــا رُعت حـــالمـــا فـــاســـتـــفـــاقـــا
أو كـــســـرب من الحـــمـــام نَـــهـــيكٍ
أثـــخَـــنْـــته يـــد الـــنـــوى إرهـــاقـــا
يـــزرع الـــريش في المـــفـــاوز جـــمـــراً
مـــثـــل زرع الـــعـــواصف الأوراقـــا

كذا كان أمر بشارة مع الجماعة، ذهبوا بالبرق وتناسوا بشارة، ولما العياء واللهث

يكاد... رجعوا الى الواقع، وكان بشارة صناجة العرب، لا جودا ولا كرما منهم بل حاجة ماسة لا يأخذ بها ظن، أمرت وكان أمرها حكمة.

كنت وإياه والعصر يكاد يستقدم المساء، ونحن على وساوس، عندما جاءوه يتمنون عليه أن يمثل لبنان في ذكرى شوقي، فترجح بين القبول والرفض، قال لي: ما حيلتي مع هؤلاء، لئن بادلتهم ـ عواطفهم ـ أكون على شاكلتهم، وأنت تعلم ما يضمرون، إنما لبنان الآن في كفة ميزان، أضف الى ذلك صداقتي لشوقي، فهل أتخلى عن الأمر ضاربا بالمثل والصداقات والمكارم لأنهم هم..؟.

وذهب بشارة الى مصر، وحان موعد المهرجان قال لي: أحس بحمى في العظام وحمى في النفس أين منها حمى المتنبي، وهم يريدونني أن أكون على المنبر، آمنت بالجنة، ما أنا فاعل؟ قلت: لا بأس عليك، يجب أن تذهب، أنت لست لنفسك، أنت لست بشارة الخوري، الأخطل الصغير، أنت الآن لبنان:

أنت: زمن لا كلمة بل نطق كان لنا الأرجوان
زمن نطق ولا حرف كان لنا الحاضرات،
زمن نطق ولسان وحرف كان لنا العالم،

هل شهر سيف إلا ونحن على ذؤابتيه، هل كان لبنان لولا أفراد منه جذبوا الكل اليه فلما عمر بالكل نهد وكان.

لا، لا.. يجب أن تتجالد، وتذهب الى الحفل، لبنان له أوجه عديدة، أما الوجه الحق فوجه أبنائه البررة.

وتهافت الكبار، الأدباء والشعراء الى غرفة بشارة في الفندق، فارس باشا نمر، خليل مطران شاعر القطرين، إميل زيدان صاحب دار الهلال، وأصحاب الأهرام، وسواهم، كلهم هرعوا يفتقدون بشارة فالمهرجان قد ابتدأ والخطباء يتتالون على المنبر، وبشارة تحت وطأة الحمى...

ولما شاهدوه على حالته تلك، قالوا له يجب أن تذهب مهما كلف الأمر أنت الآن

لست صديقنا ولا حبيبنا، أنت نحن كلنا.. أنت لبنان.. وراحوا إليه بعضهم أحضر الدواء، وبعضهم ألبسه ثيابه، وحملوه حملا الى المنبر والشفاه على ابتهال والأيدي الى الأعالي كي تسمح له الحمى بالوقوف وإتمام رسالته..

في حفلة شوقي التأبينية، صفق النظارة ذلك أن لبنانيا هو الأخطل الصغير تناول السحر ورمى به العالم..

عرس كان مأتم حافظ ابراهيم على يدي بشارة أما مأتم شوقي فكان مهرجانا ذلك ان خالدا من عندنا شهد بالحق لشاعر، فحاز الشهادة وكانت له الجنة..

**قـــال الملائكُ من هـــذا فـــقـــيل لـــهم**
**هـذا هـوى الـشـرق هـذا ضـوء نـاظـره**
**هـــذا الـــذي نـــظم الأرواح فـــانـــتـــظـــمت**
**عِـــقـــداً من الحب سِـــلك من خـــواطـــره**
**هـــــذا الـــــذي رفع الأهـــــرام من أدب**
**وكـــان في تـــاجه أغـــلى جـــواهـــره**
**هـــذا الـــذي لمس الآلام فـــابـــتـــســـمت**
**جـــراحـــهـــا ثم ذابت في مـــحـــاجـــره**
**كم في ثـــغـــور الـــعـــذارى من بـــوارقه**
**وفي جـــفـــون الـــيـــتـــامى من مـــواطـــره**

بعد ربع قرن من هذا الحدث الأدبي في دنيا العرب، يقوم شاعر سوداني اسمه طه ياسين ويخرج قصيدة بشارة الخوري في رثاء شوقي، أوبرا ويقدمها الى العالم.. قال لي بشارة، كم يبعد هذا الشاعر السوداني عن أولئك الذين أخذوا علي قولي في شوقي:

**ســألــتــنــيه رثــاء خــذه من كــبــدي**
**لا يـــؤخـــذ الـــشيء إلا من مـــصـــادره**

فقالوا لقد تاه بشارة على شوقي ودل، ومنَّ عليه، حتى في الرثاء، وهم لو عرفوا حديث ما وراء هذا البيت من الشعر لكفوا أنفسهم استنباط الأعذار والحوادث، وكم

يفهم الشعر متى عرفت ظروفه، دوافعه وممنعاته.

أنا لا أدلُّ ولا أمنّ على شوقي إنما هي حقيقة مرت في هذا البيت من الشعر..

كنت أخبرتك أنني تعرفت بمحمد عبدالوهاب في المأدبة التي أقامها في عاليه فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ شارل دباس على شرف أحمد شوقي وكنت من المدعوين الى المأدبة.

وصلنا عاليه، وما كدنا ندخل القصر الجمهوري، حتى وجدنا أحمد شوقي تحت يدي الطبيب معصوب الرأس، أصفر الوجه، فعرفنا أنه وهو في طريقه الى عاليه تعرضت سيارته لحادث أدى الى بعض الرضوض والجراح..

وكنا مدعوين معا لتأبين فقيد سوريا آنذاك ـ فوزي الغزي ـ فلما رآني شوقي قال لي ما حرفيته: كنت يا بشارة حتقول مرثايتين... يعني مرثاة به وأخرى بفوزي الغزي، وبالطبع طيبنا خاطره، وبما أن الحادث كان بسيطا فقد جلس معنا على المائدة ثم ذهبنا سوية الى دمشق وألقى قصيدته المشهورة في فوزي الغزي.

⁂

وتروح الأيام، وهدأة الشعر عند بشارة تكاد تتحول إلى قيلولة أو إغفاءة، ويتلفت العرب مفتقدين ركنا كبيراً لهم، فيحس عالمهم الأدبي بميلان من هنا وترجح من هناك، فقسطاط قد مال. وصداح قد مل الغناء فلا عندلة ولا ترجيع ولا شجو ولا سموط مرصعة ، ويرجع عالمنا مفتشا منقبا ليكون مهرجان الأخطل الصغير، وتتويجه أميرا للشعر.

في قاعة الأونيسكو، ووافدو الأقطار العربية يقولون في بشارة الخوري، عادت بي الذكريات ، لا سيما وأنا أستمع إلى شاعر العراق، محمد مهدي الجواهري، إلى يوم الزهاوي في بغداد، وقصيدة بشارة البائية، فالوزن ذاته والقافية ذاتها، إنما هنا

---

- حلقة أخرى من المقالة... المواسم ، أيار ١٩٦٦

الجواهري، وهناك الأخطل الصغير.

عادت بي الذكريات إلى يوم ذهب بشارة يحمل إلى بغداد أمجاد لبنان وفصاح لبنان وجمال لبنان في يوم صديقه الزهاوي، فرجعت إلى الأثر الذي تركه في النفوس. وإنني ما زلت أذكر ساعة قام رهط من المتأدبين الذين ساءهم أن يحلق بشارة إلى أجواء متى التفتوا إليها أصابهم خدر وبهر، فراحوا إلى عصمائه تلك ولما لم يجدوا فيها شفاء لسقمهم عابوا عليه قوله:

**وتـــلـــفـــتت زمـــر الجـــنـــادب**
**من فـــويـــهـــات الـــثـــقـــوب**
**يـــتـــســـاءلـــون من الـــفـــتى**
**الـــعـــربـي في الـــزي الـــغـــريب**

قالوا: ومن أين جاء بشارة بالجنادب إلى الصحراء، وقال بشارة: حسبنا الله ونعم الوكيل، لئن خلت الصحارى من جنادب فأين نجدها؟ أتريدني أن أنزل إلى مستواهم وهم من تعرف فتذكرت قوله في موقف كهذا:

**ورب أخ رأى فـــرحـــاً بـــذمي**
**فـــقـــلت رضـــيت ذمك لـــو شـــفـــاكـــا**
**أتـــطـــمع أن تحـــلق لـــلـــثـــريـــا**
**فـــتـــطـــفـــأهـــا عـــدمت إذاً حـــجـــاكـــا**

قال لي الجواهري بعدما جاء ممثلا العراق في مهرجان بشارة الخوري، أنا ما قصدت معارضة قصيدة بشارة في الزهاوي، إنما وأنا في الطائرة الى لبنان، لم يجل في خاطري إلا هذه القصيدة، وزناً وقافية، وكم مانعت وكم حاولت طردها لحنا ونغما فبقي شجوها على مفاصلي، وكنت كلما تهالكت للانفلات من جوها علقني منها طيب وأخذتني نعم، وما زلت إلا وبين يدي هذان البيتان:

**وأتـــيت لـــبـــنـــانـــاً بـــجـــا**
**نـــحـــتـــين من ريح غـــضـــوب**
**مـــثل المـــســـيح الى الـــســـمـــا**
**ءِ وقـــد حـــمـــلت عـــلى صـــلـــيب**

عصر بشارة، الأخطل الصغير، دورة خيرة في مدار الدائرة النيرة التي من إشعاعها كان تحلي الزمن للتمني المتجسد أقنوما موحداً في انطلاق المكون نحو التكوين البديع..

مما يروى عن أحد كبار شعراء الفرنسيس، أظنه لامرتين، أنه وهو جالس على غزل مع إحداهن، أخذ التدله منها استيعاب النشوة فسألته في خفر وغنج لماذا تنبت لكم انتم الرجال لحى ولا تنبت لنا نحن النساء؟

أكاد أجزم أن الشاعر الكبير كان على رخاء ريق، غلبت فيه العبقرية حلاوة التلذذ فأجابها على انسراح: هذا لأننا رجال وأنتن نساء..

لما بويع بشارة الخوري بإمارة الشعر، راح بعضهم يتساءل، لماذا بويع؟ وآخرون قالوا بإنكار الإمارة في الشعر، فما أقرب هؤلاء وأولئك الى المحظيات، وما أحراهم بجواب الشاعر الفرنسي الكبير..

شعر بشارة، على لسان المفكرة الريفية، ثياب رعيان تفوح منه رائحة الحقل، بغوانيه، من قصعين ومردكوش الى النسرين والزئبق، وأحيانا تنبت اللحى على ذقون النساء.

يقول شكسبير، دع أصحاب الألقاب والرتب يفخرون ويتباهون بما ورثوه واتركني أنا قانعا بما جنته يداي، فأنا أحب وأحب ولا ينازعني في حبي منازع – الأخطل الصغير على تراثه الخير، يبقى على لسان شكسبير، راضيا قانعا بما جنته يداه وكم يصدق قول عمر بن أبي ربيعة على حال شاعرنا:

**حسد حملنه من أجلها**

**وقديما كان في الناس الحسد**

من يقل إن بشارة الخوري ليس إلا غزلا لعوبا بالكلام، يتجنى على الأرواح في مدارها، قلت له، يقولون إنك لا تبرع إلا الغزل وتسميط الألفاظ وأنك بكّاء، قال: سامحهم الله، هم لا يعلمون ما يقولون، فيوم طغى الطاغي علينا، وتأرجح شهداؤنا

على أعواد المشانق وأصبحت فلذاتنا على السابلة، من منهم جازف براحته – ولا أقول بحياته – وجابه الطاغية، أظنهم لم يقرأوا قصيدة (المهى أهدت اليها) ولا قصيدة (الريال المزيف) – ولا غيرها من ثائراتي. ثم عندما أرسلوا الجباة يروعون النساء والأطفال باسم جباية الضرائب المتأخرة، وكان لبناننا يرزح تحت أزمة خانقة من منهم تجرأ ونطق حرفا، ولا أقول كتب مقالا أو أنشد قصيدة تدور على حالتنا المزرية، وفي نكبة فلسطين هل استطاعوا اللحاق بغبار قولي:

**سائل العلياء عنا والزمانا**
**هل خفرنا ذمة مذ عرفانا**
**المروءات التي عاشت بنا**
**لم تزل تجري سعيرا في دمانا**
**ضجت الصحراء تشكو عريها**
**فكسوناها زئيرا ودخانا**
**مذ سقيناها العلى من دمنا**
**أيقنت أن معدا قد نمانا**
**شرف للموت أن نطعمه**
**أنفساً جبارة تأبى الهوانا**
**وردة من دمنا في يده**
**لو أتى النار بها حالت دخانا**

لئن أخذهم ما في شعري من شجو، فغابت عنهم ممنعاته، أيكون ذلك ذنبي، لاسيما وللحرف عندي نغم ولحن، وللكلمة إيقاع خاص تجعل من الشعر سمفونية متماسكة الأصوات.

لما أصدر ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة استسهل الناس أسلوبه، ولما أرادوه امتنع عليهم في خفر ورقة وكبرياء، ولما استعصى أمره، دعوه (بالسهل الممتنع) بعد ثورة على صاحبه أوصلته الى الموت حرقا في أتون.

في القرن العشرين، وقد مضى على الوأد أجيال، عادت بعدها السهولة الى الكلمة وزها الامتناع والتدله، والغنج والرواء المياس على كبر التيه المستحب في

قشيب مطارف وتجرير أذيال، على ليونة انعطاف، فكان أن أرادها الناس لسلاسة روي وتحنان وتر في تنغم رخيم، فلما سهل عليهم السماع وعصى الوقع عادوا الى مالك والخمرة، وقالوا عن شعر بشارة الخوري، وترٌ بحّ على ريشة مكسال.

لم يأسف بشارة لشيء أسفه للتداول والتنابذ وأولئك – فكلما ألمحت إليهم، ونحن نتنادم الذكريات صمت، فقلت له ذات يوم، أنت مُلاعب أفعى ومراقص لنمر، إعجابك بقدرتك وانطلاقك، ولذتك المنجذبة الى تفاعل – الأنا – مع رخاء الروح، تفوق الخوف والرهبة، وللأرواح مدار ورضى، فكما تتقزز من القبح والنتن، كذلك يغور النغم على أنامل الحقارة.

قال أصبت وأخطأت معاً، فمن الخصال الذميمة عند بعض المتألهين في – عالمنا الأدبي والشعري – الذين لا تبتعد آفاقهم أكثر من مدى أنوفهم، أنهم بدلاً من رفع أخصامهم إلى أعلى مستوى ثم إظهار أنفسهم أعلى مرتبة من الأخصام يحاولون الحط من الآخرين، علهم يرتفعون هم، كأنهم لم يسمعوا قول عنترة:

**ومدجج كره الكماة نزاله**
**لا ممعن هرباً ولا مستسلمِ**
**جادت له كفي بعاجل طعنة**
**بمثقف صدق الكعوب مقوّم**

من المشارق والمغارب يأتون الى أحضان (ابراهيم) وفي أعراس الشعر خلال جيل كامل جلاه وافدنا على مرايا صقيلات، لم يرتفع صوت على صوتنا ولا شاعر على شاعرنا فكان لأمين نخله أن يقول عن حق، في مهرجان الأخطل الصغير.

**فارفع الصوت إنه صوت**
**لبنان وردد به ونعم الجهير**

لكل ثورة، شهداء، بعضهم يطوب وأكثرهم يزج بهم جماعات في حفرة يكتبون على حجارتها هنا يرقد جندي مجهول، والثورة الأدبية التي شملت البلاد العربية

سألت التطويب لذاتها ومنعته عن شهدائها، فلما استعلت الشهادة على الذات، ولا يأتي ذلك الأغرار في جبين الأدهار، كان بشارة الخوري، رسولنا الخير، علامتنا الدامغة على الأعصر، هو الذي جعل الذات أن تكون امتدادا لعصر وإكمالاً لرسالة في مصر، زمن حافظ ابراهيم وفي دمشق زمن فوزي الغزي، وفي بغداد زمن فيصلها وزهاويها، كان بشارة أمينا على قوله:

**أنـــا دمـــعـــة الأدب الـــكـــئـــيب**
**رســـالـــة الـــشـــعـــر المـــذيب**

وهو على غياض بردى، زمن راق النغم ورق، وتثنى الغصن مياسا على بوحة النهر وتهليل الضياء.

**سل عن قـــديم هـــواي هـــذا الـــوادي**
**هل كـــان يـــخـــفق فـــيه غـــيـــر فـــؤادي**

ولما عزت النفوس في دمشق على تالد وتليد نشوى إحلال أحلامها موضع اليقين، وجرى مع بردى صداح كادت تروح به الأعصر كان بشارة على عهدنا به:

**بـــردى نـــظـــمت لـــنـــا الـــزمـــان قـــصـــائـــدا**
**بـــيـــضـــاً وحـــمـــراً من نـــدى وصـــفـــاح**

أما في لبنان، فهل ترك بشارة يوما ولم يؤرخه ممهورا بقلائد حسبها أنها على الشفاه تدور مع اللمى وفي الخاطر ما حلمت به الخواطر حتى تتجسد حقيقة.

**نشء لـــبـــنـــان هـــذه رايـــة الأرز**
**فـــإمـــا الـــفـــداء بـــالـــنـــفس أو... لا**
**قم نـــخـــشن مـــنـــا الـــيـــدين فلا**
**نـــحـــصـــد حـــقلا إلاّ ونـــزرع حـــقلا**

---

- حلقة أخيرة من المقال... المواسم ، حزيران ١٩٦٦

**الأكف الـــلـــدان من شـــغف الـــغـــيـــد**
**فـــحـــدد مـــنـــهن لـــلـــحق نـــصلا**
**شـــقـــيت أمـــة إذا المجـــد نـــاداهـــا**
**تـــلـــوَّت عـــلى الأســـرَّة كـــســـلى**
**أي فـــتـــى الأرز هب نـــســـتـــبق**
**الـــفـــجـــر بـــفـــجـــرٍ من نـــاظـــريك أطلاّ**
**اغل مـــهـــر الـــعـــلى إذا كـــنت شـــهـــمـــاً**
**هـــان من نـــام في الـــطـــريق وذلا**

لما أحلت هيلانة نفسها الى باريس، وزهت أطيابه مشواقة رغائب، أهدى إليها ثوبا لبناني الصنع، كانت زواهيه المغرية هي التي حملت الملكة على ترك كل ما في بلادها من مشوقات والالتحاق بفاتنها...

ووافد من عندنا، يبتهل الملهم لو استطاع أناقته، ولطافته، أحل الوئام محل السيف، وكان أن اجتمعت سجايا عريقة الأصل على أنمل لو زفت العود لغنى وصبا وحدث على استلهام.

لم يكن شعر الأخطل الصغير لونا واحدا بل ألوان متعددة، اجتمعت على تألق راح به بشارة الى معامي الخوافي يفتق عنها الطلاسم ليزفها الى الشعر مزهوة الرواء، في برود من تماوج ألوانها عمرت دنيانا بما لم يحلم به شفق أو تغنه صوادح على سوحة عطر وافترار صباح:

**أنـــا في شـــمـــال الحب قـــلب خـــافق**
**وعـــلى يمـــين الحق طـــيـــر شـــادي**
**غـــنـــيت لـــلـــشـــرق الجـــريح وفي يـــدي**
**مـــا في ســـمـــاء الـــشـــرق من أمـــجـــاد**

لو أنصف النقاد بشارة، لقالوا عنه عاد عمر بن أبي ربيعة، كما قال نقاد الفرنسيس من قبل في شكري غانم، عاد راسين الى الحياة، وكفاه قصيدته – عمر ونعم – أن يكون ذلك الغزل:

قل لي بـــنـــعم وبـــأتـــراب لـــهـــا
يـــلـــعـــبن مـــا شـــاء الـــصـــبـــا والأشـــرُ
لـــيـــلـــة ذي دَوْران هل كـــانت كـــمـــا
حـــــدثت أم أخـــيـــلـــة وصـــور
ونـــعم هل كـــانت كـــمـــا صـــورت أم
بـــالغ في تـــلـــويـــنـــهـــا المـــصـــور
وذلـك المجـن مـــــــا أوهـــــــنـه
يـــكـــاد من رقـــته يـــنـــتـــثـــر
يـــا لـــلـــمـــنى أعن يمـــين كـــاعب
وعن شـــمـــال كـــاعب ومـــعـــصـــر
فـــمن هـــنـــا حـــيث تـــنـــدى الـــزهـــر
ومن هـــنـــا حـــيث تـــدلى الـــثـــمـــر
وأنت لا تـــألـــو دعـــابـــا في الـــهـــوى
شم وتـــقـــبـــيل وأشـــيـــا أُخـــرُ

قلت له عمرت الدنيا بشعرك وعطرت أجواء العرب، فكيف أنت والناس اليوم؟ قال وماذا يبتغي الشعراء مني، وماذا أبتغي بعد الذي حزته؟ أما الماديات فهل التفت إليها في أشد الأزمات وأدهى النوائب حتى ألتفت إليها الآن؟ ألم أقل:

أنـــا لا أمنُّ رضـــيت أني طـــيـــرهـــا
الـــشـــادي وأني جـــفـــنـــهـــا المـــغـــرورق

أنا لا أمنّ، كفاني ثروتي الأدبية، وراح الى أدراج مكتبه يقلب رسائل كبار أدباء العرب إليه، فكنت وكأني أعيش حياة هؤلاء العباقرة الخالدين مجسدة في هذا الرجل، فأنظر اليهم وأنشق فواغيهم من خلال شعره:

لا تـــقل خـــانت الـــقـــوافي فـــحـــسب
الـــشـــعـــر مـــنـــهـــا أبـــيـــاتـــهـــا المـــعـــدوده
يـــتـــهـــادين في غلائل كـــالـــورد
ويـــهـــبـــطن من ســـمـــاء بـــعـــيـــده
شـــهـــد الـــله مـــا لمـــسن جـــبـــيـــنـــاً

# الشاعر بشارة الخوري

**الأب رفائيل نخلة اليسوعي**

ليس من يجهل بشارة الخوري – الأخطل الصغير من الواقفين على تطور قريضنا العصري، ولو لم تظللهم سماء لبنانه الصافية الزرقة والشفافة الضياء في أكثر الأحيان، فقد انتشرت قصائده في كثير من صحف العالم العربي ومهاجره، وظهر له ديوانان، «الهوى والشباب» سنة ١٩٥٣، و «شعر الأخطل الصغير» سنة ١٩٦١ .

قلما عالج فلسفة الحياة، بيد أنه يجاهر في شأنها بآراء مادية محضة، يتحذلق مدعيا أن العقل البشري عاجز كل العجز عن تأكيد وجود إله قيوم، لامتناهي القدرة قد أخرج من العدم جميع الخلائق الروحية والمادية، فيقول عن الكون الشاهد بربوات بدائعه على كمال بارئها، الفائق اسمى العقول:

**سمّه الضفة التي يعبر الأحـ**
**ـياء منها، أو سمِّ ذلك جسرا**
**سمِّه المصنع الذي يفعل التحـ**
**ـليل في جوفه عجائب كبرى**
**يتلقى الأجسام، وهي جماد**
**ثم يعطيكها حياة وفكرا**
**سمِّه الهازىء العظيم، إذا را**
**قك، أو سمِّه، إذا شئت، قبرا**

.....

**تالله ما معنى الوجود، وحكمه**
**حكم الفناء، وأمره لنفادِ**

■ المشرق، تموز ١٩٦٦، سنة ٦٠، ج٤-٥.

**إلا مـــشـــقـــات الـــطـــريق الى الـــثـــرى،**

**بـــــين الأسى وتـــــفـــــتت الأكـــــبـــــاد؟**

في قصائد أخرى يترنم بعظمة الله، بل يسجد لها :

**ربِّ، إن الـــكـــون، مـــهـــمـــا عـــظُـــمـــا**

**هـــو في عـــيـــنـــيك لا يُـــحـــسبُ شيْ**

**قـــدرةٌ ذلت لـــديـــهـــا الـــعُـــظـــمـــا**

**كـــلـــهم فـــانٍ، وســـبـــحـــانك حي!**

بيد أنه، في القصيدة ذاتها، يعدّ الله تعالى مسؤولا عن جرائم البشر، ولاسيما سفكهم دماء ملايين إخوتهم في الحروب الضروس المتواترة، فتبلغ وقاحته حد طلبه من مولاه السامي الحكمة، أن يلاشي القمرين ويستأصل أبناء آدم برمتهم :

**ربِّ، قل لـــلـــجـــوع يـــصـــبح شـــبـــعـــا،**

**وانـــقـــذ الـــطـــهـــر الـــذي قـــدســـته**

**أو مُـــر الـــفـــسق فـــيـــغـــدو ورعـــــاً**

.....

إلى آخر الأبيات.

لا غرو من ماديته البادية في بعض منظوماته، والمستشفة في غيرها، ولا من قلة احترامه لله تعالى، فإنه قد ألّه المرأة كل التأليه، فوقف على عبادتها جل أفكاره وخيالاته وعواطفه، ونظم في وصف محاسنها الفتانة معظم قصائده، ومازال متيما بها في شيخوخته كما كان في كهولته، بل في عنفوان شبابه. كثيرا ما نراه، في شعره الغزلي، يهذي هذيانا، لا معنى له على الإطلاق إلا في عقله المصاب بالجنون الجنسي. هاكم عدة أمثلة على ذلك اللغو المستهجن :

**فـــتن الجـــمـــال وثـــورة الأقـــداح**

**صـــبـــغت أســـاطـــيـــر الـــهـــوى بـــجـــراحي**

**ولـد الـهـوى والخـمـر لـيـلـة مـولـدي**

**وسـيـحـملان مـعي عـلـى ألـواحـي**



**أنـا طـيـف من خـيـالات الـلـيـالي**

**من صـدى الـوادي ومن هـمس الـدوالي**

**كم عـلـى الـصـحـراء وشي من خـيـالي**

**وعـلـى الـبـحـر يـتـيـمـاتي الـغـوالي**

.....

**منهما صغت حلاك، ومنى النفس رضاك؛ أنا والشعر فداك**

.....

**لم يـشُـقـنـي يـوم الـقـيـامـة لـولا**

**أمـلـي أنـنـي هـنـاك أراهـا!**

وأيم الحق إن من المضحكات المبكيات زعمه الكفري أن أهل السماء المسحورين على الدوام بجمال الله المتجلي لهم، يتنازلون فيصغون الى شكوى غرامه، ويشاطرونه الهيام بأصنامه ! لم يأنف عابد النساء من التصريح بأن تلك العبادة السافلة كل السفالة في نظر كل إنسان عاقل شريف، هي دين الحق، بل دين الأبد :

**يـا لـهـا الـله أُويـقـات الـصـبـا**

**من أُويـقـات لـهـا عـنـدي يـد**

**مـعـبـداً قـامت عـلـى دين الـهـوى**

.....

بجانب ذلك الغزل الإباحي المحض، الفاحش التطرف في الكيفية والكمية، نجد عدداً قليلاً من الروايات الجميلة .منها «آتيلا والشاعر»، يصور لنا فيها بشارة ذلك الفاتح الطاغية، القتول والهدام، تصويرا حسن الإيجاز، قائلا إنه لم يكن «سوى نقمة

الله وسيف الغضب، ملأ الأيام هولا ودما !» أتاه ذات يوم شاعر من الرومان يتزلف اليه بتعظيمه وتمليقه، فاستاء الجبار من مينه وفرط تذلله .

**قال اتيلا: «اجمعوا لي حطبا**
**واربطوا من فوقه هذا الغبي ...**
**«ويك !» ناداه، «لئن ترجع الى الـ**
**ـكذب، أحرقك جزاء الكذب !»**
**لو بُليينا بآتيلا ساعة،**
**لشكونا من نفاد الحطب !**

في ذلك البيت الأخير ما فيه من الاستهزاء المضمر اللاذع بقوم من بني الشرق العربي، قد بالغوا في تعفير وجوههم أمام العظماء استعطاءً لآلائهم وطمعا بحمايتهم.

قد أجاد كذلك الأخطل الصغير في «سقوط السلطان عبد الحميد الثاني»، بعد وصف بعض مظاهر ظلم هذا العاهل المستبد لرعاياه، وهبوطه الفجائي من أوج العز الى مهواة الذل والأسر، يخاطبه الشاعر بهذه اللهجة البليغة :

**كنت تُبكي، فصرت تَبكي، وعهدي**
**بك، عبد الحميد، غير بعيد!**
**يا لياليه في سلانيك، قولي**
**لليالي في يلدز: «لن تعودي!»**
**يا لياليه، لا تريه ضحاياه،**
**فتعروه رعشة الرعديد!**
**وارحميه، فالشيخ هاوٍ وما**
**للشيخ طاقة على التسهيد**

كــان بــالأمس، والــرعــايــا عــبــيــد،
فــغــدا الــيــوم صــاغــرا لــلــعــبــيــد!

روايـة «عـروة وعفـراء» جديـرة بـأن تـعد من فرائـد شـعرنـا القـصـصي الحديث، موضوعها أن الفتى عروة قد وعده عمه وعداً كاذباً بأن يزوجه ببنته عفراء، وإنما سبب تلك المخاتلة فقر الشاب، وكان هذا قد خالط عفراء منذ طفولته، فهام بها هياما عذريا .ثم أراد عمه إبعاده حتى يعقد لسليلته قرانا آخر، فأشار على عروة بالسفر الى الشام سعيا وراء تجارة رابحة، وانتهز فرصة غيابه لاختيار زوج آخر لعفراء، وهو «اثالة» الوافر الثروة، بلغ عروة ذلك النبأ الفاجع، فطارت نفسه شعاعا، بل كان هول تلك المصيبة سبب موته العاجل .فاستأذنت عفراء بعلها في أن تحج قبر ابن عمها ورفيق صباها ومحبوبها الوحيد، فنزل عند رغبتها. يقول بشارة في ختام تلك الرواية الشعرية:

.....

فــمــا هي غــيــر بــعض ثــوانٍ
حــتى رأيت بــقــبــر عــروة بــانــةً
مــحــنــيــة - وا لــهــفــتــا لــلــبــان -
وســمــعت أيــة زفــرة وشــهــدت أيـ
ـــة ثــورة ولمــست أي حــنــان!
«وا عــروتــاه!» ولم تــتــم نــداءهــا
حــتى ارتــمت، فــإذا هــنــا مــيْــتــان؛
ضــمــوا الــفــتــاة الى الــفــتى في حــفــرة،
من فــوقــهــا غــصــنــان مــلــتــفــان!
روحــان ضــمــهــمــا الــهــوى فــتــعــانــقــا
وتــعــاهــدا، فــتــعــانق الــكــفــنــان

«الريال المزيف» آخر مثال نذكره من ذلك النوع الروائي. يقص علينا بشارة في تلك القصيدة حادثا أليماً جرى في وطنه لبنان، إبان الحرب العالمية الأولى. امرأة تركها زوجها في الفقر المدقع وانضوى الى الجيش، وكانت لها طفلة كاد المرض يوردها

حتفها، وقد حال إملاق أمها دون شراء الأدوية اللازمة. ثم سام عرضها نذل رآها في ذلك الموقف الحرج غنيمة باردة بين يديه، فأوهمها الشيطان الرجيم وحنانها الوالدي سواغ الانقياد لذلك المجرم الوغد، فسقطت في حباله. بعد قضائه نهمته فيها أرادت تخفيف آلام بنتها بالريال الذي باعت به ماء وجهها، فإذا هو زائف ؛ فيالمرارة خيبتها، وقد زادت فدح عارها ! هي رواية حادث مبتذل، قد شاهد الملوان آلافا مؤلفة من أمثاله، على أن قريحة الشاعر قد صاغت به قصيدة رائعة بإجادة الوصف وبكثرة الخيالات الجديدة ؛ دونكم أبياتها الأولى:

**ويح الفقير ! فما تُراه يلاقي ؟**
**سُدت عليه منافذ الأرزاقِ!**
**عصفت به وبسربه ريح الشقا**
**فتساقطوا كتساقط الأوراق!**
**فإذا بصُرت به، عجبت لشمعة**
**كالزعفران تجول في الأسواق!**
**علَقُ المجاعة مص نصف دمائه**
**وتعسف الحُكام مص الباقي!**
**أخذ الشقا يدها، فسارت خلفه،**
**والليل ممدود على الآفاق**
**سارت فماس الخيزران بقدها**
**ورنت فذاب السحر في الأحداق !**
**وتلوح آثار النعيم بخدها**
**كالفجر قبل تكامل الإشراق !**

الشعر الوصفي المحض قليل جداً تحت يراع بشارة ؛ هاكم أجمل أبياته على شاب مسلول :

**عيناه عالقتان في نفَق**
**كسراج كوخ نصف متقدِ ...**

تـــهـــتـــز أنمـــلـهُ فـــتـــحـــســـبـــهـــا
ورق الخـــريف أُصـــيب بـــالـــبـــرد...
يمـــشي لـــعـــلـــتـه عـــلى مـــهَـل
فـــكـــأنه يمـــشي عـــلى قـــصَـــد
ويمجّ أحـــيـــانـــا دمـــاً، فـــعـــلى
مـــنـــديـــله قـــطعٌ من الـــكـــبـــد ! ...
قـــطع تـــقـــول له «تـــمـــوت غـــداً»
وإذا تـــرقّ، تـــقـــول «بـــعـــد غـــد» !
والمـــوت أرحم زائـــر لـــفـــتى
مـــتـــزمل بـــالـــداء مـــغـــتـــمـــد !

لقد أجاد أيضًا وصف المهاجر ؛ يخاطبه قائلا :

أشـــجَـــاك أنك رائـح، لا تـــرجعُ
وهـــواك والأوطـــان بـــعـــدك بـــلـــقعُ ؟
مـــتـــلـــفتٌ ؛ مـــا تـــبـــتـــغي ؟ مـــتـــوجع
مـــا تـــشـــتـــكي ؟ مـــتـــنـــصت ؛ مـــا تـــسـمع ؟
تـــلك الـــزغـــالـــيل الـــتي غـــادرتـــهـــا
جف الـــثـــديّ ومـــات عـــنـــهـــا المـــرضع !
لا الـــريش مـــكـــتـــمل، ولا أوكـــارهـــا
خُـــضـــر، ولا الـــســـجع الـــبـــكيّ يـــشـــفَّع !
ولـــكـــنت تـــســـفك نـــاظـــريك لـــيـــرتـــووا
وتـــذيب قـــلـــبك في يـــديـــك لـــيـــشـــبـــعـــوا !
جـــرس الـــكـــنـــيـــســـة، لـــو تـــكـــلم، لاشـــتـــكى
ولـــبـــــان فـــيـــه، مـــذ نـــأيت، تـــصـــدع !...
الجـــوزة الخـــضـــراء بـــعـــدك صُـــوحت
إلا وُريـــــقـــــات تـــــكـــــاد تـــــودع

تـفـضي الى الـنـسـمـات في غـدواتـهـا
عـــمـــا تـــكـــابـــد في نـــواك وتجـــرع
لـــو في الأَلى خـذلـوك بـعض حـنـانـهـا،
لـــتـــقـــصـــفت جـــزعـــاً عـــلـــيك الأضـــلـع !...
لـــلّه انت مـــغـــرّبـــاً ومـــشـــرقـــاً،
تـــذريك عـــاصـــفـــة وأخـــرى تـــزرع
حـــتى انـــدفـــعتَ، فـكل صـخـر روضـة -
ســـلـــمت يـــداك - وكل أفق مـــطـــلـع
وفـــتـــحت فـــتح الـــعـــبـــقـــريـــة تـــاركـــاً
في مـــســـمع الـــدنـــيـــا صـــدى يـــتـــرجع !

قال في وصف رزايا الحرب :

كم شـــمـــوس في ســـمـــا المـــاضي وكم
من نجـــوم في ســـمـــا المـــســـتـــقـــبل
ويـــتـــيـــمـــات فـــنـــون جـــمـــة
حُـــســـبت من مـــعـــجـــزات الأول
فـــإذا تـــلك انـــطـــفت شـــعـــلـــتـــهـــا
وإذا هـــــذي كـــــبـــــالي طـــــلـــــل
ولـــــكم روضـــــة بـــــيت ذبـــــلت
وهـي لـــــولا حـــــرهـــــا لم تـــــذبـــل !
وفـــتـــاة طـــفـــلـــة قـــد ســـألـــت
أمـــهـــا : «أين أبـي لم يُـــقـــبـــل
فـــلـــقـــد طـــالت بـــنـــا غـــيـــبـــته
وأنـــا اشـــتـــقت لـــتـــلك الـــقُـــبل ؟»

قد أجاد بشارة في بضع قصائد صوغ الشعر الوطني، ولاسيما في نشيد لبنان ذي الوزن السريع كخطى جيش حامل على العدو، أو كصيحات عالية متتابعة مثل قصفات الرعود، ملتهبة بنار الحماسة، ملؤها الافتخار بمجد لبنان والغيرة على الذود عن حماه، إليكم لازمته ودورين منه :

**لـــبـــنـــانْ ، لـــبـــنـــانْ !**
**حـــــرَم الأرز ، عـــــلَم المجـــــد ، وطن الأحـــــرارْ**
**ســـــــــــلامْ !**
**الجـــــمـــــال رصّـــــعـــــا**
**بـــــأزاهـــــيـــــرٍ رُبـــــاكْ**
**والجـلال تـــــــــوجـــــــــا**
**بمـــــصـــــابـــــيح هـــــداك !**
**والـــــيـــــراع والحـــــســـــامْ**
**في المـــلـــمـــات الجـــســـامْ**
**كـــــل آنْ، كـــــل آنْ**
**ذائـــــــــــــــدان عـــن عُـــلاكْ**
**حـــــارســـــان لـــــلـــــواكْ**
**نـــحن في الـــســـلم ابـــتـــســـامْ**
**وصـــــــفـــــــاء ووفـــــــاءْ**
**وأكـفّ مـن غـــــــمـــــــامْ**
**ووجـــــوه مـن حـــــيـــــاءْ**
**وإذا دق الـــــنـــــفـــــيـــــرْ**
**نملأ الـــــغـــــاب زئـــــيـــــرْ**
**وحـــديـــداً ودخـــانْ !**
**مـــــــــــــات مـــن رام أذاكْ**
**عـــــاش مـن مـــــات فـــــداكْ !**

رثى لشقاء مئات قُرى لبنانية غادرها كثير من أهاليها، طمعاً بمكسب أوفر في المدن، فحثهم بأبيات جميلة على العودة الى ضياعهم واستغلال مواردها:

**عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى، فـــلـــقـــد**
**ســـلـــخـــتـــكمُ عن قـــلـــبـــهـــا المـــدنُ**
**لا الحـــقل يـــبـــسم عن مـــعـــاولـــكم**
**فـــــيـــه، ولا تـــــتـــــــرنم المـــــهـن**
**ذوت الـــــريـــــاض، ومـــــاؤكم عـــــممٌ**
**وتـــعـــطـــلت من حَـــلـــيـــهـــا الـــقُـــنن**
**مـــحـــــراثـــكم صـــدىء الحـــديـــد به**
**والـــفـــأس ملء عـــيـــونـــهـــا الـــوسن**
**وخـــــوت زرائـــــبـــــكم ، وكـــــان عـــلى**
**جـــنـــبـــاتـــهـــا يـــتـــدفق الـــلـــبن**
**خـــلت المـــرابط من ســـوابـــقـــهـــا**
**وتـــثـــاءبت بـــحـــبـــالـــهـــا الأتن**
**عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى، فـــعـــلى**
**بـــســـمـــاتـــهـــا يـــتـــمـــزق الحـــزَن!**

سنة ١٩٣٥ كان أهل ضياع لبنان في ضيق شديد، وقد تفاقمت تباريحه بقسر الجباة إياهم على دفع بقية الضرائب، فألهم ذلك الخطب الفادح بشارة قصيدة «الجابي» التي نعدها من أحسن قصائده ؛ هاكم بعض أبياتها:

**إلـــــــــهي، أي دهـــــــــيـــــــــاءٍ**
**يـــــردّي مـــــثـــــلـــــهـــــا مـــــثـــــلي**
**ويـــــشـــــكـــــو فـــــقـــــرَه قـــــبـــــوي**
**ويـــــشـــــكـــــو مـــــحْـــــلَه حـــــقـــــلي**
**وشـــــــاتـي، وهـي أم الـــــــبـــــــيت،**
**يـــــشـــــكـــــو ضـــــرعـــــهـــــا طـــــفـــــلي!**

رويداً، يا أخا الهيجاء،
قد أسرفت في القتل!
ألا تُبقي على شيء ؟
فمن يحيا بلا أكل؟
كفانا أننا نمشي
من البؤس بلا نعل
وأنّا نمضغ الموتين
من ظلم ومن ذل!
فمن أغرى الرزايا بي،
ومن أنت ؟ - أنا الجابي

قد ثارت وطنيته أشد ثوراتها حين شاهد في أربعة أعوام الحرب العالمية الأولى، الجوع الهائل، الذي قصد به الأتراك استئصال أهالي قرى لبنان، يفتك فتكًا متواصلاً بربوات منهم، فقال بقلب جريح :

أعشق الليل، وما لي والضحى ؟
عشتَ، يا ليل، ألا فانسدلِ!
انسَدِلْ تحجبْ عن الطرف الشقا ؛
يا لطرف بالشقا مكتحل
لا يرى ، إذ تطلع الشمس، سوى
سائل أو عاجز أو وكل
عصف الفقر بهم ، فانتشروا
كانتشار الوابىء المستفحل!
يلهمون العشب من جوعهم ؛
ويحهم ؟ ما تركوا للهمل؟
بجسومٍ هُزّل تحملها
بعياءٍ واهيات الأرجل

**ووجـــوه كـــتب المـــوت عـــلى**
**صـــفـــحـــتـــيـــهـــا «هـــذه الأوجه لي» !**
**صـــدق المـــوت بمـــا قـــد قـــالـــه ؛**
**مـــا تـــرى أشلاءهم في الـــسُـــبل ؟**

لم يتمالك بشارة عن الاقتداء بمعظم شعرائنا المعاصرين، في نظم قصائد المدح والرثاء عند سنوح الفُرص، وهي أكثر من أن تُعد في الشرق العربي .

والحال أن كل خبير في كنه القريض وسمو غايته، يعلم علم اليقين أنه بعيد عن المدح والرثاء بُعد الثريا عن الثرى، إلا في بعض الظروف النادرة التي يفيضان فيها عفواً من أعماق فؤاد الشاعر، لا من شفتيه أو أسلة قلمه فقط .

من أمثال فساد ذوق الأخطل الصغير في تبجيل العظماء، قصيدته للترحيب بملك العراق الطفل، فيصل الثاني، عند قدومه الى لبنان سنة ١٩٣٩. في البيت الثاني منها يخاطب سيادة الضيف الجليل، صائحاً بها، وهو لا يأبه لتكلفه المضحك :

**يـــا ســـلـــيل الـــبـــخـــار ، كم من فـــؤاد**
**ود لـــو كـــان بـــين جـــنـــبـــيك وقـــدا !**

ثم يتطرق بمثل ذلك التصنع الى ذكر النكبة التي أودت بحياة والد فيصل الثاني، وهو راكب سيارته في إحدى ليالي نيسان سنة ١٩٣٩ :

**يـــا ابـن من أذهـل الـــنـــجـــوم إذ**
**انـقضّ شـهـابـاً عـلى الـثـرى وتـردّى**
**مـا نـسـيـنـا جـرحـاً عـلى الـلـيل، أمـست**
**فـحـمـة الـلـيل مـنه جـمـراً ونـدا !**
**قـطـعت شـعـرهـا الـكـواكب كي**
**تـمـسح جُـرحـاً وكي تـوسّـد خـدا**
**وانـحـنت كل نـخـلـة كـجـنـاح**
**أخـضـر الـريش، ودّ لـو كـان زنـدا**

نجد ذلك العيب ذاته في رثاء بشارة لوديع عقل :

العبقرية، ما حييتَ، جنايةٌ،
فخُذ الذمام لها من الإلحاد
تمشي على حسك الصدور وشوكها
وتُلف بعد الموت بالأوراد !...
أيُقام وزنٌ للبيان، وقد رمى
سهم المنية منه قلب الضاد
فتقطعت مُهج وفاضت أعين
رمت الخدودَ بكل أوطف صاد
مطرٌ كما انتثر الجمان على اللظى
وتكسّر البلّور في الأجياد!

لا نرى مثل تلك المغامز في رثائه لنصير المرأة الشهير مختار بيهم. نعلل ذلك بكون الشاعر قد أخرج ذلك الرثاء من فؤاد مفعم بأحر عواطف الإجلال والمحبة للفقيد العزيز، فأتت قصيدته مضطرمة بلهيب شعوره، مزدانة بحُلى الابتكار الطبيعي ولاسيما إذ يندب بيهم قائلا عنه :

الذي كان خادماً لبلادهْ،
الذي كان جذوةً تتوقدْ
الذي كان صافياً كالغدير
الذي كان ماضياً كالمهنَّدْ !

الهمي، يا ربة الشعر، شعراً
كالنور والنارْ،
كالهوا، كالأطيار، كالفكر حُراً،
كنفس مختار!

**كـــالأعـــاصـــيـــر ، إن دعـــته الـــبلادُ**

**وخـــــافت الـــــعـــــار**

**كـــــالأزاهـــــيـــــر، إن دعـــــاه الـــــودادُ**

**وحُـــــرمـــــة الجـــــار**

قد أطلنا الكلام في تحليل معاني شعر الأخطل الصغير، مع التمييز بين غثها وسمينها. أما لغته، فليست خالية من الأخطاء الجسيمة، كاستعمال جوانح بمعنى أجنحة، وودیان بدلا من أودية، وقوله «الجحيم الأعظم» مع أن ذلك الموصوف مؤنث، وإتباعه بعض الأفعال المتعدية باء الجر :

«**أرادوا بأن أكون العريس**»، «**لا تنسي بأن تستري ذلك الجبين**»

من جهة أخرى تكثر في شعره الكلمات المماتة التي يمجها كل ذي ذوق سليم . الوضوح ناقص جداً في مئات من أبياته، فهي ألغاز غامضة. نضرب لكم مثلاً على ذلك، وهو حفنة من كثيب :

**لـنـا الـكـروم ؛ فـهل في الـقـول من حـرج**

**إذا ســألــنــاهمُ «اين الــعــنــاقــيــدُ»؟**

**ولا سلاح سـوى الـوعـد الـذي قـطـعـوا،**

**تـفـنـى الحـيـاة ولا تـفـنـى المـواعـيـد**

لا ننكر أن لبشارة نزعة شديدة الى ابتكار الخيالات، وقد ابتدع منها عدداً لا يستهان به، هاكم باقة بهيجة منها :

**فـيـصـوغ هـيـنـمـة الـنـسـيم قـصـائـداً،**

**ويـــردّ زمـــزمـــة الـــغـــديـــر أغـــاني**

.....

**ضـــرب الجـــوعُ بـــصـــمـــصـــام رهـــيفْ،**

**فـــــإذا قـــــتـلاه ملء الـــــسُـــــبلِ**

**«هلال الأفق في حضن المغيب»، «تلبسون خوذة الإقدام»، «فتى كاسي الغنى عارٍ من الأخلاق»، «ترعى السفالة في مجاهل قلبه»، «أيها الفقر، إن كنت قوّاد الزنى ...»، «شعاع الشمس يضحك لي»، «قسمتُ فؤادي بين بؤسي والهوى»، «زحم الصبحُ الظلام»، «آمال مجنّحة» .**

بيد أن التكلف المستهجن في الخيالات أكثر جداً من ابتكارها. يسهل علينا إثبات ذلك الرأي بمئات الأمثال، بيد أن ضيق المجال يضطرنا الى الاكتفاء بذكر هذه:

**«سكرَ الروض سكرةً صرعته**
**عند مجرى العبير من نهديك»**

☆☆☆☆☆

**«أنا في شمال الحب قلب خافقٌ،**
**وعلى يمين الحق طيرٌ شادِ»**

**«الله برى ريشة من جناح الملاك، وغمسها بفؤاد الصباح»، «أكاد أمشي بلا رأس»، «تختال فاطمة على خدود رياض لبنان»، «استلني الشقاء حساماً في نهاري، وصيّر الليل غمدي»، «رآها الليل فاختار المقام في شعرها»، «ساعدٌ من الضحى مفتول، تغمره بالقُبل الحقول»، «قلبي فاغرٌ فمه للحب»، «براعم الأقلام لم تتفتق»، «يكسو الجراحَ افتراراً»، «يا قامة ( قامة فتاة ) من قصب السُكر رخص العُقد»، «الكواكب قطعت شعرها لكي تنسج بُرداً» .**

تلك الخيالات المشينة بالتكلف ترد تترى في كثير من قصائده، كما يرى القراء في المثلين التاليين. قال بشارة في وصف زحلة ونُهيرها البردوني وسهل البقاع المتاخم لها:

**أسرفتِ في فتن الجمال، كأنما**
**تخذ الجمال على ذُراك منابرا ! ...**
**والنهر روح العاشقين ودمعهم،**
**مُلقى على قدميك، يلهث خائرا**
**سالت جراحات الهوى في صدره**
**ليلاً، فقبّلها النسيم محاذرا**

**والسهل يحلم، منذ كان، بزورة**
**لبس الحُليّ لها ندًى وأزاهرا**
**لو كان يمكنها الرُبى، لتسابقت**
**لأعزّها، تسعى اليك حواسرا،**
**وتقطعت خُصل الحسان ونُثّرت**
**بدل الكروم على التلال غدائرا**

قال في وصف سلمى الكورانية :

**تعجّب الليل منها عندما برزت**
**تسلسل النورَ في عينيه عيناها**
**فظنها، وهي عند الماء قائمة**
**منارةً ضمها الشاطي وفدّاها !**
**وتمتمت نجمة في أذن جارتها**
**لما رأتها وجُنّت عند مرآها :**
**«انظرن، يا إخوتا ؛ هذي شقيقتنا**
**فمن تُراه على الغبراء ألقاها ؟**
**«أتلك من حدّثت عنها عجائزنا**
**وقلن إن مليك الجن يهواها ؟»**

فضلاً عن التصنع المتواتر ، كثيراً ما تشين شعر بشارة المبالغة الفاحشة. نكتفي بذكر ثلاثة أمثلة عليها، خوفاً من إضجار قرائنا : يقول بعد موت فوزي المعلوف «**تعرّى روض البيان من السجع**»، وفي رثاء الياس فياض :

**خبا كل ساطع في سماهُ**
**وذوى كل زاهر في جنانهْ**

وفي وصف انهيار صرح شامخ : «**جبل من البنيان زُلزل فوقهم** .»

مع كل العيوب التي فصّلناها وأثبتناها بالبراهين الدامغة، نرى الأخطل الصغير يجاهر في «نياشين» – وهي كلمة غير عربية – بفرط إعجابه بذاته، وذلك من أقصى درجات الكبرياء والادعاء. هاكم تلك الأبيات بحذافيرها :

**أيفرضون على مثلي ملابسهم**
**ويسألون ثيابي عن نياشيني**
**كأنني لم أكن عنوان فخرهم**
**يوم انطلاق القوافي في الميادين ؟**
**إني لمن معشر، لولا يراعتهم**
**ما كان لبنان غير الماء والطين !**

من المعلوم أنه لا يجوز، في جميع الأقطار المتمدنة، لقاضٍ، أياً كانت درجته في مراتب القضاء، ان يصدر حكماً في شؤونه الشخصية . قد نسي بشارة أو تناسى ذلك المبدأ السديد، فتوهم عن غرور محض، أنه في مقدمة نوابغ شعرنا العصري الناهض. أما نحن، فإننا لا نشاطره ألبتة ذلك الرأي الفائل. مع اعترافنا بأن في قصائده بعض الدرر، وإن شابتها شوائب، يضطرنا النقد الجريء النزيه الى التصريح بكثرة ما فيها من اللؤلؤ البهرج. هذا لا يروق سطوعه إلا عيون جاهلي أصول الأدب الصحيح، الثابتة في كل عصر ومصر، في أرقى بلاد العالم، بدليل كون أعظم أدباء الخافقين يتقيدون بها ولا يحيدون عنها أصلاً ؛ ولولا ذلك لما بقي جمال مؤلفاتهم كاملاً فتانا في ترجماتها الى أشهر اللغات .

**الأب رفائيل نخلة اليسوعي**

****

ابيض

# الأخطل الصغير
## شاعر الشعب والحرية والإنسانية

**توفيق إبراهيم**

للأخطل الصغير مكانة رفيعة في عالم الشعر يحسده عليها كبار الشعراء في جميع الأقطار العربية. وهو رجل ظريف، أنيق الشكل. لطيف المعشر، مرهف الحس، رقيق الشعور حاضر النكتة. وعندما يتلو قصائده الرائعة أمام مستمعيه ورواد مدرسته تتدفق خواطره الشاردة من رموش عينيه البراقتين ، وتترقرق درر الألفاظ على عقيق شفتيه الرقيقتين، وتتألق الصور الشعرية في صفاء ذهنه المتوقد وتتناثر كالأحلام المجنحة، وتذوب كما يذوب الأرج الناعم في مهب الريح.

وشاعرناالكبير، بل أمير الشعراء، ينظم القصيدة وينحتها نحتا دقيقا، وينقحها بروية وإتقان ويسكب عليها أرجاً من روحه وفيضاً من جروحه، فتأتي آية في الروعة والإبداع. إنه أمير الكلمة الحلوة والمصور المبدع الخلاق، قصائده الخالدة جواهر نادرة تتألق على لوحة الفن بأجمل الصور وأطرف الألوان. طوى الثمانين من عمره وما يزال يتمتع بنضارته ورونقه وخفة روحه. وهو الشاعر الوحيد الذي ينعم ويتمتع بتقدير ومحبة العالم العربي على اختلاف مذاهبه ونزعاته، وأول من رصع جيد الشعر العربي الحديث بأغلى الجواهر والعقود.

والأخطل الصغير شاعر الشعب الثائر، وعدو الاستعمار والمستعمرين. ثار على الظلم التركي، وتمرد على الجور والطغيان، ووقف بوجه الانتداب الفرنسي وقفة الند للند، وصفع «أمنا الحنون» تلك الصفعة الموجعة عندما خاطب وطنه الحبيب لبنان بقصيدة أقتطف منها هذا البيت الرقيق الموجع:

**كثرت عليك الأمهات وما درت**
**أرحامهن وكل أم ضيغم**

■ الرحمة، نيسان ١٩٦٧، العدد ٤ ، السنة الثالثة.

أجل، لقد كثرت علينا الأمهات والجدات، والأوصياء الأعداء الألداء، وكلهم ضياغم ووحوش تتكالب على أرزاقنا وخيرات بلادنا.

إن الشاعر الذي يتحدى الاستعمارالفرنسي في أوج مجده، ويصفع «أمنا الحنون» بمثل هذا البيت الرقيق الموجع، هو أمير الشعر العربي دون منازع.

وعندما كشف الاستعمار البريطاني أوراقه وطلع علينا بمشروع «صهينة» فلسطين.. ثار الأخطل الصغير ونظم رائعته الخالدة وقذفها حمماً مدمرة في وجه هذا الاستعمار. وكان لصيحاته الهادرة دوي الرعود في صدور المستعمرين. قال حفظه الله:

**يا فلسطين التي كدنا لما**
**كابدته من أسى ننسى أسانا**
**نحن يا أخت على العهد الذي**
**قد رضعناه من المهد كلانا**
**يثرب والقدس منذ احتلما**
**كعبتانا وهوى العُرب هوانا**
**قم إلى الأبطال نلمس جرحهم**
**لمسة تسبح بالطيب يدانا**
**قم نجع يوما من العمر لهم**
**هبه فصح الصوم، هبه رمضانا**
**إنما الحق الذي ماتوا له**
**حقنا نمشي إليه أين كانا**
**ضجت الصحراء تشكو عريها**
**فكسوناها زئيراً ودخانا**

وهذا البيت الأخير تردده قبيلة عربية في صحراء «موريتانيا» معروفة بقبيلة «البيضان». وقد روى لي أحد أفراد تلك القبيلة قصيدة طويلة للأخطل الصغير عنوانها «على ضفاف بردى»، منها هذه الأبيات الجميلة التي يصف فيها شاعرنا الكبير «أبناء جفنة»:

**إني وقفت بها أسائل عن فتى**
**من آل جفنة رائح أو غاد**

الحـــامـــلـــين الـــشـــمس فـــوق وجـــوهـــهم
والحـــامـــلـــين الـــشـــهب في الأغـــمـــاد
رفـعـوا الـشـآم عـلـى الـصـفـائـح والـنـدى
وبـــنـــوا من الـــصـــلـــبـــان بـــيت الـــضـــاد

فلا يسعنا إلا أن ننحني بخشوع أمام روعة تلك الأبراج الشامخة، والصور الساطعة والقوافي المتألقة في سماء الشعر العربي الرفيع. لقد جمع الشاعر بأسلوبه الرشيق الشفاف بين دقة الوصف.. والرقة والعذوبة.. وسمو الخيال وقوة التعبير. وها هو الأخطل الصغير يصف نفسه بنفسه ويعطينا صورة صادقة حية عن الثورة الهادرة المتفجرة في صدره:

ولـــربمـــا خـــدعـــتك صـــفـــحـــة هـــادئ
مـــنـي وفي الأحـــشـــاء عـــصف ريـــاح
إني إذا جـــنت ريـــاح ســـفـــيـــنـــتي
ذهب الجـــنـــون بـــحـــكـــمـــة الملاّح

أما القصائد الخالدة التي ارتفعت بشاعرنا الكبير إلى ذروة الشعر والشهرة والمجد فهي تلك المراثي التي توجت جبين الأهرام بأكاليل الغار، وغناها النيل ورددتها أمواج دجلة والفرات، ومنها قصيدته المشهورة في رثاء سعد زغلول ومطلعها:

قـالـوا دهت مـصـر دهـيـاء فـقـلـت لـهم
هل غـيّض الـنـيل أم هل زلـزل الـهـرم؟
قـــالـــوا أشـــد وأدهى قـــلـــت ويـــحـــكم
إذن لـقـد مـات سـعـد وانـطـوى الـعـلـم

وقصيدته الرائعة في رثاء أمير الشعراء أحمد شوقي ومطلعها:

قف في ربى الخـلـد واهـتف بـاسم شـاعـره
فـــسـدرة المـــنـــتـــهى أدنى مـــنـــابـــره
وامـسح جـبـيـنك بـالـركن الـذي انـبـلـجت
أشـــعـــة الـــوحـي شـــعـــراً من مـــنـــائـــره

ومنها:

**شـوقي، أتـذكـر إذ «عـالـيه» مـوعـدنـا**
**نمـنـا ومـا نـام دهـر عن مـقـادره؟**
**شـوقي، سلـوا الأفق هل ثـارت عـجـاجـته**
**لمـا انـطـوى المـتـنـبي في ديـاجـره؟**
**في مـوكب الـشـعـر والأقلام مـطـرقـة**
**فـإن أرادته غـصت في مـحـابـره**
**سـألـتـنـيه رثـاء خـذه من كـبـدي**
**لا يـؤخـذ الـشيء إلا من مـصـادره**

أما قصيدته الرائعة في رثاء الملك فيصل الأول فقد روى لي الصديق يوسف ابراهيم يزبك أن بغداد قد زحفت عن بكرة أبيها لتلثم يد الأخطل الصغير بعد خروجه من القاعة التي جرت فيها حفلة تأبين الملك الراحل. وقد أصبحت قصيدة الشاعر اللبناني الكبير حديث الشعب العراقي بأسره، ومطلعها:

**لـبـست بـعـدك الـسـواد الـعـواصم**
**واسـتـقـلت لك الـدمـوع المـآتم**
**ود لـو يـفـتـديك صـقـر قـريش**
**بـالخـوافي من الـردى والـقـوادم**
**أسـنـدوا الـبـيت بـالـصـدور فـقـد مـاد**
**وخـانت جـدرانـهن الـدعـائم**
**فـيـصل الـعُـرب أي غـمـديك لـلـفـخـر؟**
**أغـمـد الـنـدى؟ أغـمـد الـعـزائم؟**
**لـك فـي كـل ذروة مـن فـؤاد**
**مـنـبـر فـوقه مـصـلٍّ وصـائم**

والعراق لا يزال يردد قصيدة الأخطل الصغير في رثاء الفيلسوف العراقي جميل صدقي الزهاوي، ومطلعها:

**قـولي لـشـمـسك: لا تـغـيـبي**
**وتـكـبـدي فـلـك الـقـلـوب**

بـــغـــداد، يـــا وطن الجـــهـــا
دِ ومـــــرتـع الأدب الخـــصـــيب
غـــنّـــاك دجـــلـــة والـــفـــرا
ت قـــصـــائـــد الـــزمن الـــعـــجـــيب

ومنها:

بـــغـــداد، مـــا حـــمل الـــســـرى
مـــــني ســـــوى شـــــبح مـــــريب
جـــفـــلت لـه الـــصـــحـــراء والـ
تـــفت الـــكـــثـــيب إلى الـــكـــثـــيب
وتـــنـــصـــتت زمـــر الجـــنـــا
دبِ من فـــويـــهـــات الـــثـــقـــوب
يـــتـــســـاءلـــون وقـــد رأوا
قـــيس المـــلـــوح في شـــحـــوبي
والـــتـــمـــتـــمـــات عـــلى الـــشـــفـــاه
مـــخـــضـــبـــات بـــالـــنـــســـيب
يـــتـــســـاءلـــون: من الـــفـــتى الـ
ـــعـــربي في الـــزي الـــغـــريب؟

وفي المهرجان الكبير الذي أقمناه للأخطل الصغير في بيروت عام ١٩٦١ شاء الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري أن يرد التحية بأحسن منها، فنظم قصيدته على القافية والوزن نفسهما ومطلعها:

لـــبـــنـــان يـــا خـــمـــري وطـــيـــبي
هلا لمـــمـــت حـــطـــام كـــوبي
هـلا أعـــدت لـي الـــصـــبـــا
نـــشـــوان يـــرفل بـــالـــطـــيـــوب
نـــزق الـــشـــبـــاب عـــبـــدته
وبـــرئت من حـــلم المـــشـــيب

ومنها:

**الأخـــــطل الجـــــبـــــار جـــــا**
**ءَ الـــكـــوفـــتـــين عـــلـــى «نجـــيـب»**
**وأبـــــو الـــــعـلاء عـــــلـى بـــــنـــــا**
**تِ المـــــاء تحـــــدى بـــــالجـــــنـــــوب**
**وذعـــــرت صـــــحـــــراء الـــــعـــــرا**
**قِ بمـــــوكب الـــــنـــــار المـــــهـــــيب**
**وأتـــــيت لـــــبـــــنـــــانـــــا بـــــجـــــا**
**نـــــحـــــتـــــين من ريح غـــــضـــــوب**
**مـــــثل المـــــســـــيح إلى الـــــســـــمـــــا**
**ءِ وقـــــد حـــــمـــــلت عـــــلى صـــــلـــــيب**
**كـــــأسي تـــــصـــــفّق بـــــالـــــغـــــمـــــا**
**مِ بـــــكف غـــــيـــــداء لـــــعـــــوب**
**ســـــخـــــرت عـــــصـــــافـــــيـــــر الـــــســـــمـــــا**
**ءِ بـــــخـــــائـــــفـــــين من الـــــوثـــــوب**
**بمـــــزعـــــزعـــــين تـــــوجـــــســـــاً**
**ومـــــحـــــزّمـــــين عـــــلى الجـــــنـــــوب**
**واســـــتـــــصـــــغـــــرت «زمـــــر الجـــــنـــــا**
**دبِ» في فـــــويـــــهـــــات الـــــثـــــقـــــوب**

هذه تحية شاعر العراق الكبير الذي شبه نفسه بـ «جنادب العراق» عندما أطل على سمائنا وشاهد من خلال ثقوب الطائرة عصافير لبنان طليقة حرة تسخر به وتثأر للعندليب اللبناني من «الجندب العراقي» المحزم بحزام الطائرة.

أما روائع الأخطل الصغير الغزلية فهي تلك القصائد التي غناها مطرب الجيل الأستاذ محمد عبدالوهاب، ومنها «الهوى والشباب» ، «جفنه علّم الغزل»، «يا ورد مين

يشتريك»، «الصبا والجمال»، وكذلك قصيدته «اسقنيها بأبي أنت وأمي» التي لا تزال درة الغناء الشعري في حنجرة أسمهان.

هذه لمحة خاطفة وصورة مصغرة عن عبقرية شاعرنا الكبير الذي كحَّل أهداب الشعر العربي بألوان ريشته الساحرة وكتب صفحة خالدة من صفحات العزة والكرامة في تاريخ لبنان وطن النجوم ومعقل المجد والحرية.

هذا وأجمل ما في الأخطل الصغير ذلك الصدر الرحب، المرصع بأوسمة الشرف التي أوحت إليه هذه الأبيات الساطعة سطوع الشمس في وضح النهار:

**أيـفـرضـون عـلـى مـثـلي ملابـسـهم**
**ويـسـألـون ثـيـابي عن نـيـاشـيـني؟!**
**كـأنـنـي لم أكن عـنـوان فـخـرهم**
**يـوم انـطلاق الـقـوافي في المـيـادين!**
**إني لمن مـعـشـر لـولا يـراعـتـهم**
**مـا كـان لـبـنـان غـيـر المـاء والـطـين**

هذا هو الأخطل الصغير، شاعر الشعب، شاعر الحرية، شاعر الإنسانية، الذي احتفلنا بتكريمه عام ١٩٦١ وأقمنا له ذلك المهرجان الضخم في قصر الأونيسكو الذي تحول إلى سوق «عكاظ» وجرت فيه مبايعة الأخطل الصغير إمارة الشعر العربي.

**توفيق إبراهيم**

****

ابـــــــــــــــــــــيـــض

# مدخل الى دراسة
# الشعر العربي الحديث

**أنطون غطاس كرم**

فيما كان خليل مطران يتوق إلى هذا التحدي من كمال الصياغة والنفس المديد والصنع الوعر، قيض للأخطل الصغير[1] أن يتلقى، على نحو الخليل، ثقافة مزدوجة، وأن يأخذ أصول الضاد على أحد أساطينها عبدالله البستاني[2]. وكان البستاني أستاذه من أنبه المعنيين باللغة وفقهها، قبسها عن ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير. ووضع معجمه، وروى القديم، وشطَّر معلقة عنترة، ونظم الشعر على سيادة في العروض. وترجم عن الفرنسية واقتبس، وألف في المسرح منظوما ومنثورا. وقد انحدرت هذه الأصالة اللغوية الأدبية، وهذا الازدواج الثقافي منه الى طلابه وفيهم: شكيب أرسلان (١٨٧٠-١٩٤٦)، وديع عقل (١٨٨٢-١٩٣٣)، أمين تقي الدين (١٨٨٤-١٩٤٧)، شبلي الملاط (١٨٧٨-١٩٦٣) والأخطل الصغير.

حتى لينتهي الى الخاطر، ونحن على قراءة «الهوى والشباب» و «شعر الأخطل الصغير» أن صاحب هذا النتاج يمور بين ذوقين أدبيين هما وليدا ثقافتين مفترقتين، وأن هذين الذوقين ينفصلان الى حد، في أول عهده، ويتمايزان؛ ثم ينصهران مندمجين في الحقبة المتأخرة من منظومه.

أما الذوق الأدبي الأول فقد شارك فيه المخضرمين من حيث بنية القصيد، وطبيعة الموضوع، وحياكة الإنشاد ؛ ولا يخلو ان تلتمس، هنا وثمَّ، بعضا من مصطلحاتهم وقوافيهم ولمعاً من أغراضهم. ولكنما هذا القدر المشترك قد لطفته من ثقافة الأخطل

■ من كتاب صدر سنة ١٩٦٧ عن الجامعة الأميركية في بيروت في عيدها المئوي ١٨٦٦ ـ ١٩٦٦ .

الصغير عوامل. منها رجوعه إلى الموروث العربي من خلال كتاب الأغاني بالأخص. ويستوقفك من هذه الموسوعة أن تكوينها النثري مباين للمحنطات الحريرية والانحطاطية التي حركت ميول العروضيين ومقلدي الآداب القديمة في القرن التاسع عشر؛ وفي كتاب الأغاني ما يشبه البيان المرسل أنيق على غير افتعال، يسير على غير ابتذال، مشرق على حلاوة تردك عفوا او كأن. متنوع على مستوى المتحاورين من لغى الأقوام من السوقة والأعاجم الى أشد العلماء تزمتاً. كما يستوقفك أنه مختارات شعرية سيقت على الألحان، فإذا منظوم القدامى يأتيك منه على قيمتين: أنه شعر وأنه غناء. وأن الطرب هو الغرض كيفما دارت الوسائل. ويعنيك أيضا منه بالنسبة الى الأخطل الصغير ما اجتمع فيه من الإباحة والفتك ومن صفاء العذريين. حتى يتهيأ أن المكتبة العربية قد انفتحت لشاعرنا من خلال كتاب الأغاني تاريخاً وقصصاً وأخباراً وأدباً وغناء . ويترجح لديك أن تلك الحلاوة العفوية المرسلة في ديباجته، وأن طلاوة الغناء والإباحية التي شدها الخفر في غزله، والشهوة المقنعة بالبراءة أو بالعبث الحائر بين تحقيق الشهوة والامتناع، وأخبار عمر ونعم، وعروة وعفراء، لا ترى تفسيرها إلا في هذا المنبت الأول.

ومن هذه العوامل الملطفة أيضا أنه انصرف الى الصحافة، وسلخ في جريدة «البرق» حقبة من دهره. وما كان سبيل الى فصل الشاعر عن الصحفي: فكما تسنى للصحيفة حينذاك أن تبيت موئلا لجمهرة من الأدباء وسجلاً لنتاج شعري يأتيها من الأعلام الشعراء في تلك الحقبة، ومن أقلام المهجريين فتبثه في الناس وتعممه؛ كذلك تسنى للأخطل الشاعر أن يستل من الصحافة بعض قضاياها، وأن يدمجها في أحواله الفنية على ما يشبه الالتزام، بل يتضح كيف أن الهول العثماني قد فرض عليه الحيطة والتقية بحيث لا يجهر بالتحدي الصراح، فيتخذ من الغزل ومن لوحات الطبيعة حيلة فنية لتغطية ذاك التحدي السياسي، ويبطن بالغزل الرقيق أغراضه السياسية اللماحة، مما لم يسنح في الشعر القديم، ورافق هذا الحرص المستتر معظم شعره المتصل بقضايا العصر. يقل مجاهرة في العهد العثماني ويزداد صراحة في عهد الانتداب.

بل إنني أذهب الى أن اليسر الذي لا بد منه في الأداء الصحفي كان داعيا من دواعي اليسر في تركيبه الشعري، وإن ثبت لديك أن العبارة الصحفية في جريدة «البرق» لم تتأنق لتظل على مستوى الجمهور الأعم، فلا مراء أن الصحافة قد صرفت الشاعر عن الكد، والإغراب، والتركيب المجهود، والمنظوم المقفل، والفكر المستعمق، الى لون من الإشراق السهل الذي أسعف على تعميم منظومه في الناس، وأعده للمنابر حيناً وللغناء حينا. ويلوح لي، فوق ذلك، أن المتنفس الصحفي كثيرا ما كفاه مؤونة الشعر، إذ استرفدت «البرق» بعض شواعره وخواطره ونشاطه، فقل منتوجه الشعري رغم طواعية العروض، وطول معاناته القريض زمانا مديدا.

أما الذوق الأدبي الثاني فمرده الى أن هذا العامل الصحفي بالذات جعل جريدته ترجمانا لمختلف النشاطات الأدبية، ولا سيما ما انبث فيها من نقل الآداب الرومنطيقية وطلائع النتاج المهجري، حتى اختلط المجموع فرنسيّه ومهجريّه، فكان ذاك امتدادا لما تلقاه في دراسته الثانوية[٣]. وبصر بالرومنطيقية تنتقل الى الذوق العربي بفضل الترجمات أو مسوقة على صيغ المهجرين. وهكذا اشتبك الرافدان في تكوينه، ثم ترى لديه أن القصة الرومنطيقية تمتزج بالشعر الرومنطيقي الخالص، أو تستلهم أخبار الحب من «الأغاني» وتزفها الى المستهلك العربي قصصا شعريا مماثلا للمقتبس الغربي. حتى إذا تبقى من قوالب القدامى رواسب فأثارت حفيظة المجددين عليه، راح يسهم في تعميم الأثر الذي خلفته مبادئ الثورة الفرنسية عندنا، ويرافق الحركة القومية والتعاطف الاجتماعي واليقظة الإصلاحية العامة ويدرأ الظالم العثماني، ويربط هذي المفاهيم بفاجع العالم العربي ولبنان، ولا سيما ما دار في مأتم الحرب العالمية الأولى مجاعة ومشانق واستبدادا. ثم إن الطبيعة قد اكتست أشكالا وألوانا وقيمة استاتيقية وحالات نفسية مرت إليه بالعدوى من شعر الفرنسيين ومن نثر جبران، وطفق، على غرارهم، يستعين برسومها استكمالا لتركيب القصيد؛ فإذا كبا به الموضوع، أو هبط القصص الى مستوى النثر، اعتصم باللوحة الوصفية ليستعيد مرتفعه الشعري أو ضمن موضوعه المحلي مقتطفات مترجمة أو مقتبسة من شعر الرومنطيقيين في ضرب من المجاز المرسل. (انظر بعض مقتبساته مثلا وتضمينه في قصيدة عروة وعفراء: الهوى والشباب ص ٧٠ – ٧١ بعض أبيات الشاعر الفرنسي ألفرد ده موسه).

غير أن المجددين الذين عيروه باقتباسه الأجهزة القديمة، عابوه أيضا بالسرقة عن شعراء فرنسا[٤]. ولكن هذا المقتبس الصريح ما عتم أن ذاب ليفنى في حقيقة الشاعر وفرديته. ومن هنا أن الأخطل الصغير يمثل في الشعر العربي الحديث مرحلة مكملة، ولا يمثل بداية في النوع. هي مرحلة اقتباس وصهر وتفاعل، وليست مرحلة توليد لمذهب أدبي جديد. ومن هنا أيضا موقفه المعتدل من نزاع المحافظين والمجددين. وصحيح القول أن هذا النزاع لم يجاوز الأعراض السطحية لأنه لم يستعمق نقديا وفلسفيا وعلميا، ولا هو أحاط بثقافة أدبية إنسانية شاملة كفيلة بأن تصبو به الى منحى مفارق لمنحاه: فإما أخذ عن القدامى عبر المخضرمين، وإما اقتباس مسطح لبعض آثار الفرنجة، يعقبها صهر معتدل خلو من التجلي الخلاق.

ولما شاعت مفاهيم الرمزيين في العقد الرابع من هذا القرن وقع للأخطل من شعرائها جهاز تعبيري مختلف عن أنماط الرومنطيقية الغالبة على ماضي نتاجه وهكذا تراه لا يعول على العمق الفكري، فيقف عند حكمة شوقي العارضة، وتستمر فيه نكهة عمود الشعر، ويتخلله نسيم الغناء العربي الحديث حتى يبلغ المنظوم الشعبي[٥]، ويتبدل المصهور من ثقافته الأدبية الى عطاء ماهد للرومنطيقية المتجسدة في شعر الياس أبوشبكة.

فإن أَبْين ما يستوقفك من بناء المركب الثقافي في شاعرية الياس أبوشبكة، إنما يرد في أعلى ما يرد، الى تكوينه بالمسيحية، بل إنني أذهب إلى أنه لا يدرك بكلية شاعريته، انطلاقا من هذا التكوين المسيحي. حتى كأنه هو الأصل وكل ما تبقى فروع لهذا الرافد، وتكملة. وأقول، على سبيل القطع، إن هذه الثقافة بعينها هي التي ذوبت فيه موشور الرومنطيقية بألوانها جمعاء، على اعتبار أن الرومنطيقية، وما اتصل بالتصوف منها، موروث مسيحي. ولذا أيضا ظل شوقي، وعلي محمود طه، وأحمد زكي أبوشادي من جماعة أبولو، عند ظواهر الرومنطيقية وأعراضها ولم يلجوا هيكلها الروحي. وهذه هي الآفة التي سقط فيها رزوق وشوقي ضيف عندما درسا شعر أبي شبكة، إذ غفلا عن الطبقة الثقافية الأولى التي نمت فيها غذاءاته الأُخر.

**أنطون غطاس كرم**

## الهوامش

١ - ولد في عام ١٨٨٤ . تعد الآنسة أبوجودة الآن رسالة للماجستير في الأخطل الصغير. راجع ديوانيه: الهوى والشباب (دار المعارف ١٩٦١، مع مقدمة بقلم سعيد عقل)؛ مجموعة جريدة «البرق»؛ مجلة المعرض ١٩٢٨ ـ ١٩٣٢؛ مجلة المكشوف ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . شرارة، عبداللطيف: الأخطل الصغير في سلسلة «شعراؤنا» دار صادر ودار بيروت ١٩٦١ .

٢ - ١٨٥٤ ـ ١٩٣٠ . انظر بشأنه: داغر، يوسف أسعد: مصادر الدراسة الأدبية، ج ٢ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٥ تذكار اليوبيل، بيروت ١٩٢٨؛ مناظرة لغوية أدبية بين الأساتذة عبدالله البستاني، عبدالقادر المغربي، أنستاس الكرملي، القاهرة، مكتبة القدس ١٣٥٥هـ؛ يوبيل عبدالله البستاني الذهبي، مجلة الحارس، المجلد (٥ ) عام ١٩٢٨ .

٣ - راجع الرسالة التي وجهها الينا أحد طلاب مدرسة الحكمة في ذلك العهد ١٨٩٨ ـ ١٩٠٦ وقد أوردنا خلاصة ما تضمنته في محاضراتنا في جبران خليل جبران، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٣ ـ ٢٥ . وانظر بخاصة ما هو متعلق بنظام التدريس ومنهاجه والعناية بمطالعة نتاج الأدباء المحدثين أمثال فرنسيس المراش، وأديب إسحق. وغني عن البيان ذكر الأدب الكنسي، وترجمة التوراة، والإلماع الى بعض الأساتذة الفرنسيين القادمين من «سان سولبيس» و «وروان».

٤ - راجع مآخذ الياس أبوشبكة وعصبة العشرة عليه في مجلة المعرض، ثم في مجلة الجمهور، ومآخذ كرم ملحم كرم في مجلة العاصفة، ولا سيما ما جاء منها في قصيدته:الهوى والشباب، والمسلول من حيث اقتباسه عن الفرنجة؛ وقصيدته «مآسي الحرب» من حيث اقتباسه أجهزة القدامى ومطلعها: «المهى أهدت إليها المقلتين... والظبا أهدت إليها العنقا» وقصيدته «يا عاقد الحاجبين».

٥ - الهوى والشباب ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

****

ابـــــــــــــــــــــــــــــــيـــض

# بشارة عبدالله الخوري

## صاحب جريدة البرق ـ الأخطل الصغير

## أبو عبدالله ـ أمير الشعراء

**الياس خليل زخريا**

سافر أمس صديقنا «أبوعبدالله» سفرته القريبة في الأرض البعيدة.

تمدد في بزته الجديدة الأنيقة، وسبحته اليسر، وناظريه الهادئين الباردين، وعكازه المتوكئ القصير، وتابوت مشرع الباب من الخشب السنديان المحفر الملمع، وشمعتين نصرانيتين، طويلتين من الجبل، واقفتين وحدهما في مسرجتي النحاس، عن اليمين والشمال، تحت العلم تتمتمان على جدران القاعة الواسعة، العارية، في صمت المدينة الجامعية الصاخبة.

نظرت إليه ملياً، فكأنه هو نفسه.

مطل وحده من الزاوية في شرفة مكتبه الى رصيف «الشهداء» في ساحة العاصمة بين النخلات العاليات، وبركة الماء العثمانية التي انصب فوقها تمثال بحري غريب لشهداء غير غرباء.

.. وينساب «الأخطل الصغير» بخياله على مسارب نظارتيه.

ويتنقل بجسده النحيل المفتول فتلاً على عصاه المتعبة المتزنة.

ويقتنص هنا، ويتربص هنا، وينتظر انتظاره هناك ويكر الدقائق على حبات سبحته القصيرة. ويبتسم ابتسامة شفافة دائمة كأنها الرضى الى كل شيء والاستخفاف

■ الأديب، ١٩٦٨ ، السنة ٢٧، عدد: ٩، ص: ٢.

بكل شيء. ويلف، ويدور، ويرود، ويتأمل، ويرحب، ويغض النظر. يدخل في قنطرة من قناطر البرج ليخرج من قنطرة برجية أخرى. يستقبل في عرض الطريق بالشم والتقبيل، ... وقد يغرق في التودد.. ... وقد يتناهى في الجفاء.

ثم تراه يفيء عند كأس، ودن، في ضجة أو خلوة، أو نشوة منتشية لا أبهة، ولا ترف، ولا مظاهر ثراء، في حي كان زاخرا بالمظاهر ومدارج الرتب وأبواب الفخفخة وبيوت الثراء وسارية العلم ونفخ البوق.

ويصحو صحوه عند الالتفات في غمزة، أو لمزة، أو رفة عين وينسحب من المجلس، على السكت، انسحابا خفيا.

وقد تراه يتوارى على الوقار في أكمام ثيابه تحت نظارتيه الدائمتين.

وقد تراه ينزوي على التبصر في مداخل نفسه وحفيف أجنحته.

وقد تراه ينفعل انفعال النار في دفع الريح.

وقد تراه ينطفئ انطفاء الموت في برودة التراب.

يعربد ويثور.. إذا ما غمزت قناته. ينفر ويجافي.. إذا ما قوطعت كلمته. يحقد وينقم.. إذا ما مست قافيته.

يحب النقد مديحا في شعره ومديحا في نثره في كل شعره وفي كل نثره.

فإذا ما تحرك القلم أو اللسان في لفظة قلقة من ألفاظه، أو إلى بيت مضطرب من أبياته، أو على صورة غير مكتملة من صوره، أو قصة شاردة من أقاصيصه، انتفض كما ينتفض الثأر، فلم يترك للناقد نثرا قائما ولا شعرا منتظما ولا رأيا سليما، وقد يجرحه في خلقه، في أدبه، وفي أهل بيته.

**إني إذا جـــنَّت ريـــاح ســـفـــيـــنـــتي**
**ذهب الجـــنـــون بـــحـــكـــمـــة الملاح**

وأشياء، وأشياء، من حكايات العمر في رفقة طويلة غنية، في ثلث قرن، نتركها الى الغد لروايات الخبر ومجالس الحديث المنبسط.

ويعود «أبوعبدالله» من تطوافه النائي في الساحة إلى غرفته، إلى بيته، إلى داره. كانت غرفته تلك، أيامذاك، في غربي ساحة الشهداء، أو في جنوبها، كل داره، كل بيته.

فيها «البرق» والمطبعة، والمحبرة، والدفاتر القديمة، والسجلات الجديدة، والمكتبة، والرسائل، والديوان، والمسند، والمائدة، وأدراج الضيافة، وسلة المهملات العتيقة، وخزانة الثياب، وأخبار المحبين، وأثاث كامل من أثاث الدنيا غير الكاملة.

كانت هذه الغرفة، هذه الدار، أعمق ما كانت. إنها الصومعة اللبنانية العالية التي نزل فيها على نصف قرن في شق من كرسي واحد بقميص واحد، على اللاهوت الشعري، ثلاثة قدامى «ابن أبي ربيعة» و «ابن هاني» العباسي، و «أبوالطيب».

ورقّة عفوية فطرية «كالصوت للطير أو كالنشر للزهر» على حبكات مطيبة في سهولة التسلسل، ولين الحوار، وحرارة السرد، وتنغم الكلمة، وسكب القافية، وإبراز الصورة، والاقتباس العيني والخطف الأذني، وتأملات التتبع، وجمال الأرض، ولذائذ هن من غير لذائذ «نعم وعمر».

ثم دالية عجيبة تفتح في الجسد، وفي النفس، مغالق السر، ومكامن اللذة، ومصاعد الجموح.

ثم حكمة دهرية انصهرت فيها الأحداث، والبطولات، انصهار الماء في الغمام، والغمام في السماء، والسماء في الضمير المتيقظ المتعطش أبداً الى معطيات الجمال، وقرابين الحق ومقدسات الحرية.

ثم طموح دنيوي عجيب الى فوق.

قد يغضب فلا يتمرد إلا في الكبرياء، والترفع، والتعالي، ونحت الصور، وإطلاق الخيال، وبناء القصيد بناء الصعوبة الفخمة.

وقد يجنح أحيانا الى مثل: «التأمر»، أو التولي، أو التحكم، أو القناعة الوديعة، المنحدرة عن الضجر والحرمان الى القليل القليل من أوسمة هؤلاء الحاكمين، الفقراء، المحتاجين الى من يرفع قدرهم في عين الكلمة.

أو قل معي في غبار تلك الصومعة التي سمعتها أمس تقهقه قهقهتها في وجه قاعة الاستقبال الكبيرة، الكبرى، من قاعات كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية.

وفوق هذا، وذاك، قبة صافية من قباب الجبل، رفعها «الأخطل الصغير»، ورفاق «أبي عبدالله» وتلاميذ صاحب «البرق» ـ وقد كان معلما سخيا من معلمي الجيل ـ على هذه الدنيا العربية، الواسعة، تستظلها الأرزة فلا تيبس، وتنبسط فيها الصحراء الحالمة فلا يجف فيها الماء، ويمتد تحتها الريف فلا ينقطع فراته ولا ينضب نيله، ويتدفق بردى، جارنا بردى، فلا يبقى في واديه الخصيب إلا هذا القلب اللبناني العربي الذي يخفق كالشعاع على قمة حرمون، ويذوب كالندى على ضفاف الغوطة، ويسيل كالأمل على «العاصي» المتفجر من قلب الصومعة الهرملية من عندنا في الجبل الأخضر.

ويسألون الوادي الدمشقي عن قديم هوى «هذا الفتى العربي في الزي الغريب» فلا يجدون غير خفقات قلبه مع المجد، والسرى، والسراب، والأمل الأكبر، الى الرمل، والنخيل وجبال الشمس في واحات الزمن.

ويوم نادينا، شاعرنا، بهذه الأسماء الثلاثة:

«أبو عبدالله ـ الأخطل الصغير ـ أمير الشعراء» كنا نشعر بأن هناك اسما رابعا فوقها تنتهي فيه هذه الروافد اللفظية.

تتساقط عن مجده ويبقى، تنتثر عن دوحه ويدوم. ألم يعشق «بشارة عبدالله الخوري» نفسه كما يعشق البلبل حنجرته؟!

ألم تكن هذه الأسماء تمدحا به، نعوتا عابرة في معدنه.

ألم يلقب نفسه باسم شاعر بني أمية فخورا بمفاخره مطمئنا الى نصرانيته، ومكانته، ومجاله، وأفيائه في مشارف الأفياء، حتى إذا سرى اسمه، وتناقل على ألواح القلوب، تضايق فخلعه، وتألم فأنكره، وتمنى علينا مرارا في محبتنا له أن نهمل التسمية:

«ذلك عبث من أيام الصبا في طفولة الشاعرية».

ألم يناج أبا الطيب:

**طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة**

**فشاء ربك أن لا تدرك الطلبا**

ويسعى إليه منظمو مهرجان الإمارة، شعراء الكهولة الراغبين في الإرث غير الموروث، فيرحب باللقب، ويهلل بالتتويج، ويحني رأسه العالي لإكليل المهرجان وصولجانه.

وألتقيه بعد «التأمر» وأذكره ولا أهنئه، فيعتب بجفاء ويودع بقساوة، وكم وددت حقاً لو تحركت فيه علي شاعريته الغضبى فهجا كما كان يهجو، وحطم كما كان يحطم، غير أنه أنطوى عنا في لين الغربة على عتابه الأخير، وموته الأخير.

وأدركت أن أقصى ما كان يطمح إليه «بشارة عبدالله الخوري» في أوائل حياته وأواخر هذه الحياة الدنيا لقب «أمير الشعراء» وإن كان في قرارة ذاته واثقا بأنه ليس للشعر إمارة وليس للإمارة (ولي عهد) وليس لولاية العهد (إكليل أو صولجان).

ويا صديقي.. يا أمير الشعراء.

لا أوتارك انقطعت عن عودك.

ولا شموسك توارت عن مشارفك.

ولا أقمارك غابت عن ضلوع جبلك.

أراك في نفسي كأنك الجبل.

غرد يا أبا عبدالله ففي كل واد حداء من قلبك.

سلم قلبك من الموت.

**الياس خليل زخريا**

****

ابيض

# الشاعر بشارة الخوري

**الأب رفائيل نخلة اليسوعي**

ليس من يجهل بشارة الخوري – الأخطل الصغير من الواقفين على تطور قريضنا العصري، ولو لم تظللهم سماء لبنانه الصافية الزرقة والشفافة الضياء في أكثر الأحيان، فقد انتشرت قصائده في كثير من صحف العالم العربي ومهاجره، وظهر له ديوانان، «الهوى والشباب» سنة ١٩٥٣، و «شعر الأخطل الصغير» سنة ١٩٦١ .

قلما عالج فلسفة الحياة، بيد أنه يجاهر في شأنها بآراء مادية محضة، يتحذلق مدعيا أن العقل البشري عاجز كل العجز عن تأكيد وجود إله قيوم، لامتناهي القدرة قد أخرج من العدم جميع الخلائق الروحية والمادية، فيقول عن الكون الشاهد بربوات بدائعه على كمال بارئها، الفائق اسمى العقول:

**سمّه الضفة التي يعبر الأحـ**
**ـياء منها، أو سمِّ ذلك جسرا**
**سمِّه المصنع الذي يفعل التحـ**
**ـليل في جوفه عجائب كبرى**
**يتلقى الأجسام، وهي جماد**
**ثم يعطيكها حياة وفكرا**
**سمِّه الهازىء العظيم، إذا را**
**قك، أو سمِّه، إذا شئت، قبرا**

.....

**تالله ما معنى الوجود، وحكمه**
**حكم الفناء، وأمره لنفادِ**

■ المشرق، تموز ١٩٦٦، سنة ٦٠، ج٤-٥.

**إلا مـــشـــقـــات الـــطـــريق الى الـــثـــرى،**

**بـــــين الأسى وتـــــفـــــتت الأكـــــبـــــاد؟**

في قصائد أخرى يترنم بعظمة الله، بل يسجد لها :

**ربِّ، إن الـــكـــون، مـــهـــمـــا عـــظُـــمـــا**

**هـــو في عـــيـــنـــيك لا يُـــحـــسبُ شيْ**

**قـــدرةٌ ذلت لـــديـــهـــا الـــعُـــظـــمـــا**

**كـــلـــهم فـــانٍ، وســـبـــحـــانك حي!**

بيد أنه، في القصيدة ذاتها، يعدّ الله تعالى مسؤولا عن جرائم البشر، ولاسيما سفكهم دماء ملايين إخوتهم في الحروب الضروس المتواترة، فتبلغ وقاحته حد طلبه من مولاه السامي الحكمة، أن يلاشي القمرين ويستأصل أبناء آدم برمتهم :

**ربِّ، قل لـــلـــجـــوع يـــصـــبح شـــبـــعـــا،**

**وانـــقـــذ الـــطـــهـــر الـــذي قـــدســـته**

**أو مُـــر الـــفـــسق فـــيـــغـــدو ورعـــــاً**

.....

إلى آخر الأبيات.

لا غرو من ماديته البادية في بعض منظوماته، والمستشفة في غيرها، ولا من قلة احترامه لله تعالى، فإنه قد ألّه المرأة كل التأليه، فوقف على عبادتها جل أفكاره وخيالاته وعواطفه، ونظم في وصف محاسنها الفتانة معظم قصائده، ومازال متيما بها في شيخوخته كما كان في كهولته، بل في عنفوان شبابه. كثيرا ما نراه، في شعره الغزلي، يهذي هذيانا، لا معنى له على الإطلاق إلا في عقله المصاب بالجنون الجنسي. هاكم عدة أمثلة على ذلك اللغو المستهجن :

**فـــتن الجـــمـــال وثـــورة الأقـــداح**

**صـــبـــغت أســـاطـــيـــر الـــهـــوى بـــجـــراحي**

**ولـد الـهـوى والخـمـر لـيـلـة مـولـدي**

**وسـيـحـملان مـعي عـلـى ألـواحـي**



**أنـا طـيـف من خـيـالات الـلـيـالي**

**من صـدى الـوادي ومن هـمس الـدوالي**

**كم عـلـى الـصـحـراء وشي من خـيـالي**

**وعـلـى الـبـحـر يـتـيـمـاتي الـغـوالي**

.....

**منهما صغت حلاك، ومنى النفس رضاك؛ أنا والشعر فداك**

.....

**لم يـشُـقـنـي يـوم الـقـيـامـة لـولا**

**أمـلـي أنـنـي هـنـاك أراهـا!**

وأيم الحق إن من المضحكات المبكيات زعمه الكفري أن أهل السماء المسحورين على الدوام بجمال الله المتجلي لهم، يتنازلون فيصغون الى شكوى غرامه، ويشاطرونه الهيام بأصنامه ! لم يأنف عابد النساء من التصريح بأن تلك العبادة السافلة كل السفالة في نظر كل إنسان عاقل شريف، هي دين الحق، بل دين الأبد :

**يـا لـهـا الـله أُويـقـات الـصـبـا**

**من أُويـقـات لـهـا عـنـدي يـد**

**مـعـبـداً قـامت عـلـى دين الـهـوى**

.....

بجانب ذلك الغزل الإباحي المحض، الفاحش التطرف في الكيفية والكمية، نجد عدداً قليلاً من الروايات الجميلة .منها «آتيلا والشاعر»، يصور لنا فيها بشارة ذلك الفاتح الطاغية، القتول والهدام، تصويرا حسن الإيجاز، قائلا إنه لم يكن «سوى نقمة

الله وسيف الغضب، ملأ الأيام هولا ودما !» أتاه ذات يوم شاعر من الرومان يتزلف اليه بتعظيمه وتمليقه، فاستاء الجبار من مينه وفرط تذلله .

**قال اتيلا: «اجمعوا لي حطبا**
**واربطوا من فوقه هذا الغبي ...**
**«ويك !» ناداه، «لئن ترجع الى الـ**
**ـكذب، أحرقك جزاء الكذب !»**
**لو بُليينا بآتيلا ساعة،**
**لشكونا من نفاد الحطب !**

في ذلك البيت الأخير ما فيه من الاستهزاء المضمر اللاذع بقوم من بني الشرق العربي، قد بالغوا في تعفير وجوههم أمام العظماء استعطاءً لآلائهم وطمعا بحمايتهم.

قد أجاد كذلك الأخطل الصغير في «سقوط السلطان عبد الحميد الثاني»، بعد وصف بعض مظاهر ظلم هذا العاهل المستبد لرعاياه، وهبوطه الفجائي من أوج العز الى مهواة الذل والأسر، يخاطبه الشاعر بهذه اللهجة البليغة :

**كنت تُبكي، فصرت تَبكي، وعهدي**
**بك، عبد الحميد، غير بعيد!**
**يا لياليه في سلانيك، قولي**
**لليالي في يلدز: «لن تعودي!»**
**يا لياليه، لا تريه ضحاياه،**
**فتعروه رعشة الرعديد!**
**وارحميه، فالشيخ هاوٍ وما**
**للشيخ طاقة على التسهيد**

كــان بــالأمس، والــرعــايــا عــبــيــد،
فــغــدا الــيــوم صــاغــرا لــلــعــبــيــد!

روايـة «عـروة وعفـراء» جديـرة بـأن تـعد من فرائـد شـعرنـا القـصـصي الحديث، موضوعها أن الفتى عروة قد وعده عمه وعداً كاذباً بأن يزوجه ببنته عفراء، وإنما سبب تلك المخاتلة فقر الشاب، وكان هذا قد خالط عفراء منذ طفولته، فهام بها هياما عذريا .ثم أراد عمه إبعاده حتى يعقد لسليلته قرانا آخر، فأشار على عروة بالسفر الى الشام سعيا وراء تجارة رابحة، وانتهز فرصة غيابه لاختيار زوج آخر لعفراء، وهو «اثالة» الوافر الثروة، بلغ عروة ذلك النبأ الفاجع، فطارت نفسه شعاعا، بل كان هول تلك المصيبة سبب موته العاجل .فاستأذنت عفراء بعلها في أن تحج قبر ابن عمها ورفيق صباها ومحبوبها الوحيد، فنزل عند رغبتها. يقول بشارة في ختام تلك الرواية الشعرية:

.....

فــمــا هي غــيــر بــعض ثــوانٍ
حــتى رأيت بــقــبــر عــروة بــانــةً
مــحــنــيــة - وا لــهــفــتــا لــلــبــان -
وســمــعت أيــة زفــرة وشــهــدت أيـ
ـــة ثــورة ولمــست أي حــنــان!
«وا عــروتــاه!» ولم تــتــم نــداءهــا
حــتى ارتــمت، فــإذا هــنــا مــيْــتــان؛
ضــمــوا الــفــتــاة الى الــفــتى في حــفــرة،
من فــوقــهــا غــصــنــان مــلــتــفــان!
روحــان ضــمــهــمــا الــهــوى فــتــعــانــقــا
وتــعــاهــدا، فــتــعــانق الــكــفــنــان

«الريال المزيف» آخر مثال نذكره من ذلك النوع الروائي. يقص علينا بشارة في تلك القصيدة حادثا أليماً جرى في وطنه لبنان، إبان الحرب العالمية الأولى. امرأة تركها زوجها في الفقر المدقع وانضوى الى الجيش، وكانت لها طفلة كاد المرض يوردها

حتفها، وقد حال إملاق أمها دون شراء الأدوية اللازمة. ثم سام عرضها نذل رآها في ذلك الموقف الحرج غنيمة باردة بين يديه، فأوهمها الشيطان الرجيم وحنانها الوالدي سواغ الانقياد لذلك المجرم الوغد، فسقطت في حباله. بعد قضائه نهمته فيها أرادت تخفيف آلام بنتها بالريال الذي باعت به ماء وجهها، فإذا هو زائف ؛ فيالمرارة خيبتها، وقد زادت فدح عارها ! هي رواية حادث مبتذل، قد شاهد الملوان آلافا مؤلفة من أمثاله، على أن قريحة الشاعر قد صاغت به قصيدة رائعة بإجادة الوصف وبكثرة الخيالات الجديدة ؛ دونكم أبياتها الأولى:

**ويح الفقير ! فما تُراه يلاقي ؟**
**سُدت عليه منافذ الأرزاقِ!**
**عصفت به وبسربه ريح الشقا**
**فتساقطوا كتساقط الأوراق!**
**فإذا بصُرت به، عجبت لشمعة**
**كالزعفران تجول في الأسواق!**
**علَقُ المجاعة مص نصف دمائه**
**وتعسف الحُكام مص الباقي!**
**أخذ الشقا يدها، فسارت خلفه،**
**والليل ممدود على الآفاق**
**سارت فماس الخيزران بقدها**
**ورنت فذاب السحر في الأحداق !**
**وتلوح آثار النعيم بخدها**
**كالفجر قبل تكامل الإشراق !**

الشعر الوصفي المحض قليل جداً تحت يراع بشارة ؛ هاكم أجمل أبياته على شاب مسلول :

**عيناه عالقتان في نفَق**
**كسراج كوخ نصف متقدِ ...**

تـــهـــتـــز أنمـــلـهُ فـــتـــحـــســـبـــهـــا
ورق الخـــريف أُصـــيب بـــالـــبـــرد...
يمـــشي لـــعـــلـــتـه عـــلى مـــهَـل
فـــكـــأنه يمـــشي عـــلى قـــصَـــد
ويمجّ أحـــيـــانـــا دمـــاً، فـــعـــلى
مـــنـــديـــله قـــطعٌ من الـــكـــبـــد ! ...
قـــطع تـــقـــول له «تـــمـــوت غـــداً»
وإذا تـــرقّ، تـــقـــول «بـــعـــد غـــد» !
والمـــوت أرحم زائـــر لـــفـــتى
مـــتـــزمل بـــالـــداء مـــغـــتـــمـــد !

لقد أجاد أيضًا وصف المهاجر ؛ يخاطبه قائلا :

أشـــجَـــاك أنك رائـح، لا تـــرجعُ
وهـــواك والأوطـــان بـــعـــدك بـــلـــقعُ ؟
مـــتـــلـــفتٌ ؛ مـــا تـــبـــتـــغي ؟ مـــتـــوجع
مـــا تـــشـــتـــكي ؟ مـــتـــنـــصت ؛ مـــا تـــسـمع ؟
تـــلك الـــزغـــالـــيل الـــتي غـــادرتـــهـــا
جف الـــثـــديّ ومـــات عـــنـــهـــا المـــرضع !
لا الـــريش مـــكـــتـــمل، ولا أوكـــارهـــا
خُـــضـــر، ولا الـــســـجع الـــبـــكيّ يـــشـــفَّع !
ولـــكـــنت تـــســـفك نـــاظـــريك لـــيـــرتـــووا
وتـــذيب قـــلـــبك في يـــديـــك لـــيـــشـــبـــعـــوا !
جـــرس الـــكـــنـــيـــســـة، لـــو تـــكـــلم، لاشـــتـــكى
ولـــبـــــان فـــيـــه، مـــذ نـــأيت، تـــصـــدع !...
الجـــوزة الخـــضـــراء بـــعـــدك صُـــوحت
إلا وُريـــــقـــــات تـــــكـــــاد تـــــودع

تـفـضي الى الـنـسـمـات في غـدواتـهـا
عـــمـــا تـــكـــابـــد في نـــواك وتجـــرع
لـــو في الأَلى خـذلـوك بـعض حـنـانـهـا،
لـــتـــقـــصـــفت جـــزعـــاً عـــلـــيك الأضـــلـع !...
لـــلّه انت مـــغـــرّبـــاً ومـــشـــرقـــاً،
تـــذريك عـــاصـــفـــة وأخـــرى تـــزرع
حـــتى انـــدفـــعتَ، فـكل صـخـر روضـة -
ســـلـــمت يـــداك - وكل أفق مـــطـــلـع
وفـــتـــحت فـــتح الـــعـــبـــقـــريـــة تـــاركـــاً
في مـــســـمع الـــدنـــيـــا صـــدى يـــتـــرجع !

قال في وصف رزايا الحرب :

كم شـــمـــوس في ســـمـــا المـــاضي وكم
من نجـــوم في ســـمـــا المـــســـتـــقـــبل
ويـــتـــيـــمـــات فـــنـــون جـــمـــة
حُـــســـبت من مـــعـــجـــزات الأول
فـــإذا تـــلك انـــطـــفت شـــعـــلـــتـــهـــا
وإذا هـــــذي كـــــبـــــالي طـــــلـــــل
ولـــــكم روضـــــة بـــــيت ذبـــــلت
وهـي لـــــولا حـــــرهـــــا لم تـــــذبـــل !
وفـــتـــاة طـــفـــلـــة قـــد ســـألـــت
أمـــهـــا : «أين أبـي لم يُـــقـــبـــل
فـــلـــقـــد طـــالت بـــنـــا غـــيـــبـــته
وأنـــا اشـــتـــقت لـــتـــلك الـــقُـــبل ؟»

قد أجاد بشارة في بضع قصائد صوغ الشعر الوطني، ولاسيما في نشيد لبنان ذي الوزن السريع كخطى جيش حامل على العدو، أو كصيحات عالية متتابعة مثل قصفات الرعود، ملتهبة بنار الحماسة، ملؤها الافتخار بمجد لبنان والغيرة على الذود عن حماه، إليكم لازمته ودورين منه :

**لـــبـــنـــانْ ، لـــبـــنـــانْ !**
**حـــــرَم الأرز ، عـــــلَم المجـــــد ، وطن الأحـــــرارْ**
**ســـــــــــلامْ !**
**الجـــــمـــــال رصّـــــعـــــا**
**بـــــأزاهـــــيـــــرٍ رُبـــــاكْ**
**والجـلال تـــــــــوجـــــــــا**
**بمـــــصـــــابـــــيح هـــــداك !**
**والـــــيـــــراع والحـــــســـــامْ**
**في المـــلـــمـــات الجـــســـامْ**
**كـــــل آنْ، كـــــل آنْ**
**ذائـــــــــــــــدان عـــن عُـــلاكْ**
**حـــــارســـــان لـــــلـــــواكْ**
**نـــحن في الـــســـلم ابـــتـــســـامْ**
**وصـــــــفـــــــاء ووفـــــــاءْ**
**وأكـفّ مـن غـــــــمـــــــامْ**
**ووجـــــوه مـن حـــــيـــــاءْ**
**وإذا دق الـــــنـــــفـــــيـــــرْ**
**نملأ الـــــغـــــاب زئـــــيـــــرْ**
**وحـــديـــداً ودخـــانْ !**
**مـــــــــــــات مـــن رام أذاكْ**
**عـــــاش مـن مـــــات فـــــداكْ !**

رثى لشقاء مئات قُرى لبنانية غادرها كثير من أهاليها، طمعاً بمكسب أوفر في المدن، فحثهم بأبيات جميلة على العودة الى ضياعهم واستغلال مواردها:

**عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى، فـــلـــقـــد**
**ســـلـــخـــتـــكمُ عن قـــلـــبـــهـــا المـــدنُ**
**لا الحـــقل يـــبـــسم عن مـــعـــاولـــكم**
**فـــــيـــه، ولا تـــــتـــــــرنم المـــــهـن**
**ذوت الـــــريـــــاض، ومـــــاؤكم عـــــممٌ**
**وتـــعـــطـــلت من حَـــلـــيـــهـــا الـــقُـــنن**
**مـــحـــــراثـــكم صـــدىء الحـــديـــد به**
**والـــفـــأس ملء عـــيـــونـــهـــا الـــوسن**
**وخـــــوت زرائـــــبـــــكم ، وكـــــان عـــلى**
**جـــنـــبـــاتـــهـــا يـــتـــدفق الـــلـــبن**
**خـــلت المـــرابط من ســـوابـــقـــهـــا**
**وتـــثـــاءبت بـــحـــبـــالـــهـــا الأتن**
**عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى، فـــعـــلى**
**بـــســـمـــاتـــهـــا يـــتـــمـــزق الحـــزَن!**

سنة ١٩٣٥ كان أهل ضياع لبنان في ضيق شديد، وقد تفاقمت تباريحه بقسر الجباة إياهم على دفع بقية الضرائب، فألهم ذلك الخطب الفادح بشارة قصيدة «الجابي» التي نعدها من أحسن قصائده ؛ هاكم بعض أبياتها:

**إلـــــــــهي، أي دهـــــــــيـــــــــاءٍ**
**يـــــردّي مـــــثـــــلـــــهـــــا مـــــثـــــلي**
**ويـــــشـــــكـــــو فـــــقـــــرَه قـــــبـــــوي**
**ويـــــشـــــكـــــو مـــــحْـــــلَه حـــــقـــــلي**
**وشـــــــاتـي، وهـي أم الـــــــبـــــــيت،**
**يـــــشـــــكـــــو ضـــــرعـــــهـــــا طـــــفـــــلي!**

رويداً، يا أخا الهيجاء،
قد أسرفت في القتل!
ألا تُبقي على شيء ؟
فمن يحيا بلا أكل؟
كفانا أننا نمشي
من البؤس بلا نعل
وأنّا نمضغ الموتين
من ظلم ومن ذل!
فمن أغرى الرزايا بي،
ومن أنت ؟ - أنا الجابي

قد ثارت وطنيته أشد ثوراتها حين شاهد في أربعة أعوام الحرب العالمية الأولى، الجوع الهائل، الذي قصد به الأتراك استئصال أهالي قرى لبنان، يفتك فتكًا متواصلاً بربوات منهم، فقال بقلب جريح :

أعشق الليل، وما لي والضحى ؟
عشتَ، يا ليل، ألا فانسدلِ!
انسَدِلْ تحجبْ عن الطرف الشقا ؛
يا لطرف بالشقا مكتحل
لا يرى ، إذ تطلع الشمس، سوى
سائل أو عاجز أو وكل
عصف الفقر بهم ، فانتشروا
كانتشار الوابىء المستفحل!
يلهمون العشب من جوعهم ؛
ويحهم ؟ ما تركوا للهمل؟
بجسومٍ هُزّل تحملها
بعياءٍ واهيات الأرجل

**ووجـــوه كـــتب المـــوت عـــلى**
**صـــفـــحـــتـــيـــهـــا «هـــذه الأوجه لي» !**
**صـــدق المـــوت بمـــا قـــد قـــالـــه ؛**
**مـــا تـــرى أشلاءهم في الـــسُـــبل ؟**

لم يتمالك بشارة عن الاقتداء بمعظم شعرائنا المعاصرين، في نظم قصائد المدح والرثاء عند سنوح الفُرص، وهي أكثر من أن تُعد في الشرق العربي .

والحال أن كل خبير في كنه القريض وسمو غايته، يعلم علم اليقين أنه بعيد عن المدح والرثاء بُعد الثريا عن الثرى، إلا في بعض الظروف النادرة التي يفيضان فيها عفواً من أعماق فؤاد الشاعر، لا من شفتيه أو أسلة قلمه فقط .

من أمثال فساد ذوق الأخطل الصغير في تبجيل العظماء، قصيدته للترحيب بملك العراق الطفل، فيصل الثاني، عند قدومه الى لبنان سنة ١٩٣٩. في البيت الثاني منها يخاطب سيادة الضيف الجليل، صائحاً بها، وهو لا يأبه لتكلفه المضحك :

**يـــا ســـلـــيل الـــبـــخـــار ، كم من فـــؤاد**
**ود لـــو كـــان بـــين جـــنـــبـــيك وقـــدا !**

ثم يتطرق بمثل ذلك التصنع الى ذكر النكبة التي أودت بحياة والد فيصل الثاني، وهو راكب سيارته في إحدى ليالي نيسان سنة ١٩٣٩ :

**يـــا ابـن من أذهـل الـــنـــجـــوم إذ**
**انـقضّ شـهـابـاً عـلى الـثـرى وتـردّى**
**مـا نـسـيـنـا جـرحـاً عـلى الـلـيل، أمـست**
**فـحـمـة الـلـيل مـنه جـمـراً ونـدا !**
**قـطـعت شـعـرهـا الـكـواكب كي**
**تـمـسح جُـرحـاً وكي تـوسّـد خـدا**
**وانـحـنت كل نـخـلـة كـجـنـاح**
**أخـضـر الـريش، ودّ لـو كـان زنـدا**

نجد ذلك العيب ذاته في رثاء بشارة لوديع عقل :

العبقرية، ما حييتَ، جنايةٌ،
فخُذ الذمام لها من الإلحاد
تمشي على حسك الصدور وشوكها
وتُلف بعد الموت بالأوراد !...
أيُقام وزنٌ للبيان، وقد رمى
سهم المنية منه قلب الضاد
فتقطعت مُهج وفاضت أعين
رمت الخدودَ بكل أوطف صاد
مطرٌ كما انتثر الجمان على اللظى
وتكسّر البلّور في الأجياد!

لا نرى مثل تلك المغامز في رثائه لنصير المرأة الشهير مختار بيهم. نعلل ذلك بكون الشاعر قد أخرج ذلك الرثاء من فؤاد مفعم بأحر عواطف الإجلال والمحبة للفقيد العزيز، فأتت قصيدته مضطرمة بلهيب شعوره، مزدانة بحُلى الابتكار الطبيعي ولاسيما إذ يندب بيهم قائلا عنه :

الذي كان خادماً لبلادهْ،
الذي كان جذوةً تتوقدْ
الذي كان صافياً كالغدير
الذي كان ماضياً كالمهنَّدْ !

الهمي، يا ربة الشعر، شعراً
كالنور والنارْ،
كالهوا، كالأطيار، كالفكر حُراً،
كنفس مختار!

**كـــالأعـــاصـــيـــر ، إن دعـــته الـــبلادُ**

**وخـــــافت الـــــعـــــار**

**كـــــالأزاهـــــيـــــر، إن دعـــــاه الـــــودادُ**

**وحُـــــرمـــــة الجـــــار**

قد أطلنا الكلام في تحليل معاني شعر الأخطل الصغير، مع التمييز بين غثها وسمينها. أما لغته، فليست خالية من الأخطاء الجسيمة، كاستعمال جوانح بمعنى أجنحة، وودیان بدلا من أودية، وقوله «الجحيم الأعظم» مع أن ذلك الموصوف مؤنث، وإتباعه بعض الأفعال المتعدية باء الجر :

«**أرادوا بأن أكون العريس**»، «**لا تنسي بأن تستري ذلك الجبين**»

من جهة أخرى تكثر في شعره الكلمات المماتة التي يمجها كل ذي ذوق سليم . الوضوح ناقص جداً في مئات من أبياته، فهي ألغاز غامضة. نضرب لكم مثلاً على ذلك، وهو حفنة من كثيب :

**لـنـا الـكـروم ؛ فـهل في الـقـول من حـرج**

**إذا ســألــنــاهمُ «اين الــعــنــاقــيــدُ»؟**

**ولا سلاح سـوى الـوعـد الـذي قـطـعـوا،**

**تـفـنـى الحـيـاة ولا تـفـنـى المـواعـيـد**

لا ننكر أن لبشارة نزعة شديدة الى ابتكار الخيالات، وقد ابتدع منها عدداً لا يستهان به، هاكم باقة بهيجة منها :

**فـيـصـوغ هـيـنـمـة الـنـسـيم قـصـائـداً،**

**ويـــردّ زمـــزمـــة الـــغـــديـــر أغـــاني**

.....

**ضـــرب الجـــوعُ بـــصـــمـــصـــام رهـــيفْ،**

**فـــــإذا قـــــتـلاه ملء الـــــسُـــــبلِ**

**«هلال الأفق في حضن المغيب»، «تلبسون خوذة الإقدام»، «فتى كاسي الغنى عارٍ من الأخلاق»، «ترعى السفالة في مجاهل قلبه»، «أيها الفقر، إن كنت قوّاد الزنى ...»، «شعاع الشمس يضحك لي»، «قسمتُ فؤادي بين بؤسي والهوى»، «زحم الصبحُ الظلام»، «آمال مجنّحة» .**

بيد أن التكلف المستهجن في الخيالات أكثر جداً من ابتكارها. يسهل علينا إثبات ذلك الرأي بمئات الأمثال، بيد أن ضيق المجال يضطرنا الى الاكتفاء بذكر هذه:

**«سكرَ الروض سكرةً صرعته**
**عند مجرى العبير من نهديك»**

☆☆☆☆☆

**«أنا في شمال الحب قلب خافقٌ،**
**وعلى يمين الحق طيرٌ شادِ»**

**«الله برى ريشة من جناح الملاك، وغمسها بفؤاد الصباح»، «أكاد أمشي بلا رأس»، «تختال فاطمة على خدود رياض لبنان»، «استلني الشقاء حساماً في نهاري، وصيّر الليل غمدي»، «رآها الليل فاختار المقام في شعرها»، «ساعدٌ من الضحى مفتول، تغمره بالقُبل الحقول»، «قلبي فاغرٌ فمه للحب»، «براعم الأقلام لم تتفتق»، «يكسو الجراحَ افتراراً»، «يا قامة ( قامة فتاة ) من قصب السُكر رخص العُقد»، «الكواكب قطعت شعرها لكي تنسج بُرداً» .**

تلك الخيالات المشينة بالتكلف ترد تترى في كثير من قصائده، كما يرى القراء في المثلين التاليين. قال بشارة في وصف زحلة ونُهيرها البردوني وسهل البقاع المتاخم لها:

**أسرفتِ في فتن الجمال، كأنما**
**تخذ الجمال على ذُراك منابرا ! ...**
**والنهر روح العاشقين ودمعهم،**
**مُلقى على قدميك، يلهث خائرا**
**سالت جراحات الهوى في صدره**
**ليلاً، فقبّلها النسيم محاذرا**

**والسهل يحلم، منذ كان، بزورة**
**لبس الحُليّ لها ندًى وأزاهرا**
**لو كان يمكنها الرُبى، لتسابقت**
**لأعزّها، تسعى اليك حواسرا،**
**وتقطعت خُصل الحسان ونُثّرت**
**بدل الكروم على التلال غدائرا**

قال في وصف سلمى الكورانية :

**تعجّب الليل منها عندما برزت**
**تسلسل النورَ في عينيه عيناها**
**فظنها، وهي عند الماء قائمة**
**منارةً ضمها الشاطي وفدّاها !**
**وتمتمت نجمة في أذن جارتها**
**لما رأتها وجُنّت عند مرآها :**
**«انظرن، يا إخوتا ؛ هذي شقيقتنا**
**فمن تُراه على الغبراء ألقاها ؟**
**«أتلك من حدّثت عنها عجائزنا**
**وقلن إن مليك الجن يهواها ؟»**

فضلاً عن التصنع المتواتر ، كثيراً ما تشين شعر بشارة المبالغة الفاحشة. نكتفي بذكر ثلاثة أمثلة عليها، خوفاً من إضجار قرائنا : يقول بعد موت فوزي المعلوف «**تعرّى روض البيان من السجع**»، وفي رثاء الياس فياض :

**خبا كل ساطع في سماهُ**
**وذوى كل زاهر في جنانهْ**

وفي وصف انهيار صرح شامخ : «**جبل من البنيان زُلزل فوقهم** .»

مع كل العيوب التي فصّلناها وأثبتناها بالبراهين الدامغة، نرى الأخطل الصغير يجاهر في «نياشين» – وهي كلمة غير عربية – بفرط إعجابه بذاته، وذلك من أقصى درجات الكبرياء والادعاء. هاكم تلك الأبيات بحذافيرها :

**أيفرضون على مثلي ملابسهم**
**ويسألون ثيابي عن نياشيني**
**كأنني لم أكن عنوان فخرهم**
**يوم انطلاق القوافي في الميادين ؟**
**إني لمن معشر، لولا يراعتهم**
**ما كان لبنان غير الماء والطين !**

من المعلوم أنه لا يجوز، في جميع الأقطار المتمدنة، لقاضٍ، أياً كانت درجته في مراتب القضاء، ان يصدر حكماً في شؤونه الشخصية . قد نسي بشارة أو تناسى ذلك المبدأ السديد، فتوهم عن غرور محض، أنه في مقدمة نوابغ شعرنا العصري الناهض. أما نحن، فإننا لا نشاطره ألبتة ذلك الرأي الفائل. مع اعترافنا بأن في قصائده بعض الدرر، وإن شابتها شوائب، يضطرنا النقد الجريء النزيه الى التصريح بكثرة ما فيها من اللؤلؤ البهرج. هذا لا يروق سطوعه إلا عيون جاهلي أصول الأدب الصحيح، الثابتة في كل عصر ومصر، في أرقى بلاد العالم، بدليل كون أعظم أدباء الخافقين يتقيدون بها ولا يحيدون عنها أصلاً ؛ ولولا ذلك لما بقي جمال مؤلفاتهم كاملاً فتانا في ترجماتها الى أشهر اللغات .

**الأب رفائيل نخلة اليسوعي**

****

ابيض

# الأخطل الصغير
## شاعر الشعب والحرية والإنسانية

**توفيق إبراهيم**

للأخطل الصغير مكانة رفيعة في عالم الشعر يحسده عليها كبار الشعراء في جميع الأقطار العربية. وهو رجل ظريف، أنيق الشكل. لطيف المعشر، مرهف الحس، رقيق الشعور حاضر النكتة. وعندما يتلو قصائده الرائعة أمام مستمعيه ورواد مدرسته تتدفق خواطره الشاردة من رموش عينيه البراقتين ، وتترقرق درر الألفاظ على عقيق شفتيه الرقيقتين، وتتألق الصور الشعرية في صفاء ذهنه المتوقد وتتناثر كالأحلام المجنحة، وتذوب كما يذوب الأرج الناعم في مهب الريح.

وشاعرناالكبير، بل أمير الشعراء، ينظم القصيدة وينحتها نحتا دقيقا، وينقحها بروية وإتقان ويسكب عليها أرجاً من روحه وفيضاً من جروحه، فتأتي آية في الروعة والإبداع. إنه أمير الكلمة الحلوة والمصور المبدع الخلاق، قصائده الخالدة جواهر نادرة تتألق على لوحة الفن بأجمل الصور وأطرف الألوان. طوى الثمانين من عمره وما يزال يتمتع بنضارته ورونقه وخفة روحه. وهو الشاعر الوحيد الذي ينعم ويتمتع بتقدير ومحبة العالم العربي على اختلاف مذاهبه ونزعاته، وأول من رصع جيد الشعر العربي الحديث بأغلى الجواهر والعقود.

والأخطل الصغير شاعر الشعب الثائر، وعدو الاستعمار والمستعمرين. ثار على الظلم التركي، وتمرد على الجور والطغيان، ووقف بوجه الانتداب الفرنسي وقفة الند للند، وصفع «أمنا الحنون» تلك الصفعة الموجعة عندما خاطب وطنه الحبيب لبنان بقصيدة أقتطف منها هذا البيت الرقيق الموجع:

**كثرت عليك الأمهات وما درت**
**أرحامهن وكل أم ضيغم**

■ الرحمة، نيسان ١٩٦٧، العدد ٤ ، السنة الثالثة.

أجل، لقد كثرت علينا الأمهات والجدات، والأوصياء الأعداء الألداء، وكلهم ضياغم ووحوش تتكالب على أرزاقنا وخيرات بلادنا.

إن الشاعر الذي يتحدى الاستعمارالفرنسي في أوج مجده، ويصفع «أمنا الحنون» بمثل هذا البيت الرقيق الموجع، هو أمير الشعر العربي دون منازع.

وعندما كشف الاستعمار البريطاني أوراقه وطلع علينا بمشروع «صهينة» فلسطين.. ثار الأخطل الصغير ونظم رائعته الخالدة وقذفها حمماً مدمرة في وجه هذا الاستعمار. وكان لصيحاته الهادرة دوي الرعود في صدور المستعمرين. قال حفظه الله:

**يا فلسطين التي كدنا لما**
**كابدته من أسى ننسى أسانا**
**نحن يا أخت على العهد الذي**
**قد رضعناه من المهد كلانا**
**يثرب والقدس منذ احتلما**
**كعبتانا وهوى العُرب هوانا**
**قم إلى الأبطال نلمس جرحهم**
**لمسة تسبح بالطيب يدانا**
**قم نجع يوما من العمر لهم**
**هبه فصح الصوم، هبه رمضانا**
**إنما الحق الذي ماتوا له**
**حقنا نمشي إليه أين كانا**
**ضجت الصحراء تشكو عريها**
**فكسوناها زئيراً ودخانا**

وهذا البيت الأخير تردده قبيلة عربية في صحراء «موريتانيا» معروفة بقبيلة «البيضان». وقد روى لي أحد أفراد تلك القبيلة قصيدة طويلة للأخطل الصغير عنوانها «على ضفاف بردى»، منها هذه الأبيات الجميلة التي يصف فيها شاعرنا الكبير «أبناء جفنة»:

**إني وقفت بها أسائل عن فتى**
**من آل جفنة رائح أو غاد**

الحـــامـــلـــين الـــشـــمس فـــوق وجـــوهـــهم
والحـــامـــلـــين الـــشـــهب في الأغـــمـــاد
رفـعـوا الـشـآم عـلـى الـصـفـائـح والـنـدى
وبـــنـــوا من الـــصـــلـــبـــان بـــيت الـــضـــاد

فلا يسعنا إلا أن ننحني بخشوع أمام روعة تلك الأبراج الشامخة، والصور الساطعة والقوافي المتألقة في سماء الشعر العربي الرفيع. لقد جمع الشاعر بأسلوبه الرشيق الشفاف بين دقة الوصف.. والرقة والعذوبة.. وسمو الخيال وقوة التعبير. وها هو الأخطل الصغير يصف نفسه بنفسه ويعطينا صورة صادقة حية عن الثورة الهادرة المتفجرة في صدره:

ولـــربمـــا خـــدعـــتك صـــفـــحـــة هـــادئ
مـــنـي وفي الأحـــشـــاء عـــصف ريـــاح
إني إذا جـــنت ريـــاح ســـفـــيـــنـــتي
ذهب الجـــنـــون بـــحـــكـــمـــة الملاّح

أما القصائد الخالدة التي ارتفعت بشاعرنا الكبير إلى ذروة الشعر والشهرة والمجد فهي تلك المراثي التي توجت جبين الأهرام بأكاليل الغار، وغناها النيل ورددتها أمواج دجلة والفرات، ومنها قصيدته المشهورة في رثاء سعد زغلول ومطلعها:

قـالـوا دهت مـصـر دهـيـاء فـقـلـت لـهم
هل غـيّض الـنـيل أم هل زلـزل الـهـرم؟
قـــالـــوا أشـــد وأدهى قـــلـــت ويـــحـــكم
إذن لـقـد مـات سـعـد وانـطـوى الـعـلـم

وقصيدته الرائعة في رثاء أمير الشعراء أحمد شوقي ومطلعها:

قف في ربى الخـلـد واهـتف بـاسم شـاعـره
فـــسـدرة المـــنـــتـــهى أدنى مـــنـــابـــره
وامـسح جـبـيـنك بـالـركن الـذي انـبـلـجت
أشـــعـــة الـــوحـي شـــعـــراً من مـــنـــائـــره

ومنها:

**شـوقي، أتـذكـر إذ «عـالـيه» مـوعـدنـا**
**نمـنـا ومـا نـام دهـر عن مـقـادره؟**
**شـوقي، سلـوا الأفق هل ثـارت عـجـاجـته**
**لمـا انـطـوى المـتـنـبي في ديـاجـره؟**
**في مـوكب الـشـعـر والأقلام مـطـرقـة**
**فـإن أرادته غـصت في مـحـابـره**
**سـألـتـنـيه رثـاء خـذه من كـبـدي**
**لا يـؤخـذ الـشيء إلا من مـصـادره**

أما قصيدته الرائعة في رثاء الملك فيصل الأول فقد روى لي الصديق يوسف ابراهيم يزبك أن بغداد قد زحفت عن بكرة أبيها لتلثم يد الأخطل الصغير بعد خروجه من القاعة التي جرت فيها حفلة تأبين الملك الراحل. وقد أصبحت قصيدة الشاعر اللبناني الكبير حديث الشعب العراقي بأسره، ومطلعها:

**لـبـست بـعـدك الـسـواد الـعـواصم**
**واسـتـقـلت لك الـدمـوع المـآتم**
**ود لـو يـفـتـديك صـقـر قـريش**
**بـالخـوافي من الـردى والـقـوادم**
**أسـنـدوا الـبـيت بـالـصـدور فـقـد مـاد**
**وخـانت جـدرانـهن الـدعـائم**
**فـيـصل الـعُـرب أي غـمـديك لـلـفـخـر؟**
**أغـمـد الـنـدى؟ أغـمـد الـعـزائم؟**
**لـك فـي كـل ذروة مـن فـؤاد**
**مـنـبـر فـوقه مـصـلٍّ وصـائم**

والعراق لا يزال يردد قصيدة الأخطل الصغير في رثاء الفيلسوف العراقي جميل صدقي الزهاوي، ومطلعها:

**قـولي لـشـمـسك: لا تـغـيـبي**
**وتـكـبـدي فـلـك الـقـلـوب**

بـــغـــداد، يـــا وطن الجـــهـــا
دِ ومـــــرتـع الأدب الخـــصـــيب
غـــنّـــاك دجـــلـــة والـــفـــرا
ت قـــصـــائـــد الـــزمن الـــعـــجـــيب

ومنها:

بـــغـــداد، مـــا حـــمل الـــســـرى
مـــــني ســـــوى شـــــبح مـــــريب
جـــفـــلت لـه الـــصـــحـــراء والـ
تـــفت الـــكـــثـــيب إلى الـــكـــثـــيب
وتـــنـــصـــتت زمـــر الجـــنـــا
دبِ من فـــويـــهـــات الـــثـــقـــوب
يـــتـــســـاءلـــون وقـــد رأوا
قـــيس المـــلـــوح في شـــحـــوبي
والـــتـــمـــتـــمـــات عـــلى الـــشـــفـــاه
مـــخـــضـــبـــات بـــالـــنـــســـيب
يـــتـــســـاءلـــون: من الـــفـــتى الـ
ـــعـــربي في الـــزي الـــغـــريب؟

وفي المهرجان الكبير الذي أقمناه للأخطل الصغير في بيروت عام ١٩٦١ شاء الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري أن يرد التحية بأحسن منها، فنظم قصيدته على القافية والوزن نفسهما ومطلعها:

لـــبـــنـــان يـــا خـــمـــري وطـــيـــبي
هلا لمـــمـــت حـــطـــام كـــوبي
هـلا أعـــدت لـي الـــصـــبـــا
نـــشـــوان يـــرفل بـــالـــطـــيـــوب
نـــزق الـــشـــبـــاب عـــبـــدته
وبـــرئت من حـــلم المـــشـــيب

ومنها:

**الأخـــــطل الجـــــبـــــار جـــــا**
**ءَ الـــكـــوفـــتـــين عـــلـــى «نجـــيـب»**
**وأبـــــو الـــــعـلاء عـــــلـى بـــــنـــــا**
**تِ المـــــاء تحـــــدى بـــــالجـــــنـــــوب**
**وذعـــــرت صـــــحـــــراء الـــــعـــــرا**
**قِ بمـــــوكب الـــــنـــــار المـــــهـــــيب**
**وأتـــــيت لـــــبـــــنـــــانـــــا بـــــجـــــا**
**نـــــحـــــتـــــين من ريح غـــــضـــــوب**
**مـــــثل المـــــســـــيح إلى الـــــســـــمـــــا**
**ءِ وقـــــد حـــــمـــــلت عـــــلى صـــــلـــــيب**
**كـــــأسي تـــــصـــــفّق بـــــالـــــغـــــمـــــا**
**مِ بـــــكف غـــــيـــــداء لـــــعـــــوب**
**ســـــخـــــرت عـــــصـــــافـــــيـــــر الـــــســـــمـــــا**
**ءِ بـــــخـــــائـــــفـــــين من الـــــوثـــــوب**
**بمـــــزعـــــزعـــــين تـــــوجـــــســـــاً**
**ومـــــحـــــزّمـــــين عـــــلى الجـــــنـــــوب**
**واســـــتـــــصـــــغـــــرت «زمـــــر الجـــــنـــــا**
**دبِ» في فـــــويـــــهـــــات الـــــثـــــقـــــوب**

هذه تحية شاعر العراق الكبير الذي شبه نفسه بـ «جنادب العراق» عندما أطل على سمائنا وشاهد من خلال ثقوب الطائرة عصافير لبنان طليقة حرة تسخر به وتثأر للعندليب اللبناني من «الجندب العراقي» المحزم بحزام الطائرة.

أما روائع الأخطل الصغير الغزلية فهي تلك القصائد التي غناها مطرب الجيل الأستاذ محمد عبدالوهاب، ومنها «الهوى والشباب» ، «جفنه علّم الغزل»، «يا ورد مين

يشتريك»، «الصبا والجمال»، وكذلك قصيدته «اسقنيها بأبي أنت وأمي» التي لا تزال درة الغناء الشعري في حنجرة أسمهان.

هذه لمحة خاطفة وصورة مصغرة عن عبقرية شاعرنا الكبير الذي كحَّل أهداب الشعر العربي بألوان ريشته الساحرة وكتب صفحة خالدة من صفحات العزة والكرامة في تاريخ لبنان وطن النجوم ومعقل المجد والحرية.

هذا وأجمل ما في الأخطل الصغير ذلك الصدر الرحب، المرصع بأوسمة الشرف التي أوحت إليه هذه الأبيات الساطعة سطوع الشمس في وضح النهار:

**أيـفـرضـون عـلـى مـثـلي ملابـسـهم**
**ويـسـألـون ثـيـابي عن نـيـاشـيـني؟!**
**كـأنـنـي لم أكن عـنـوان فـخـرهم**
**يـوم انـطلاق الـقـوافي في المـيـادين!**
**إني لمن مـعـشـر لـولا يـراعـتـهم**
**مـا كـان لـبـنـان غـيـر المـاء والـطـين**

هذا هو الأخطل الصغير، شاعر الشعب، شاعر الحرية، شاعر الإنسانية، الذي احتفلنا بتكريمه عام ١٩٦١ وأقمنا له ذلك المهرجان الضخم في قصر الأونيسكو الذي تحول إلى سوق «عكاظ» وجرت فيه مبايعة الأخطل الصغير إمارة الشعر العربي.

**توفيق إبراهيم**

****

ابـــــــــــــــــــــيـــض

# مدخل الى دراسة
# الشعر العربي الحديث

**أنطون غطاس كرم**

فيما كان خليل مطران يتوق إلى هذا التحدي من كمال الصياغة والنفس المديد والصنع الوعر، قيض للأخطل الصغير[1] أن يتلقى، على نحو الخليل، ثقافة مزدوجة، وأن يأخذ أصول الضاد على أحد أساطينها عبدالله البستاني[2]. وكان البستاني أستاذه من أنبه المعنيين باللغة وفقهها، قبسها عن ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير. ووضع معجمه، وروى القديم، وشطَّر معلقة عنترة، ونظم الشعر على سيادة في العروض. وترجم عن الفرنسية واقتبس، وألف في المسرح منظوما ومنثورا. وقد انحدرت هذه الأصالة اللغوية الأدبية، وهذا الازدواج الثقافي منه الى طلابه وفيهم: شكيب أرسلان (١٨٧٠-١٩٤٦)، وديع عقل (١٨٨٢-١٩٣٣)، أمين تقي الدين (١٨٨٤-١٩٤٧)، شبلي الملاط (١٨٧٨-١٩٦٣) والأخطل الصغير.

حتى لينتهي الى الخاطر، ونحن على قراءة «الهوى والشباب» و «شعر الأخطل الصغير» أن صاحب هذا النتاج يمور بين ذوقين أدبيين هما وليدا ثقافتين مفترقتين، وأن هذين الذوقين ينفصلان الى حد، في أول عهده، ويتمايزان؛ ثم ينصهران مندمجين في الحقبة المتأخرة من منظومه.

أما الذوق الأدبي الأول فقد شارك فيه المخضرمين من حيث بنية القصيد، وطبيعة الموضوع، وحياكة الإنشاد ؛ ولا يخلو ان تلتمس، هنا وثمَّ، بعضا من مصطلحاتهم وقوافيهم ولمعاً من أغراضهم. ولكنما هذا القدر المشترك قد لطفته من ثقافة الأخطل

■ من كتاب صدر سنة ١٩٦٧ عن الجامعة الأميركية في بيروت في عيدها المئوي ١٨٦٦ ـ ١٩٦٦ .

الصغير عوامل. منها رجوعه إلى الموروث العربي من خلال كتاب الأغاني بالأخص. ويستوقفك من هذه الموسوعة أن تكوينها النثري مباين للمحنطات الحريرية والانحطاطية التي حركت ميول العروضيين ومقلدي الآداب القديمة في القرن التاسع عشر؛ وفي كتاب الأغاني ما يشبه البيان المرسل أنيق على غير افتعال، يسير على غير ابتذال، مشرق على حلاوة تردك عفوا او كأن. متنوع على مستوى المتحاورين من لغى الأقوام من السوقة والأعاجم الى أشد العلماء تزمتاً. كما يستوقفك أنه مختارات شعرية سيقت على الألحان، فإذا منظوم القدامى يأتيك منه على قيمتين: أنه شعر وأنه غناء. وأن الطرب هو الغرض كيفما دارت الوسائل. ويعنيك أيضا منه بالنسبة الى الأخطل الصغير ما اجتمع فيه من الإباحة والفتك ومن صفاء العذريين. حتى يتهيأ أن المكتبة العربية قد انفتحت لشاعرنا من خلال كتاب الأغاني تاريخاً وقصصاً وأخباراً وأدباً وغناء . ويترجح لديك أن تلك الحلاوة العفوية المرسلة في ديباجته، وأن طلاوة الغناء والإباحية التي شدها الخفر في غزله، والشهوة المقنعة بالبراءة أو بالعبث الحائر بين تحقيق الشهوة والامتناع، وأخبار عمر ونعم، وعروة وعفراء، لا ترى تفسيرها إلا في هذا المنبت الأول.

ومن هذه العوامل الملطفة أيضا أنه انصرف الى الصحافة، وسلخ في جريدة «البرق» حقبة من دهره. وما كان سبيل الى فصل الشاعر عن الصحفي: فكما تسنى للصحيفة حينذاك أن تبيت موئلا لجمهرة من الأدباء وسجلاً لنتاج شعري يأتيها من الأعلام الشعراء في تلك الحقبة، ومن أقلام المهجريين فتبثه في الناس وتعممه؛ كذلك تسنى للأخطل الشاعر أن يستل من الصحافة بعض قضاياها، وأن يدمجها في أحواله الفنية على ما يشبه الالتزام، بل يتضح كيف أن الهول العثماني قد فرض عليه الحيطة والتقية بحيث لا يجهر بالتحدي الصراح، فيتخذ من الغزل ومن لوحات الطبيعة حيلة فنية لتغطية ذاك التحدي السياسي، ويبطن بالغزل الرقيق أغراضه السياسية اللماحة، مما لم يسنح في الشعر القديم، ورافق هذا الحرص المستتر معظم شعره المتصل بقضايا العصر. يقل مجاهرة في العهد العثماني ويزداد صراحة في عهد الانتداب.

بل إنني أذهب الى أن اليسر الذي لا بد منه في الأداء الصحفي كان داعيا من دواعي اليسر في تركيبه الشعري، وإن ثبت لديك أن العبارة الصحفية في جريدة «البرق» لم تتأنق لتظل على مستوى الجمهور الأعم، فلا مراء أن الصحافة قد صرفت الشاعر عن الكد، والإغراب، والتركيب المجهود، والمنظوم المقفل، والفكر المستعمق، الى لون من الإشراق السهل الذي أسعف على تعميم منظومه في الناس، وأعده للمنابر حيناً وللغناء حينا. ويلوح لي، فوق ذلك، أن المتنفس الصحفي كثيرا ما كفاه مؤونة الشعر، إذ استرفدت «البرق» بعض شواعره وخواطره ونشاطه، فقل منتوجه الشعري رغم طواعية العروض، وطول معاناته القريض زمانا مديدا.

أما الذوق الأدبي الثاني فمرده الى أن هذا العامل الصحفي بالذات جعل جريدته ترجمانا لمختلف النشاطات الأدبية، ولا سيما ما انبث فيها من نقل الآداب الرومنطيقية وطلائع النتاج المهجري، حتى اختلط المجموع فرنسيّه ومهجريّه، فكان ذاك امتدادا لما تلقاه في دراسته الثانوية[٣]. وبصر بالرومنطيقية تنتقل الى الذوق العربي بفضل الترجمات أو مسوقة على صيغ المهجرين. وهكذا اشتبك الرافدان في تكوينه، ثم ترى لديه أن القصة الرومنطيقية تمتزج بالشعر الرومنطيقي الخالص، أو تستلهم أخبار الحب من «الأغاني» وتزفها الى المستهلك العربي قصصا شعريا مماثلا للمقتبس الغربي. حتى إذا تبقى من قوالب القدامى رواسب فأثارت حفيظة المجددين عليه، راح يسهم في تعميم الأثر الذي خلفته مبادئ الثورة الفرنسية عندنا، ويرافق الحركة القومية والتعاطف الاجتماعي واليقظة الإصلاحية العامة ويدرأ الظالم العثماني، ويربط هذي المفاهيم بفاجع العالم العربي ولبنان، ولا سيما ما دار في مأتم الحرب العالمية الأولى مجاعة ومشانق واستبدادا. ثم إن الطبيعة قد اكتست أشكالا وألوانا وقيمة استاتيقية وحالات نفسية مرت إليه بالعدوى من شعر الفرنسيين ومن نثر جبران، وطفق، على غرارهم، يستعين برسومها استكمالا لتركيب القصيد؛ فإذا كبا به الموضوع، أو هبط القصص الى مستوى النثر، اعتصم باللوحة الوصفية ليستعيد مرتفعه الشعري أو ضمن موضوعه المحلي مقتطفات مترجمة أو مقتبسة من شعر الرومنطيقيين في ضرب من المجاز المرسل. (انظر بعض مقتبساته مثلا وتضمينه في قصيدة عروة وعفراء: الهوى والشباب ص ٧٠ – ٧١ بعض أبيات الشاعر الفرنسي ألفرد ده موسه).

غير أن المجددين الذين عيروه باقتباسه الأجهزة القديمة، عابوه أيضا بالسرقة عن شعراء فرنسا[٤]. ولكن هذا المقتبس الصريح ما عتم أن ذاب ليفنى في حقيقة الشاعر وفرديته. ومن هنا أن الأخطل الصغير يمثل في الشعر العربي الحديث مرحلة مكملة، ولا يمثل بداية في النوع. هي مرحلة اقتباس وصهر وتفاعل، وليست مرحلة توليد لمذهب أدبي جديد. ومن هنا أيضا موقفه المعتدل من نزاع المحافظين والمجددين. وصحيح القول أن هذا النزاع لم يجاوز الأعراض السطحية لأنه لم يستعمق نقديا وفلسفيا وعلميا، ولا هو أحاط بثقافة أدبية إنسانية شاملة كفيلة بأن تصبو به الى منحى مفارق لمنحاه: فإما أخذ عن القدامى عبر المخضرمين، وإما اقتباس مسطح لبعض آثار الفرنجة، يعقبها صهر معتدل خلو من التجلي الخلاق.

ولما شاعت مفاهيم الرمزيين في العقد الرابع من هذا القرن وقع للأخطل من شعرائها جهاز تعبيري مختلف عن أنماط الرومنطيقية الغالبة على ماضي نتاجه وهكذا تراه لا يعول على العمق الفكري، فيقف عند حكمة شوقي العارضة، وتستمر فيه نكهة عمود الشعر، ويتخلله نسيم الغناء العربي الحديث حتى يبلغ المنظوم الشعبي[٥]، ويتبدل المصهور من ثقافته الأدبية الى عطاء ماهد للرومنطيقية المتجسدة في شعر الياس أبوشبكة.

فإن أَبْين ما يستوقفك من بناء المركب الثقافي في شاعرية الياس أبوشبكة، إنما يرد في أعلى ما يرد، الى تكوينه بالمسيحية، بل إنني أذهب إلى أنه لا يدرك بكلية شاعريته، انطلاقا من هذا التكوين المسيحي. حتى كأنه هو الأصل وكل ما تبقى فروع لهذا الرافد، وتكملة. وأقول، على سبيل القطع، إن هذه الثقافة بعينها هي التي ذوبت فيه موشور الرومنطيقية بألوانها جمعاء، على اعتبار أن الرومنطيقية، وما اتصل بالتصوف منها، موروث مسيحي. ولذا أيضا ظل شوقي، وعلي محمود طه، وأحمد زكي أبوشادي من جماعة أبولو، عند ظواهر الرومنطيقية وأعراضها ولم يلجوا هيكلها الروحي. وهذه هي الآفة التي سقط فيها رزوق وشوقي ضيف عندما درسا شعر أبي شبكة، إذ غفلا عن الطبقة الثقافية الأولى التي نمت فيها غذاءاته الأُخر.

**أنطون غطاس كرم**

## الهوامش

١ - ولد في عام ١٨٨٤ . تعد الآنسة أبوجودة الآن رسالة للماجستير في الأخطل الصغير. راجع ديوانيه: الهوى والشباب (دار المعارف ١٩٦١، مع مقدمة بقلم سعيد عقل)؛ مجموعة جريدة «البرق»؛ مجلة المعرض ١٩٢٨ ـ ١٩٣٢؛ مجلة المكشوف ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . شرارة، عبداللطيف: الأخطل الصغير في سلسلة «شعراؤنا» دار صادر ودار بيروت ١٩٦١ .

٢ - ١٨٥٤ ـ ١٩٣٠ . انظر بشأنه: داغر، يوسف أسعد: مصادر الدراسة الأدبية، ج ٢ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٥ تذكار اليوبيل، بيروت ١٩٢٨؛ مناظرة لغوية أدبية بين الأساتذة عبدالله البستاني، عبدالقادر المغربي، أنستاس الكرملي، القاهرة، مكتبة القدس ١٣٥٥هـ؛ يوبيل عبدالله البستاني الذهبي، مجلة الحارس، المجلد (٥ ) عام ١٩٢٨ .

٣ - راجع الرسالة التي وجهها الينا أحد طلاب مدرسة الحكمة في ذلك العهد ١٨٩٨ ـ ١٩٠٦ وقد أوردنا خلاصة ما تضمنته في محاضراتنا في جبران خليل جبران، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٣ ـ ٢٥ . وانظر بخاصة ما هو متعلق بنظام التدريس ومنهاجه والعناية بمطالعة نتاج الأدباء المحدثين أمثال فرنسيس المراش، وأديب إسحق. وغني عن البيان ذكر الأدب الكنسي، وترجمة التوراة، والإلماع الى بعض الأساتذة الفرنسيين القادمين من «سان سولبيس» و «وروان».

٤ - راجع مآخذ الياس أبوشبكة وعصبة العشرة عليه في مجلة المعرض، ثم في مجلة الجمهور، ومآخذ كرم ملحم كرم في مجلة العاصفة، ولا سيما ما جاء منها في قصيدته:الهوى والشباب، والمسلول من حيث اقتباسه عن الفرنجة؛ وقصيدته «مآسي الحرب» من حيث اقتباسه أجهزة القدامى ومطلعها: «المهى أهدت إليها المقلتين... والظبا أهدت إليها العنقا» وقصيدته «يا عاقد الحاجبين».

٥ - الهوى والشباب ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

****

ابـــــــــــــــــــــــــــــــيـــض

# بشارة عبدالله الخوري

## صاحب جريدة البرق ـ الأخطل الصغير

## أبو عبدالله ـ أمير الشعراء

**الياس خليل زخريا**

سافر أمس صديقنا «أبوعبدالله» سفرته القريبة في الأرض البعيدة.

تمدد في بزته الجديدة الأنيقة، وسبحته اليسر، وناظريه الهادئين الباردين، وعكازه المتوكئ القصير، وتابوت مشرع الباب من الخشب السنديان المحفر الملمع، وشمعتين نصرانيتين، طويلتين من الجبل، واقفتين وحدهما في مسرجتي النحاس، عن اليمين والشمال، تحت العلم تتمتمان على جدران القاعة الواسعة، العارية، في صمت المدينة الجامعية الصاخبة.

نظرت إليه ملياً، فكأنه هو نفسه.

مطل وحده من الزاوية في شرفة مكتبه الى رصيف «الشهداء» في ساحة العاصمة بين النخلات العاليات، وبركة الماء العثمانية التي انصب فوقها تمثال بحري غريب لشهداء غير غرباء.

.. وينساب «الأخطل الصغير» بخياله على مسارب نظارتيه.

ويتنقل بجسده النحيل المفتول فتلاً على عصاه المتعبة المتزنة.

ويقتنص هنا، ويتربص هنا، وينتظر انتظاره هناك ويكر الدقائق على حبات سبحته القصيرة. ويبتسم ابتسامة شفافة دائمة كأنها الرضى الى كل شيء والاستخفاف

■ الأديب، ١٩٦٨ ، السنة ٢٧، عدد: ٩، ص: ٢.

بكل شيء. ويلف، ويدور، ويرود، ويتأمل، ويرحب، ويغض النظر. يدخل في قنطرة من قناطر البرج ليخرج من قنطرة برجية أخرى. يستقبل في عرض الطريق بالشم والتقبيل، ... وقد يغرق في التودد.. ... وقد يتناهى في الجفاء.

ثم تراه يفيء عند كأس، ودن، في ضجة أو خلوة، أو نشوة منتشية لا أبهة، ولا ترف، ولا مظاهر ثراء، في حي كان زاخرا بالمظاهر ومدارج الرتب وأبواب الفخفخة وبيوت الثراء وسارية العلم ونفخ البوق.

ويصحو صحوه عند الالتفات في غمزة، أو لمزة، أو رفة عين وينسحب من المجلس، على السكت، انسحابا خفيا.

وقد تراه يتوارى على الوقار في أكمام ثيابه تحت نظارتيه الدائمتين.

وقد تراه ينزوي على التبصر في مداخل نفسه وحفيف أجنحته.

وقد تراه ينفعل انفعال النار في دفع الريح.

وقد تراه ينطفئ انطفاء الموت في برودة التراب.

يعربد ويثور.. إذا ما غمزت قناته. ينفر ويجافي.. إذا ما قوطعت كلمته. يحقد وينقم.. إذا ما مست قافيته.

يحب النقد مديحا في شعره ومديحا في نثره في كل شعره وفي كل نثره.

فإذا ما تحرك القلم أو اللسان في لفظة قلقة من ألفاظه، أو إلى بيت مضطرب من أبياته، أو على صورة غير مكتملة من صوره، أو قصة شاردة من أقاصيصه، انتفض كما ينتفض الثأر، فلم يترك للناقد نثرا قائما ولا شعرا منتظما ولا رأيا سليما، وقد يجرحه في خلقه، في أدبه، وفي أهل بيته.

**إني إذا جـــنَّت ريـــاح ســـفـــيـــنـــتي**
**ذهب الجـــنـــون بـــحـــكـــمـــة الملاح**

وأشياء، وأشياء، من حكايات العمر في رفقة طويلة غنية، في ثلث قرن، نتركها الى الغد لروايات الخبر ومجالس الحديث المنبسط.

ويعود «أبوعبدالله» من تطوافه النائي في الساحة إلى غرفته، إلى بيته، إلى داره. كانت غرفته تلك، أيامذاك، في غربي ساحة الشهداء، أو في جنوبها، كل داره، كل بيته.

فيها «البرق» والمطبعة، والمحبرة، والدفاتر القديمة، والسجلات الجديدة، والمكتبة، والرسائل، والديوان، والمسند، والمائدة، وأدراج الضيافة، وسلة المهملات العتيقة، وخزانة الثياب، وأخبار المحبين، وأثاث كامل من أثاث الدنيا غير الكاملة.

كانت هذه الغرفة، هذه الدار، أعمق ما كانت. إنها الصومعة اللبنانية العالية التي نزل فيها على نصف قرن في شق من كرسي واحد بقميص واحد، على اللاهوت الشعري، ثلاثة قدامى «ابن أبي ربيعة» و «ابن هاني» العباسي، و «أبوالطيب».

ورقّة عفوية فطرية «كالصوت للطير أو كالنشر للزهر» على حبكات مطيبة في سهولة التسلسل، ولين الحوار، وحرارة السرد، وتنغم الكلمة، وسكب القافية، وإبراز الصورة، والاقتباس العيني والخطف الأذني، وتأملات التتبع، وجمال الأرض، ولذائذ هن من غير لذائذ «نعم وعمر».

ثم دالية عجيبة تفتح في الجسد، وفي النفس، مغالق السر، ومكامن اللذة، ومصاعد الجموح.

ثم حكمة دهرية انصهرت فيها الأحداث، والبطولات، انصهار الماء في الغمام، والغمام في السماء، والسماء في الضمير المتيقظ المتعطش أبداً الى معطيات الجمال، وقرابين الحق ومقدسات الحرية.

ثم طموح دنيوي عجيب الى فوق.

قد يغضب فلا يتمرد إلا في الكبرياء، والترفع، والتعالي، ونحت الصور، وإطلاق الخيال، وبناء القصيد بناء الصعوبة الفخمة.

وقد يجنح أحيانا الى مثل: «التأمر»، أو التولي، أو التحكم، أو القناعة الوديعة، المنحدرة عن الضجر والحرمان الى القليل القليل من أوسمة هؤلاء الحاكمين، الفقراء، المحتاجين الى من يرفع قدرهم في عين الكلمة.

أو قل معي في غبار تلك الصومعة التي سمعتها أمس تقهقه قهقهتها في وجه قاعة الاستقبال الكبيرة، الكبرى، من قاعات كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية.

وفوق هذا، وذاك، قبة صافية من قباب الجبل، رفعها «الأخطل الصغير»، ورفاق «أبي عبدالله» وتلاميذ صاحب «البرق» ـ وقد كان معلما سخيا من معلمي الجيل ـ على هذه الدنيا العربية، الواسعة، تستظلها الأرزة فلا تيبس، وتنبسط فيها الصحراء الحالمة فلا يجف فيها الماء، ويمتد تحتها الريف فلا ينقطع فراته ولا ينضب نيله، ويتدفق بردى، جارنا بردى، فلا يبقى في واديه الخصيب إلا هذا القلب اللبناني العربي الذي يخفق كالشعاع على قمة حرمون، ويذوب كالندى على ضفاف الغوطة، ويسيل كالأمل على «العاصي» المتفجر من قلب الصومعة الهرملية من عندنا في الجبل الأخضر.

ويسألون الوادي الدمشقي عن قديم هوى «هذا الفتى العربي في الزي الغريب» فلا يجدون غير خفقات قلبه مع المجد، والسرى، والسراب، والأمل الأكبر، الى الرمل، والنخيل وجبال الشمس في واحات الزمن.

ويوم نادينا، شاعرنا، بهذه الأسماء الثلاثة:

«أبو عبدالله ـ الأخطل الصغير ـ أمير الشعراء» كنا نشعر بأن هناك اسما رابعا فوقها تنتهي فيه هذه الروافد اللفظية.

تتساقط عن مجده ويبقى، تنتثر عن دوحه ويدوم. ألم يعشق «بشارة عبدالله الخوري» نفسه كما يعشق البلبل حنجرته؟!

ألم تكن هذه الأسماء تمدحا به، نعوتا عابرة في معدنه.

ألم يلقب نفسه باسم شاعر بني أمية فخورا بمفاخره مطمئنا الى نصرانيته، ومكانته، ومجاله، وأفيائه في مشارف الأفياء، حتى إذا سرى اسمه، وتناقل على ألواح القلوب، تضايق فخلعه، وتألم فأنكره، وتمنى علينا مرارا في محبتنا له أن نهمل التسمية:

«ذلك عبث من أيام الصبا في طفولة الشاعرية».

ألم يناج أبا الطيب:

**طلبت بالشعر دون الشعر مرتبة**

**فشاء ربك أن لا تدرك الطلبا**

ويسعى إليه منظمو مهرجان الإمارة، شعراء الكهولة الراغبين في الإرث غير الموروث، فيرحب باللقب، ويهلل بالتتويج، ويحني رأسه العالي لإكليل المهرجان وصولجانه.

وألتقيه بعد «التأمر» وأذكره ولا أهنئه، فيعتب بجفاء ويودع بقساوة، وكم وددت حقاً لو تحركت فيه علي شاعريته الغضبى فهجا كما كان يهجو، وحطم كما كان يحطم، غير أنه أنطوى عنا في لين الغربة على عتابه الأخير، وموته الأخير.

وأدركت أن أقصى ما كان يطمح إليه «بشارة عبدالله الخوري» في أوائل حياته وأواخر هذه الحياة الدنيا لقب «أمير الشعراء» وإن كان في قرارة ذاته واثقا بأنه ليس للشعر إمارة وليس للإمارة (ولي عهد) وليس لولاية العهد (إكليل أو صولجان).

ويا صديقي.. يا أمير الشعراء.

لا أوتارك انقطعت عن عودك.

ولا شموسك توارت عن مشارفك.

ولا أقمارك غابت عن ضلوع جبلك.

أراك في نفسي كأنك الجبل.

غرد يا أبا عبدالله ففي كل واد حداء من قلبك.

سلم قلبك من الموت.

**الياس خليل زخريا**

****

ابيض

# رحلة..... في شعر
# «الأخطـل الصغيــر»

حسين مروة

(١)

هي «رحلة» بالمعنى الدقيق للكلمة.. فلكي ندخل، اليوم، هذا العالم الشعري الخاص الذي أنشأه «الأخطل الصغير» لنفسه ولجيله، لا بد أن نستعد للأمر قبل الإقدام عليه، لأننا سندخل عالما آخر غير عالمنا المعاصر.

سندخل بمقاييس للشعر تختلف، جذريا، عن هذه المقاييس التي نمارس بها اليوم عملية التذوق والتلقي والتواجد الفكري والروحي مع الشعر المعاصر الذي صارت علاقتنا به جزءاً من علاقتنا بكل ظاهرة من ظاهرات التحول العاصف في عصرنا.

لا بد لنا، إذن، من إعداد أنفسنا «للتأقلم» الذوقي والفكري والوجداني في «مناخ» شعري انقطعت، أو كادت تنقطع، بيننا وبينه علاقات الألفة القديمة، حتى لنخشى ـ إذا عدنا إليه الآن ـ أن نستشعر الغربة معه، أن يستدرجنا الشعور «بالاغتراب» الى التورط بأحكام جائرة بعيدة عن الموضوعية..

غير أن «الأخطل الصغير» سيعيننا على هذا «التأقلم» دون عناء كبير، فإن عالمه الشعري من الشفافية والطرافة وصفاء الجو بحيث سنجد، في رحلتنا إليه، أننا لسنا بعيدين جدا عن تخوم عالمنا المعاصر. بل سنجد ـ الى ذلك ـ أن هاجسا روحيا خفيا يتنبه فينا، فجأة، منذ أول إطلالة على دنياه، فإذا بنا نحس في داخلنا أصداء هذا الهاجس توحي إلينا أن ندخل دنيا لنا فيها نبضات وجدان، ونبرات غضب، ومشاعر

■ الآداب ، عدد ٩، ص ١١،سنة ١٩٦٨

آلام ومسرات، ولنا عندها أشياء من حياتنا وأشواقنا وتطلعاتنا لا تزال طرية خضراء، لأنها متصلة بجذور أشيائنا الحاضرة.

صحيح أن جيل «الأخطل الصغير» قد انتهى منذ أكثر من ربع قرن، وأن الجيل الذي يعاني الآن حياة العصر، بكل قلقها وعنفها وبكل حدة الصراع بين تناقضاتها وبكل حيوية هذا الصراع، قد أنشأ لنفسه مناخات شعرية جديدة شديدة التعقد والتوتر والتفجر، لكن «الأخطل الصغير» ذاته بقي في نهاية جيله يقف على تخوم جيلين، فلم يغرق هناك في قاع الزمنية الكلاسيكية، ولم يغترب هنا كل الاغتراب عن إرهاصات التحول والتفجر المعاصرين، وإن لم يدرك ما انكشفت عنه هذه الإرهاصات من جديد، وما كان له أن يدركه بعد أن استنفد العمر طاقاته.

فنحن، إذن، في هذه الرحلة الى عالمه الشعري، نعاني وحشة الاغتراب كثيرا، وإن كنا ـ على كل حال ـ سنشعر بأننا معه في جيل ليس هو بالجيل الذي يحمل همومنا أو يستوعب الأطر التعبيرية القادرة على تحمل هذه الهموم.

(٢)

ونبدأ «الرحلة» الآن من نقطة الانطلاق الأولى في شاعرية «الأخطل الصغير». نبدأ من قضية الشعر:

نريد، أولاً، ان نتعرف الشعر كما يتصوره بشارة عبدالله الخوري نفسه.. فكيف يتصوره؟ ما أبعاده وحدوده في رقعة الحياة؟.. ما دوره في ديالكتيك الحياة؟..

نستطيع أن نعرف هذا كله في كثير من شعره، ولكن له «صلاة» يضرع فيها الى ربة الشعر، ضراعة المؤمن المفعم قلبه صدقا وإخلاصا، أن تلهمه الشعر الذي يريد.. في هذه «الصلاة» الخاشعة نعرف كيف يريد الشعر لنفسه، أي كيف يتصور الشعر في أعلى مستوياته وفي أكمل صوره:

**الهميني، يا ربة الشعر، شعرا**
**كالنور والنار**

**كالهواء، كالأطيار، كالفكر حرا**

**يلفح الأدهار**

**كالأهازيج في الوغى تترجع**

**إن ثائر ثار**

**كدوي الأمواج إذ تتدفع**

**بعيدة الأغوار**

**ربة الشعر، الهميني قصيدا**

**ترجّع الأطيار**

**الهميني شعرا طليقا جديدا**

**يوزع الأنوار**

هكذا الشعر في صورته الكاملة عند «الأخطل الصغير»، بل صورته المثلى. والمسألة هنا ليست أن الشاعر صادق في «صلاته» هذه أو غير صادق.. حتى افتراض عدم الصدق هنا يؤكد أن الصورة بحدودها كلها قائمة في ذهنه، تكشف عن مكانها الخفي في طموحه.. ولكن طبيعة «الأخطل الصغير» نفسها تفترض صدق هذه الضراعة في «صلاته». فهو ينطوي على ثورة في أعماقه نعرفها منه في سيرته وفي شعره معا. وقد تميز بهذه الوحدة بين سيرته وشعره دون ازدواجية ولا تعقد. من هذه الثورة الهادئة الوديعة أكثر الأحيان، المتفجرة بعض الأحيان، استوحى «صلاته» الى ربة الشعر: فهو يريد الشعر نارا تلفح الأدهار، يريده طلقا كالهواء والأطيار، حراً كالفكر، ثائرا كالأهازيج في معركة الثائرين، بعيد الأغوار تدوي الأمواج المتدفعة في نواحيه.. يريد الشعر جديدا طليقا يرفض الركود والقيود.. يريده لا يكتفي بأن يضيء ذاته، فليكن نورا يوزع الأنوار ليضيء الآخرين، ليضيء الحياة... ليس الشعر عنده وسيلة ترف فني وحسب:

**وهل الشعر غير ما امتلك**

**النفس، فحلّى كأسا وحل وثاقا؟**

الشعر أن يمتلك النفس: للامتلاك هنا محتواه الوجداني الضاربة جذوره الى أعماق النفس، فهو يعني صدق التجربة واستيعابها المشاعر كلها حتى الامتلاك.. وبعد هذا، على الشعر أن يمنح الإنسان حلاوة الحياة والبهجة الروحية، وأن يحرره كذلك، أن يحل وثاقه، كل وثاق يستعبد أو يقيد طاقاته أو يعيق نموه وتطوره وانطلاقه، فردا ومجتمعا.. بهذا المفهوم للشعر امتدح «الأخطل الصغير» حافظ ابراهيم، شاعر النيل، وهو يرثيه:

**ما نسينا لك القصائد حمراً**
**قطع الشرق دونها الأطواقا**
**فغسلت الجراح بالسلسل العذب**
**وصيرت كل خلْفٍ وفاقا**

للشعر، إذن، وظيفة تتجاوز الامتناع الفني المحض، لتجمع الى الإمتاع هذا قوة الفعل في حركة التطور والتحرر الاجتماعيين.. ليس الشعر تلقيا وانفعالا وحسب، فهو ـ كذلك ـ فاعل ومحرك ومحرر.. وكيف يكون الشعر هكذا: محركا، ومحررا، إذا لم يكن هو نفسه ـ أي الشعر ـ متحركا، ومتحررا؟.. من هنا كان شعر «الأخطل الصغير» زاخرا بالحركة وديناميةالتحرر.. وإذا لم يخرج في حركته وتحرره على الشعر العمودي، شعر البيت الكامل المقفى، فقد تصرف كثيرا بقواعد هذه «العمودية» تصرفا له طابع الجدة والاستقلال. وهذا نموذج من تصرفه:

**يا مجدُ**
**يا فنُّ**
**يا جنونْ**
**لم تُبقِ مني**
**الليالي،**
**سوى**
**خيال خيالي،**

**لا النَّحْلُ**
**يرشف شهدي**

**ولا الفَراش**
**وكان جيدي**
**وخدِّي**
**لها فِراشْ**

**أبَعَدما**
**كان نهدي يُروي**
**العطاشْ،**
**أصبحتُ**
**أصبحت وحدي..**

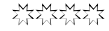

**يا مجدُ**
**يا فنُّ**
**يا جُنونْ**
**أين الهوى**
**والفتونْ**
**والعصبةُ المعجبونْ**

على أن طبيعة الحركة والتحرر في شعره لا تقتصر على البنائية الخارجية. فقد تركت آثارها، كذلك، على البناء الداخلي في معظم هذا الشعر، حتى شعر الطرب الغنائي الصرف منه. فنحن نجد دينامية الحركة والتحرر في محاولات بشارة الخوري خلق الأبعاد الوجدانية لشعر الغزل والحب، وتجاوز الصور النفسية والصيغ الشعرية المألوفة عند شعراء جيله في هذا الباب.. فهو، مثلا، مفتتن بالجمال وبطرب الشراب، كما يفتتن غيره من الشعراء، ولكن كيف تتميز عنده صورة هذا الافتتان، وكيف يمتلك الافتتان نفسه، وكيف يتحرك في وجدانه:

**فـــتن الجـــمـــال وثـــورة الأقـــداح**
**صـبـغت أسـاطـيـر الـهـوى بـجـراحي**

في هذه الحركة الشعرية تنبع أكثر من صورة أسطورية ملونة بدم الجراح، ولكنه اللون غير المأساوي، بل هو يضفي على الجراح نفسها لون الفتنة والبهجة بلمسات بسيطة وسريعة وغزيرة الإيحاء.. وكثيرا ما نستشف، خلل موجة الصفاء الشفاف، امتزاج حب الحياة وحب الجمال معا في حركة وجدانية واحدة داخل الحركة النغمية الخارجية الباهرة الألق والتنوع:

**أنـا لا أشـيّع بـالـدمـوع صـبـابـتي**
**لـكن ألفُّ جـنـاحـهـا بـجـنـاحي**
**غـذيـتـهـا بـدم الـشـبـاب وطـيـبه**
**وهـرقت في لـهـواتـهـا أفـراحي**

.....

.....

**من كـان من دنـيـاه يـنـفض كـفَّهُ**
**فـأنـا عـلى دنـيـاي أقـبض راحي**
**إني أفـدّي كل شـمس أصـيـلـة**
**حـذر المـغـيب، بـألف شـمس صـبـاح**

هذه اللهفة الصارخة، في البيت الأخير، نكاد نحسها تتفجر أذرعة من الشوق والرغاب. تتسارع الى عناق شمس الأصيل تشدها كي لا تغوص في لجة المغيب، وكي تغير مسار حركتها العدمية الى مسار الوجود اللانهائي..

وتتخذ الحركة الشعرية، وهي تعبر عن شغفه بالجمال، ظاهرة أبعد عمقاً في الوجدان حين يتحدث عن ذكرى له غذاها بأكثر ما مضى من صبوته، ثم جاء يغذيها بما بقي:

**بـأخي هـوى مـتـمـاسك في أضـلـعي**
**سـمح، عـلى شـيع الجـمـال مـفـرّق**
**شـقت مـرائـره أسىً وتـأوهـاً**
**إن فـاته الحـسن الـذي لم يـخـلق**

جاء يغذيها ـ بعد ـ بقلبه، هذا الذي انعقد الإخاء بينه وبين الهوى على تماسك وسماحة وتوزع بين صنوف الجمال.. ولكن العجب في «أخي الهوى» هذا أنه لا يرتوي من الحسن بما هو كائن، فهو يتمزق مرارة وأسى من طموحه وتطلعه الى ما لم يخلق بعد من صنوف الحسن والجمال.. ليس هذا من باب الإغراب والاستحالة، أي ليس هو نوعا من الافتعال كما قد يدخل في تصور ناقد ما، وإنما هو تعبير ديناميكي عن شغف هذا القلب بالجمال الى أقصى حدود الشغف والوله.. إنها صرخة «جوع» جمالي هائلة مثيرة تعبر عن نفسها بمحتوى النغم الداخلي لا بحركته الخارجية وحسب.. وقد تبلغ هذه الصرخة منتهى العنف حين تعبر عن هاجس جمالي آخر مع طرب الشراب:

**يـــا ذابـح الـــعـــنـــقـــود خـــضَّب كـــفّه**

**بـــــدمـــــائه، بـــــوركت من ســـــفـــــاح!**

(٣)

.. وقد يتحول الهاجس الجمالي عند «الأخطل الصغير»، الى إحساس عميق يقترب أحيانا من الإحساس المأساوي.. ذلك حين يصطدم وجدانه الشاعري بإحدى المفارقات القائمة في علاقات الإنسان بالطبيعة، أو علاقاته بالأرض والوطن والناس الآخرين، فتتحرك الثورة الكامنة في أعماقه حينذاك، ثم يتخذ الهاجس الجمالي هنا ظاهرة العاطفة الوطنية.. نجد مثل هذا الإحساس في مثل قصيدة «سلمى الكورانية».. هذه القصيدة تتحدث عن ظاهرة الهجرة في لبنان وعن المهاجر اللبناني.

إنه موضوع اجتماعي بذاته، ولكن «الأخطل الصغير» يتناول الموضوع انطلاقا من هاجسه الجمالي نفسه في قضية حب. والجمال والحب يجدان وحدتهما الكاملة دائما في شعره. فقصة الحب هنا تتطور إلى مواجهة وجدانية وطنية معا تنشأ من تفريق الهجرة بين قلبين عاشقين. وفي المواجهة هذه يتحقق اصطدام الهاجس الجمالي بإحدى المفارقات المحركة لثورة الشاعر. في هذه المفارقة حركة ديالكتيكية لها عمق إنساني مأساوي، ولكن يكمن في ثناياه حافز للرفض والتمرد. فحين تبلغ قصة الحب هنا ذروة التوتر يبرز وجه لبنان أيام الانتداب، وتبرز المفارقة الديالكتيكية المثيرة هكذا:

لـبـنـان، مـا لـفـراخ الـنـسـر جـائـعـة
والأرض أرضك أعلاهـــا وأدنـــاهـــا
ألـلـغـريب اخـتـيـال في مـسـارحـهـا
ولـلـقـريب انـزواء في زوايـاهـا
من ظن أن الـريـاحـين الـتي سـقـيت
دمـوعـنـا الحـمـر قـد ضـنت بـريّـاهـا؟
كـأن مـا غـرس الآبـاء من ثـمـر
لـغـيـر أبـنـائـهم قـد طـاب مـجـنـاهـا
ومـا بَـنَـوه عـلـى الأحـقـاب من أطمٍ
لـغـيـر أبـنـائـهم قـد حل سـكـنـاهـا
لا، لم أجـد لك في الـبـلـدان من شـبـه
ولا لـنـاسك بـين الـنـاس أشـبـاهـا
لـو مسَّ غـيـرك هـذا الـذل من أسـد
لـعضَّ جـبـهـته سـيف وحـنَّـاهـا!..

في هذا الإطار نفسه من تحول الهاجس الجمالي، عند «الأخطل الصغير»، الى إحساس وطني، نشهد تحولات تتنوع أشكالها الفنية، بقدر ما تتنوع حوافزها ومناسباتها الآنية التاريخية، ولكن يبقى مصدر التحولات هذه واحدا، وجوهر الرابطة بينها واحدا، هو الحساسية الشاعرية المرهفة الى حد القدرة على كشف العلاقات القائمة بين الأشياء المتفارقة بقدر ما هي قائمة بين الأشياء المتجانسة.. من هنا يحدث هذا التحول غالبا ـ إن لم نقل دائما ـ في شعر «الأخطل الصغير» من الهاجس الجمالي الى انفعالات إنسانية أو وطنية أو قومية أمام التحديات والمفارقات في علاقات الإنسان المختلفة، ولا سيما علاقاته الاجتماعية. وقد يبلغ هذا التحول الانفعالي ـ كما ذكرنا من قبل ـ عمقا وجدانيا يصل به الى حدود الإحساس المأساوي. نجد الأمثلة على ذلك في قصائد عدة كتبها الشاعر متأثرا بأحداث طارئة، بعضها ذو طابع محلي لبناني، وبعضها ذو طابع عربي شامل، وآخر ذو طابع إنساني عالمي، وقد تجتمع في الحادث

الواحد هذه السمات كلها، كما في قصيدة «١٩١٤».. وهي القصيدة التي أوحتها أحداث الحرب العالمية الأولى وفجائعها اللبنانية والعربية والعالمية.

في قصيدة من وحي ليلة من ليالي الشاعر في إحدى القرى اللبنانية ينطلق أولاً مع الهاجس الجمالي في مجلس له بين نفر من أهل الأدب والفن، ثم في تمثال فني رآه هناك من صنعة نحات لبناني:

**ودمية عندما صافحت صانعها**
**أكبرته عبقري الفن نحاتا**
**رمى بها في عباب الحب لؤلؤة**
**وناطها في جبين الحسن مشكاتا**

وتأخذ الشاعر، في هذا المناخ الجمالي، نشوة شاعرية ما إن تبلغ مدى هناءتها في وجدانه حتى تتنبه حوافز التحول، إذ تستيقظ علاقة المفارقة في وهج النشوة، وينهض فجأة ديالكتيك التحدي هكذا:

**سوانح من صفاء لا تلوح لنا**
**في حالكات الشق إلا أويقاتا..**
**نلقي على راحتيها أنفساً نهكت**
**فعل الغريق رأى في القرب مرساتا**

ثم يصعد التحول من هذا الإحساس الذاتي المأساوي الى إحساس اجتماعي وطني يحمل الحرارة المأساوية نفسها.. ذلك إذ أحدثت حركة التحدي في الهاجس الشاعري ما تحدثه الحصاة تلقى في صفحة الماء.. فإذا بدائرة المفارقات التي تتحدى نشوة الشاعر تعقبها دائرة أخرى من المفارقات أوسع منها، فإذا بالتحول ينتقل من صراع الهاجس الجمالي مع مفارقات الذات الى الصراع مع المفارقات في نطاق المجتمع.. وكان المجتمع هنا لبنان نفسه أيام الانتداب الفرنسي:

**لبنان، يا جنة الأرواح، ما فعلت**
**بك الليالي.. فعاد العرس مأساتا**

قـــد كـــبّـــروك لأمـــر صـــغّـــروك به،
قـد فـخـمـوا الاسم، لـكن حـقّـروا الـذاتـا
في كل طـــرفـــة عـــين أنـــظُمٌ جـــدد
من سـوء حـظك قـد ظـنـوك مـلـهـاتـا
كـأنمـا كـنت لـوحـاً في مـكـاتـبـهم
تـمـضي الأكف به مـحـواً وإثـبـاتـا
فـتـيـان لـبـنـان، هـبـوا من رقـادكم
سـيّـان من نـام عن حق ومن مـاتـا

على هذا النحو نجد حساسية الشاعر الجمالية في مواقفه من مختلف الأحداث والمناسبات في النطاق العربي الشامل. إننا نجده في ذروات من الانفعالات الشاعرية يتحول به الانفعال الى مواقف عربية تمجد علاقات الأخوة بين لبنان وأشقائه في العالم العربي، وتمجد نضال العرب في معركة الحرية، وفي معركة فلسطين بالأخص، ونجد المفارقات في هذا المجال كذلك تحفز هاجسه الجمالي للتحول من الانفعالات الذاتية الى الانفعالات القومية.

وفي غمرة الانفعال الحزين، إذ يرثي شوقي، وإذ الإحساس الشاعري يتصاعد مع الرؤى الجمالية المستثارة بنوع من الانتعاش للحادث، ينطلق الهاجس الفني، فجأة، من حدود الرثاء في نطاقه الفردي الى الحدود الوسيعة التي تشتمل لبنان كله ومصر كلها في إطار واحد من الأخوة بينهما:

لـبـنـان، يـا مـصـر، مـصـرٌ في مـطـامـحهِ
ـ كـمـا عـلـمت ـ ومـصـر في مـفـاخـرهِ
هل كـان قـلـبك إلا في جـوانـحه
أو كـان دمـعك إلا في مـحـاجـره
أو كـان مـنـبت مـصـر غـيـر مـنـبـته
أو كـان شـاعـر مـصـر غـيـر شـاعـره؟

وإذ هو يرثي سعد زغلول، وهاجسه الفني ينشىء دنيا من الخيالات والصور المجنحة بألوان أسطورية وملحمية، إذا به ينفلت من دنياه هذه الى دنيا الواقع بكل واقعيته، ليدخل قلب المعركة السياسية الوطنية التي كانت تحياها مصر يومذاك، وإذا به وجهاً لوجه مع رجال مصر الذين كانت تشغلهم أحداث المعركة في هذا الصف منها أو ذاك:

**إني أخـــاف عـــلـــيـــكم في تحـــزبـــكم**
**أن تـنـصـروا الخـصم، وهـو الخـصم والحـكمُ**
**تـــخـــاصـــمـــون عـــلـى ضـعـف، وخـــصـــمـــكم**
**هـــو الـــقـــوي، عـــلـــيـــكم لـــيس يـــخـــتـــصم**
**تـــوحـــدوا بـــاسم مـــصـــر في تجـــهـــمـــهـــا**
**وطـــالـــعـــوا ثـــغـــر مـــصـــر كـــيف يـــبـــتـــسم**
**ســـعـــد أرادكمُ حـــلـــفـــاً ـ فلا قـــســـمتْ**
**أجـــزاؤكم ـ حب مـــصـــر لـــيس يـــنـــقـــسم**

وفي رثاء فيصل الأول بينا يجهد الشاعر في ابتداع «الحالات» الشعرية الملائمة للموقف ولخصائص الشخصية المرتبطة به، إذا بحساسية الشاعر تستشف الأبعاد الأخرى للموقف، وهي الأبعاد السياسية التي تمتد إليها ظلال الشخصية هذه، فيأخذ التحول الشعري هنا مجرى آخر نحو تلك الأبعاد ذاتها.. فنرى الشاعر عند هذا المجرى الجديد، يذكر ما كان لفيصل الأول من علاقة بالحركة العربية الاستقلالية، وما كان لهذا العلاقة من ارتباط بوعود «الحلفاء» الغربيين وعهودهم للعرب عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثم ما اقترفه هؤلاء «الحلفاء» من نكث لهاتيك الوعود والعهود.. وفي هذا المسار يتحول الإحساس الشاعري من نطاق الرثاء في حدوده التقليدية الى نطاق الموقف القومي، فنلحظ منذ يأخذ هذا التحول مداره الأوسع أن حرارة الواقع المأساوي قد أكسبت الموقف الشعري الجديد نبضا من الحيوية والصدق لم نكن نحسه في المدار الأول من القصيدة:

**قل لـــتـــلك الـــعـــهـــود في رهج الحـــرب**
**وفي ســـكـــرة الـــقـــنـــا والـــغلاصمْ**

قـد لمحـنـاك في عـيـون الـثـعـالي
ولمـسـنـاك في جـلـود الأراقم
حـدثـونـا عن الحـقـوق، فـلـمـا
كـبَّـر الـنـصـر، أعـوزتـنـا الـتـراجم
نـفـحـتـنـا بـهـا الحـروب سلامـا
ورمـانـا بـهـا الـسلام أداهم
قل ـ وقـيت الـعـثـار ـ في نـدوة الـقـوم:
مـتى أصـبح «الحـلـيف» مـخـاصم؟
أين ذاك «الـهـيـام» في أول «الحب»
وتـلك المـوشـحـات الـنـواعم؟
.....
.....
.....
إن تحت الـصـدور جـذوة مـوتـور
وخـلـف الحـدود زأرة نـاقم



وفي الإطار نفسه كذلك، إطار التحول في الهاجس الجمالي، عند «الأخطل الصغير»، من دائرة الإحساس الذاتي الى دائرة الإحساس العام الأشمل، نلحظ في شعره تحولات من نوع آخر، هو النظر الى قضايا الإنسان ذات المنشأ الاجتماعي، أي تلك القضايا التي يعانيها الناس في المجتمعات الطبقية، أو تلك التي تعاني منها البشرية كافة أزمات القلق على مصير الحياة نفسها كمسألة الحروب العالمية.

وقد حان لنا هنا أن نوضح مفهوم الهاجس الجمالي الذي تكرر ذكره في «رحلتنا» هذه..إننا نقصد به غير معناه الساذج المبتذل.. فليس القصد به معنى الجمال المناقض للقبح بمفهومه البسيط، بل معناه الفني الذي ينبع من الرؤية الشعرية للأشياء ولعلاقات الإنسان مع الطبيعة والحياة والناس الآخرين، وللقيم الإنسانية المستمدة من هذه العلاقات. فكل رؤية فنية إبداعية الى الظاهرات الكونية أو الاجتماعية أو الى

دخائل النفس الإنسانية، وكل كشف للأبعاد غير المنظورة بالنظر العادي، القائمة وراء تلك الظاهرات ـ كل رؤية من هذا النوع، وكل كشف تحققه هذه الرؤية، بواسطة الشكل والمضمون في وحدتهما الجوهرية، يشكل العنصر الجمالي في الفن، أي الحقيقة الفنية. إن هذا العنصر هو ما سميناه في هذه الرحلة بـ «الهاجس الجمالي» لأنه الدافع الداخلي المشع عند الشاعر والفنان.

إذا رجعنا ـ بعد ـ الى حيث وصلنا من «الرحلة» في شعر «الأخطل الصغير» سنرى أشكالا جديدة من تحولات الهاجس الفني.. نعني تحول هذا الهاجس من الرؤيا ذات المضمون الغنائي الصرف الى رؤيا في قلب الظاهرات الاجتماعية، أي قضايا الإنسان في علاقاته الطبقية، أو في أزماته المصيرية الكبرى.

ففي مجال العلاقات بين الطبقات الاجتماعية، في ظلال الأنظمة الرأسمالية بالطبع، تمتد رؤيته الفنية الى ما وراء ظاهرة الفقر والغنى وسائر ظاهرات التمايز الطبقي، فإذا برؤيته هذه تكتشف، بلمح من الهاجس الفني النفاذ، بعداً واقعياً من أبعاد تلك الظاهرات، أو تكتشف ـ إذا شئنا التعبير بلغة العلم ـ واحدا من القوانين الأساسية التي تنشأ عنها تلك الظاهرات:

**أيها الأغنياء! إن غناكم**
**شيدته سواعد الفقراءِ**
**القصور التي تقيمون فيها**
**من بناها لكم سوى الفقراء؟**
**والطعام الذي تلذون.. من هم**
**صانعوه سوى الفقراء؟**
**والرياحين في الجنائن.. من هم**
**غارسوها لكم سوى الفقراء؟**
**والحليب الذي رضعتم صغارا**
**كان من صدر معظم الفقراء**

.....

.....

.....

**لا تـــقـــولـــوا: وســـاوس من فـــقـــيـــر**

**دوخـــــــــــتـــه طـــــــــــوارق الأرزاء**

**إن لـــلـــفـــقـــر ثـــورة لـــو عـــلـــمـــتم**

**تـــسـبح الـــنـــاس دونـــهـــا في الـــدمـــاء..**

وعند زوال ظل السلطان عبدالحميد العثماني في العقد الأول من هذا القرن، نظر الشاعر الى قصر «يلدز» وقد سقط الظل الرهيب عنه يومذاك، فامتد به النظر الشاعري الى ما وراء هذا الحادث ـ الظاهرة من دلالات التحول التاريخي في ظهور قوة الشعوب لتحرير أعناقها من أنيار الاستبداد والاضطهاد والاستعباد، وظهور إرادتها في ضم وحدة صفوفها مع وحدة مصيرها:

**لا بـــلـــغـــنـــا ذرى الحـــضـــارة إن لم**

**يَـمْحُ عـصـر الإخـاء عـصـر الـعـبـيـد**

وفي حين كان «الدستور» مطلبا تنادي به جماهيرنا العربية لتحقيق مرحلتها الديمقراطية، وجدت هذه الجماهير مطلبها ذلك ينتفض في هاجس بشارة الخوري انتفاضة تدعو الى الثورة، هاتفة بأن «الدستور» لا يهبط على الشعوب هبوط الوحي من غير كفاح يتفجر من أعماقها كالأعاصير أو البراكين:

**إن الـدسـاتـيـر لا تـعـطي أعـنّـتـهـا**

**إلا الأعـــاصـــيـــر من جنٍّ ومن بـــشـــرِ**

**من هـابط كـقـضـاء الـله مـكـتـسح**

**أو صـاعـد كـفم الـبـركـان مـنـفـجـر**

وفي الحرب العالمية الأولى رأى الشاعر فجائعها الإنسانية في وطنه ذاته، من جوع وعري ومرض في أوساط الفقراء، ومن احتكار وجشع واستغلال رهيب في

أوساط الأغنياء، ومن تعسف وانهيار للقيم المثلى في أوساط الحكام، فاهتاج هاجسه الجمالي غضبا وحقدا شريفا، وانبرى يتفجر قصائد من لهب ينصب نقمة على التمايز الطبقي، وعلى عسف الطبقات الحاكمة والمستغلة، وعلى الحرب ومشعلي نارها الشريرة، وعلى وحشية المنتفعين بها حتى انتهاك الحرمات الإنسانية.. إننا نحس الآن، ونحن نقرأ هذه القصائد الغاضبة، أن الشاعر يعاني فيها أزمة نفسية وعقلية أسلمته حينذاك الى حيرة مرهقة في تفسير المحنة البشرية تلك، حتى لنراه يلجأ في حيرته الى مثل هذه المناجاة:

**رب، لـــو شـــئت لمـــا ســـالت دمـــا**
**أمـــرك الأمـــر.. فـــمن ذا يـــنـــكـــر؟**
**ولمـــا يـــتِّم من قـــد يـــتِّـــمـــا**
**ولمـــا اســـتل الـــسلاح الـــعـــســـكـــر**
.....
.....
**من تـــرى يـــشـــرح لي ذنب الـــفـــقـــيـــر**
**أو ـ تـــرى ـ يـــظـــهـــر لي فـــضل الـــغـــني**
**يـــرثـــان الـــبـــؤس، والـــعـــيش الـــنـــضـــيـــر**
**ويـــقـــيـــمـــان مـــعـــا في الـــكـــفن؟**

(٤)

السمة الغنائية، بمفهومها المدرسي وبمفهومها الأعم، هي السمة الشائعة في شعر «الأخطل الصغير».. ولكن غنائيته هذه لم تستسلم ـ إلا قليلا ـ الى الخطابية، أو الى الخواء الفكري. ولقد استطاع أن يضفي على خطابيته حيث وجدت، أو على الخواء الفكري حيث وجد في شعره، تلك الخاصة الجمالية المستقلة التي اجتمعت لها مجموعة من العناصر أبعدت عن شعره، في الغالب، تلك العيوب التي تشوب غنائية الشعر العربي في الجيلين السابقين بالخصوص. من هذه العناصر: مزية الصدق، ومزية الصفاء النفسي والتعبيري، ومزية الجدة والطرافة لا في النغمة واللفظة والعبارة فحسب، بل في الصورة الشعرية

كذلك، وفي طريقة التصوير الإيحائي للموضوع الشعري. إن عنصر الجدة والطرافة هذا، بجملة مقوماته، كثيرا ما ينقذ شعره من النثرية، أو التقريرية، حين ينزلق إليهما.. فهناك، مثلا، ألوان من الغزل عنده لا تخرج بمضمونها عن الغزل التقليدي المكرور في شعرنا، ولكن خاصة «الأخطل الصغير» أنه يخلع على مثل هذا الغزل طرافة في التصوير وفي العبارة تهيئ له مناخا شعريا خاصا يخفي وجهه التقليدي حتى ليوحي لنا بأنه جديد.. نذكر من ذلك أبياته المشهورة المغناة التي مطلعها:

**بلغوها إذا أتيتم حماها**
**أنني مت في الغرام فداها**

فهنا لا تقبض اليد على أمر جديد إطلاقا من حيث المضمون العام، ولكن طريقته في وضع الحقيقة الشعرية في إطار يوم القيامة حيث يتصور أن النعيم يكون جزاؤه في جهاده وتكون النار جزاء الحبيبة، وحيث يتصور مناجاة مع الله متشفعا إليه ثم ضارعا:

**قلت: يا رب، أي ذنب جنته،**
**أي ذنب؟ لقد ظلمنا صباها..**
**أنت ذوبت في محاجرها السحر**
**ورصعت باللآلئ فاها**
**أنت عسَّلت ثغرها.. فقلوب الناس**
**نحل أكمامها شفتاها**
**أنت من لحظها شهرت حساما**
**فبراء من الدماء يداها..**

نقول إن وضعه الحقيقة الشعرية في هذا الإطار الطريف قد أنقذ الصورة من لونها القديم الحائل.. وقد رثى «الأخطل الصغير» صديقه حافظ ابراهيم، فراح يمعن في توليد الصور الشعرية، دون أن يخرج أيضا عن المضامين التقليدية في الرثاء، ولكنه أوتي القدرة على التفرد بسكب هذه المضامين في ألوان من الطرافة المحببة حتى تبدو ابتكارا.. فإذا بنا نحظى في هذه القصيدة بكثير من الصور الممتعة التي تشبه هذه الصورة:

**أنت والنيل ضفتان لمصر**
**تنبتان الأذواق والأرزاقا**

هــذه الخاصــة في تلوين الصــور الشعــريــة بالطرافة تكاد تكون أبرز خصائص شعره، وكثيرا ما يجلوها في إطار من الحوار القصصي على غرار قصيدته المشهورة «هند وأمها»:

**أتت هــنــد تــشــكــو الى أمــهــا**
**فــسـبــحــان من جــمع الــنــيــرين**
**فــقــالت لــهــا: إن هــذا الــضــحى**
**أتــاني، وقــبَّــلــني قــبــلــتــين**
**وفــرَّ، فــلــمــا رآني الــدجى**
**حــبَـاني من شــعــره خــصــلــتــين...** الخ.

ولكن تبقى حقيقة لا بد من جلائها في الحديث عن غزل بشارة الخوري. فليست الطرافة بذاتها كافية لإنارة السمات المميزة لهذا الغزل. ذلك بأن من مميزاته كذلك أنه ليس غزلا وصفيا تصويريا في الغالب، بل يغلب فيه التحول الى حركة وجدانية تتعمق الحس الجمالي في الداخل، وهذا التحول يجعل من الوصف الخارجي ظاهرة حركية تشارك مشاركة أساسية في التعبير عن امتلاء الوجدان بنبضات الشاعر الجمالية. وهذا ما أشرت إليه حين قلت، من قبل، إن الجمال والحب يجدان وحدتهما الكاملة دائما في شعر «الأخطل الصغير».. فماذا يعني أن يقول الشاعر، مثلا، وهو يتغزل:

**إيه ريــحــانــة الــريــاحــين فــيــضي**
**مــــرحــــاً، واملأي الجــــوانح وجــــدا**
**امــســحــي جــبــهــة الــظلام تــفضْ نــوراً**
**ومــرّي عــلــى الــصــخــور فــتــنــدى**

هل يعني مثل هذا التصور للجمال، سوى الشعور الداخلي بالاندهاش من روعة الجمال المعين؟

وماذا يعني مثل هذا «الوصف» لصوت مطرب:

**يـا غـابـة الـصـوت الـلـهـيف كـأنه**
**تحت الـظلام أشـعـة تـتـكـلمُ**

.....

.....

.....

**ثـمـلت بـه الأزهـار وهـي أجـنّـة**
**وتـشـوفت، فـانـشق عـنـهـا الـبـرعم**

هل هذا وصف وكفى؟ أم هو الدهشة الوجدانية أمام «غابة» من ينابيع النغم تندفق في مسمع الشاعر، فتنسكب في أوصاله ارتعاشا كانسكاب الشعاع المنعش، حتى يتصور هذا النغم يفعل فعل الشمس بالزهرة: تدركها في البرعم جنينا، فتتفتح زهرة كاملة من أثر الشعاع؟ أحسب أن الشاعر هنا لا يصف الصوت نفسه بقدر ما «يصف» أثر الصوت في وجدانه.. وكلمتا: «الغابة» و «اللهيف» في هذه الصورة، لا تعنيان دلالتهما الحرفية، بل دلالتهما في تصور الشاعر الخاص..

وفي هذا المجال لا بد أن تحضرنا قصيدة «عمر ونعم».. فقد أعاد الى عصرنا صورة من ابن أبي ربيعة في رائيته الطريفة، وجلا منها مشاهد غزلية بطرافة جديدة، هي طرافة «الأخطل الصغير» بخصوصها وخصائصها، وهي - أي قصيدة «الأخطل الصغير» - تضيف الى متعة الطرافة المتجددة إضاءات فنية هامسة ومقنعة في آن.

(٥)

تستوقفنا في هذه «الرحلة» مشاهد ملحمية، دون أن تغرينا بالقول إن شاعرنا قد جمع بين الطرفين المتباعدين: الغنائية والملحمية.. لا، فإنهما طرفان متباعدان بالفعل، وليس لشاعر أن يكون غنائيا وملحميا معا، ولكن قد يلتقيان التقاء عفويا عابرا ثم يفترقان، فالشاعر الغنائي لا يقوى على احتمال الأبعاد الموضوعية الشاسعة للملحمة.. والشاعر الملحمي لا يقوى على احتمال الانفعالات الذاتية الغنائية القصيرة الأنفاس..

أما «الأخطل الصغير» فشاعر غنائي وحسب. وإننا لنرتكب نوعا من الاعتباطية والتمحل إذا نحن أضفنا الى طبيعته، طبيعة أخرى ليست منه ولا هو منها.. غير أن ذلك لا ينفي أن يمتد نفسه، في بعض حالاته الشعرية الغنائية ذاتها، الى مدى يتيح له ان يجول جولة ملحمية موفقة، ولكن بخطى موقعة توقيعا غنائيا يعوقه عن الوثبات المغامرة، بل يرده سريعا الى أصالته الغنائية.. وقد تكون جولته الملحمية في ذكرى المتنبي هي الجولة الوحيدة التي يخطو فيها خطوات تقرب من المغامرات الملحمية.. ولعل رفقة المتنبي، في هذه القصيدة العامرة، قد وضعت «الأخطل الصغير» في جو خاص أحمى ذراعيه لخوض المغامرة بعض وقت.. أما جولته الأخرى في ذكرى الفردوسي فكانت أقصر من تلك في شوطها الملحمي، ولكنها جولة ممتعة بما امتزج فيها من عبق الشعر وروعة الموكب الكسروي وجلال الفتح الإسلامي العربي.. وفي رثائه للزهاوي نفحات ملحمية غنائية مزدوجة، ولا نقول جولات ملحمية. والواقع أن هذه المرثاة مع كونها مفعمة بحرارة الصدق والانفعال العاطفي، هي كذلك أشبه برحلة للفكر والشعر معا رفيقين حميمين يمضيان يدا بيد على وئام وانسجام يطوفان في دنيوات شتى من تاريخ الحضارة العربية والأدب العربي، ومن دنيا الصحراء العربية، ثم دنيا الجحيم حيث يلتقيان «دانتي» و المعري» يسألانهما:

**أحـــقـــيـــقـــة عـــرفـــا لـــظى؟**
**ام وصف مـــبـــتـــدعٍ نجـــيبِ**

هو تطواف سريع خفيف المشقة، ولكنه مثقل بزادين دسمين لذيذين: زاد المعرفة، وزاد الفن المشبع بالبهجة والنقاء. هو ذا رثاء يتميز بالتفرد في نهجه وبساطته واستيعابه خصائص الموضوع بكاملها من غير تهويل ولا افتعال، تمشي في نواحيه لمحات ملحمية ولمعات غنائية منسكب بعضها في بعض كانسكاب الماء العذب بالخمرة المروّقة.

(٦)

في شعر «الأخطل الصغير» ظاهرة أخرى تسري في لفظاته وصوره ومعانيه ودلالاته، فتزيد الألفة الحميمة بينها جميعا ألفة أسمى وأوثق.. هي ظاهرة الطيبة

خالصة من الدخائل السود، ومن العقد النفسية. ولم يكن مبالغا ولا مدعيا حين وصف هو هذه الطيبة في مهجته:

**مهجة كالرياض يغمرها النور**
**ويرتد عن سماها الظلام**

ومن هذا المصدر الروحي ينبع الابتسام دائما في شعره.. ينبع حتى من خلل الدمع، بل نادرا ما نجد ابتسامة فيه لا تنبثق من دمعة:

**في دمع بسمتها وفي صلواتها**
**نعمى تطل على العزاء وتشرقُ**



**قالوا الربيع، فقلت ما أنكرته**
**رشف الدموع وردّهن تبسما**



**يغسل الأنفس الجريحة بالدمع**
**فيكسو تلك الجراح افترارا**



**هذا الذي لمس الآلام فابتسمت**
**جراحها، ثم ذابت في محاجره**



**صمت يفيض بيانا**
**ودمعة تتبسَّم**



**كم من زغاريد عرس**
**نزعت من فم مأتم**

الخ.. الخ..

يصعب التسليم بأن ظاهرة هذا الاقتران دائما بين الدمع والابتسام، أو بين الحزن والفرح، أو بين المأتم والعرس، في شعر «الأخطل الصغير»، ليست أكثر من ظاهرة لفظية «بديعة» من فصيلة «الطباق» التزييني.. يصعب التسليم بهذا القول، لأن نقاوة شعره وصفاءه وأصالته، لا تسمح بتكلف مثل هذا الافتعال الشكلي المتكرر دون خلفية نفسية ثابتة.. إن هذه الظاهرة ـ في استنتاجي ـ هي ظاهرة انعكاس فني عفوي عن مزاج الشاعر، أعني تلك الطيبة التي يبدو أنها لم تقتصر على أن تحول الظلمة في نفسه الى ضياء دائما، بل لعلها تحولت عنده كذلك الى لون من المزاج الفلسفي المتفائل، سواء بعفوية خالصة أم بوعي وتأمل.

(٧)

وفي هذه المرحلة من رحلتنا في شعر «الاخطل الصغير» تتكشف لنا، أخيرا، ظاهرة تطور في بناء القصيدة عنده بالنسبة لجيله.. وقد يكون هذا الجانب منه عسير الرؤية لنا الآن في منظار المقاييس البنائية المعاصرة، ولكن من اليسير جدا رؤيته إذا نظرنا الى الأمر في إطاره الزمني الخاص. ففي هذا الإطار نستطيع أن نضع البناء الشعري عند «الأخطل الصغير» في مكان يشير الى الإرهاص بالتطور البنائي المعاصر نفسه. فإن شعره من هذه الجهة يمكن حسبانه حلقة اتصال بين عهدين لبناء القصيدة العربية: عهد كان فيه البيت بذاته وبمفرده هو الوحدة البنائية الأساسية في القصيدة، وعهد أصبحت فيه القصيدة بمجملها، ككل، تعتبر بناء واحدا متكاملا لا يؤدي فيه البيت، أو لا تؤدي فيه التفعيلات المتلاحقة، سوى دور الجزء في بناء الكل، على أن يكون كل جزء في مكانه الخاص به من هذا البناء، بحيث لو أخرج من هذا المكان الى مكان آخر في القصيدة لحدث الخلل في بناء القصيدة بكامله، ولتغير مدلول الفكرة نفسها، أو مضمون التجربة، أو نوع العلاقة بين ذات الشاعر والموضوع الشعري، أو النسيج الفني بكامل علاقاته الجمالية..

ونحن، في ضوء هذا المفهوم البنائي المعاصر، لا نستطيع القول بأن شعر «الأخطل الصغير» قد بلغ هذه المرحلة من التطور البنائي. وإنما الذي يمكن قوله أن هذا

الشـعر قد خطا خطوة تطورية ملحوظة في هـذا المجـال، بمعـنى أن قصـيدة «الأخطل الصغير» جاءت لتعبر عن فكرة واحدة تقريبا، أو تجربة واحدة، أو لتدور على موضوع واحد، ولكن بقيت فيها بقية من العاهة البنائية القديمة في الشعر العربي، بحيث لو غيرنا وضـع هذا البيت وذاك، أو وضع هذا المقطع وذاك، في هيكل القصيدة الواحدة، لما اختلف الأمر كثيرا في تركيب الهيكل الكلي للقصيدة. على أن الخطوة التي أحدثتها قصيدة «الأخطل الصغير» كانت تجديدا واضحا يستحق الدرس الجدي.

(٨)

وختاما لرحلتنا هذه، لا أكتم جامعي «شعر الأخطل الصغير» وناشريه بصورته التي ظهرت عام الاحتفال لتكريمه على النطاق العربي منذ سنوات ـ لا أكتمهم عتبا يدنو من الملامة على كونهم أغفلوا عند جمعه ونشره، ذكر المناسبات والأحداث والتواريخ التي تتصل بهذا الشعر ويتصل بها، ويستمد منها مناخه الوجداني ودلالاته الشعرية، كما أغفلوا ذكر الأشخاص ذوي العلاقة بهذا المناخ وهذه الدلالات. لا ندري كيف ارتضوا هذا الإغفال وهم يعلمون ـ دون شك ـ أن ذلك سيحرم الدارسين والباحثين والنقاد في الأجيال اللاحقة رؤية الأطر التاريخية والمناخات الإنسانية الخاصة التي تمدهم بالعون على استكشاف الأبعاد الخفية الجوهرية التي يترامى إليها شعر «الأخطل الصغير»؟.

إننا نرجو أن يستدرك هذا الأمر في طبعة جديدة أكثر شمولا واستيعابا لشعر شاعرنا الكبير الراحل.

**حسين مروة**

****

# رحلة..... في شعر
# «الأخطـل الصغيــر»

حسين مروة

(١)

هي «رحلة» بالمعنى الدقيق للكلمة.. فلكي ندخل، اليوم، هذا العالم الشعري الخاص الذي أنشأه «الأخطل الصغير» لنفسه ولجيله، لا بد أن نستعد للأمر قبل الإقدام عليه، لأننا سندخل عالما آخر غير عالمنا المعاصر.

سندخل بمقاييس للشعر تختلف، جذريا، عن هذه المقاييس التي نمارس بها اليوم عملية التذوق والتلقي والتواجد الفكري والروحي مع الشعر المعاصر الذي صارت علاقتنا به جزءاً من علاقتنا بكل ظاهرة من ظاهرات التحول العاصف في عصرنا.

لا بد لنا، إذن، من إعداد أنفسنا «للتأقلم» الذوقي والفكري والوجداني في «مناخ» شعري انقطعت، أو كادت تنقطع، بيننا وبينه علاقات الألفة القديمة، حتى لنخشى ـ إذا عدنا إليه الآن ـ أن نستشعر الغربة معه، أن يستدرجنا الشعور «بالاغتراب» الى التورط بأحكام جائرة بعيدة عن الموضوعية..

غير أن «الأخطل الصغير» سيعيننا على هذا «التأقلم» دون عناء كبير، فإن عالمه الشعري من الشفافية والطرافة وصفاء الجو بحيث سنجد، في رحلتنا إليه، أننا لسنا بعيدين جدا عن تخوم عالمنا المعاصر. بل سنجد ـ الى ذلك ـ أن هاجسا روحيا خفيا يتنبه فينا، فجأة، منذ أول إطلالة على دنياه، فإذا بنا نحس في داخلنا أصداء هذا الهاجس توحي إلينا أن ندخل دنيا لنا فيها نبضات وجدان، ونبرات غضب، ومشاعر

■ الآداب ، عدد ٩، ص ١١،سنة ١٩٦٨

آلام ومسرات، ولنا عندها أشياء من حياتنا وأشواقنا وتطلعاتنا لا تزال طرية خضراء، لأنها متصلة بجذور أشيائنا الحاضرة.

صحيح أن جيل «الأخطل الصغير» قد انتهى منذ أكثر من ربع قرن، وأن الجيل الذي يعاني الآن حياة العصر، بكل قلقها وعنفها وبكل حدة الصراع بين تناقضاتها وبكل حيوية هذا الصراع، قد أنشأ لنفسه مناخات شعرية جديدة شديدة التعقد والتوتر والتفجر، لكن «الأخطل الصغير» ذاته بقي في نهاية جيله يقف على تخوم جيلين، فلم يغرق هناك في قاع الزمنية الكلاسيكية، ولم يغترب هنا كل الاغتراب عن إرهاصات التحول والتفجر المعاصرين، وإن لم يدرك ما انكشفت عنه هذه الإرهاصات من جديد، وما كان له أن يدركه بعد أن استنفد العمر طاقاته.

فنحن، إذن، في هذه الرحلة الى عالمه الشعري، نعاني وحشة الاغتراب كثيرا، وإن كنا ـ على كل حال ـ سنشعر بأننا معه في جيل ليس هو بالجيل الذي يحمل همومنا أو يستوعب الأطر التعبيرية القادرة على تحمل هذه الهموم.

(٢)

ونبدأ «الرحلة» الآن من نقطة الانطلاق الأولى في شاعرية «الأخطل الصغير». نبدأ من قضية الشعر:

نريد، أولاً، ان نتعرف الشعر كما يتصوره بشارة عبدالله الخوري نفسه.. فكيف يتصوره؟ ما أبعاده وحدوده في رقعة الحياة؟.. ما دوره في ديالكتيك الحياة؟..

نستطيع أن نعرف هذا كله في كثير من شعره، ولكن له «صلاة» يضرع فيها الى ربة الشعر، ضراعة المؤمن المفعم قلبه صدقا وإخلاصا، أن تلهمه الشعر الذي يريد.. في هذه «الصلاة» الخاشعة نعرف كيف يريد الشعر لنفسه، أي كيف يتصور الشعر في أعلى مستوياته وفي أكمل صوره:

**الهميني، يا ربة الشعر، شعرا**
**كالنور والنار**

**كالهواء، كالأطيار، كالفكر حرا**

**يلفح الأدهار**

**كالأهازيج في الوغى تترجع**

**إن ثائر ثار**

**كدوي الأمواج إذ تتدفع**

**بعيدة الأغوار**

**ربة الشعر، الهميني قصيدا**

**ترجّع الأطيار**

**الهميني شعرا طليقا جديدا**

**يوزع الأنوار**

هكذا الشعر في صورته الكاملة عند «الأخطل الصغير»، بل صورته المثلى. والمسألة هنا ليست أن الشاعر صادق في «صلاته» هذه أو غير صادق.. حتى افتراض عدم الصدق هنا يؤكد أن الصورة بحدودها كلها قائمة في ذهنه، تكشف عن مكانها الخفي في طموحه.. ولكن طبيعة «الأخطل الصغير» نفسها تفترض صدق هذه الضراعة في «صلاته». فهو ينطوي على ثورة في أعماقه نعرفها منه في سيرته وفي شعره معا. وقد تميز بهذه الوحدة بين سيرته وشعره دون ازدواجية ولا تعقد. من هذه الثورة الهادئة الوديعة أكثر الأحيان، المتفجرة بعض الأحيان، استوحى «صلاته» الى ربة الشعر: فهو يريد الشعر نارا تلفح الأدهار، يريده طلقا كالهواء والأطيار، حراً كالفكر، ثائرا كالأهازيج في معركة الثائرين، بعيد الأغوار تدوي الأمواج المتدفعة في نواحيه.. يريد الشعر جديدا طليقا يرفض الركود والقيود.. يريده لا يكتفي بأن يضيء ذاته، فليكن نورا يوزع الأنوار ليضيء الآخرين، ليضيء الحياة... ليس الشعر عنده وسيلة ترف فني وحسب:

**وهل الشعر غير ما امتلك**

**النفس، فحلّى كأسا وحل وثاقا؟**

الشعر أن يمتلك النفس: للامتلاك هنا محتواه الوجداني الضاربة جذوره الى أعماق النفس، فهو يعني صدق التجربة واستيعابها المشاعر كلها حتى الامتلاك.. وبعد هذا، على الشعر أن يمنح الإنسان حلاوة الحياة والبهجة الروحية، وأن يحرره كذلك، أن يحل وثاقه، كل وثاق يستعبد أو يقيد طاقاته أو يعيق نموه وتطوره وانطلاقه، فردا ومجتمعا.. بهذا المفهوم للشعر امتدح «الأخطل الصغير» حافظ ابراهيم، شاعر النيل، وهو يرثيه:

**ما نسينا لك القصائد حمراً**
**قطع الشرق دونها الأطواقا**
**فغسلت الجراح بالسلسل العذب**
**وصيرت كل خلْفٍ وفاقا**

للشعر، إذن، وظيفة تتجاوز الامتناع الفني المحض، لتجمع الى الإمتاع هذا قوة الفعل في حركة التطور والتحرر الاجتماعيين.. ليس الشعر تلقيا وانفعالا وحسب، فهو ـ كذلك ـ فاعل ومحرك ومحرر.. وكيف يكون الشعر هكذا: محركا، ومحررا، إذا لم يكن هو نفسه ـ أي الشعر ـ متحركا، ومتحررا؟.. من هنا كان شعر «الأخطل الصغير» زاخرا بالحركة وديناميةالتحرر.. وإذا لم يخرج في حركته وتحرره على الشعر العمودي، شعر البيت الكامل المقفى، فقد تصرف كثيرا بقواعد هذه «العمودية» تصرفا له طابع الجدة والاستقلال. وهذا نموذج من تصرفه:

**يا مجدُ**
**يا فنُّ**
**يا جنونْ**
**لم تُبقِ مني**
**الليالي،**
**سوى**
**خيال خيالي،**

**لا النَّحْلُ**
**يرشف شهدي**

**ولا الفَراش**
**وكان جيدي**
**وخدِّي**
**لها فِراشْ**

**أبَعَدما**
**كان نهدي يُروي**
**العطاشْ،**
**أصبحتُ**
**أصبحت وحدي..**

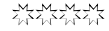

**يا مجدُ**
**يا فنُّ**
**يا جُنونْ**
**أين الهوى**
**والفتونْ**
**والعصبةُ المعجبونْ**

على أن طبيعة الحركة والتحرر في شعره لا تقتصر على البنائية الخارجية. فقد تركت آثارها، كذلك، على البناء الداخلي في معظم هذا الشعر، حتى شعر الطرب الغنائي الصرف منه. فنحن نجد دينامية الحركة والتحرر في محاولات بشارة الخوري خلق الأبعاد الوجدانية لشعر الغزل والحب، وتجاوز الصور النفسية والصيغ الشعرية المألوفة عند شعراء جيله في هذا الباب.. فهو، مثلا، مفتتن بالجمال وبطرب الشراب، كما يفتتن غيره من الشعراء، ولكن كيف تتميز عنده صورة هذا الافتتان، وكيف يمتلك الافتتان نفسه، وكيف يتحرك في وجدانه:

**فـــتن الجـــمـــال وثـــورة الأقـــداح**
**صـبـغت أسـاطـيـر الـهـوى بـجـراحي**

في هذه الحركة الشعرية تنبع أكثر من صورة أسطورية ملونة بدم الجراح، ولكنه اللون غير المأساوي، بل هو يضفي على الجراح نفسها لون الفتنة والبهجة بلمسات بسيطة وسريعة وغزيرة الإيحاء.. وكثيرا ما نستشف، خلل موجة الصفاء الشفاف، امتزاج حب الحياة وحب الجمال معا في حركة وجدانية واحدة داخل الحركة النغمية الخارجية الباهرة الألق والتنوع:

**أنـا لا أشـيّع بـالـدمـوع صـبـابـتي**
**لـكن ألفُّ جـنـاحـهـا بـجـنـاحي**
**غـذيـتـهـا بـدم الـشـبـاب وطـيـبه**
**وهـرقت في لـهـواتـهـا أفـراحي**

.....

.....

**من كـان من دنـيـاه يـنـفض كـفَّهُ**
**فـأنـا عـلى دنـيـاي أقـبض راحي**
**إني أفـدّي كل شـمس أصـيـلـة**
**حـذر المـغـيب، بـألف شـمس صـبـاح**

هذه اللهفة الصارخة، في البيت الأخير، نكاد نحسها تتفجر أذرعة من الشوق والرغاب. تتسارع الى عناق شمس الأصيل تشدها كي لا تغوص في لجة المغيب، وكي تغير مسار حركتها العدمية الى مسار الوجود اللانهائي..

وتتخذ الحركة الشعرية، وهي تعبر عن شغفه بالجمال، ظاهرة أبعد عمقاً في الوجدان حين يتحدث عن ذكرى له غذاها بأكثر ما مضى من صبوته، ثم جاء يغذيها بما بقي:

**بـأخي هـوى مـتـمـاسك في أضـلـعي**
**سـمح، عـلى شـيع الجـمـال مـفـرّق**
**شـقت مـرائـره أسىً وتـأوهـاً**
**إن فـاته الحـسن الـذي لم يـخـلق**

جاء يغذيها ـ بعد ـ بقلبه، هذا الذي انعقد الإخاء بينه وبين الهوى على تماسك وسماحة وتوزع بين صنوف الجمال.. ولكن العجب في «أخي الهوى» هذا أنه لا يرتوي من الحسن بما هو كائن، فهو يتمزق مرارة وأسى من طموحه وتطلعه الى ما لم يخلق بعد من صنوف الحسن والجمال.. ليس هذا من باب الإغراب والاستحالة، أي ليس هو نوعا من الافتعال كما قد يدخل في تصور ناقد ما، وإنما هو تعبير ديناميكي عن شغف هذا القلب بالجمال الى أقصى حدود الشغف والوله.. إنها صرخة «جوع» جمالي هائلة مثيرة تعبر عن نفسها بمحتوى النغم الداخلي لا بحركته الخارجية وحسب.. وقد تبلغ هذه الصرخة منتهى العنف حين تعبر عن هاجس جمالي آخر مع طرب الشراب:

**يـــا ذابـح الـــعـــنـــقـــود خـــضَّب كـــفّه**

**بـــــدمـــــائه، بـــــوركت من ســـــفـــــاح!**

(٣)

.. وقد يتحول الهاجس الجمالي عند «الأخطل الصغير»، الى إحساس عميق يقترب أحيانا من الإحساس المأساوي.. ذلك حين يصطدم وجدانه الشاعري بإحدى المفارقات القائمة في علاقات الإنسان بالطبيعة، أو علاقاته بالأرض والوطن والناس الآخرين، فتتحرك الثورة الكامنة في أعماقه حينذاك، ثم يتخذ الهاجس الجمالي هنا ظاهرة العاطفة الوطنية.. نجد مثل هذا الإحساس في مثل قصيدة «سلمى الكورانية».. هذه القصيدة تتحدث عن ظاهرة الهجرة في لبنان وعن المهاجر اللبناني.

إنه موضوع اجتماعي بذاته، ولكن «الأخطل الصغير» يتناول الموضوع انطلاقا من هاجسه الجمالي نفسه في قضية حب. والجمال والحب يجدان وحدتهما الكاملة دائما في شعره. فقصة الحب هنا تتطور إلى مواجهة وجدانية وطنية معا تنشأ من تفريق الهجرة بين قلبين عاشقين. وفي المواجهة هذه يتحقق اصطدام الهاجس الجمالي بإحدى المفارقات المحركة لثورة الشاعر. في هذه المفارقة حركة ديالكتيكية لها عمق إنساني مأساوي، ولكن يكمن في ثناياه حافز للرفض والتمرد. فحين تبلغ قصة الحب هنا ذروة التوتر يبرز وجه لبنان أيام الانتداب، وتبرز المفارقة الديالكتيكية المثيرة هكذا:

لـبـنـان، مـا لـفـراخ الـنـسـر جـائـعـة
والأرض أرضك أعلاهـــا وأدنـــاهـــا
ألـلـغـريب اخـتـيـال في مـسـارحـهـا
ولـلـقـريب انـزواء في زوايـاهـا
من ظن أن الـريـاحـين الـتي سـقـيت
دمـوعـنـا الحـمـر قـد ضـنت بـريّـاهـا؟
كـأن مـا غـرس الآبـاء من ثـمـر
لـغـيـر أبـنـائـهم قـد طـاب مـجـنـاهـا
ومـا بَـنَـوه عـلـى الأحـقـاب من أطمٍ
لـغـيـر أبـنـائـهم قـد حل سـكـنـاهـا
لا، لم أجـد لك في الـبـلـدان من شـبـه
ولا لـنـاسك بـين الـنـاس أشـبـاهـا
لـو مسَّ غـيـرك هـذا الـذل من أسـد
لـعضَّ جـبـهـته سـيف وحـنَّـاهـا!..

في هذا الإطار نفسه من تحول الهاجس الجمالي، عند «الأخطل الصغير»، الى إحساس وطني، نشهد تحولات تتنوع أشكالها الفنية، بقدر ما تتنوع حوافزها ومناسباتها الآنية التاريخية، ولكن يبقى مصدر التحولات هذه واحدا، وجوهر الرابطة بينها واحدا، هو الحساسية الشاعرية المرهفة الى حد القدرة على كشف العلاقات القائمة بين الأشياء المتفارقة بقدر ما هي قائمة بين الأشياء المتجانسة.. من هنا يحدث هذا التحول غالبا ـ إن لم نقل دائما ـ في شعر «الأخطل الصغير» من الهاجس الجمالي الى انفعالات إنسانية أو وطنية أو قومية أمام التحديات والمفارقات في علاقات الإنسان المختلفة، ولا سيما علاقاته الاجتماعية. وقد يبلغ هذا التحول الانفعالي ـ كما ذكرنا من قبل ـ عمقا وجدانيا يصل به الى حدود الإحساس المأساوي. نجد الأمثلة على ذلك في قصائد عدة كتبها الشاعر متأثرا بأحداث طارئة، بعضها ذو طابع محلي لبناني، وبعضها ذو طابع عربي شامل، وآخر ذو طابع إنساني عالمي، وقد تجتمع في الحادث

الواحد هذه السمات كلها، كما في قصيدة «١٩١٤».. وهي القصيدة التي أوحتها أحداث الحرب العالمية الأولى وفجائعها اللبنانية والعربية والعالمية.

في قصيدة من وحي ليلة من ليالي الشاعر في إحدى القرى اللبنانية ينطلق أولاً مع الهاجس الجمالي في مجلس له بين نفر من أهل الأدب والفن، ثم في تمثال فني رآه هناك من صنعة نحات لبناني:

**ودمية عندما صافحت صانعها**
**أكبرته عبقري الفن نحاتا**
**رمى بها في عباب الحب لؤلؤة**
**وناطها في جبين الحسن مشكاتا**

وتأخذ الشاعر، في هذا المناخ الجمالي، نشوة شاعرية ما إن تبلغ مدى هناءتها في وجدانه حتى تتنبه حوافز التحول، إذ تستيقظ علاقة المفارقة في وهج النشوة، وينهض فجأة ديالكتيك التحدي هكذا:

**سوانح من صفاء لا تلوح لنا**
**في حالكات الشق إلا أويقاتا..**
**نلقي على راحتيها أنفساً نهكت**
**فعل الغريق رأى في القرب مرساتا**

ثم يصعد التحول من هذا الإحساس الذاتي المأساوي الى إحساس اجتماعي وطني يحمل الحرارة المأساوية نفسها.. ذلك إذ أحدثت حركة التحدي في الهاجس الشاعري ما تحدثه الحصاة تلقى في صفحة الماء.. فإذا بدائرة المفارقات التي تتحدى نشوة الشاعر تعقبها دائرة أخرى من المفارقات أوسع منها، فإذا بالتحول ينتقل من صراع الهاجس الجمالي مع مفارقات الذات الى الصراع مع المفارقات في نطاق المجتمع.. وكان المجتمع هنا لبنان نفسه أيام الانتداب الفرنسي:

**لبنان، يا جنة الأرواح، ما فعلت**
**بك الليالي.. فعاد العرس مأساتا**

قـــد كـــبّـــروك لأمـــر صـــغّـــروك به،
قـد فـخـمـوا الاسم، لـكن حـقّـروا الـذاتـا
في كل طـــرفـــة عـــين أنـــظُمٌ جـــدد
من سـوء حـظك قـد ظـنـوك مـلـهـاتـا
كـأنمـا كـنت لـوحـاً في مـكـاتـبـهم
تـمـضي الأكف به مـحـواً وإثـبـاتـا
فـتـيـان لـبـنـان، هـبـوا من رقـادكم
سـيّـان من نـام عن حق ومن مـاتـا

على هذا النحو نجد حساسية الشاعر الجمالية في مواقفه من مختلف الأحداث والمناسبات في النطاق العربي الشامل. إننا نجده في ذروات من الانفعالات الشاعرية يتحول به الانفعال الى مواقف عربية تمجد علاقات الأخوة بين لبنان وأشقائه في العالم العربي، وتمجد نضال العرب في معركة الحرية، وفي معركة فلسطين بالأخص، ونجد المفارقات في هذا المجال كذلك تحفز هاجسه الجمالي للتحول من الانفعالات الذاتية الى الانفعالات القومية.

وفي غمرة الانفعال الحزين، إذ يرثي شوقي، وإذ الإحساس الشاعري يتصاعد مع الرؤى الجمالية المستثارة بنوع من الانتعاش للحادث، ينطلق الهاجس الفني، فجأة، من حدود الرثاء في نطاقه الفردي الى الحدود الوسيعة التي تشتمل لبنان كله ومصر كلها في إطار واحد من الأخوة بينهما:

لـبـنـان، يـا مـصـر، مـصـرٌ في مـطـامـحهِ
ـ كـمـا عـلـمت ـ ومـصـر في مـفـاخـرهِ
هل كـان قـلـبك إلا في جـوانـحه
أو كـان دمـعك إلا في مـحـاجـره
أو كـان مـنـبت مـصـر غـيـر مـنـبـته
أو كـان شـاعـر مـصـر غـيـر شـاعـره؟

وإذ هو يرثي سعد زغلول، وهاجسه الفني ينشىء دنيا من الخيالات والصور المجنحة بألوان أسطورية وملحمية، إذا به ينفلت من دنياه هذه الى دنيا الواقع بكل واقعيته، ليدخل قلب المعركة السياسية الوطنية التي كانت تحياها مصر يومذاك، وإذا به وجهاً لوجه مع رجال مصر الذين كانت تشغلهم أحداث المعركة في هذا الصف منها أو ذاك:

**إني أخـــاف عـــلـــيـــكم في تحـــزبـــكم**
**أن تـنـصـروا الخـصم، وهـو الخـصم والحـكمُ**
**تـــخـــاصـــمـــون عـــلـى ضـعـف، وخـــصـــمـــكم**
**هـــو الـــقـــوي، عـــلـــيـــكم لـــيس يـــخـــتـــصم**
**تـــوحـــدوا بـــاسم مـــصـــر في تجـــهـــمـــهـــا**
**وطـــالـــعـــوا ثـــغـــر مـــصـــر كـــيف يـــبـــتـــسم**
**ســـعـــد أرادكمُ حـــلـــفـــاً ـ فلا قـــســـمتْ**
**أجـــزاؤكم ـ حب مـــصـــر لـــيس يـــنـــقـــسم**

وفي رثاء فيصل الأول بينا يجهد الشاعر في ابتداع «الحالات» الشعرية الملائمة للموقف ولخصائص الشخصية المرتبطة به، إذا بحساسية الشاعر تستشف الأبعاد الأخرى للموقف، وهي الأبعاد السياسية التي تمتد إليها ظلال الشخصية هذه، فيأخذ التحول الشعري هنا مجرى آخر نحو تلك الأبعاد ذاتها.. فنرى الشاعر عند هذا المجرى الجديد، يذكر ما كان لفيصل الأول من علاقة بالحركة العربية الاستقلالية، وما كان لهذا العلاقة من ارتباط بوعود «الحلفاء» الغربيين وعهودهم للعرب عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثم ما اقترفه هؤلاء «الحلفاء» من نكث لهاتيك الوعود والعهود.. وفي هذا المسار يتحول الإحساس الشاعري من نطاق الرثاء في حدوده التقليدية الى نطاق الموقف القومي، فنلحظ منذ يأخذ هذا التحول مداره الأوسع أن حرارة الواقع المأساوي قد أكسبت الموقف الشعري الجديد نبضا من الحيوية والصدق لم نكن نحسه في المدار الأول من القصيدة:

**قل لـــتـــلك الـــعـــهـــود في رهج الحـــرب**
**وفي ســـكـــرة الـــقـــنـــا والـــغلاصمْ**

قـد لمحـنـاك في عـيـون الـثـعـالي
ولمـسـنـاك في جـلـود الأراقم
حـدثـونـا عن الحـقـوق، فـلـمـا
كـبَّـر الـنـصـر، أعـوزتـنـا الـتـراجم
نـفـحـتـنـا بـهـا الحـروب سلامـا
ورمـانـا بـهـا الـسلام أداهم
قل ـ وقـيت الـعـثـار ـ في نـدوة الـقـوم:
مـتى أصـبح «الحـلـيف» مـخـاصم؟
أين ذاك «الـهـيـام» في أول «الحب»
وتـلك المـوشـحـات الـنـواعم؟
.....
.....
.....
إن تحت الـصـدور جـذوة مـوتـور
وخـلـف الحـدود زأرة نـاقم



وفي الإطار نفسه كذلك، إطار التحول في الهاجس الجمالي، عند «الأخطل الصغير»، من دائرة الإحساس الذاتي الى دائرة الإحساس العام الأشمل، نلحظ في شعره تحولات من نوع آخر، هو النظر الى قضايا الإنسان ذات المنشأ الاجتماعي، أي تلك القضايا التي يعانيها الناس في المجتمعات الطبقية، أو تلك التي تعاني منها البشرية كافة أزمات القلق على مصير الحياة نفسها كمسألة الحروب العالمية.

وقد حان لنا هنا أن نوضح مفهوم الهاجس الجمالي الذي تكرر ذكره في «رحلتنا» هذه..إننا نقصد به غير معناه الساذج المبتذل.. فليس القصد به معنى الجمال المناقض للقبح بمفهومه البسيط، بل معناه الفني الذي ينبع من الرؤية الشعرية للأشياء ولعلاقات الإنسان مع الطبيعة والحياة والناس الآخرين، وللقيم الإنسانية المستمدة من هذه العلاقات. فكل رؤية فنية إبداعية الى الظاهرات الكونية أو الاجتماعية أو الى

دخائل النفس الإنسانية، وكل كشف للأبعاد غير المنظورة بالنظر العادي، القائمة وراء تلك الظاهرات ـ كل رؤية من هذا النوع، وكل كشف تحققه هذه الرؤية، بواسطة الشكل والمضمون في وحدتهما الجوهرية، يشكل العنصر الجمالي في الفن، أي الحقيقة الفنية. إن هذا العنصر هو ما سميناه في هذه الرحلة بـ «الهاجس الجمالي» لأنه الدافع الداخلي المشع عند الشاعر والفنان.

إذا رجعنا ـ بعد ـ الى حيث وصلنا من «الرحلة» في شعر «الأخطل الصغير» سنرى أشكالا جديدة من تحولات الهاجس الفني.. نعني تحول هذا الهاجس من الرؤيا ذات المضمون الغنائي الصرف الى رؤيا في قلب الظاهرات الاجتماعية، أي قضايا الإنسان في علاقاته الطبقية، أو في أزماته المصيرية الكبرى.

ففي مجال العلاقات بين الطبقات الاجتماعية، في ظلال الأنظمة الرأسمالية بالطبع، تمتد رؤيته الفنية الى ما وراء ظاهرة الفقر والغنى وسائر ظاهرات التمايز الطبقي، فإذا برؤيته هذه تكتشف، بلمح من الهاجس الفني النفاذ، بعداً واقعياً من أبعاد تلك الظاهرات، أو تكتشف ـ إذا شئنا التعبير بلغة العلم ـ واحدا من القوانين الأساسية التي تنشأ عنها تلك الظاهرات:

**أيها الأغنياء! إن غناكم**
**شيدته سواعد الفقراءِ**
**القصور التي تقيمون فيها**
**من بناها لكم سوى الفقراء؟**
**والطعام الذي تلذون.. من هم**
**صانعوه سوى الفقراء؟**
**والرياحين في الجنائن.. من هم**
**غارسوها لكم سوى الفقراء؟**
**والحليب الذي رضعتم صغارا**
**كان من صدر معظم الفقراء**

.....

.....

.....

**لا تـــقـــولـــوا: وســـاوس من فـــقـــيـــر**

**دوخـــــــــــتـــه طـــــــــــوارق الأرزاء**

**إن لـــلـــفـــقـــر ثـــورة لـــو عـــلـــمـــتم**

**تـــسـبح الـــنـــاس دونـــهـــا في الـــدمـــاء..**

وعند زوال ظل السلطان عبدالحميد العثماني في العقد الأول من هذا القرن، نظر الشاعر الى قصر «يلدز» وقد سقط الظل الرهيب عنه يومذاك، فامتد به النظر الشاعري الى ما وراء هذا الحادث ـ الظاهرة من دلالات التحول التاريخي في ظهور قوة الشعوب لتحرير أعناقها من أنيار الاستبداد والاضطهاد والاستعباد، وظهور إرادتها في ضم وحدة صفوفها مع وحدة مصيرها:

**لا بـــلـــغـــنـــا ذرى الحـــضـــارة إن لم**

**يَـمْحُ عـصـر الإخـاء عـصـر الـعـبـيـد**

وفي حين كان «الدستور» مطلبا تنادي به جماهيرنا العربية لتحقيق مرحلتها الديمقراطية، وجدت هذه الجماهير مطلبها ذلك ينتفض في هاجس بشارة الخوري انتفاضة تدعو الى الثورة، هاتفة بأن «الدستور» لا يهبط على الشعوب هبوط الوحي من غير كفاح يتفجر من أعماقها كالأعاصير أو البراكين:

**إن الـدسـاتـيـر لا تـعـطي أعـنّـتـهـا**

**إلا الأعـــاصـــيـــر من جنٍّ ومن بـــشـــرِ**

**من هـابط كـقـضـاء الـله مـكـتـسح**

**أو صـاعـد كـفم الـبـركـان مـنـفـجـر**

وفي الحرب العالمية الأولى رأى الشاعر فجائعها الإنسانية في وطنه ذاته، من جوع وعري ومرض في أوساط الفقراء، ومن احتكار وجشع واستغلال رهيب في

أوساط الأغنياء، ومن تعسف وانهيار للقيم المثلى في أوساط الحكام، فاهتاج هاجسه الجمالي غضبا وحقدا شريفا، وانبرى يتفجر قصائد من لهب ينصب نقمة على التمايز الطبقي، وعلى عسف الطبقات الحاكمة والمستغلة، وعلى الحرب ومشعلي نارها الشريرة، وعلى وحشية المنتفعين بها حتى انتهاك الحرمات الإنسانية.. إننا نحس الآن، ونحن نقرأ هذه القصائد الغاضبة، أن الشاعر يعاني فيها أزمة نفسية وعقلية أسلمته حينذاك الى حيرة مرهقة في تفسير المحنة البشرية تلك، حتى لنراه يلجأ في حيرته الى مثل هذه المناجاة:

**رب، لـــو شـــئت لمـــا ســـالت دمـــا**
**أمـــرك الأمـــر.. فـــمن ذا يـــنـــكـــر؟**
**ولمـــا يـــتِّم من قـــد يـــتِّـــمـــا**
**ولمـــا اســـتل الـــسلاح الـــعـــســـكـــر**
.....
.....
**من تـــرى يـــشـــرح لي ذنب الـــفـــقـــيـــر**
**أو ـ تـــرى ـ يـــظـــهـــر لي فـــضل الـــغـــني**
**يـــرثـــان الـــبـــؤس، والـــعـــيش الـــنـــضـــيـــر**
**ويـــقـــيـــمـــان مـــعـــا في الـــكـــفن؟**

(٤)

السمة الغنائية، بمفهومها المدرسي وبمفهومها الأعم، هي السمة الشائعة في شعر «الأخطل الصغير».. ولكن غنائيته هذه لم تستسلم ـ إلا قليلا ـ الى الخطابية، أو الى الخواء الفكري. ولقد استطاع أن يضفي على خطابيته حيث وجدت، أو على الخواء الفكري حيث وجد في شعره، تلك الخاصة الجمالية المستقلة التي اجتمعت لها مجموعة من العناصر أبعدت عن شعره، في الغالب، تلك العيوب التي تشوب غنائية الشعر العربي في الجيلين السابقين بالخصوص. من هذه العناصر: مزية الصدق، ومزية الصفاء النفسي والتعبيري، ومزية الجدة والطرافة لا في النغمة واللفظة والعبارة فحسب، بل في الصورة الشعرية

كذلك، وفي طريقة التصوير الإيحائي للموضوع الشعري. إن عنصر الجدة والطرافة هذا، بجملة مقوماته، كثيرا ما ينقذ شعره من النثرية، أو التقريرية، حين ينزلق إليهما.. فهناك، مثلا، ألوان من الغزل عنده لا تخرج بمضمونها عن الغزل التقليدي المكرور في شعرنا، ولكن خاصة «الأخطل الصغير» أنه يخلع على مثل هذا الغزل طرافة في التصوير وفي العبارة تهيئ له مناخا شعريا خاصا يخفي وجهه التقليدي حتى ليوحي لنا بأنه جديد.. نذكر من ذلك أبياته المشهورة المغناة التي مطلعها:

**بلغوها إذا أتيتم حماها**
**أنني مت في الغرام فداها**

فهنا لا تقبض اليد على أمر جديد إطلاقا من حيث المضمون العام، ولكن طريقته في وضع الحقيقة الشعرية في إطار يوم القيامة حيث يتصور أن النعيم يكون جزاؤه في جهاده وتكون النار جزاء الحبيبة، وحيث يتصور مناجاة مع الله متشفعا إليه ثم ضارعا:

**قلت: يا رب، أي ذنب جنته،**
**أي ذنب؟ لقد ظلمنا صباها..**
**أنت ذوبت في محاجرها السحر**
**ورصعت باللآلئ فاها**
**أنت عسَّلت ثغرها.. فقلوب الناس**
**نحل أكمامها شفتاها**
**أنت من لحظها شهرت حساما**
**فبراء من الدماء يداها..**

نقول إن وضعه الحقيقة الشعرية في هذا الإطار الطريف قد أنقذ الصورة من لونها القديم الحائل.. وقد رثى «الأخطل الصغير» صديقه حافظ ابراهيم، فراح يمعن في توليد الصور الشعرية، دون أن يخرج أيضا عن المضامين التقليدية في الرثاء، ولكنه أوتي القدرة على التفرد بسكب هذه المضامين في ألوان من الطرافة المحببة حتى تبدو ابتكارا.. فإذا بنا نحظى في هذه القصيدة بكثير من الصور الممتعة التي تشبه هذه الصورة:

**أنت والنيل ضفتان لمصر**
**تنبتان الأذواق والأرزاقا**

هــذه الخاصــة في تلوين الصــور الشعــريــة بالطرافة تكاد تكون أبرز خصائص شعره، وكثيرا ما يجلوها في إطار من الحوار القصصي على غرار قصيدته المشهورة «هند وأمها»:

**أتت هــنــد تــشــكــو الى أمــهــا**
**فــسـبــحــان من جــمع الــنــيــرين**
**فــقــالت لــهــا: إن هــذا الــضــحى**
**أتــاني، وقــبَّــلــني قــبــلــتــين**
**وفــرَّ، فــلــمــا رآني الــدجى**
**حــبَـاني من شــعــره خــصــلــتــين...** الخ.

ولكن تبقى حقيقة لا بد من جلائها في الحديث عن غزل بشارة الخوري. فليست الطرافة بذاتها كافية لإنارة السمات المميزة لهذا الغزل. ذلك بأن من مميزاته كذلك أنه ليس غزلا وصفيا تصويريا في الغالب، بل يغلب فيه التحول الى حركة وجدانية تتعمق الحس الجمالي في الداخل، وهذا التحول يجعل من الوصف الخارجي ظاهرة حركية تشارك مشاركة أساسية في التعبير عن امتلاء الوجدان بنبضات الشاعر الجمالية. وهذا ما أشرت إليه حين قلت، من قبل، إن الجمال والحب يجدان وحدتهما الكاملة دائما في شعر «الأخطل الصغير».. فماذا يعني أن يقول الشاعر، مثلا، وهو يتغزل:

**إيه ريــحــانــة الــريــاحــين فــيــضي**
**مــــرحــــاً، واملأي الجــــوانح وجــــدا**
**امــســحــي جــبــهــة الــظلام تــفضْ نــوراً**
**ومــرّي عــلــى الــصــخــور فــتــنــدى**

هل يعني مثل هذا التصور للجمال، سوى الشعور الداخلي بالاندهاش من روعة الجمال المعين؟

وماذا يعني مثل هذا «الوصف» لصوت مطرب:

**يـا غـابـة الـصـوت الـلـهـيف كـأنه**
**تحت الـظلام أشـعـة تـتـكـلمُ**

.....

.....

.....

**ثـمـلت بـه الأزهـار وهـي أجـنّـة**
**وتـشـوفت، فـانـشق عـنـهـا الـبـرعم**

هل هذا وصف وكفى؟ أم هو الدهشة الوجدانية أمام «غابة» من ينابيع النغم تندفق في مسمع الشاعر، فتنسكب في أوصاله ارتعاشا كانسكاب الشعاع المنعش، حتى يتصور هذا النغم يفعل فعل الشمس بالزهرة: تدركها في البرعم جنينا، فتتفتح زهرة كاملة من أثر الشعاع؟ أحسب أن الشاعر هنا لا يصف الصوت نفسه بقدر ما «يصف» أثر الصوت في وجدانه.. وكلمتا: «الغابة» و «اللهيف» في هذه الصورة، لا تعنيان دلالتهما الحرفية، بل دلالتهما في تصور الشاعر الخاص..

وفي هذا المجال لا بد أن تحضرنا قصيدة «عمر ونعم».. فقد أعاد الى عصرنا صورة من ابن أبي ربيعة في رائيته الطريفة، وجلا منها مشاهد غزلية بطرافة جديدة، هي طرافة «الأخطل الصغير» بخصوصها وخصائصها، وهي - أي قصيدة «الأخطل الصغير» - تضيف الى متعة الطرافة المتجددة إضاءات فنية هامسة ومقنعة في آن.

(٥)

تستوقفنا في هذه «الرحلة» مشاهد ملحمية، دون أن تغرينا بالقول إن شاعرنا قد جمع بين الطرفين المتباعدين: الغنائية والملحمية.. لا، فإنهما طرفان متباعدان بالفعل، وليس لشاعر أن يكون غنائيا وملحميا معا، ولكن قد يلتقيان التقاء عفويا عابرا ثم يفترقان، فالشاعر الغنائي لا يقوى على احتمال الأبعاد الموضوعية الشاسعة للملحمة.. والشاعر الملحمي لا يقوى على احتمال الانفعالات الذاتية الغنائية القصيرة الأنفاس..

أما «الأخطل الصغير» فشاعر غنائي وحسب. وإننا لنرتكب نوعا من الاعتباطية والتمحل إذا نحن أضفنا الى طبيعته، طبيعة أخرى ليست منه ولا هو منها.. غير أن ذلك لا ينفي أن يمتد نفسه، في بعض حالاته الشعرية الغنائية ذاتها، الى مدى يتيح له ان يجول جولة ملحمية موفقة، ولكن بخطى موقعة توقيعا غنائيا يعوقه عن الوثبات المغامرة، بل يرده سريعا الى أصالته الغنائية.. وقد تكون جولته الملحمية في ذكرى المتنبي هي الجولة الوحيدة التي يخطو فيها خطوات تقرب من المغامرات الملحمية.. ولعل رفقة المتنبي، في هذه القصيدة العامرة، قد وضعت «الأخطل الصغير» في جو خاص أحمى ذراعيه لخوض المغامرة بعض وقت.. أما جولته الأخرى في ذكرى الفردوسي فكانت أقصر من تلك في شوطها الملحمي، ولكنها جولة ممتعة بما امتزج فيها من عبق الشعر وروعة الموكب الكسروي وجلال الفتح الإسلامي العربي.. وفي رثائه للزهاوي نفحات ملحمية غنائية مزدوجة، ولا نقول جولات ملحمية. والواقع أن هذه المرثاة مع كونها مفعمة بحرارة الصدق والانفعال العاطفي، هي كذلك أشبه برحلة للفكر والشعر معا رفيقين حميمين يمضيان يدا بيد على وئام وانسجام يطوفان في دنيوات شتى من تاريخ الحضارة العربية والأدب العربي، ومن دنيا الصحراء العربية، ثم دنيا الجحيم حيث يلتقيان «دانتي» و المعري» يسألانهما:

**أحـــقـــيـــقـــة عـــرفـــا لـــظى؟**
**ام وصف مـــبـــتـــدعٍ نجـــيبِ**

هو تطواف سريع خفيف المشقة، ولكنه مثقل بزادين دسمين لذيذين: زاد المعرفة، وزاد الفن المشبع بالبهجة والنقاء. هو ذا رثاء يتميز بالتفرد في نهجه وبساطته واستيعابه خصائص الموضوع بكاملها من غير تهويل ولا افتعال، تمشي في نواحيه لمحات ملحمية ولمعات غنائية منسكب بعضها في بعض كانسكاب الماء العذب بالخمرة المروّقة.

(٦)

في شعر «الأخطل الصغير» ظاهرة أخرى تسري في لفظاته وصوره ومعانيه ودلالاته، فتزيد الألفة الحميمة بينها جميعا ألفة أسمى وأوثق.. هي ظاهرة الطيبة

خالصة من الدخائل السود، ومن العقد النفسية. ولم يكن مبالغا ولا مدعيا حين وصف هو هذه الطيبة في مهجته:

**مهجة كالرياض يغمرها النور**
**ويرتد عن سماها الظلام**

ومن هذا المصدر الروحي ينبع الابتسام دائما في شعره.. ينبع حتى من خلل الدمع، بل نادرا ما نجد ابتسامة فيه لا تنبثق من دمعة:

**في دمع بسمتها وفي صلواتها**
**نعمى تطل على العزاء وتشرقُ**



**قالوا الربيع، فقلت ما أنكرته**
**رشف الدموع وردّهن تبسما**



**يغسل الأنفس الجريحة بالدمع**
**فيكسو تلك الجراح افترارا**



**هذا الذي لمس الآلام فابتسمت**
**جراحها، ثم ذابت في محاجره**



**صمت يفيض بيانا**
**ودمعة تتبسَّم**



**كم من زغاريد عرس**
**نزعت من فم مأتم**

الخ.. الخ..

يصعب التسليم بأن ظاهرة هذا الاقتران دائما بين الدمع والابتسام، أو بين الحزن والفرح، أو بين المأتم والعرس، في شعر «الأخطل الصغير»، ليست أكثر من ظاهرة لفظية «بديعة» من فصيلة «الطباق» التزييني.. يصعب التسليم بهذا القول، لأن نقاوة شعره وصفاءه وأصالته، لا تسمح بتكلف مثل هذا الافتعال الشكلي المتكرر دون خلفية نفسية ثابتة.. إن هذه الظاهرة ـ في استنتاجي ـ هي ظاهرة انعكاس فني عفوي عن مزاج الشاعر، أعني تلك الطيبة التي يبدو أنها لم تقتصر على أن تحول الظلمة في نفسه الى ضياء دائما، بل لعلها تحولت عنده كذلك الى لون من المزاج الفلسفي المتفائل، سواء بعفوية خالصة أم بوعي وتأمل.

(٧)

وفي هذه المرحلة من رحلتنا في شعر «الاخطل الصغير» تتكشف لنا، أخيرا، ظاهرة تطور في بناء القصيدة عنده بالنسبة لجيله.. وقد يكون هذا الجانب منه عسير الرؤية لنا الآن في منظار المقاييس البنائية المعاصرة، ولكن من اليسير جدا رؤيته إذا نظرنا الى الأمر في إطاره الزمني الخاص. ففي هذا الإطار نستطيع أن نضع البناء الشعري عند «الأخطل الصغير» في مكان يشير الى الإرهاص بالتطور البنائي المعاصر نفسه. فإن شعره من هذه الجهة يمكن حسبانه حلقة اتصال بين عهدين لبناء القصيدة العربية: عهد كان فيه البيت بذاته وبمفرده هو الوحدة البنائية الأساسية في القصيدة، وعهد أصبحت فيه القصيدة بمجملها، ككل، تعتبر بناء واحدا متكاملا لا يؤدي فيه البيت، أو لا تؤدي فيه التفعيلات المتلاحقة، سوى دور الجزء في بناء الكل، على أن يكون كل جزء في مكانه الخاص به من هذا البناء، بحيث لو أخرج من هذا المكان الى مكان آخر في القصيدة لحدث الخلل في بناء القصيدة بكامله، ولتغير مدلول الفكرة نفسها، أو مضمون التجربة، أو نوع العلاقة بين ذات الشاعر والموضوع الشعري، أو النسيج الفني بكامل علاقاته الجمالية..

ونحن، في ضوء هذا المفهوم البنائي المعاصر، لا نستطيع القول بأن شعر «الأخطل الصغير» قد بلغ هذه المرحلة من التطور البنائي. وإنما الذي يمكن قوله أن هذا

الشـعر قد خطا خطوة تطورية ملحوظة في هـذا المجـال، بمعـنى أن قصـيدة «الأخطل الصغير» جاءت لتعبر عن فكرة واحدة تقريبا، أو تجربة واحدة، أو لتدور على موضوع واحد، ولكن بقيت فيها بقية من العاهة البنائية القديمة في الشعر العربي، بحيث لو غيرنا وضـع هذا البيت وذاك، أو وضع هذا المقطع وذاك، في هيكل القصيدة الواحدة، لما اختلف الأمر كثيرا في تركيب الهيكل الكلي للقصيدة. على أن الخطوة التي أحدثتها قصيدة «الأخطل الصغير» كانت تجديدا واضحا يستحق الدرس الجدي.

(٨)

وختاما لرحلتنا هذه، لا أكتم جامعي «شعر الأخطل الصغير» وناشريه بصورته التي ظهرت عام الاحتفال لتكريمه على النطاق العربي منذ سنوات ـ لا أكتمهم عتبا يدنو من الملامة على كونهم أغفلوا عند جمعه ونشره، ذكر المناسبات والأحداث والتواريخ التي تتصل بهذا الشعر ويتصل بها، ويستمد منها مناخه الوجداني ودلالاته الشعرية، كما أغفلوا ذكر الأشخاص ذوي العلاقة بهذا المناخ وهذه الدلالات. لا ندري كيف ارتضوا هذا الإغفال وهم يعلمون ـ دون شك ـ أن ذلك سيحرم الدارسين والباحثين والنقاد في الأجيال اللاحقة رؤية الأطر التاريخية والمناخات الإنسانية الخاصة التي تمدهم بالعون على استكشاف الأبعاد الخفية الجوهرية التي يترامى إليها شعر «الأخطل الصغير»؟.

إننا نرجو أن يستدرك هذا الأمر في طبعة جديدة أكثر شمولا واستيعابا لشعر شاعرنا الكبير الراحل.

**حسين مروة**

****

# شعر الأخطل الصغير
# شاهد لعصره

روز غريّب

إذا كان في وسعنا أن ندرس بعض الشعراء أو الأدباء بمعزل عن عصرهم، لأنهم انسلخوا من البيئة أو اعتكفوا في محراب الذات أو غرقوا في دنيا الخيال والأسطورة، فليس بشارة الخوري واحداً من هؤلاء، ولا نستطيع أن نتصوره منفصلا عن زملائه المخضرمين: شوقي وحافظ ومطران والزهاوي، شبلي ملاط والياس فياض ونقولا أخوه، هؤلاء الذين تقاربت معانيهم كما تقارب عهدهم، فمدحوا ورثوا وافتخروا نظير أسلافهم القدامى، فإذا قال شوقي:

**كان شعري الغناء في فرح الشرق**
**وكان العزاء في أحزانه**

قال بشارة الخوري:

**أنا في شمال الحبّ قلبٌ خافقٌ**
**وعلى يمين الحق طيرٌ شادي**
**غنيّتُ للشرق الجريح وفي يدي**
**ما في سماء الشرق من أمجاد**

في هذه الأبيات وما يشبهها نلمح صلة المخضرمين بالقدماء من ناحيتين: ناحية الفخر بالذات وبالأمجاد الماضية، وناحية الأسلوب الخطابي المنبري الذي ربط الفريق الثاني بأهل البلاط والفريق الأول بالجماهير.

■ شعر، خريف ١٩٦٨، عدد٤٠ ، ص١٢٥.

كان المخضرمون يقطفون ثمار البعث اللغوي الذي تمخض به القرن التاسع عشر، فيتنخلون ألفاظهم ويختارون أفضلها تعبيراً. وبهم استعادت الفصحى زهوها وتاهت برجوع عرشها المفقود.

وقد انفتحت أمامهم أبواب الثقافات الأجنبية فاقتبسوا وترجموا. وكثيراً ما يستوقفنا في شعرهم معنى طريف أو صورة جديدة، حتى نكتشف لهما أصلا في الشعر الفرنسي أو سواه من شعر الأمم الأخرى. لكن المخضرمين حرصوا في ترجماتهم على نقل المعنى دون الأسلوب، وربما تصرفوا في الأصل فكانوا معرِّبين أكثر منهم مترجمين.

وكان للشعر في عهدهم سوق رائجة، إذ كان عهد يقظة ووعي سياسي واجتماعي، نافس فيه الشاعر الصحفي في التعبير عن أماني الشعب وحاجات العصر. فهو بلبل المجالس وأمير المنابر، وشعره للناس لهو رفيع يفيئون إليه في أفراحهم وأحزانهم، بل هو عنصر أساسي في حياتهم الاجتماعية والثقافية، ومن أدركته حرفة الأدب ولم يمارس النظم لم يلق عندهم حظوة أو تقديراً.

في هذه البيئة التي سيطرت عليها عقلية القدماء نشأ «الأخطل الصغير» فتوفر على درس اللغة وآدابها حتى أحكم أساليبها ودانت له شواردها. وصح عزمه على مزاولة الشعر رغم نصيحة زميله الشاعر اسكندر عازار بأن يكتفي بالصحافة. ولفت بشارة أنظار زملائه بغزله الرقيق، وما لبث حتى أصبح شاعر مجالس الخمر والغزل، بعث فيها جو الموشحات بصورها المرحة المشرقة وموسيقاها العذبة، ولكن دون ركاكتها وابتذالها:

**صدّاح يا مؤنس هذي الأراكْ ما لـــــي أراك**
**تشدو فسبحان الذي قد براك**
**تستقبل الفجر بصوتٍ رخيم يحيي الرميـــم**
**وتلثم الزهر بثغر بسيـــــم لثم النسيـــــم**

ولم يكتف بالغزل بل خاض غمار الشعر الوطني، وطرق الموضوعات الاجتماعية التي فرضتها مآسي الحرب العالمية، وحلق في وصف مظاهر البؤس وأحوال الجهاد وعبّر عن رأيه في الشعر بقوله:

**وهل الشعر غير ما امتلك النف**
**س فحلًّى كأساً وحلَّ وثاقا**

وتناقلت شعره الأفواه واشتهرت مراثيه حتى انتدبه لبنان لتمثيله في حفلات تأبين الزعماء والمجاهدين في الأقطار العربية. فرثى فيصلا والزهاوي، وشوقي وحافظ وسعداً، وفوزي الغزي وإبراهيم هنانو، وأصبح رسول لبنان إلى الأقطار الشقيقة والنافخ في بوق القومية والإخاء العربي.

في مراثيه لمشاهير العرب، وهي أبرز ما في ديوانه، يغلو غلو شعراء المدح والرثاء ويتغنى بأمجاد الماضي، يقول في رثاء شوقي:

**قفْ في ربى الخلد واهتف باسم شاعره**
**فسدرة المنتهى أدنى منابرهِ**

ومنها:

**ما للملاعب في لبنان مقفرةً**
**وللمناهل عُطلا من حرائره**
**وللمآذن في الفيحاء كاسفة**
**كخاشع السرو في داجي مقابره**
**وللأصائل والأسحار أثخنها**
**عاتٍ من الريح إرهاقاً بحافره**
**وللجداول أنّاتٌ مجرّحة**
**كأنها حملٌ في كف ناحره**

أما وجدانياته فألم وشكوى وسهاد:

**يا ظلمةً في خاطري مثلها**
**لله ما أكثف هذا الجناحْ**

أحـــالـــنـي الـــهمّ إلى لـــيـــلـــة
مـــاطـــرةٍ تـــعـــصف فـــيـــهـــا الـــريـــاح!

وتهالُكٌ على الخمر يُغرق فيها أحزانه:

أدر عـلـيـنـا من الـصـهـبـاء أفـتـكـهـا
وخـــدّر الـــعـــصب المحـــمـــوم بـــالـــنـــغم
قـد يـشـرب الخـمـر من تـغـلـو الـهـمـوم به
وقـــد يـــغـــنّي الـــفـــتى من شـــدةِ الألم

شعر الحب عنده مقطوعات وقصائد يجسّد فيها افتتانه بالجمال، لكن المرأة تظل في شعره خداً وشعراً وعطرا، عيونها عيون المها، وجيدها جيد الظبا، كما كانت عند قدامى الغزليين. والشاعر عاشق موله، معاتب أو باكٍ كشعراء بني عذرة. وربما لمحنا في شعره أثر تأليه المرأة على طريقة الرومنطيين أو تغنياً بالطهر والبراءة على مثال المتعبّدين:

مَنْ ملاك في بـــردتـــيـــهـــا مـــقـــيمُ
جـــســـدٌ طـــاهـــرٌ وخـــلـــق كـــريمُ
ومـحـيّـا فـيـه تـرى الحسن حـيّـا

وللأخطل الصغير من القديم إيجاز العربية الأصيلة، واستقلال البيت مع وحدة الموضوع، وخصب القوافي ورشاقتها، وإقحام الحكم والتعليقات، والصور التقليدية من نجوم وطيور وزهر وظباء ودهر وليال. وهو يجاري شوقي في إحياء القديم، واغتراف صور الفخامة والجلال، والإكثار من الإشارات الدينية، وعرض صور التاريخ والجن والملائكة:

كـــفـــنـــوا الـــشـــمس بـــريـــحـــان وورس
يـــا لـــشـــمسٍ آذنَتْ من عـــبـــد شـــمسِ!
.....
وامـسح جـبـيـنك بـالـركن الـذي انـبـلـجت
أشـــعـــةُ الـــوحي شـــعـــراً من مـــنـــائـــره!
.....

يـــثـــربٌ والـــقـــدسُ مـــنـــذ احـــتـــلـــمـــا
كـــعـــبـــتـــانـــا وهـــوى الـــعُـــرب هـــوانـــا

على أن الأخطل يبز شوقي في اختيار اللفظ الأنيق وتجويد الصنعة واجتناب الحشو والترادف. فترد له ألفاظ هفافة مثل: جدول تمتام، رفارف خضر، شفّافة اللمحات، نيّرة الأمل، عبقري الجناح، مارد القلب...

وإذا كان شوقي شاعر بيت، يجيد في بعض أجزاء القصيدة لا في جميعها، فالأخطل الصغير شاعر قصيدة، يصوغ الجياد من قصائده صياغة محكمة فلا يُسِفّ ولا يعتريه كلال أو هبوط.

شعره في الطبيعة قليل لكن الطبيعة حاضرة أبداً في شعره، فلا تخلو قصيدة له من جدول يترقرق، ونجم يزهر، وورد يزهو، وجناح يرف. يأخذ الصورة القديمة فينفخ فيها حياة جديدة:

عـشتَ فـالـعب بـشـعـرهـا يـا نـسـيم
واضـــحـــكي في خـــدودهـــا يـــا نجـــومُ!

الشعر والخدود والنسيم والنجوم صور قديمة لكنه منحها حركة ومرحاً فعاشت. كذلك قصيدة «الصبا والجمال» التي لحنها عبدالوهاب، دراما أبطالها الحُسْن والصبا والهزار والروض والورد والفراشات، أشخاص يتكلمون ويتحركون، يصارعون أهواءهم ويسقطون صرعى دونها.

إن الميزة الدرامية من عوامل إبداعه في الوصف الذي يُعد اللون الغالب في شعره. راجع وصفه لمهجة الشاعر (ص٥١ من «شعر الأخطل الصغير») وللمسلول (ص٢٣٤) ولشقاء الشاعر في «الجدول الوديع» (ص٣١) و «الطائر السجين» (ص١١١) و «تحت الأنقاض» (ص١١٤) فلا يسعك إلا الإقرار بأن بشارة الخوري شاعر الوصف.

وإليك هذه اللوحة الدرامية، مسرحها الصحراء التي قطعها مسافراً إلى بغداد ليرثي الزهاوي:

بـــغـــدادُ مـــا حـــمـل الـــســـرى
مـــــني ســـــوى شـــــبـح مُـــــريبِ

جـــفـــلـت لـه الـــبـــيـــداء والـ
ـــتـفَتَ الـكـثـيب إلى الـكـثـيب
وتـــنـــصَّـــتت زمـــرُ الجـــنـــا
دب من فـــويـــهـــات الـــثـــقـــوب
يـــتـــســـاءلـــون وقـــد رأوا
قـــيس المـــلـــوّح في شـــحـــوبي
والـــتـــمـــتـــمـــات عـــلى الـــشـــفـــا
ه مـــضـــرجـــات بـــالـــنـــســـيب
يـــتـــســـاءلـــون من الـــفـــتى الـ
ـــعـــربي في الـــزي الـــغـــريب؟

ومنها:

مـــــا زلت ألمحـــــهـــــا عـــــلى
لـــبـــنـــان طـــافـــرة الـــوثـــوب
من مـــعـــصم الـــنـــبع الـــدفـــيـ
ـق لمـــعـــطف الـــغـــصن الـــرطـــيب

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن تحليقه في الوصف يجعل من مراثيه ومدائحه لوحات زاخرة بالحركة والألوان ويخرجها من نطاق التقليد. وقد يكون لغلبة التصوير والإيقاع على شعره يد في نفوره من الفلسفة والتأمل، فإذا عمد إليهما اكتفى بأن يعترف بعجزه عن اختراق حجب الغيب. راجع قصيدة «الهازئ العظيم» ويعني به الكون المغلق الذي يضن بأسراره، ومناجاته للشعراء المتفلسفين أمثال المعري والزهاوي.

لا نلمح عند شاعر الهوى والشباب تأثير الشعر الفرنسي الذي عرَّب منه بضع قصائد ومقطوعات، إلا في القليل من شعره. في قصيدة «يا هند قد ألِف الخميلة بلبلٌ» نراه، على مثال الرومنطيين، يعبّر عن حاله بطريقة المداورة. يجسد ذاته في البلبل السجين فيتوسع في وصفه ويقول ختاماً: «إن يكنْ هو مذنباً فإني ذاك المذنب». كذلك في قصيدة «الجابي» شكوى من الفقر والضرائب، تتخذ قالباً حوارياً طريفاً، إذ يتخيل

الجابي طارقاً بابه عند الفجر، ناعباً كالغراب، فيحاوره ويشرح له حاله ويسمع في آخر كل مقطوعة من القصيدة عبارة «أنا الجابي» تتردد بعناد وسخرية، كما في بعض الأغنيات الشعبية، أو بعض شعر الرومنطيين.

وصفه لكتاب «الجبل الملهم» ، ديوان شارل قرم، مجموعة صور رعوية بليغة التعبير عن مضمون الكتاب. وفي «مؤتمر الجماد» من ملحمة «الحرب العظمى ١٩١٤»، يدير حواراً بين المواد التي سخرها الإنسان للقتل والدمار: الفولاذ، الخشب، الكهرباء، البارود، جميعها تتهم الإنسان وتشكو جهله وظلمه. فأسلوبه هنا واضح الجدة.

كان أيضاً من المجددين في الشعر القصصي الذي شق طريقه خليل مطران، اقتداءً ببعض الشعراء الفرنسيين، واتخذه منبراً للعظة والنقد الاجتماعي. وقد استهوى شاعرنا هذا اللون فنظم فيه بضع قصائد منها «سلمى الكورانية»، و «ربِ قل للجوع»، و «الفردوسي»، و «عروة وعفراء»، و «المسلول». وهي قصائد تتفاوت حسناً، وبعضها ذو أسلوب سردي رتيب ينقذه حسن الصياغة والإيقاع. لكن قصيدته المشهورة «المسلول» تتميز بتنويع الكلام بين وصف حي مثير وحوار طويل النفس. وإذا أضفنا إلى العنصر الدرامي في القصيدة ميزاتها الأخرى من اقتصاد في اللفظ وشاعرية في العبارة وسحر في الإيقاع، فهمنا لماذا تتمتع قصيدة «المسلول» بشعبية وإعجاب يقاومان الزمن.

لم تقم شهرة الأخطل الصغير وشعبيته على المقطوعات الغنائية التي لحنها له عبدالوهاب، كما يظن البعض، ولا على المراثي التي نظمها في قادة الفكر والسياسة وتركت دوياً في العالم العربي، كما يظن آخرون، بل على إدراكه سر التأليف بين الألفاظ. وقد جعله عبدالقاهر الجرجاني محور البلاغة ووصفه بقوله: أن يكون الكلام شبيهاً بما يصنعه الصانع حين يأخذ كِسراً من الذهب فيذيبها ويصبّها في قالب ويخرجها سواراً أو خلخالاً، فإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار.

هكذا الجيد من شعره. ينم عن ذوق في اختيار اللفظة ورصفها، بحيث تتوفر في أبياته المتانة والانسجام والإيقاع. فلو قرأت له الموشحة التي منها:

**املأ الكأس ابتساما وغراما فلقد نـام الندامى والخزامـى**

**زحم الصبحُ الظلاما فإلاما**

لرأيت الشاعر واءم بين المعاني والأصوات، فجانس حيث يحسن الجناس، فلا يبدو نابياً مع أنه آفة عصور التصنع. وزاوج بين صور متلائمة واختار لفظة «زحم» التي لا تجاريها لفظة أخرى في موضعها.

وإليك هذه المقطوعة الأخرى من قصيدته الملحمية في ثورة فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٧:

**غـذّت الأحـداثُ مـنـا أنـفـسـا**

**لم يـزدهـا الـعـنف إلا عـنـفـوانـا**

**شـرفٌ لـلـمـوت أن نـطـعـمه**

**أنـفـسـاً جـبـارةً تـأبى الـهـوانـا**

**وردةٌ من دمـنـا فـي يـده**

**لـو أتى الـنـار بـهـا حـالت جـنـانـا**

**يـا جـهـاداً صـفّق المجـدُ له**

**لـبس الـغـارُ عـلـيه الأرجـوانـا**

يستوقفك حسن الجمع بين العنف والعنفوان، وكأن امتداد اللفظة الثانية وجزالتها يوحيان بطول المقاومة وشدتها. وتلاحظ جزالة الحروف في الأبيات الأخرى وتكرر حروف قوية كالدال في البيت الثالث. كما تلاحظ رشاقة القافية وحسن المزاوجة بين الغار والأرجوان في البيت الأخير، ويثيرك ما يشيران إليه من معان.

ولا يفوتنا أن نشير إلى صفة أخرى يتميز بها شعر بشارة الخوري، هي الإيقاع أو الموسيقى اللفظية التي يحرص على إبرازها في شعره، لا عن رغبة جوفاء في الغناء بل لتسهم مع التصوير في التعبير عن معانيه. فهو حين يقول:

**يـــا ربُى لا تـــتـــركي ورداً ولا تـــبـــقي أقـــاحـــا**
**مـــشت الـــشـــام إلى لـــبـــنـــان شـــوقـــاً والـــتـــيـــاحـــا**
**فـــافـــرشي الـــطـــرق قـــلـــوبـــاً وثـــغـــوراً وصـــداحـــا**

تحس في الرمل المجزوء والقافية المنبسطة والألفاظ المتواثبة ما يحسه الشاعر من طرب وانفعال من نشوة السرور أو نشوة الشعر.

كان عهد الأخطل الصغير عهداً حُسب فيه الشعر صياغة كلاسيكية ولفظة مختارة وإيقاعاً مطرباً ومعنى معجبا. وقد عاش شاعرنا حتى أدرك فئة المجددين من شعراء المهجر وشعراء لبنان المقيم، الذين هاجموا شعره، لا لأسلوبه التقليدي وقد لمسنا فيه تجديداً وطابعاً ذاتياً، ولكن هاجمه المفكرون لضآلة الفكر في شعره، واتباع الرومنطية لمادية غزله. كما هاجمه رواد الشعر الذاتي لأنه سخر شعره للرثاء وحفلات التكريم، وقاس بعضهم شعره بمقاييس غربية، فوجدوه شعراً صريح العبارة، لا أثر فيه للحلم والرؤيا والرمز والإغراب التصويري والتعبير اللامباشر فأنكروه. وعارضهم المحافظون بقولهم إن الشعر العربي لا يقاس بمقاييس غربية، فرد عليهم أولئك وقالوا إن الشعر يجب أن يتطور لأنه إذا لم يتطور يموت. وهو ما دام عاجزاً عن التطور بوسائل ذاتية فلا بد له من اعتماد أساليب ومقاييس غربية. والجدال بين الفريقين لم ينتهِ بعد، رغم رجحان كفة المجددين في العالم العربي. لكن هذا موضوع آخر.

**روز غريّب**

****

ابيض

# شعر الأخطل الصغير
# شاهد لعصره

روز غريّب

إذا كان في وسعنا أن ندرس بعض الشعراء أو الأدباء بمعزل عن عصرهم، لأنهم انسلخوا من البيئة أو اعتكفوا في محراب الذات أو غرقوا في دنيا الخيال والأسطورة، فليس بشارة الخوري واحداً من هؤلاء، ولا نستطيع أن نتصوره منفصلا عن زملائه المخضرمين: شوقي وحافظ ومطران والزهاوي، شبلي ملاط والياس فياض ونقولا أخوه، هؤلاء الذين تقاربت معانيهم كما تقارب عهدهم، فمدحوا ورثوا وافتخروا نظير أسلافهم القدامى، فإذا قال شوقي:

**كان شعري الغناء في فرح الشرق**
**وكان العزاء في أحزانه**

قال بشارة الخوري:

**أنا في شمال الحبّ قلبٌ خافقٌ**
**وعلى يمين الحق طيرٌ شادي**
**غنيّتُ للشرق الجريح وفي يدي**
**ما في سماء الشرق من أمجاد**

في هذه الأبيات وما يشبهها نلمح صلة المخضرمين بالقدماء من ناحيتين: ناحية الفخر بالذات وبالأمجاد الماضية، وناحية الأسلوب الخطابي المنبري الذي ربط الفريق الثاني بأهل البلاط والفريق الأول بالجماهير.

■ شعر، خريف ١٩٦٨، عدد٤٠ ، ص١٢٥.

كان المخضرمون يقطفون ثمار البعث اللغوي الذي تمخض به القرن التاسع عشر، فيتنخلون ألفاظهم ويختارون أفضلها تعبيراً. وبهم استعادت الفصحى زهوها وتاهت برجوع عرشها المفقود.

وقد انفتحت أمامهم أبواب الثقافات الأجنبية فاقتبسوا وترجموا. وكثيراً ما يستوقفنا في شعرهم معنى طريف أو صورة جديدة، حتى نكتشف لهما أصلا في الشعر الفرنسي أو سواه من شعر الأمم الأخرى. لكن المخضرمين حرصوا في ترجماتهم على نقل المعنى دون الأسلوب، وربما تصرفوا في الأصل فكانوا معرِّبين أكثر منهم مترجمين.

وكان للشعر في عهدهم سوق رائجة، إذ كان عهد يقظة ووعي سياسي واجتماعي، نافس فيه الشاعر الصحفي في التعبير عن أماني الشعب وحاجات العصر. فهو بلبل المجالس وأمير المنابر، وشعره للناس لهو رفيع يفيئون إليه في أفراحهم وأحزانهم، بل هو عنصر أساسي في حياتهم الاجتماعية والثقافية، ومن أدركته حرفة الأدب ولم يمارس النظم لم يلق عندهم حظوة أو تقديراً.

في هذه البيئة التي سيطرت عليها عقلية القدماء نشأ «الأخطل الصغير» فتوفر على درس اللغة وآدابها حتى أحكم أساليبها ودانت له شواردها. وصح عزمه على مزاولة الشعر رغم نصيحة زميله الشاعر اسكندر عازار بأن يكتفي بالصحافة. ولفت بشارة أنظار زملائه بغزله الرقيق، وما لبث حتى أصبح شاعر مجالس الخمر والغزل، بعث فيها جو الموشحات بصورها المرحة المشرقة وموسيقاها العذبة، ولكن دون ركاكتها وابتذالها:

**صدّاح يا مؤنس هذي الأراكْ ما لـــــي أراك**
**تشدو فسبحان الذي قد براك**
**تستقبل الفجر بصوتٍ رخيم يحيي الرميـــم**
**وتلثم الزهر بثغر بسيـــــم لثم النسيـــــم**

ولم يكتف بالغزل بل خاض غمار الشعر الوطني، وطرق الموضوعات الاجتماعية التي فرضتها مآسي الحرب العالمية، وحلق في وصف مظاهر البؤس وأحوال الجهاد وعبّر عن رأيه في الشعر بقوله:

**وهل الشعر غير ما امتلك النف**
**س فحلًّى كأساً وحلَّ وثاقا**

وتناقلت شعره الأفواه واشتهرت مراثيه حتى انتدبه لبنان لتمثيله في حفلات تأبين الزعماء والمجاهدين في الأقطار العربية. فرثى فيصلا والزهاوي، وشوقي وحافظ وسعداً، وفوزي الغزي وإبراهيم هنانو، وأصبح رسول لبنان إلى الأقطار الشقيقة والنافخ في بوق القومية والإخاء العربي.

في مراثيه لمشاهير العرب، وهي أبرز ما في ديوانه، يغلو غلو شعراء المدح والرثاء ويتغنى بأمجاد الماضي، يقول في رثاء شوقي:

**قفْ في ربى الخلد واهتف باسم شاعره**
**فسدرة المنتهى أدنى منابرهِ**

ومنها:

**ما للملاعب في لبنان مقفرةً**
**وللمناهل عُطلا من حرائره**
**وللمآذن في الفيحاء كاسفة**
**كخاشع السرو في داجي مقابره**
**وللأصائل والأسحار أثخنها**
**عاتٍ من الريح إرهاقاً بحافره**
**وللجداول أنّاتٌ مجرّحة**
**كأنها حملٌ في كف ناحره**

أما وجدانياته فألم وشكوى وسهاد:

**يا ظلمةً في خاطري مثلها**
**لله ما أكثف هذا الجناحْ**

أحـــالـــنـي الـــهمّ إلى لـــيـــلـــة
مـــاطـــرةٍ تـــعـــصف فـــيـــهـــا الـــريـــاح!

وتهالُكٌ على الخمر يُغرق فيها أحزانه:

أدر عـلـيـنـا من الـصـهـبـاء أفـتـكـهـا
وخـــدّر الـــعـــصب المحـــمـــوم بـــالـــنـــغم
قـد يـشـرب الخـمـر من تـغـلـو الـهـمـوم به
وقـــد يـــغـــنّي الـــفـــتى من شـــدةِ الألم

شعر الحب عنده مقطوعات وقصائد يجسّد فيها افتتانه بالجمال، لكن المرأة تظل في شعره خداً وشعراً وعطرا، عيونها عيون المها، وجيدها جيد الظبا، كما كانت عند قدامى الغزليين. والشاعر عاشق موله، معاتب أو باكٍ كشعراء بني عذرة. وربما لمحنا في شعره أثر تأليه المرأة على طريقة الرومنطيين أو تغنياً بالطهر والبراءة على مثال المتعبّدين:

مَنْ ملاك في بـــردتـــيـــهـــا مـــقـــيمُ
جـــســـدٌ طـــاهـــرٌ وخـــلـــق كـــريمُ
ومـحـيّـا فـيـه تـرى الحسن حـيّـا

وللأخطل الصغير من القديم إيجاز العربية الأصيلة، واستقلال البيت مع وحدة الموضوع، وخصب القوافي ورشاقتها، وإقحام الحكم والتعليقات، والصور التقليدية من نجوم وطيور وزهر وظباء ودهر وليال. وهو يجاري شوقي في إحياء القديم، واغتراف صور الفخامة والجلال، والإكثار من الإشارات الدينية، وعرض صور التاريخ والجن والملائكة:

كـــفـــنـــوا الـــشـــمس بـــريـــحـــان وورس
يـــا لـــشـــمسٍ آذنَتْ من عـــبـــد شـــمسِ!
.....
وامـسح جـبـيـنك بـالـركن الـذي انـبـلـجت
أشـــعـــةُ الـــوحي شـــعـــراً من مـــنـــائـــره!
.....

يـــثـــربٌ والـــقـــدسُ مـــنـــذ احـــتـــلـــمـــا
كـــعـــبـــتـــانـــا وهـــوى الـــعُـــرب هـــوانـــا

على أن الأخطل يبز شوقي في اختيار اللفظ الأنيق وتجويد الصنعة واجتناب الحشو والترادف. فترد له ألفاظ هفافة مثل: جدول تمتام، رفارف خضر، شفّافة اللمحات، نيّرة الأمل، عبقري الجناح، مارد القلب...

وإذا كان شوقي شاعر بيت، يجيد في بعض أجزاء القصيدة لا في جميعها، فالأخطل الصغير شاعر قصيدة، يصوغ الجياد من قصائده صياغة محكمة فلا يُسِفّ ولا يعتريه كلال أو هبوط.

شعره في الطبيعة قليل لكن الطبيعة حاضرة أبداً في شعره، فلا تخلو قصيدة له من جدول يترقرق، ونجم يزهر، وورد يزهو، وجناح يرف. يأخذ الصورة القديمة فينفخ فيها حياة جديدة:

عـشتَ فـالـعب بـشـعـرهـا يـا نـسـيم
واضـــحـــكي في خـــدودهـــا يـــا نجـــومُ!

الشعر والخدود والنسيم والنجوم صور قديمة لكنه منحها حركة ومرحاً فعاشت. كذلك قصيدة «الصبا والجمال» التي لحنها عبدالوهاب، دراما أبطالها الحُسْن والصبا والهزار والروض والورد والفراشات، أشخاص يتكلمون ويتحركون، يصارعون أهواءهم ويسقطون صرعى دونها.

إن الميزة الدرامية من عوامل إبداعه في الوصف الذي يُعد اللون الغالب في شعره. راجع وصفه لمهجة الشاعر (ص٥١ من «شعر الأخطل الصغير») وللمسلول (ص٢٣٤) ولشقاء الشاعر في «الجدول الوديع» (ص٣١) و «الطائر السجين» (ص١١١) و «تحت الأنقاض» (ص١١٤) فلا يسعك إلا الإقرار بأن بشارة الخوري شاعر الوصف.

وإليك هذه اللوحة الدرامية، مسرحها الصحراء التي قطعها مسافراً إلى بغداد ليرثي الزهاوي:

بـــغـــدادُ مـــا حـــمـل الـــســـرى
مـــــني ســـــوى شـــــبـح مُـــــريبِ

جـــفـــلـت لـه الـــبـــيـــداء والـ
ـــتـفَتَ الـكـثـيب إلى الـكـثـيب
وتـــنـــصَّـــتت زمـــرُ الجـــنـــا
دب من فـــويـــهـــات الـــثـــقـــوب
يـــتـــســـاءلـــون وقـــد رأوا
قـــيس المـــلـــوّح في شـــحـــوبي
والـــتـــمـــتـــمـــات عـــلى الـــشـــفـــا
ه مـــضـــرجـــات بـــالـــنـــســـيب
يـــتـــســـاءلـــون من الـــفـــتى الـ
ـــعـــربي في الـــزي الـــغـــريب؟

ومنها:

مـــــا زلت ألمحـــــهـــــا عـــــلى
لـــبـــنـــان طـــافـــرة الـــوثـــوب
من مـــعـــصم الـــنـــبع الـــدفـــيـ
ـق لمـــعـــطف الـــغـــصن الـــرطـــيب

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن تحليقه في الوصف يجعل من مراثيه ومدائحه لوحات زاخرة بالحركة والألوان ويخرجها من نطاق التقليد. وقد يكون لغلبة التصوير والإيقاع على شعره يد في نفوره من الفلسفة والتأمل، فإذا عمد إليهما اكتفى بأن يعترف بعجزه عن اختراق حجب الغيب. راجع قصيدة «الهازئ العظيم» ويعني به الكون المغلق الذي يضن بأسراره، ومناجاته للشعراء المتفلسفين أمثال المعري والزهاوي.

لا نلمح عند شاعر الهوى والشباب تأثير الشعر الفرنسي الذي عرَّب منه بضع قصائد ومقطوعات، إلا في القليل من شعره. في قصيدة «يا هند قد ألِف الخميلة بلبلٌ» نراه، على مثال الرومنطيين، يعبّر عن حاله بطريقة المداورة. يجسد ذاته في البلبل السجين فيتوسع في وصفه ويقول ختاماً: «إن يكنْ هو مذنباً فإني ذاك المذنب». كذلك في قصيدة «الجابي» شكوى من الفقر والضرائب، تتخذ قالباً حوارياً طريفاً، إذ يتخيل

الجابي طارقاً بابه عند الفجر، ناعباً كالغراب، فيحاوره ويشرح له حاله ويسمع في آخر كل مقطوعة من القصيدة عبارة «أنا الجابي» تتردد بعناد وسخرية، كما في بعض الأغنيات الشعبية، أو بعض شعر الرومنطيين.

وصفه لكتاب «الجبل الملهم» ، ديوان شارل قرم، مجموعة صور رعوية بليغة التعبير عن مضمون الكتاب. وفي «مؤتمر الجماد» من ملحمة «الحرب العظمى ١٩١٤»، يدير حواراً بين المواد التي سخرها الإنسان للقتل والدمار: الفولاذ، الخشب، الكهرباء، البارود، جميعها تتهم الإنسان وتشكو جهله وظلمه. فأسلوبه هنا واضح الجدة.

كان أيضاً من المجددين في الشعر القصصي الذي شق طريقه خليل مطران، اقتداءً ببعض الشعراء الفرنسيين، واتخذه منبراً للعظة والنقد الاجتماعي. وقد استهوى شاعرنا هذا اللون فنظم فيه بضع قصائد منها «سلمى الكورانية»، و «ربِ قل للجوع»، و «الفردوسي»، و «عروة وعفراء»، و «المسلول». وهي قصائد تتفاوت حسناً، وبعضها ذو أسلوب سردي رتيب ينقذه حسن الصياغة والإيقاع. لكن قصيدته المشهورة «المسلول» تتميز بتنويع الكلام بين وصف حي مثير وحوار طويل النفس. وإذا أضفنا إلى العنصر الدرامي في القصيدة ميزاتها الأخرى من اقتصاد في اللفظ وشاعرية في العبارة وسحر في الإيقاع، فهمنا لماذا تتمتع قصيدة «المسلول» بشعبية وإعجاب يقاومان الزمن.

لم تقم شهرة الأخطل الصغير وشعبيته على المقطوعات الغنائية التي لحنها له عبدالوهاب، كما يظن البعض، ولا على المراثي التي نظمها في قادة الفكر والسياسة وتركت دوياً في العالم العربي، كما يظن آخرون، بل على إدراكه سر التأليف بين الألفاظ. وقد جعله عبدالقاهر الجرجاني محور البلاغة ووصفه بقوله: أن يكون الكلام شبيهاً بما يصنعه الصانع حين يأخذ كِسراً من الذهب فيذيبها ويصبّها في قالب ويخرجها سواراً أو خلخالاً، فإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار.

هكذا الجيد من شعره. ينم عن ذوق في اختيار اللفظة ورصفها، بحيث تتوفر في أبياته المتانة والانسجام والإيقاع. فلو قرأت له الموشحة التي منها:

**املأ الكأس ابتساما وغراما فلقد نـام الندامى والخزامـى**

**زحم الصبحُ الظلاما فإلاما**

لرأيت الشاعر واءم بين المعاني والأصوات، فجانس حيث يحسن الجناس، فلا يبدو نابياً مع أنه آفة عصور التصنع. وزاوج بين صور متلائمة واختار لفظة «زحم» التي لا تجاريها لفظة أخرى في موضعها.

وإليك هذه المقطوعة الأخرى من قصيدته الملحمية في ثورة فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٧:

**غـذّت الأحـداثُ مـنـا أنـفـسـا**

**لم يـزدهـا الـعـنف إلا عـنـفـوانـا**

**شـرفٌ لـلـمـوت أن نـطـعـمه**

**أنـفـسـاً جـبـارةً تـأبى الـهـوانـا**

**وردةٌ من دمـنـا فـي يـده**

**لـو أتى الـنـار بـهـا حـالت جـنـانـا**

**يـا جـهـاداً صـفّق المجـدُ له**

**لـبس الـغـارُ عـلـيه الأرجـوانـا**

يستوقفك حسن الجمع بين العنف والعنفوان، وكأن امتداد اللفظة الثانية وجزالتها يوحيان بطول المقاومة وشدتها. وتلاحظ جزالة الحروف في الأبيات الأخرى وتكرر حروف قوية كالدال في البيت الثالث. كما تلاحظ رشاقة القافية وحسن المزاوجة بين الغار والأرجوان في البيت الأخير، ويثيرك ما يشيران إليه من معان.

ولا يفوتنا أن نشير إلى صفة أخرى يتميز بها شعر بشارة الخوري، هي الإيقاع أو الموسيقى اللفظية التي يحرص على إبرازها في شعره، لا عن رغبة جوفاء في الغناء بل لتسهم مع التصوير في التعبير عن معانيه. فهو حين يقول:

**يـــا ربُى لا تـــتـــركي ورداً ولا تـــبـــقي أقـــاحـــا**
**مـــشت الـــشـــام إلى لـــبـــنـــان شـــوقـــاً والـــتـــيـــاحـــا**
**فـــافـــرشي الـــطـــرق قـــلـــوبـــاً وثـــغـــوراً وصـــداحـــا**

تحس في الرمل المجزوء والقافية المنبسطة والألفاظ المتواثبة ما يحسه الشاعر من طرب وانفعال من نشوة السرور أو نشوة الشعر.

كان عهد الأخطل الصغير عهداً حُسب فيه الشعر صياغة كلاسيكية ولفظة مختارة وإيقاعاً مطرباً ومعنى معجبا. وقد عاش شاعرنا حتى أدرك فئة المجددين من شعراء المهجر وشعراء لبنان المقيم، الذين هاجموا شعره، لا لأسلوبه التقليدي وقد لمسنا فيه تجديداً وطابعاً ذاتياً، ولكن هاجمه المفكرون لضآلة الفكر في شعره، واتباع الرومنطية لمادية غزله. كما هاجمه رواد الشعر الذاتي لأنه سخر شعره للرثاء وحفلات التكريم، وقاس بعضهم شعره بمقاييس غربية، فوجدوه شعراً صريح العبارة، لا أثر فيه للحلم والرؤيا والرمز والإغراب التصويري والتعبير اللامباشر فأنكروه. وعارضهم المحافظون بقولهم إن الشعر العربي لا يقاس بمقاييس غربية، فرد عليهم أولئك وقالوا إن الشعر يجب أن يتطور لأنه إذا لم يتطور يموت. وهو ما دام عاجزاً عن التطور بوسائل ذاتية فلا بد له من اعتماد أساليب ومقاييس غربية. والجدال بين الفريقين لم ينتهِ بعد، رغم رجحان كفة المجددين في العالم العربي. لكن هذا موضوع آخر.

**روز غريّب**

****

ابيض

# بشـارة الخـــوري

## «صـاحـب البــرق»

**الياس أبوشبكة**

وجه عصبي يتقاسمه الحنان والتعب – وقد يكوّنان تراث إحساسه وثورته – وعينان وقادتان أقوت حدقتاهما إلا من البريق، فكأنهما لكثرة ما أراق ماء شبابه في عهد الحب والشباب، تولدت فيهما إيماضة من الكهرباء، وجبين منفرج الصدغين، نافر الأعراق، كأنما هو صفحة من الشعر حفرت على صفيحة من النحاس ولم تنشر بعد، إلا أنها لا تمشي في حلبة «المسلول» أو «عروة وعفراء» أما هيكله – وقد جربه الدهر في زمني رخائه وبؤسه – فقد رق كثيراً حتى لتخاله بيتاً من قصيدة «المسلول» وحتى إذا عثرت به الأبصار من بعيد وقفت عليه، وقد اختلط عليها شكله، فلم يفسح لها أن تجزم في أمره، أيكون جسداً من لحم ودم أم وتداً متمايلاً من تلك الأوتاد التي يلبسها الناطور بعض الأقمشة ويركزها في وسط الكرمة فتتطير بها الثعالب وتفر مذعورة.

نفض جملة قصائده وهو في الخامسة والثلاثين من سنيه، أي في عهد الاضطرابات والهول، يوم كَلِب عليه الزمان وحالفته القلة، أما اليوم فهو يطلع على السابعة والأربعين، وقد ورم كيسه فلم يبق يحفل بالشعر، إلا أن ريقه لم يزل يتحلب لبعض المقاطع في بعض الأحايين.

غريب الأطوار يجمع بين نبالة الكرم ومعرة البخل، فنراه حيناً يسلخ من جيبه عشر ليرات ينقدها ثمن ليلة خمر ويراها حلالاً على الرفاق وحيناً يخفي «علبة السكاير» في دهاليز الصحف المنتشرة على أديم منضدته لكيلا يترك لجليسه سبيلاً الى خطف لفافة منها.

■ كتـاب الرسـوم.

متسع الصيت في عالم الشعر، مبسوط العلم بمداخل البيان، إلا أنك لا تقع على قصيدة من قصائده برئت من قصائد الفرنج كموسه ولامرتين وبول فرلين، فهو من هذه الناحية أكبر مقتبس عرفته العرب.

إن للنفوس مزايا مستقلاً بعضها عن بعض، ولكل مزية طابع يميزها عن أختها، وفي كل شاعر مزايا متباينة قد يستوي لبعضها ما لا يستوي للبعض الآخر، فلا ينبغي لنا مثلاً أن نجرم بين عنصرين قويين، فنقول هذا أعظم من ذاك ونكتفي بإبداء هذا الرأي، بل يجب على من يترسم قوى العناصر أن يتخير واحداً من جنس الآخر ليحق له أن يكون حكماً بين الاثنين: هناك من يزعم أن المتنبي أشعر شعراء العربية على الإطلاق، وهذا خطأ مبين! فقد يكون أبوتمام أشعر من المتنبي في العاطفة كما أن البحتري أشعر من الاثنين في الوصف وكما أن المتنبي أسبق الشعراء حلبة في الحكمة.

لم أقرأ للمتنبي ولا لشاعر من شعراء القرن الرابع للهجرة أبياتاً في العاطفة أمدتها الشاعرية بمثل ما أمدت به أبيات أبي تمام التي قالها في رثاء أخيه وهي:

**يا يومه لم تدع حسناً ولا أدباً**
**إلا حكمتَ به للَّحْد والكفنِ**
**لله مقلته والموت يكسرها**
**كأن أجفانه سكرى من الوسن**
**يرد أنفاسه كرهاً وتعطفها**
**يد المنية عطف الريح للغصن**
**يا هول ما أبصرتْ عيني وما سمعت**
**أذني فلا أبصرت عيني ولا أذني**
**لم يبق من بدني جزء علمت به**
**إلا وقد حله جزء من الحزن**
**كان اللحاق به أهنا وأحسن بي**
**من أن أعيش سقيم الروح والبدن**

كما أني لم أقرأ لأبي تمام ولا لشاعر من شعراء القرن الرابع للهجرة أبياتاً في الحكمة نجمت من المعدن الذي نجمت منه أبيات المتنبي التي قالها في سيف الدولة والتي نكتفي بذكر هذا البيت منها وهو:

**إذا أنت أكرمت الكريم ملكته**
**وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا**

ولم أقرأ لشاعر من شعراء هذا العصر أبياتاً في العاطفة مبتلة كلماتها بدم القلب كهذه الأبيات التي قالها بشارة الخوري في وصف المسلول وهي:

**... ويمج أحياناً دماً فعلى**
**منديله قطع من الكبد**
**قطع تآبين مفجعة**
**مكتوبة بدم بغير يد**
**قطع تقول له تموت غداً**
**وإذا ترق تقول بعد غد**

كما أني لم أقرأ لشاعر من شعراء هذا العصر أبياتاً في الوصف دقت ولطفت كهذه الأبيات التي قالها خليل مطران في وصف الليل وهي:

**... فرأيت الظلام يلطف منحلاً**
**ويلقي علي ظلاً دقيقا**
**ورأيت الظل الدقيق محيطاً**
**بي كما يحضن الشقيق شقيقا**
**ثم لاحت ذكاء لي فتولى**
**حلك الليل بالضياء مسوقا**

وكما أني لم أقرأ لشاعر من شعراء هذا العصر أبياتاً في القوميات فتح لها في الجلال والحكمة ما فتح لهذه الأبيات التي خاطب بها شوقي (النبي) الفاتح وهي:

**يا فاتح القدس خل السيف ناحية**
**ليس الصليب حديداً كان بل خشبا**

**إذا نـــظـــرت إلى أين انـــتـــهت يـــده**
**وكـيف جـاوز في سـلـطـانه الـقـطـبـا**
**عـــلـــمت أن وراء الـــضـــعف مـــقـــدرة**
**وأن لـــلـــحق لا لـــلـــقـــوة الـــغـــلـــبـــا**

إذن فعنصر بشارة الخوري هو العنصر العاطفي الذي يشرع به صاحبه على مورد الشاعرية المتألقة، ولكن هذه الشاعرية الحقة في قصائد بشارة الخوري ليست ملكه وحده فلقد يقاسمه إياها كثير من شعراء الفرنج الذين سقوه وأطعموه وكانوا السبب في شهرته.

قد لا تصادف شاعراً يغضب لكلمة نقد ترسل في شعره كبشارة الخوري، فهو من هذه الناحية أضعف خلائق الله، ولقد يحدره الغضب على من يتعرض له الى استمطار ألوان الشتائم عليه وعلى عياله.

ولقد تبلغ به الحدة أحياناً الى الزوغ عن حده وعن الحق الذي قسمه له الله فيزعم أن شعر المعاصرين إنما هو تريكة شعره وأن كل قصيدة تخرج من مخيلة الشباب الذين ألفوه إنما هي دُولة من بنات أفكاره بين الشعراء فيهم.

**الياس أبوشبكة**

****

# بشـارة الخـــوري

## «صـاحـب البــرق»

**الياس أبوشبكة**

وجه عصبي يتقاسمه الحنان والتعب – وقد يكوّنان تراث إحساسه وثورته – وعينان وقادتان أقوت حدقتاهما إلا من البريق، فكأنهما لكثرة ما أراق ماء شبابه في عهد الحب والشباب، تولدت فيهما إيماضة من الكهرباء، وجبين منفرج الصدغين، نافر الأعراق، كأنما هو صفحة من الشعر حفرت على صفيحة من النحاس ولم تنشر بعد، إلا أنها لا تمشي في حلبة «المسلول» أو «عروة وعفراء» أما هيكله – وقد جربه الدهر في زمني رخائه وبؤسه – فقد رق كثيراً حتى لتخاله بيتاً من قصيدة «المسلول» وحتى إذا عثرت به الأبصار من بعيد وقفت عليه، وقد اختلط عليها شكله، فلم يفسح لها أن تجزم في أمره، أيكون جسداً من لحم ودم أم وتداً متمايلاً من تلك الأوتاد التي يلبسها الناطور بعض الأقمشة ويركزها في وسط الكرمة فتتطير بها الثعالب وتفر مذعورة.

نفض جملة قصائده وهو في الخامسة والثلاثين من سنيه، أي في عهد الاضطرابات والهول، يوم كَلِب عليه الزمان وحالفته القلة، أما اليوم فهو يطلع على السابعة والأربعين، وقد ورم كيسه فلم يبق يحفل بالشعر، إلا أن ريقه لم يزل يتحلب لبعض المقاطع في بعض الأحايين.

غريب الأطوار يجمع بين نبالة الكرم ومعرة البخل، فنراه حيناً يسلخ من جيبه عشر ليرات ينقدها ثمن ليلة خمر ويراها حلالاً على الرفاق وحيناً يخفي «علبة السكاير» في دهاليز الصحف المنتشرة على أديم منضدته لكيلا يترك لجليسه سبيلاً الى خطف لفافة منها.

■ كتـاب الرسـوم.

متسع الصيت في عالم الشعر، مبسوط العلم بمداخل البيان، إلا أنك لا تقع على قصيدة من قصائده برئت من قصائد الفرنج كموسه ولامرتين وبول فرلين، فهو من هذه الناحية أكبر مقتبس عرفته العرب.

إن للنفوس مزايا مستقلاً بعضها عن بعض، ولكل مزية طابع يميزها عن أختها، وفي كل شاعر مزايا متباينة قد يستوي لبعضها ما لا يستوي للبعض الآخر، فلا ينبغي لنا مثلاً أن نجرم بين عنصرين قويين، فنقول هذا أعظم من ذاك ونكتفي بإبداء هذا الرأي، بل يجب على من يترسم قوى العناصر أن يتخير واحداً من جنس الآخر ليحق له أن يكون حكماً بين الاثنين: هناك من يزعم أن المتنبي أشعر شعراء العربية على الإطلاق، وهذا خطأ مبين! فقد يكون أبوتمام أشعر من المتنبي في العاطفة كما أن البحتري أشعر من الاثنين في الوصف وكما أن المتنبي أسبق الشعراء حلبة في الحكمة.

لم أقرأ للمتنبي ولا لشاعر من شعراء القرن الرابع للهجرة أبياتاً في العاطفة أمدتها الشاعرية بمثل ما أمدت به أبيات أبي تمام التي قالها في رثاء أخيه وهي:

**يا يومه لم تدع حسناً ولا أدباً**
**إلا حكمتَ به للَّحْد والكفنِ**
**لله مقلته والموت يكسرها**
**كأن أجفانه سكرى من الوسن**
**يرد أنفاسه كرهاً وتعطفها**
**يد المنية عطف الريح للغصن**
**يا هول ما أبصرتْ عيني وما سمعت**
**أذني فلا أبصرت عيني ولا أذني**
**لم يبق من بدني جزء علمت به**
**إلا وقد حله جزء من الحزن**
**كان اللحاق به أهنا وأحسن بي**
**من أن أعيش سقيم الروح والبدن**

كما أني لم أقرأ لأبي تمام ولا لشاعر من شعراء القرن الرابع للهجرة أبياتاً في الحكمة نجمت من المعدن الذي نجمت منه أبيات المتنبي التي قالها في سيف الدولة والتي نكتفي بذكر هذا البيت منها وهو:

**إذا أنت أكرمت الكريم ملكته**
**وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا**

ولم أقرأ لشاعر من شعراء هذا العصر أبياتاً في العاطفة مبتلة كلماتها بدم القلب كهذه الأبيات التي قالها بشارة الخوري في وصف المسلول وهي:

**... ويمج أحياناً دماً فعلى**
**منديله قطع من الكبد**
**قطع تآبين مفجعة**
**مكتوبة بدم بغير يد**
**قطع تقول له تموت غداً**
**وإذا ترق تقول بعد غد**

كما أني لم أقرأ لشاعر من شعراء هذا العصر أبياتاً في الوصف دقت ولطفت كهذه الأبيات التي قالها خليل مطران في وصف الليل وهي:

**... فرأيت الظلام يلطف منحلاً**
**ويلقي علي ظلاً دقيقا**
**ورأيت الظل الدقيق محيطاً**
**بي كما يحضن الشقيق شقيقا**
**ثم لاحت ذكاء لي فتولى**
**حلك الليل بالضياء مسوقا**

وكما أني لم أقرأ لشاعر من شعراء هذا العصر أبياتاً في القوميات فتح لها في الجلال والحكمة ما فتح لهذه الأبيات التي خاطب بها شوقي (النبي) الفاتح وهي:

**يا فاتح القدس خل السيف ناحية**
**ليس الصليب حديداً كان بل خشبا**

**إذا نـــظـــرت إلى أين انـــتـــهت يـــده**
**وكـيف جـاوز في سـلـطـانه الـقـطـبـا**
**عـــلـــمت أن وراء الـــضـــعف مـــقـــدرة**
**وأن لـــلـــحق لا لـــلـــقـــوة الـــغـــلـــبـــا**

إذن فعنصر بشارة الخوري هو العنصر العاطفي الذي يشرع به صاحبه على مورد الشاعرية المتألقة، ولكن هذه الشاعرية الحقة في قصائد بشارة الخوري ليست ملكه وحده فلقد يقاسمه إياها كثير من شعراء الفرنج الذين سقوه وأطعموه وكانوا السبب في شهرته.

قد لا تصادف شاعراً يغضب لكلمة نقد ترسل في شعره كبشارة الخوري، فهو من هذه الناحية أضعف خلائق الله، ولقد يحدره الغضب على من يتعرض له الى استمطار ألوان الشتائم عليه وعلى عياله.

ولقد تبلغ به الحدة أحياناً الى الزوغ عن حده وعن الحق الذي قسمه له الله فيزعم أن شعر المعاصرين إنما هو تريكة شعره وأن كل قصيدة تخرج من مخيلة الشباب الذين ألفوه إنما هي دُولة من بنات أفكاره بين الشعراء فيهم.

**الياس أبوشبكة**

****

# الأخطـــل الصغيـــر

## (بشارة عبدالله الخوري)

## ١٨٨٥ (*)- ١٩٦٨

**أنيس المقدسي**

منذ أوائل القرن الماضي (التاسع عشر) أخذ الشرق العربي يتمخض بحركة حضارية جديدة ظهرت تباشيرها أولاً في مصر والشام (سوريا ولبنان)، ثم اتسعت تدريجياً حتى عمت سائر البلدان العربية. ولم يكد ينتهي ذلك القرن حتى ظهرت بشكل نهضة ثقافية واجتماعية كان لها أثر بين في اللغة والأدب.

ذلك بأن الشعوب الناطقة بالعربية، بعد أن ران عليها سبات عميق طوال القرنين السابقين استفاقت ففتحت نواظرها على أشعة وصلتها من وراء البحر فإذا هي ترى ما يحيط بها من ظلام وما صار اليه أمرها من جمود وانحطاط. فتحركت للنهوض مستعينة بأسباب التقدم العمراني والعلمي التي حملها اليها جماعة من أهل الغرب، ممن جاؤوها مبشرين ومعلمين يفتحون المعاهد العلمية الحديثة ويدعون الى رفع مستوى الحياة العامة.

وقد كان للغة العربية نصيب وافر من هذه النهضة. إذ نشأ عنها بين أهل البلاد رواد مصلحون بعثوا فيها (أي في اللغة) حياة جديدة، فنفضوا عنها غبار الشوائب التي كانت قد غشيتها في عهود الانحطاط، وانتشلوها من وهدة التأخر والجمود، محاولين أن يرجعوا اليها الأصالة التي عرفتها في عهودها الذهبية القديمة. وهكذا أخذت رويداً رويداً تتحرر من ربقة الابتذال وغثاثة التصنع وسخف الزخرفة الفارغة. فما بزغ القرن العشرون حتى ظهرت بين أهل القلم نزعة عامة الى استعمال الأسلوب السهل البين الذي عرف به كبار المؤلفين قديماً من أدباء وعلماء ومؤرخين. ولا بدع فإن هذا الأسلوب هو الذي كانت تقتضيه روح العصر الحديث.

---

■ من كتاب أعلام الجيل الأول - المقدسي.

وقد كان وراء هذا التحول الإنشائي في عصرنا الحاضر عوامل شتى منها الإقبال على التحصيل العلمي في المدارس الحديثة، ثم نشوء صحافة تتوخى الوصول الى القراء بلغة يستسيغها النشء المثقف ويرضى عنها المحافظون على أصول الكتابة الصحيحة.

وكما أثرت روح العصر في النثر أثرت في الشعر أيضاً، فهو أيضاً صار ينزع الى التجديد والخروج عن التقليد. وقد ساعده في ذلك منذ أواخر القرن الماضي أنه أخذ يحتك بالحركة الرومانسية (الرومنطيقية) التي كانت قد طغت على الحياة الأدبية والفنية في أوروبا. وهي حركة تهدف الى التحرر من العرف التقليدي المتبع والتركيز على التعبير الحر عن العواطف الذاتية. وهكذا تحول الشعر عن الأغراض الكلاسيكية من مدح وهجاء وفخر ورثاء وغزل وحماسة وما اليها الى ما يستوحيه الشاعر من الحياة والطبيعة، وما يحرك ذلك في نفسه من عواطف خاصة كثيراً ما تظهر عليها مسحة من التواجد والأسى فتراه شاكياً حزيناً كأنه خلق ليغني آلامه من قيود الحياة وشوقه الى الانطلاق حراً في فضاء الخيال بين أحضان الطبيعة ومجالي الجمال.

في هذا الجو نشأ شاعرنا كما نشأ سائر المخضرمين الذين ندرس شعرهم في هذا المقام. إلا أن بشارة الخوري من أقلهم انتسابا الى القرن الماضي ومن أطولهم صلة بالقرن الحاضر وحياته الجديدة ـ بل كان في الواقع ممن عملوا على تجديد الشعر ورفع مستواه. وقد أصاب أحد نقاده إذ قال: «هناك أمر لا مراء فيه أن الأخطل الصغير يمثل مدرسة المخضرمين الذين نشأوا قبيل الحرب العالمية الأولى، وبرزوا في فترة ما بين الحربين ومهدوا لظهور المدارس الأدبية الجديدة... وله خصائص تميز بها عن بقية رجال هذه المدرسة. منها أنه انطلق الى الآفاق العربية والإنسانية ولم يحصر نفسه في إقليمية ضيقة، دون أن يتنكر لوطنه لبنان»[1].

وقد وصفه أديب من المقربين اليه فقال: «وإني لأجزم أن دور بشارة الخوري طوال نصف قرن كان الجسر الذي مهد لكل جديد في الشعر. فلولاه لبقيت مدارس النظم المشدودة الى الأطلال الدارسة، وسطحية الغزل. وانتحار المعاني على أيدي جلادي التقليد، وموت الأخيلة في كهوف الرثاثة»[2]. ومع جنوح هذا الوصف الى

الإطراء فإن في طيّه حقيقة يلمسها كل من درس شعر الأخطل الصغير. وسنراها في حسن ديباجته الشعرية التي كان لها أثر عظيم في نفوس معاصريه.

أجل عايش الأخطل الصغير النهضة الجديدة في القرن العشرين وشهد ما كان لها من أثر في تطور الشرق العربي فكرياً واجتماعياً وسياسياً. ومع أنه لم يتجاوز في تحصيله المدرسي نطاق المعارف الثانوية، بل لم يحصلها بطريقة منتظمة أو مستمرة فإن إقدامه وهو في مطلع الشباب على امتهان الصحافة إذ أصدر جريدته (البرق) سنة ١٩٠٨، قد دفعه الى المطالعة الخاصة. وكان له من معرفته بالعربية والفرنسية ما أعانه على الاستفادة من مطالعاته. فكان طوال حياته الصحافية يحرر المقالات المفيدة وينشر القصائد الجميلة، وأصبح (البرق) مجالاً لأقلام نخبة من كتاب وشعراء عصره وخصوصاً بعد أن حوله سنة ١٩٣٠ من جريدة يومية الى مجلة أسبوعية.

وقد عبر عن رأيه في مهمة الصحافة فقال في العدد السادس عشر من السنة المذكورة ما نصه: «فلقد رأيت أن على الصحافة في بلد كهذا البلد خارت عزائم بنيه فلم ينهضوا لتأليف حزب يدافع عن كيانه وكرامته ـ لقد رأيت أن على الصحافة في مثل هذا الحال أن تقوم بالوظيفتين معاً، وظيفة الصحافة ووظيفة الحزبية (أي وظيفة الدفاع عن المصالح الوطنية)، وإلا تلاشت هي الأخرى لعدم وجود المطالعين فيها، ولا يشوق المطالع كهذه الروح التي ترمي الى أهداف وطنية وأدبية، لا سيما وأن الوقت ملائم بسبب هذا الانهيار الاقتصادي والعوز المنتشر حتى لقد كادت أن تزهق الأرواح في الصدور إذا لم تنطلق زفراتها وتتفجر نيرانها. لقد أخذت اللغة العربية بالتلاشي في لبنان خاصة ليس فقط بسبب إهمال المدارس الأجنبية لها وعدم العناية المطلوبة بها، بل لأن الحكومة اللبنانية نفسها من أكبر العوامل على ملاشاتها، حتى أصبحت دوائرها ولا أثر فيها لمن يحسن كتابة سطر صحيح بلغته، فهي (أي الحكومة) عبارة عن دوائر افرنسية ليس للعربية فيها إلا ما للخادم الذليل من السيد الجليل».

هذا ما كتبه شاعرنا كصحافي غيور على وطنه وحين كانت السلطة الانتدابية في أوج قوتها. ولا نقول إنه لم يطمح الى خوض غمار الحوادث العمومية بواسطة جريدته، أو يطمع

بالحصول على مراكز سياسية وإدارية تمكنه من القيام بخدمات وطنية كما كان يفعل كثيرون من أهل القلم، بل نقول إنه كان في حياته الصحافية صاحب رسالة حرة يحاول حملها الى وطنه ونشرها بين مواطنيه بقلم أديب مرهف الإحساس جذاب الأسلوب.

بدأ بحمل هذه الرسالة وهو لم يكد يتجاوز العشرين[٣]. وذلك على أثر إعلان الدستور العثماني، فقد أحدث هذا الإعلان السياسي العام حركة صحافية واسعة في مختلف البلدان العربية التابعة للسلطنة العثمانية. ذلك بأن الأقلام التي كانت مقيدة مكبوتة الحرية خلال العهد الاستبدادي ـ عهد السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) وجدت في الدستور متنفساً لها فانطلقت الى الأمام. وكان انطلاقها بدء عهد جديد لصحافة حرة اتسع المجال أمامها فنمت وتنوعت وكثر الإقبال عليها. وهكذا أصبحت مسرحاً عاماً لأقلام الأدباء من كتاب وشعراء. فليس بغريب أن يمتهنها شاب مثل شاعرنا مندفعاً بعاطفة الشباب وبروح الخدمة الوطنية عن طريق الأدب.

أصدر الأخطل الصغير جريدة (البرق) في بيروت صحيفة يومية تنشر الأخبار العمومية من سياسية وسواها، مع قليل من النفثات الأدبية لصاحبها أو لنخبة من أدباء ذلك العصر. وظلت على هذه الحال حتى نشبت الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ولما كانت تركيا شريكة لألمانيا والنمسا في محاربة الحلفاء (وهم بريطانيا وفرنسا وروسيا وحلفاؤهم) فقد أصبح الحكم في بيروت وسائر الأقطار العربية التابعة لتركيا حكماً عسكرياً، وأصبحت المنطقتين السورية والحجازية تحت سلطة الجيش التركي الرابع كما أصبح قائده جمال باشا الحاكم العام فيها. وفي عهده عم الإرهاب والضغط على الأقلام والصحف، ووضع الديوان العرفي لمعاقبة كل مخالف لسياسة الدولة، مما اضطر الكثيرون من أصحاب الصحف الى الامتناع عن إصدارها، واللجوء الى طلب السلامة بالسكوت والتواري عن المسرح العام. ومنهم شاعرنا الأخطل الذي أوقف إصدار البرق في السنة الأولى من الحرب، وبإيعاز من بعض أصدقائه المطلعين على الأمور انزوى في قرية لبنانية (وكان لبنان لا يزال يتمتع بامتيازاته) بعيداً عن مجرى الحوادث والأخطار.

وقد وصف لنا في مقدمة ديوانه (الهوى والشباب) حاله وهو في عزلته هذه فقال: «كانت الحرب العالمية الأولى ثم كان عهد جمال (الحاكم العسكري العام) في سوريا ولبنان، وهو عهد النفي والمشنقة، بل عهد الإرهاب بجميع أسبابه وأنواعه. وانطوت الأعوام بعد الشهور على حالات شتى من البؤس، ومفاجآت مفعمة بالمخاوف».

«ولقد كنت وسائر الناس خلال ذلك نتنسم الأخبار ولا ندري أيدركنا السلم وفينا رمق من الحياة. حتى كان عام ١٩١٦ وفيه انتهت سلطة جمال باشا وولايته، وحل محله حاكم آخر فخف شعور الناس بالرهبة التي كانوا يشعرون بها أيام جمال باشا المذكور». فعاد شاعرنا من عزلته الى منزله في ضاحية بيروت.

ولم تكن تلك العزلة دون فائدة معنوية له، فقد انصرف فيها الى المطالعة وكان أهم ما يأنس به من الكتب (كتاب الأغاني ـ لأبي الفرج الأصفهاني). ويظهر أنه عن طريق هذا الكتاب حصل له اتصال روحي بنخبة من الشعراء القدامى كعمر بن أبي ربيعة، والأخطل التغلبي شاعر بني أمية، وأبي نواس شاعر الخمرة وسواهم، فأذكى اتصاله بهم نارالهوى ومرح الشباب وحب الخمر. وكان تأثره بالأخطل تأثراً خاصاً حمله على أن ينتحل اسمه، فصار يوقع ما كان ينظمه باسم (الأخطل الصغير) ومازال حتى أصبح هذا الاسم علما له.

قال في مقدمة الديوان المذكور: «وكان يعجبني من الأخطل (أي الشاعر الأموي القديم) خفة روحه وإبداعه في اصطياد المعاني يقودها ذليلة الى فصيح بيانه. وفوق ذلك فقد كان الشاعر المسيحي الفذ تنفتح له أبواب الخلائف يملؤها لذة وطرباً وإدلالا» وذلك ما رآه محمود أبوالوفا إذ قال: «إن المثل الأعلى للأخطل الصغير في الشعر كان الأخطل الكبير شاعر بني أمية الذي قال فيه المعري إن سادات بني أمية كانوا يطربون لشعره ويقدمونه. فكان للأخطل الصغير ذلك الأسلوب المنفرد بين شعراء لبنان كما كان لشوقي بين شعراء مصر ـ فكلاهما (على حد قوله) نسيج وحده[٤]».

وكانت الثورة العربية على الأتراك قد بدأت بقيادة الشريف حسين (ملك الحجاز بعدئذٍ) فاندفع هو وأبناؤه يناصرون الحلفاء في الحرب. وأخذت الفكرة تشيع بين

الناس بأن الحلفاء سيساعدون العرب على إنشاء دولة عربية تجمع شملهم وتوحد قواهم ليعيدوا مجدهم القديم. فغدت تلك أمنيتهم واتجهت اليها أفكارهم وعواطفهم. وقد عرف كاتب هذه السطور ذلك العهد واختبر بنفسه ما كان يحلم به يومئذٍ أبناء العربية ويرجون قرب تحقيقه وشارك شبابهم في تلك العواطف والأماني. وكأن شاعرنا في ذلك المد القومي قد تمثل له ما كان للأخطل الكبير من موقف تجاه الدولة الأموية فرأى أن يقف هو مثله تجاه الحركة العربية الجديدة. وصار ينظر خفية خلال عزلته ما كان يروي ظمأ نفسه في هذا الباب. وها هو يتابع حديثه في المقدمة فيقول: «فلم أر كاسم الأخطل أوقع به ما كانت تقطره القريحة المتألمة من شعر لم يبق منه إلا كبقية الوشم في اليد. وكيف يستطاع حفظ ذلك الشعر الذي لم أكن أجرؤ على الاحتفاظ به بين أوراقي. إلا بقية قصيدة أحتال على حفظها ومنها هذه الأبيات»:

**ألجم لسانك ألجمِ**
**فالموت للمتكلمِ**
**لا يسألونك إن أخذت**
**أثمت أم لم تأثم**
**فالحبل شرٌّ مرحبٍ**
**والعنق خير مسلِّم**
**والسجن أكرم صاحب**
**والنفي أيسر مغنم**

وهكذا خرج شاعرنا من ظلمات تلك الحرب منتحلاً اسم (الأخطل الصغير) وظل يوقع به بعدها ما كان ينشره من نظمه حتى أصبح معروفاً به.

على أنه من الحق أن نقرر أن أخطلنا مع شدة إعجابه بشعر الأخطل القديم وما كان له من مقام عال عند الأمويين، يختلف عنه بعض الاختلاف في نظرته العربية. فالأخطل التغلبي لم يكن شعره المناصر لبني أمية يشف عن فكرة قومية عربية جامعة بل كان همه تعظيم بني أمية فقط والدعوة لهم في المحافل الخاصة والعامة حاملاً على سواهم من الأحزاب العربية الأخرى التي كانت تناوئهم وتنافسهم. أما الأخطل الصغير

فلم يكن شاعر حزب عربي حاكم أو داعية لدولة خاصة من العرب، بل كان شاعر نهضة عربية عامة تحلم ببعث مجد العرب القديم وتأسيس ملك لهم رفيع الشأن بين الأمم. وسترى بعد كيف كان يتغنى بذلك في أناشيده القومية.

وإذا التفتنا الى سوى الأخطل من الشعراء القدامى الذين تأثر بهم شاعرنا وجدنا أنه يختلف عنهم بمزايا خاصة ينفرد بها. وسيظهر لنا ذلك في غير هذا المقام.

ولما كانت غايتنا الرئيسية هنا درس شعره. فإننا نترك تفاصيل حياته الخاصة والعامة للذين انصرفوا الى هذه الناحية من سيرته[٥].

ونكتفي في هذه التوطئة بالقول إنه نشأ صحفياً وأديباً ومنذ عهد شبابه لفت أنظار الأوساط الأدبية في العالم العربي الى جمال ديباجته الشعرية. ومازال يعلو نجمه في سماء الشعر حتى أصبح في الطليعة بين نوابغ هذا الفن. وفي سنة ١٩٦١ أجمع أدباء العرب على إظهار تقديرهم له فأقاموا له في بيروت مهرجانا كبيراً اشتركت فيه جميع الأقطار العربية كان بمثابة اعتراف عام من الشعراء للأخطل الصغير بالأصالة في هذا الميدان. على أن هذا المهرجان جاء والشاعر قد تجاوز الخامسة والسبعين وأصبح ضعيف الجسم سقيم الصحة كليل الإنتاج الأدبي وإلى ذلك يشير في قصيدته التي قالها في ذلك المهرجان ومطلعها:

**أيوم أصبحت لا شمسي ولا قمري**
**من ذا يغني على عود بلا وتر!**
**ما للقوافي إذا جاذبتها نفرت**
**رعت شبابي وخانتني على كبري**
**كأنها ما ارتوت من مدمعي ودمي**
**ولا غذتها ليالي الوجد والسهر**

أجل كانت شمس شعره قد أفلت فقضى بعد المهرجان نحو سبع سنوات وهو سقيم الجسم منهوك القوى حتى انتقلت روحه الى عالم الخلود.

ولنقرر هنا استطراداً أنه مع ديباجته الشعرية الرائعة ظل في نثره بسيط العبارة لا يحاول فيه عادة حوك نسيج فني ذي روعة خاصة. كما يظهر لك من مقالاته في «البرق» ومما تركه من آثار نثرية. نثبت منها النص التالي وهو ما رواه في (البرق) عن تعرفه بأمير الشعراء أحمد شوقي.

**التعرف الى شوقي**[٦]:

«كان ذلك حوالي الثلث الأخير من حزيران ١٩٣٠ ولا أذكر اليوم ولكني أذكر أني كنت جالساً عصاري يوم الى طاولة في نزل شاهين. وإذا بصديقي الأستاذ شكري بخاش (قيس شوقي) كما يقال (قيس ليلى) لشغفه به وإكباره إياه ـ إذا بالبخاش يبادهني بقوله: الشاعر شوقي هنا في النزل وإنه خارج بعد هنيهة. قلت: إني الى الآن لا أعرف وجهه. فحملق شكري في وجهي حتى خفته ثم هدّأ من حدته»...

«وإذا بشوقي يخرج من النزل الى الباحة: يابك يابك. هتف شكري، فإذا بشوقي بك يلتفت مبتسما ثم يتابع خطواته الينا فنهضت وشكري يشير إليّ : هذا بشارة الخوري الأخطل. ثم كانت جلسة قصيرة كحاشية الشفق».

«وكان اليوم العاشر من شهر تموز من السنة نفسها موعد الحفلة التي تقيمها دمشق لفقيدها الكبير المرحوم فوزي الغزي. وكنت أتردد كل مساء الى الرستوران الفرنساوي فأتخذ مكانا معتزلاً فلا يكاد يمر بعض الساعة حتى يقبل شوقي طيب الله روحه، فما هو أن يسرِّح طرفه قليلاً في الجلوس حتى يقبل إلي ويستلقي على كرسيه الى الجانب الثاني من الطاولة. وكان قد أسمعه صديقنا الأستاذ جبران تويني والأستاذ ميشال أبي شهلا بعض ما علق في ذهنهما من قصيدتي في فوزي الغزي، وهو يومئذٍ من شعراء الحفلة. فكان يسألني من حين الى آخر أن أروي له بعض أبياتها مما سمع منه من الصديقين ومما لم يحفظاه، وأخصُّه في المقابلة بين المرأة والحية».

«ولم تكن تمر الدقائق إلا وتحمل الينا جليساً جديداً حتى كان يتجاوز عدد الجلوس أحيانا العشرة من الأصفياء المختارين. وكان أمل الجميع حديث شوقي. فهو لم يكن ينتبه إلا لنادرة يسمعها أو نكتة يرسلها أو حديث شهي تستيقظ له حواسه، ثم ما هي إلا أن تحين الساعة التاسعة والنصف حتى ينهض الى السينما، وكان شديد الشغف بها».

**مجاله الشعري:**

ظل ما أنتجه شاعرنا من أدبه المنظوم موزعاً هنا وهناك بين أعداد صحيفته (البرق) وسواها من الجرائد والمجلات حتى سنة ١٩٥٣ حين صدر له على نفقة الأمير عبدالله فيصل آل سعود مجموعة بعنوان (الهوى والشباب) مرتبة ترتيباً زمنياً تمثل مرحلتين من حياته:

الأولى: ما بين ١٩٠٨ وبدء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وجلّها مختارات من باب الغزل ومرح الشباب.

الثانية: وتمتد من الحرب المذكورة حتى منتصف القرن الحالي (العشرين). وسنقتصر في الإشارة الى هذه المجموعة أي (الهوى والشباب) باسم المجموعة الأولى واختصارها مج ١ .

ولما كانت السنة ١٩٦١ (وهي السنة التي شهدت مهرجانه التكريمي الكبير) صدر له بعناية ابنه الأكبر ولجنة خاصة من الأدباء مجموعة أوسع من الأولى بعنوان (شعر الأخطل الصغير). وكان المنتظر أن تكون هذه المجموعة، وقد صدرت في أواخر حياة الشاعر[٧]، ديوانا يضم جميع نتاجه الشعري. فإذا هي الأخرى مجموعة مختارات تضم القسم الأكبر مما نشر قبلاً تحت عنوان (الهوى والشباب) مضافاً اليه أكثر ما نظمه الشاعر بعد سنة ١٩٥٣ . وسنقتصر على تسميتها (المجموعة الثانية) أو مج٢ . ومما يؤسف له أن ناشري هذه المجموعة الأخيرة (أي شعر الأخطل الصغير ١٩٦١) لم يراعوا فيها أية ضرورة لذكر تواريخ المنظومات ومناسباتها كما روعيت في مجموعة (الهوى والشباب). وقد رأوا أن يمسوها بكثير من الحذف والتبديل فجاءت مشوشة الترتيب وغير وافية بالغرض الحقيقي من نشر ديوان كامل للشاعر كما كان يأمل المعجبون بشعره أو الحريصون على دراسته.

وللتمثيل على ذلك نثبت في ما يلي بعض القصائد والمقطوعات التي ظهرت في المجموعة الأولى (الهوى والشباب) مما ليس له أثر أو جاء مقتضباً في المجموعة الثانية. وها نحن نذكرها بحسب مطالعها مع أرقام صفحاتها:

| المطلع | رقم الصفحة | |
|---|---|---|
| صداح يا مؤنس الأراك | ٤٠ | وهي نوع من التوشيح في ثلاثة أدوار. |
| أينما كنت كان للكهرباء | ٤١ | وهي ٢٣ بيتاً بعضها معرب عن الفرنسية. |
| فدى للبنان نفسي | ٥٣ | وهي في هذه المجموعة ١٣ بيتاً من قصيدة لم تنشر بكاملها. |
| رضيت وقد ذهب الجفا | ٥٦ | مقطوعة من ٤ أبيات. |
| وقفة كانت لنا يوم النوى | ٥٦ | مقطوعة من ٣ أبيات. |
| تثنت فيا خجلتاه للغصون | ٥٧ | مقطوعة من ٣ أبيات. |
| الغرام مجمرة | ٥٧ | مقطوعة من ٣ أبيات. |
| الريال المزيف | ٥٩ | مأساة شعرية اجتماعية في ٥٥ بيتاً ليس منها إلا ١٠ أبيات في المجموعة الثانية. |
| سيلفين وجيروم | ٩٣ | مأساة غرامية في مئة بيت مقتبسة عن الشاعر بوكاسيو. |
| سلمى الكورانية | ١١٩ | مأساة وطنية في ٦٠ بيتاً ليس منها في المجموعة الثانية إلا ٤٨ بيتاً. |
| سقياً لأيام لبنان التي سلفت | ١٣٤ | مقطوعة من ٥ أبيات وفي المجموعة الثانية ٣ فقط |
| فتن الجمال وثورة الأقداح (على ضفاف بردى) | ١٥٤ | قصيدة من ٣٥ بيتاً ليس منها إلا ١٣ بيتاً في المجموعة الثانية. |
| سائل العلياء عنا والزمانا (ثورة فلسطين) | ١٦٥ | قصيدة من ٣٣ بيتاً |
| العصيين دمعهِ وبيانهِ | ١٧١ | مرثاة من ٤٠ بيتاً في الياس فياض نشر منها في المجموعة الثانية ١٤ بيتاً تحت عنوان الجدول الوديع |

| | | |
|---|---|---|
| لبس الخريف بك الربيعا | ١٩٤ | (٧) أبيات أنشدها الشاعر في مأدبة أقيمت له في حلب |
| عش أنت إني مت بعدك | ١١٠ | (١٦) بيتاً غزلياً |
| عجبوا أن يموت في ريّق العمر | ١٦٩ | رثاء فوزي معلوف حذف منها بيتان في المجموعة الثانية |
| عودوا الى تلك القرى | ١٨٤ | في المجموعة الأولى ٢١ بيتاً. وفي المجموعة الثانية ٦ أبيات فقط |
| القرية البعيدة | ٩٠ | في المجموعة الأولى ١٥ بيتاً، وفي المجموعة الثانية ٦ فقط. |
| مرثاة جبران | ١٧٥ | في الأصل ٣٣ بيتاً ليس منها في مج ٢ غير ٢٧ بيتاً |

أضف الى ما ذكر بعض قصائد ومقطوعات أو أبيات لم تنشر في أية من المجموعتين. ومنها مثلاً:

وقفة على الفيدار: وهي وقفة وجدانية على نهر الفيدار في ٢٢ بيتاً.

رثاء الملك حسين.

جلوس الملك سعود.

وغيرها من منظومات الشاعر التي فاتت ناشري شعره[٨].

ومما يذكر هنا أن كثيرا من القصائد ظهرت في المجموعتين تحت عناوين مختلفة مما تزيد عناء الباحث في العثور عليها للمقابلة بين النصوص.

وبرغم ما يشوب المجموعتين المار ذكرهما من نقص أو حذف وتشويش. لا يسعنا إلا أن نعتمدهما مرتكزاً أساسياً لدرس ما جادت به قريحة الأخطل وتقييم فنه الشعري. فهما معاً يضمان القسم الأكبر والأهم من شعره، ومنهما يطل علينا بروحه

وبأسلوبه. على أنه لابد لنا في عرض شعره لدرس منظم من أن نرتبه ترتيباً منظماً طبقاً لأغراضه الرئيسية. وهي في نظرنا كما يلي:

١ – شعره الزاهي: أي ما نظمه في الحب والخمر والطبيعة.

٢ – شعره الشجي: ويشمل مراثيه وما نظمه في مآسي المجتمع.

٣ – شعره الوجداني: أي نظراته في الوجود والناس.

٤ – شعره الوطني: ويدخل فيه نفثاته الوطنية والقومية وما اليها.

وقد كان من الممكن عرضه على أساس الزمن كما فعل ناشرو مجموعة (الهوى والشباب). ولكن الترتيب الزمني لا يفي بما نقصد اليه من تقييم فنه بالنسبة الى أغراضه أو مواضيعه. وهذه في المجموعتين كثيرة التداخل بعضها ببعض فلا سبيل الى النظر اليها كوحدات مستقلة إلا إذا جمع كل نوع منها في بابه الخاص. وإذا كان الترتيب الزمني يسهل درس الشعر من حيث تطوره وتأثره بالحوادث فإن في الترتيب الموضوعي ما يمكننا أكثر من النظر في فنه وإدراك أغوار عواطفه وخواطره.

**شعره الزاهي:**

لم يخطئ الذين لقبوا بشارة الخوري بشاعر الهوى والشباب. فإن ما نظمه في هذا الباب يشمل عدداً كبيراً من منظوماته. وقد صرح هو بميله الخاص الى هذا النوع من الشعر في قصيدته (على ضفاف بردى) ومطلعها[٩]:

**فتن الشباب وثورة الأقداح**
**صبغت أساطير الهوى بجراحي**

وفيها يصف روحه الشعرية فيقول:

**روح كما انحطم الغدير على الصفا**
**شُعباً مشعَّبة إلى أرواح**
**للحب أكثرها، وبعض كثيرها**
**لرقى الجمال وبعضها للراح**

وعلى ذلك بنى الشاعر المصري صالح جودت وصفه له حين قال من قصيدته في الأخطل الصغير يوم مهرجانه ١٩٦١:

**ولـــد الـــكـــأس والـــغـــرام عـــلـى عـــهـ**
**ـــدِ أبي الـــكـــأس والـــغـــرام «بـــشـــاره»**
**وتـــعـــرَّى الجـــمـــال بـــين يـــديه**
**وارتـــمـى عـــنـــده وخـــلّى عـــذاره**
**وأقـــام الـــربـــيع في شـــفـــتـــيه**
**ورمـى فـي فـــــــؤاده أوتـــــــاره**

الواقع أن لشعره الزاهي جناحين كان يطير عليهما في جو من مرح الشباب هما جمال المرأة ونشوة الخمرة. فمن الأول رقة لطائفه الغزلية، ومن الثاني شذا نفحاته الخمرية. يضاف اليهما ما كان يستوحيه وهو بين أحضان الطبيعة يتمتع بمجاليها السحرية.

**لطائفه الغزلية:**

وأول ما نلاحظه في غزله أنه متأثر بما اتصل به من مصادر عربية ومصادر غربية. أما العربية فأهمها ما كان يطالعه في كتب الأدب القديمة وبخاصة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذي اتخذه أنيساً له إبان عزلته خلال الحرب العالمية الأولى. وقد كان له لقاءات في هذا الكتاب مع كثير من شعراء الغزل ـ يتتبع أخبارهم وتروقه مجالسهم وتهفو نفسه الى مشاركتهم في لهوهم ومسراتهم فتحمله على أن يقول من أبيات:

**من لي بمـــعـــبَـــدَ وابن عـــائـــشـــةٍ ومـــالك والـــغـــريضِ**
**بـــرئـــاســـة ابن ســـريج مـــلـــتـــئـــمـــين في الـــروض الأريض**
**وبـــشـــاعـــر الـــغـــيـــد ابن مـــخـــزومٍ ونـــابـــغـــة الـــقـــريض**
**في مـــثل لـــيلات الـــولـــيـــد تـــقـــول لـــلـــكـــاســـات فـــيـــضي**

الى قوله

**عش هـكـذا يـومـاً وتـسـتـغـني عن الـعـيش الـعـريض**[١٠]

وقد كان هؤلاء الشعراء وأمثالهم من الغزليين لا يرون عادة في جمال المرأة غير مفاتنها الجسدية ـ الوجه الصبوح والخد المورد والعين الساحرة والمبسم الأقحواني واللمى العذاب والقد المياس وما الى ذلك، فيصفونها ذاكرين هيامهم بها وما يكابدونه من شوق في البعد عنها، بل كثيراً ما ترى بعضهم لا يتورعون في غزلهم عن أوصاف مكشوفة للعلاقات الجنسية التي لا يستسيغها الذوق الرهيف اليوم. على أن غزل الأخطل ظل غزلاً متعالياً عن السفاسف، فقد تابعهم في أوصافه الحسية التي تصور جمال المرأة فقال مثلا:

**شَعرها قطعة من الليل والخد**
**قبّلته شمس الضحى فتوردْ**
**وعلى صدرها متى تتنهد**
**موجة هزت الصغيرين في المهد**
**فاشرأبّا كمن تخوّف شيئا**

فهو كما ترى يصف الشعر والخد والنهدين كسائر الشعراء قديماً وحديثاً ولكن بما يروق النفس من التصوير الفني كقوله:

**كذب الواشي وخاب**
**من رأى الشاعر تاب**
**عمره فجر من الحبْ**
**بِ وليل من شراب**

وقوله:

**يا حبيبي قم نرصّع**
**بالهوى ثغر الحياه**
**نحِّ هذي الكأس عني**
**واسقني هذي الشفاه**

وكل أوصافه الغزلية على هذا النسق من الرقة واللطف.

أجل تغزل بجمال المرأة الجسدي بل لج فيه. وكأنه شعر أن بعضهم قد يلومه على ذلك، فقال مدافعاً عن نفسه:

**قل لمن لام في الهوى**
**هكذا الحسن قد أمرْ**
**إن عشقنا فعذرنا**
**أن في وجهنا نظر**

وهنا نقول استطراداً إن ما نسبه اليه بعضهم من تعاطيه في شعره الغزل الغلماني[11] إنما هو وهم نشأ عما ورد في غزل الشاعر من استعماله أحيانا ضمير المذكر في مخاطبة المحبوب أو وصفه. وذلك أمر شائع عند الشعراء قديماً وحديثاً ـ فهم كثيراً ما يتحدثون عمن يحبون بلفظ الحبيب ولو كان ذلك الحبيب فتاة فيشيرون اليها بضمير المذكر.

كقول المتنبي مثلاً يخاطب فتاته الشعرية بضمير المؤنث أولاً، ثم يخاطبها على أنها غزال فيتحول الى ضمير المذكر:

**هذه مهجتي لديك لحيني**
**فانقصي من عذابها أو فزيدي**
**كل شيء من الدماء حرام**
**شربه ما خلا ابنة العنقود**
**فاسقنيها فدى لعينيك نفسي**
**من غزال وطارفي وتلدي**
**شيبُ رأسي وذلتي ونحولي**
**ودموعي على هواك شهودي**
**أي يوم سررتني بوصال**
**لم ترُعْني ثلاثة بصدود**

ولو راجعنا دواوين الشعراء لوجدنا مئات الأمثلة على هذا الاستعمال ولم يشذ شاعرنا الأخطل عن طريقتهم المألوفة.

على أن لغزله ما يحببه الى الجمهور من أبعاد معنوية وصور طريفة ينفرد بها.

وقد أصاب الأستاذ عادل الغضبان إذ قال في مقدمته لشعر الأخطل في (الهوى والشباب)[١٢]: «والأخطل الصغير لا يرى جمال المرأة حيث يراه الأخطل الكبير ـ أسالة في الخد، وضموراً في الخصر، وعبلاً في الذراع والساق. إنه يراه أولاً في الروح الرهيفة السامية السابحة في غمرات الضياء فوق مناكب الحسن... ويوم يشاء أن ينظر الى المرأة نظرة أهل الأرض نراه يرسمها كما يرسمها شعراء العرب ولكن بأضواء وظلال جديدة وبطلاء جديد».

لا مراء أن شاعرنا الأخطل كان في كثير من غزله يجاري أهل الغزل من القدامى وغير القدامى. على أنه في الغالب كان ينظر الى الحب بعين القلب لا عين الجسد، فيعلو الى ذروات عاطفية حيث يصبح شعره الحبي تقديساً للجمال المطلق. كقوله لحبيبته واصفاً تأثير جمالها حتى في الطبيعة:

**ما تغنى الهزار إلا ليلقي**
**زفرات الغرام في أذنيك**
**سكر الروض سكرةً صرعته**
**عند مجرى العبير في نهديك**
**قتل الورد نفسه حسداً منـ**
**ـك وألقى دماه في وجنتيك**

وقوله (من المصدر نفسه):

**نم إن قلبي فوق مهدك كلما**
**ذكر الهوى صلى عليك وسلما**
**نم فالملائك عينها يقظى فذا**
**يرعاك مبتسماً وذا مترنما**
**نم فوق صدري إنه مهد الهوى**
**بيضاً جوانحه ترف عليكما**[١٣]

لــو أن بــعض هــواك كــان تــعــبــداً
وحــيــاة عــيــنك مــا دخــلت جــهــنــمــا

وفي هذه النظرة التقديسية للحب يجعله الدين الحق والمعتقد الأسمى فيقول:

يــا لــهــا الــلــه أويــقــات الــصــبــا
من أويــقــات لــهــا عــنــديَ يــدْ

ومن الطبيعي أن تخف ثورة الشباب ونزواته في غزله بعد أن تجاوز سن الشباب ونزواته، على أن روحه لم تفارق قط رقة الشعور بالجو الحبي الذي عاش فيه. اسمعه ينشد لنا من أبيات[١٤]:

كــفــانــي يــا قــلــب مــا أحــمــلُ
أفــي كــل يــوم هــوىً أولُ
كــفــى نــهــمــاً، لن يــفــر الجــمــال،
وتــرحــل أنــت ولا يــرحــل
عــذرتك يــا قــلــب من لــلــهــوى
أنــتــركه بــعــدنــا يــذبل
ســكــتــنــا فــمــا غــرد الــعــنــدلــيب
وتــبــنــا فــمــا صــفق الجــدول

فكأنه يخشى إذا هو توقف عن أناشيد الهوى أن لا يقوم بعده من يخلفه في إنشادها.

**خمرياته:**

ولا تقلّ نفثاته الخمرية طرافة وعذوبة عن نفثاته الغزلية. والغالب اجتماعهما معاً في المنظومة الواحدة بل امتزاجهما فيها امتزاجاً كلياً كما ترى في نشيد يستهلّه بقوله[١٥]:

إسقنيها بأبي أنت وأمي  لا لتجلو الهم عني  أنت همي
إملأ الكأس ابتساما  وغراما
فلقد نام الندامى  والخزامى
زحم الصبح الظلاما  فإلاما

**قم نُنِهْنِــهْ شفتينـــا ونذوّب مهجتينا رضي الحب علينا**
**يا حبيبي**

ومنه:

**صُبَّها من شفتيـــك في شفتيـا**
**ثم غرِّق ناظـــريـك في ناظريا**
**واختصرها ما عليك أو عليـــا**
**إن تـكن أنت أنـا وجـعـلـنـا الـزمـنـا قـطـرة في كـأسـنـا**
**يا حبيبي**

كان شاعرنا مولعاً بالشراب لا يختلف في ذلك عن الكثرة من الشعراء قديماً وحديثاً، وقد صرح لنا بهذا الولع في قوله[١٦]:

**ولـد الـهـوى والخـمـر لـيـلـة مـولـدي**
**وسـيـحـملان مـعي عـلى ألـواحي**

وقوله[١٧]:

**هي كـنه إحـسـاسي وروح قـصـائـدي**
**ومـطـاف أحـلامـي وركـن ودادي**

أجل أولع بها مثلهم وتغنى بها وبما تجلبه الى النفوس في مسراتها، وجاراهم في الافتنان بأوصافها. وإذا كان بعض شعراء الخمرة المتقدمين قد سبقوه الى ابتداع لطائف في هذا الباب كانت لمتذوقيها في كل جيل مصدر طرب وإعجاب فإن شاعرنا الأخطل الصغير لم يقصر في هذا المضمار، بل أتى بكل معنى رائع مستطاب. ومما يذكر له أنه لم يقف كل شعره الخمري على مجالس اللهو والشراب بين الدنان والقيان، بل خرج به أحيانا الى أجواء أخرى كما تراه في تحية لفلسطين حيث يعبر عن أساه في جو غزلي. وقد يسمعنا مع نشوة الخمر نغمات من التأمل الفكري، كقوله في مرثاته لجبران جبران[١٨]:

**حـكـمـة الـدهـر أن نـعـيش سـكـارى**
**فـاجـمـعـا لي الـكـؤوس والأوتـارا**

واجـلـواهـا دنـيـا ممـتـعـة الحـس
ـن كـمـا تجـلـوان إحـدى الـعـذارى
فـانـهـب الـعـيش ـ لا ابـالك ـ نـهـبـاً
واطّـرح عـنك وجـهـهـا المـسـتـعـارا
لـست مـهـمـا عُـمّـرت غـيـر جـنـاح
حطَّ في الـدوح لحـظـة ثم طـارا

فالحكمة عنده في عدم التفكر في الدنيا ومصير الإنسان. إذ ليس في التفكر الجدي غير الهم والكدر. فلننس هموم الحياة وأكدارها بنشوة دائمة نمتع بها أنفسنا ما دمنا قادرين على ذلك. لنستبق الأيام قبل أن ينقضي عهد الشباب ولا يبقى لنا من الحياة غير حفنة من تراب ممزوجة بالعناء والشقاء. وهكذا يقول من موشح مطلعه (كذب الواشي وخاب)[١٩]:

واسقني الشهد المذاب فإذا ولى الشباب كل ما يبقى تراب
كـذب الـواشي وخـاب...

وليس هو الأول أو الوحيد الذي نظر الى حياة الإنسان فرآها صائرة الى التراب، لا نعمى فيها غير نعيم الشباب. على أن ليس في نظرته ما يشعرنا بانقباض المتشائم الحزين بقدر ما يشعرنا بحيوية المحب للحياة المهتم بأن لا يفوته فيها فرص التمتع بها. ولعل هذا ما سماه بعضهم مبدأ الحياة في نفس الشاعر وشرحه عبداللطيف شرارة بقوله[٢٠]:

«هذا الحب للحياة ليس في الواقع تعلقاً بالعيش نفسه ولا إيثاراً للعافية على التضحية، ولا تجنيداً لقوى النفس في السعي وراء اللذات والمتع الدنيوية كما يبدو لأول وهلة، وإنما هو قبل كل شيء وفوق كل شيء ولع بالجانب الشعري من الدنيا ـ من الحياة ـ من الوجود، وتحسُّب لفقده، واضطراب إزاء خلو العالم منه عند الغياب عن هذا العالم».

ليس شاعرنا بذي مذهب فكري يواجه الحياة متلمساً إدراك حقيقتها بعقله فيرجع كما رجع غيره خائب الأمل شديد التبرم والأسى ويقف حائراً تتقاذفه الشكوك ويطغى عليه

الظلام الفكري. وإنما هو شاعر يخفق قلبه بما في الحياة من جمال ولا يهمه إلا أن يمتع نفسه ويمتع سواه بهذا الجمال. ولعل هذا هو السر في تلك النضارة التي يزهو بها شعره في مختلف مواقفه في الحياة. إن شعره في مختلف مواقفه في الحياة كالخمر المعتقة تطيب للشاربين أو كما قال سعيد عقل واصفاً شاعرية الأخطل في مقدمة ديوانه:

«هذه الكأس التي ما انفكت منذ نصف قرن تدار على ندامى هم شعوب لا أفراد. اليها هنا بالذات مد قلبك قبل اليد... أمرِّ العين متعبدة على الورقات بجماع نظرك تذوق ديوانا جديد البهاء، إنك لتجد المذاق نفسه، ذاك الذي له اهتززت وأنت فتى ـ كوثر من جنة هو، ومرة نكتار من أولمب»[٢١].

**الطبيعة في شعر الأخطل الصغير:**

إذا عددنا المرأة والخمر مصدرين رئيسيين للشعر الزاهي عند الأخطل فثمة مصدر آخر يجب أن يضاف اليهما وهو الطبيعة.

والطبيعة مجال واسع للشاعر. ففي شتى مناطقها ومشاهدها من رخيم الألحان وساحر الألوان وبديع المناظر وروعة السكينة ما يحرك خياله ويعلو به عن اختباراته العادية التي يعرفها في مزدحمات المدن ومتاعب الأعمال والتنازع على المال والسيادة بين الأفراد والجماعات.

وقد عرف شاعرنا جمال الحياة الطبيعية وهناءها معرفة خاصة إبان الحرب العالمية الأولى يوم اعتزل المدينة وعاش في قرية وادعة بين أحضان الطبيعة في لبنان، فتغنى بجمالها ناعم البال يسمع أغاريد طيورها، ويتنشق شذا زهورها ويرشف من عذب ينابيعها، ويروح النفس ببليل نسماتها.

وكثيرا ما كان يفتن في وصفها والتحدث اليها، فيخاطب الطير الصداح بين أشجارها بمثل قوله[٢٢]:

**صداح يا مؤنـــس الأراك  مالي أراكْ  تشدو فسبحان الذي براك**
**تستقبل الفجر بصوت رخيم  يحيي الرميم**
**وتلثم الزهر بثغر بسيـــم  لثم النسيـــم**
**أمَا ومَن جوهَرَ بالسحر فاك  حين اصطفاك  لم يصفُ هذا الروض لولا صفاك**

ومن الطبيعة كان يستوحي الصور البديعة في غزله فيقول مثلاً[٢٣]:

**إيه ريحانة الرياحين فيضي**
**مرحاً واملأي الجوانح وجدا**
**إمسحي جبهة الظلام تفض نوراً**
**ومرّي على الصخور فتندى**
**حملت كل روضة أجمل الزهر**
**وصاغت منها لجيدك عقدا**
**واغتدى كل جدول يتمنى**
**وانبرى كل بلبل يتصدى**

وها هو يسمع بلبلاً يغرد، فتتحرك لواعج فؤاده ذاكراً من يهوى فيلتفت الى البلبل مشاركاً إياه في أشجانه فيقول[٢٤]:

**أيها البلبل المغرد في الليل**
**على كل أخضر ميّادِ**
**يا شقي الهوى جفاك الذي تهوى**
**وكَلَّ الظلام مما تنادي**
**أنا أدرى بالطير حين تغنّي**
**كم جروح سالت على الأغماد**
**سل ضفاف الهوى أأنبتن غصناً**
**كسليمى أو طائراً كفؤادي**

فالطبيعة في شعره وجود كله حياة ـ بل هي مواطن أحياء عاقلة تشعر وتنطق وتفكر حتى الجمادات منها. وكثيراً ما كان يجلس اليها يبادلها الأحاديث الرقيقة والذكريات الطيبة كقوله لنهر بردى (من قصيدة في الشام)[٢٥]:

**بردى نظمت لنا الزمان قصائداً**
**بيضاً وحمراً من ندى وأقاحِ**
**في كل رابية وكل حنيّة**
**عصماء تسطع بالشذا الفواحِ**

**كم وقـــفـــة لـي في ذراك وجـــولـــة**
**شـــعـــريـــة وهـــوى الـــشـــآم سلاحي**
**فـــدّيت لـــيـــلكَ، والـــكـــواكب في يـــدي**
**ولـــثـــمت بـــدرك، والـــضـــيـــاء وشـــاحي**

أما لبنان فقد خصه بالنصيب الأوفر من أوصافه وسنرى نماذج من ذلك في الكلام عن شعره الوطني. فنكتفي هنا ببعض الصور التي يرسمها له.

قال فيه من أبيات وقد لقبه (بجبل الورد)[٢٦]:

**من ذروة الأرز حـــتى رمل شـــاطـــئه**
**ومـــا تـــنـــسم عـــنه الـــسـهل والجـــبلُ**
**أزاهـــر في حـــنـــايـــا الـــسـفح وادعـــة**
**من الحـــيـــاء عـــلى أهـــدابـــهـــا بـــلل**

وقال من أرجوزة يصف القرية[٢٧]:

**أيـــتـــهـــا الـــفـــتـــانـــة الـــصـــغـــيـــره**
**أنت بـــتـــاج مـــلك جـــديـــره**
**شـــاعـــرك الـــبـــلـــبل ذو الإلـــهـــام**
**وعـــودك الجـــدول ذو الأنـــغـــام[٢٨]**

ثم يستعرض المشاهد الفتانة فيها وما تثيره في النفس من خيالات خلابة ويقول:

**تـــوحي بـــهـــا الـــقـــريـــة في رأس الجـــبل**
**وأروع الـــــعـــــيش خـــــيـــــال وأمل**

وهو وإن اضطر بحكم مهنته الصحافية الى العمل في بيروت فقد ظل قلبه متعلقاً بالحياة الجبلية. فينشد متهللاً[٢٩]:

**لـــبـــنـــان كم لـــلـــحـــسن فـــيك قـــصـــيـــدة**
**نـــثـــرتْ مـــبـــاســـمـــهـــا عـــلـــيك الأنجمُ**
**كـــيف الـــتـــفتَّ فـــجـــدول مـــتـــأوه**
**تحت الـــغـــصـــون وربـــوة تـــتـــبـــسم**

أكـمـاته الـبـيـضـاء تحت سـمـائه الـزْ
زَرقـــاء أطـــفـــال تـــنـــام وتحـــلم
تـتـصـاعـد الـقـبلات من أنـفـاسـهـا
وتـــمـــر بـــالـــوادي الـــوديع وتـــلـــثم

**شعره الشجي:**

وله ظاهرتان رئيسيتان: المآسي والمراثي.

ليس من المتحتم علينا بعد أن ألقينا نظرة على الشعر الزاهي عند الأخطل الصغير أن نستنتج أن هذا الشاعر قد قضى حياته في عالم من الزهو متنقلاً بين الهوى والشراب لا هم له إلا معاقرة بنت الحان والتشبيب بجمال الحسان، أو ارتياد الطبيعة متنعماً بين أحضانها بما يجده من راحة واطمئنان. فلا ننس أنه كان أيضا صحفياً حريصاً على معالجة شؤون قومه ووطنه، جاداً في نشر كل ما يؤول الى خير مجتمعه. فمن الطبيعي لمن كان مثله ذا طبيعة حساسة وعاطفة مرهفة أن يعنى بحمل رسالة الإصلاح، والدعوة الى الأخذ بأسباب التقدم والحض على المكارم والفضائل.

وهكذا نراه يتأثر مما يراه حوله من المآسي الاجتماعية أو الشخصية ويعبر عن تأثره بقصص شعرية استوحاها من واقع مجتمعه أو من شتى مطالعاته كتلك التي اختبرها خلال الحرب العالمية الأولى أو التي قرأها في كتب الأدب والأخبار، وأهمها كتاب (الأغاني) الذي كما ذكرنا آنفاً كان شديد الولع بقراءته.

وإليك بعض الأمثلة من هذه القصص:

**١ - عروة وعفراء:**

وهي قصة في ٨٤ بيتاً روى لنا فيها ما جرى لهذين المحبين اللذين عاشا في صدر الإسلام. ومطلعها[٣٠]:

مـــهـــد الـــغـــرام ومـــســـرح الـــغـــزلان
حـــيث الـــهـــوى ضـــرب من الإيمـــانِ

وبعد أن يصف حبهما العذري بثلاثة عشر بيتاً يقص علينا حديثهما فيقول:

**ولـد الـفـتـى الـعـذري عـروة بـعـدمـا**

**دارت بـــوالـــده يـــد الحـــدثـــان**

ولد يتيماً فرُبي في بيت عمه هُصَر ونشأ منذ حداثته مع ابنة عمه عفراء فكانا يلعبان كل أوقاتهما معاً. وهكذا نما في قلبيهما البريئين ود متبادل وشعور عاطفي لم يفهما في حداثتهما معناه.

**حـــتى إذا كـــبـــرا تـــولى شـــرح مـــا**

**لم يـفـهـمـا، قـلـبـاهـمـا الخَـفِـقـان**

**فـــإذا الـــوداد هـــوى وصـــادف تـــربـــة**

**بـكـراً فـطـاب مـغـارسـاً ومـجـاني**

وأحس عمه هصر بهذا الهوى المتبادل فلم يرتح اليه، وكان مخاتلاً، فلما تقدم عروة منه معلناً حبه لعفراء طالباً منه يدها لم يرد طلبه رداً قاطعاً، بل أشار عليه أن يرحل أولاً الى الشام ساعياً وراء المال ليكون قادراً على القيام بما تتطلبه الحياة الزوجية. فأطاعه ومضى، ولكن...

**بـيـنـا الـفـتـى في الـشـام يـكـدح لـلـغـنـى**

**كـــانت حـــبـــيـــبـــتـه تـــزف لـــثـــانـي**

فقد تقدم من والدها نسيب له غني اسمه أثالة طالباً يد عفراء فقبل الطلب وهكذا زفت اليه الفتاة فمضى بها الى بلده (حاضر الروحاء).

وبلغ الخبر عروة فنزل عليه نزول الصاعقة، فهام على وجهه حزنا حتى أضناه الوجد واعتراه السقام، وقصد (حاضر الروحاء) متنسما أخبار عفراء، فعلم زوجها أثالة بوجوده، وكان رجلاً شهماً...

**فـــأبت مـــروءتـه عـــلـــيه أن يـــرى**

**رجلاً كـــعـــروة مـــبـــعـــداً مـــتـــداني**

فـمـشى الـيه عـاتـبـاً: أتـكـون في
بـلـدي ولـست لخـيـمـتي وخـواني
إني عـزمت عـلـيك أنك نـازل
عـنـدي وإلا سـاءني حـرمـاني

وتأثر عروة من مروءة أثالة، ولكنه اعتذر عن قبول دعوته بحجة أن أمراً هاماً يستدعي رجوعه الى دياره. وهكذا...

هـجـر الـديـار لـوقـته تـسـعى به
قـدمـان هـازلـتـان شـاكـيـتـان
هـجـر الـديـار ديـار عـفـراء الـتي
طـبـعت حـشـاشـته عـلى الأحـزان

حتى إذا وصل الى وادي القرى فاضت روحه ودفن هناك، فلما بلغ عفراء خبر وفاته ملأ قلبها حزن شديد وكانت وفية الوداد الصادق له...

فـأتت أثـالـة والـدمـوع سـوابح
فـتـلـثَّم الـفـضيُّ بـالمـرجـاني
قـالت لـتـعـلم أن عـروة كـان لي
إلـفـاً ونـحن وعـروة حـدثـان
هـلاّ أذنْـت بـأن أزور تـرابـه
أفـمـا أبي وأبـو الـفـتى أخـوان

فأجابها جواب رجل كبير النفس:

من ذا يمـانـع أن تـفـيـه حـقـه
سـيـري ـ فـمـا هي غـيـر بـضع ثـواني

حتى سارت فلما وصلت الى وادي القرى انحنت على قبره تندبه، ثم صاحت من قلب جريح:

واعـروتـاه! ولم تـتـم نـداهـا
حـتى ارتـمت فـإذا هـنـا مـيْـتـان

ضـمـوا الـفـتـاة الى الـفـتى في حـفـرة
من فـوقـهـا غـصـنـان مـلـتـفـان
روحـان ضـمـهـمـا الـهـوى فـتـعـانـقـا
وتـعـاهـدا فـتـعـانق الـكـفـنـان

وتظهر روح الشاعر في هذه القصة بشجاها الرقيق إذ يقول في مقدمتها:

مـهـد الـغـرام ومـسـرح الـغـزلان
حـيـث الـهـوى ضـرب من الإيمـان
حـيـتك من أرواح عـروة نـفـحـة
قـدسـيـة كـالـروح في الأبـدان
أنـا وفـد أبـنـاء الـصـبـابـة سـاجـد
من تـرب عـذرة في أذل مـكـان
اسـتـنـزل الـوحي الـذي ظَـفـرَتْ به
شـعـراء عـذرة في الـزمـان الـفـاني

والشعر العذري في أكثر صوره شعر شجي عناصره رقة الأشجان والوفاء للحبيب رغم الحرمان.

**٢ - الريال المزيف:**

وهي على ما يقول الشاعر قصة حقيقية حدثت في أثناء الحرب العالمية الأولى[٣١]. وكانت الحالة الاقتصادية قد تأزمت جداً في البلاد وأخذ الجوع يفتك بالكثيرين من أبنائها. وضعها الشاعر في ٥٤ بيتاً واستهلها بقوله:

ويح الـفـقـيـر فـمـا تـراه يلاقي
سـدت عـلـيـه مـنـافـذ الأرزاقِ

وخلاصتها أن امرأة جندي سيق زوجها الى الحرب ومات في ساحة القتال، تاركا زوجته الحسناء مع طفلة وليس لهما ما يقوم بأودهما. واشتد على الزوجة الضيق حتى لم تعد تدري كيف تحصل على الغذاء لها ولطفلتها...

**أخــذ الــشــقــا يــدهــا فــإن هـي فــكــرت**
**بمــصــيــرهــا صــعــقت من الإشــفــاق**
**ووهت عــزيمــتــهــا فــألــقت نــفــســهــا**
**فـــوق الـــثـــرى وشـــكت إلى الخلاق**

حاولت أن تجد عملاً مهما كان فلم توفق. ولم يبق أمامها إلا أن تطرق أبواب الكرام مستجيرة بهم من سوء حالها، فأوصدوا أبوابهم في وجهها، وعرف حالها فتى فاجر فتقدم منها عارضاً عليها ريالاً على أن تبيعه نفسها. لكنها كانت عفيفة عزيزة النفس فردته باحتقار مفضلة الصبر على الأذى والمكروه الى أن يمن الله عليها بالفرج. ولكن من أين الفرج والجوع يعضها ويعض طفلتها بأنيابه القاسية. وبعد حين عاودها الفتى بطلبه، وكانت في حالة يأس شديد ترى ابنتها تتململ بين يديها، والجوع يكاد يقضي عليها ولا عون ترجوه من أحد لإنقاذها. أترد هذا السافل حفاظاً على عفتها ولو ضحت بابنتها؟.. أم تستسلم له وتنقذ الطفلة؟.. وبعد صراع مرير في نفسها آثرت حياة الطفلة على نفسها وهي تقول للفتى من قلب كسير:

**ســتــعــيش بــنــتي ولــيــكن مــا شــئــته**
**ســتــعــيش لــكن من لُــهى الــعــشــاق**
**ومــشت لمــوعــده بمــاء جــفــونــهــا الـ**
**ــقــرحى وجــمــر فــؤادهــا الخــفَّــاق**
**تــرعى الــسـفــالــة في مــجــاهل قــلــبه**
**وتـــطل إن شـــبـــعت من الآمـــاق**

وهكذا قبضت الريال وأسرعت به لتشتري بعض الغذاء. ولكن البائع جس الريال وعرف أنه مزيف فشتمها وطردها. ولا تسل عما شعرت به في نفسها إذ ذاك من ألم وتعاسة.

**ســقــطت عــلى قــدم الــشــقــا فــبــكت لــهــا**
**عـــين الـــعـــلى ومـــكـــارم الأخلاق**

ضحت بعفتها لتنقذ ابنتها ولكن تضحيتها ذهبت سدى. فقد خدعها ذلك الفتى الفاجر ومضى في حال سبيله ـ مضى لينصب شباكه لسواها من البائسات.

**٣ - ربِّ قل للجوع:**

ومثل هذه المأساة الاجتماعية مأساة أخرى. نظمها في موشح من ٢٧ دوراً خماسياً. مطلعها[٣٢]:

**المها أهدت اليها المقلتين**
**والظبا أهدت اليها العنقا**
**فهما في الحسن أسنى حليتين**
**للعذارى. جلّ من قد خلقا**

وقعت هذه المأساة في الحرب سنة ١٩١٧ . بطلها متصرف جبل لبنان يومئذٍ، وضحيتها عذراء أودت المجاعة بوالديها تاركين لها أخاً صغيراً.

يصف الشاعر هذه الفتاة منوهاً بجمالها وأخلاقها ثم يقول:

**هكذا فلتكن الغيد الحسان**
**عفَّةً في رقَّةٍ في أدبِ**

مات والداها ولم يتركا لها ولأخيها الصغير إلا الفقر والعوز. وفي حال محنتها تقدمت منها عجوز ماكرة وأغرتها أن تقصد الحاكم فهو كريم يأخذ بيد المعوزين. وصدقتها الفتاة ولكنها لم تجد عند الحاكم غيرالفسق فوقعت ضحية لشهواته. ويختم الشاعر هذا الموشح بدعاء الله فيقول:

**رب قل للجوع يصبح شَبَعا**
**وانقذ الطهر الذي قدسته**

إلى آخر الأبيات.

**٤ - المسلول:**

ولعل أروع مآسيه قصيدته (المسلول)[٣٣]، وهي قصة في ٧٥ بيتاً تدور على ما حدث لشاب وسيم فقير الحال رأته احدى الغواني من ذوات اليسار وربات الهوى...

**حسناء أي فتى ترى تصِدِ**
**قتلى الهوى فيها بلا عددِ**

بـــصُـــرتْ به رث الـــثـــيـــاب بلا
مـــــأوى، بـلا أهـل، بـلا بـــــلـــــد
فـــتـــخـــيـــرته وكـــان شـــافـــعَه
لـــطفُ الـــغـــزال وقـــوة الأســـد

فأعجبت بنضارة شبابه وأخذت تستغويه بإظهار حبها له حتى هام بها، فأسكنته معها في بيتها الأنيق وغمرته بأطايب العيش الهنيء. وطاب له ما كانت تقدمه له من أموال ينفقها، ولذات جسدية يتمتع بها، فسكر بخمرة هواها وطيب عشرتها حتى لم يعد يهتم بشيء في الدنيا سوى قربها ووصالها:

نَـــهَـــبَـــا أويـــقـــات الـــصـــفـــاء وقـــد
عـكـفـا عـلـيـهـا عـكف مـجـتـهـد
وتـــرشَّـــفـــا كـــأس الـــغـــرام ومـــا
تـــركـــا بـــهـــا من نـــهـــلـــة لـــصـــدي

حتى مرت عليهما حقبة وهما غرقان في لجج الغرام، وإذا بالشاب بعدها منتهك القوى عليل الجسم يسري في صدره الداء الوبيل منحدراً به نحو هوة الهلاك:

هـــذا الـــفـــتـى بـــالأمس، صـــار إلى
رجل هـــزيل الجـــسم مـــنـــجـــرد
مـــتـــجـــعـــد الخـــدين من ســـرف
مـــتـــكـــســـر الجـــفـــنـــين من ســـهـــد
عـــيـــنـــاه عـــالـــقـــتـــان في نـــفق
كـــســـراج كـــوخ نِـــصْفِ مـــتـــقـــد
يمـــشي بـــعـــلّـــته عـــلـى مـــهل
فـــكـــأنه يمـــشي عـــلـى قـــصـــد
ويمج أحـــيـــانـــاً دمـــاً فـــعـــلـى
مـــنـــديـــله قـــطع من الـــكـــبـــد

قـــطع تـــقـــول له: تـــمـــوت غـــداً
وإذا تـــرق تـــقـــول بـــعـــد غـــد

ولما رأته على هذه الحال من الضعف من كانت بالأمس تغريه على معاشرتها هجرته وأقفلت الباب في وجهه فأصبح وحيداً لا يأنس بأحد ولا يؤاسيه قريب أو صديق. ومازال الداء ينهش رئتيه، والوحدة تغشاه بكآبتها، والفقر يعضه بأنيابه حتى قضى شقياً بائساً. يقول الشاعر متأثراً من حاله:

أين الـــتي عـــلـــقت به غـــصـــنـــاً
حـــلـــو المجـــاني نـــاضـــر المـــلـــد
أين الـــتي كـــانت تـــقـــول له
ضع رأسك الـــواهي عـــلى كـــبـــدي
مـــات الـــشـــقي بـــهـــا وقـــد ســـلـــمت
يـــا لـــلـــقـــتـــيل قـــضى بلا قـــود
مـــات الـــفـــتى فـــأقـــيم في جـــدث
مـــســـتـــوحش الأرجـــاء مـــنـــفـــرد

قبر حقير لمنبوذ فقير حفره له بعض من عرفوا أمره وأشفقوا عليه وتأثروا لمصيره...

كـــتـــبـــوا عـــلى حـــجـــراته بـــدم
ســـطـــراً به عـــظـــة لـــذي رشـــد
هـــذا قـــتـــيل هـــوى بـــبـــنت هـــوى
فـــإذا مـــررت بـــأخـــتـــهـــا فـــحـــد

هكذا كانت مآسي الحياة تنعكس لنا في شعر الأخطل الصغير.

أما مراثيه فقد كان جلها في أصدقاء عزيزين عليه، أو في عظماء ونوابغ يجل حياتهم ويقدر مآثرهم. فخرجت من قلب صادق التأثر ـ ينطق بما يشعر به حقاً في قصائد تجمع بين رقة العاطفة وحسن البيان. وله من ذلك نحو عشرين مرثاة في نخبة الأصدقاء والأدباء والشعراء والزعماء. وسنثبت في باب المختارات من شعره بعضاً من هذه المراثي. ومنها ما قاله في جبران جبران، وأحمد شوقي، والملك فيصل الأول، والزهاوي، والياس فياض. وسنشير من خلال تحليلها الى ما امتاز به من عميق المعاني وروعة التصوير والتعبير.

**وقفاته الوطنية**

لشاعرنا في هذا الباب موقفان. موقف خاص ينحصر في شؤون وطنه اللبناني ـ وموقف عام ينعكس عن الأوضاع السياسية في الشرق العربي.

ففي الموقف الأول تتجلى لنا في شعره شخصية اللبناني الصميم المشغوف بوطنه والغيور على مصالحه، وللبنان في شعره كما في شعر زميله السابق الذكر شبلي الملاط مكانة عزيزة يشترك فيها كثيرون من الشعراء اللبنانيين. ومن بواكير وقفاته الوطنية قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يوم تقدم بعض مواطنيه من الدولة العثمانية ببعض مطالب إصلاحية ومطلعها[٣٤]:

**فدى للبنان نفسي**
**وصبوتي وغرامي**
**لمنبت الشيح فيه**
**ومسرح الآرام**
**هناك «سينا» التجلي**
**ومهبط الإلهام**[٣٥]

**يا سائلي عن بنيه**
**سألت نفس «حذام»**[٣٦]
**قالوا (المطالب) لكن**
**ماذا جنوا في الختام**

ثم يخاطبهم مهيباً بهم الى الاعتماد على النفس في الإصلاح لا على ما يأملون أن ينالوه باسترحام أولي الأمر:

**متى أراكم تكرّو**
**ن كرَّة للأمامِ**
**وتلبسون إلى الحق**
**خوذة الإقدام**

وتـــــــدرســـــــون عـــــــلى المجـ
ـــــــد كُـــــرهَ الاســـــتـــــرحـــــام

ولما أصبح لبنان بعد الحرب العالمية الأولى دولة مستقلة لم يكن استقلاله إلا اسمياً فقد وضع تحت نيرالانتداب وظل كذلك حتى نهاية الحرب الثانية. وفي تلك الأثناء عاد (البرق) الى الظهور وصار ينشر ما كان يراه صاحبه صالحاً لوطنه ومعززاً للحركة الوطنية فيه. والظاهر أن ما كان يستشف في كتابته من روح حرة لم ترق كثيراً لأولي الأمر وأنصارهم في البلاد، فتجهموا له وغاضبوه حتى اضطر سنة ١٩٣٢ أن يتوقف عن إصدار جريدته.

فهو مع كل شغفه بلبنان وتغنيه بجماله وهناء العيش فيه لم يغمض عينيه عما كان يظهر له من مساوئ حكامه وتردي أحواله الاقتصادية والسياسية. كقوله مثلاً من قصيدة[٣٧]:

يـا أمـة غـدت الـذئـاب تـسـوسـهـا
غـرقت سـفـيـنـتـهـا فـأين رئـيـسـهـا
غـرقت فـلـيس هـنـاك غـيـر حـطـائم
يـبـكي مـؤبـنـهـا ويـضـحك سـوسـهـا
تـعـسـاً لـهـا من أمـة ـ أزعـيـمـهـا
جلادهـا وأمـيـنـهـا جـاسـوسـهـا؟

وفي يوم عيد من أعيادها ينظم قصيدة يقول فيها[٣٨]:

لـبـنـان ـ عـيـد مـا أرى أم مـأتم؟
لـلـه أنـت وجـرحك المـتـبـسّم
عـصـروا دمـوعك وهي جـمـر لاذع
يـتـنـورون بـهـا وصـبـحك مـظـلم
قل لـلـرئـيس إذا أتـيت نـعـيـمه
إن يـشقَ رهـطك فـالـنـعـيم جـهـنم

وأحيانا يشتد تعنيفه فيصيح بهم[٣٩]:

**صَهٍ أيـــهـــا المـــوتى ولـــو كـــان فـــيـــكم**
**حـيـــاة لـصـحـتم ملء هـذي الحـنـاجـر**
**لـقـد مـنـعـوا الأنـوار عـنـكم، وأنـصـفـوا**
**مـــتى احـــتـــاج لـلأنـــوار أهل المـقـــابـــر!**

وفـي محل آخر يشير الى مغاضبة قومه له فيخاطبهم معاتباً آسفاً لتفرق كلمتهم وتخاذلهم[٤٠]:

**لـــبـــنـــان مـــالك إن غـمـــزتك تـــغـــضب**
**أيـــجـــدّ غـــيـــرك في الحـــيـــاة وتـــلـــعبُ**
**إني هـــــززتك في الـــــبلاد فـــلم أجـــد**
**عـــزمـــاً يـــفلّ ولا إبـــاء يـــغـــضب**
**أمـــا الـشـعـوب فـقـد تـألف شـمـلـهـا**
**فـــمـــتى يـــؤلف شـــمـــلك المـــتـــشـــعب**

وفي كل هذه المواقف لا يطأطئ رأسه لأحد من أجل مصلحة خاصة بل يظل متعالياً يقف مرفوع الرأس وبإباء يذكّر وطنه بما قدم له من خدمات وكم كافح في سبيل عزه وكرامته فيقول[٤١]:

**لـــبـــنـــان يـــا وله الـــبـــيـــان أذاكـــر**
**أم لـــست تـــذكـــر نجـــدتي وكـــفـــاحي**
**قـــبَّـــلت بـــاســـمك كل جـــرح ســـائل**
**وركـــزت بـــنـــدك عـــالـــيـــاً في الـــســـاح**
**أنـــا إن حُـــجـــبت فـــلـــيس ذاك بـــضـــائـــري**
**وعـــلى الخـــواطـــر غـــدوتي ورواحي**
**ولـــربمـــا خـــدعـــتك صـــفـــحـــة هـــادئ**
**مـــني وفي الأحـــشـــاء عـــصف ريـــاح**
**إني إذا جـــنَّت ريـــاح ســـفـــيـــنـــتي**
**ذهب الجـــنـــون بـــحـــكـــمـــة الملاح**

ويتغير موقفه بعد الحرب العالمية الثانية وقد أصبح لبنان مستقلاً بسيادته حراً من سلطة الانتداب. فها هو يقف في عيد الذكرى الخامسة للاستقلال (٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٠) ويلقي قصيدة تنضح بالاعتزاز الوطني مطلعها[٤٢]:

**قم نقبل ثغر الجهاد وجيده**
**أشرق الكون يوم جدَّد عيده**

وفيها يخاطب العلم اللبناني فيقول متهللاً:

**أيهذا اللواء من خضرة الأرز**
**كساها دم الجهاد ورودَهْ**
**قد نشدناك عند كل قناة**
**وعلى كل أيكة غرِّيده**
**قل لتشرين ما نسينا لك الجرح**
**المدمّى في الليلة العربيده**

ثم يندفع بنشوة الحماسة الوطنية الى قوله مشيراً الى من راموا بقاءه مقيداً بقيود الانتداب:

**نحن لا نحسب الحياة حياة**
**أو نفدّي أوطاننا المعبوده**
**قل لمن حدَّد القيود: رويداً**
**يعرف الحق أن يفك قيوده**

وبهذه الروح يدعو النشء الى النهوض والجهاد فيقول من قصيدة موضوعها ليالي الجهاد[٤٣]:

**نشء لبنان هذه راية الأرز فإما الفداء بالنفس أو لا**
**قم نخشن منا اليدين فلا نحصد حقلاً إلا ونزرع حقلا**
**شقيت أمة إذا المجد ناداها تلوّت على الأسرّة كسلى**

ومن ظواهر شغفه بوطنه وبالحياة الأصيلة فيه أنه يلتفت الى الذين من أبنائه آثروا الحياة المضنية في بيروت وسائر المدن على الحياة الهانئة في القرى الجبلية فيقول من قصيدة[٤٤]:

**أَبَـــني أبـــيـــنـــا طـــال نـــومـــكمُ**
**تـشـقى الـنـفـوس ويـنـعم الـبـدنُ**
**ذوت الـــريـــاض ومـــاؤكم عـــممُ**
**وتـعـطـلت من حـلـيـهـا الـقـنن**
**عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى فـلـقـد**
**سـلـخـتـكم عن قـلـبـهـا المـدن**
**عـــودوا الى تـــلك الـــقـــرى فـعـلى**
**بـسـمـاتـهـا يـتـمـزق الحـزن**

ومما كان يحز في نفسه ما كان يراه من حالة وطنه الاقتصادية التي كانت تضطر كثيراً من أبنائه الى التماس الرزق والتقدم في بلاد الاغتراب. وقد أشرنا الى ذلك في عرضنا قصته الشعرية (سلمى الكورانية).

ولنختم كلامنا في هذا الباب بأبيات من قصيدة وجهها الى أحد كبار المهاجرين قال منوهاً بجهاده وجهاد رفاقه[٤٥]:

**لـــله أنت مـــغـــرِّبـــاً ومـــشـــرِّقـــاً**
**تـــذريك عـــاصـــفـــة وأخـــرى تـــزرعُ**
**حـــتى انـــدفـــعت فـــكل صـــخـــر روضـــة**
**ـ ســـلـــمت يـــداك ـ وكل أفق مـــطـــلـع**
**تـــتـــحـــطم الأقـــدار ســـاعـــة تـــنـــبـــري**
**تـــتـــفـــجـــر الأنـــوار ســـاعـــة تـــطـــلـع**

أما موقفه العربي العام فراجع الى ما كان يخامره من شعور قومي واسع وإلى غيرة عنده على كرامة العروبة. وإلى هذا الشعور يشير في مقدمة مجموعته الشعرية

الأولى (الهوى والشباب) إذ يصف لنا حاله إبان الحرب العالمية الأولى وهو منعزل في بعض القرى اللبنانية تجنباً لجور الحكم العسكري التركي، وكيف انتحل اسم الأخطل ليوقع ما كان ينفثه خفية في تلك الأثناء تأييداً لما كان الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا قد قدموه للعرب من وعود بتحريرهم من نير الأتراك ومساعدتهم على بعث امبراطوريتهم العربية المنشودة، وعلى ذلك ناصرهم العرب فثاروا على تركيا بزعامة شريف الحجاز (الملك حسين) وقيادة أبنائه وأخصهم بالذكر فيصل الأول. وانتصر الحلفاء لكنهم لم يفوا بوعودهم للعرب كما يجب، مما أثار حفيظة العرب ونقمتهم. وشاركهم الأخطل الصغير في ذلك كما ترى في مرثاته للملك فيصل الأول إذ يقول مشيراً الى الحلفاء[٤٦]:

**حدثونا عن الحقوق فلما**
**كبر النصر أحوجتنا التراجم**
**نفحتنا بها الحروب سلاماً**
**ورمانا بها السلام أداهم[٤٧]**
**أخذتنا الدنيا بما زيّنته**
**من أمان ونحن بعد براعم**
**وعلقتم من عهدهم بسراب**
**كم سموم تحت الشفاه البواسم**

أي أنه خلال الحرب كان العرب والحلفاء على أتم تفاهم على ما سيناله العرب من حقوق وما سيتحقق لهم من أماني. ولكن لما تم النصر للحلفاء انقلبت وعودهم الى قيود (أداهم) للعرب يرسفون بها تحت سلطة الانتداب التي فرضت على شتى أقطارهم.

☆☆☆☆☆

وقد يصح القول أنه لم يكن لشاعرنا في شعره القومي من سعة المجال ما كان لبعض زملائه في مصر والعراق وغيرهما كشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي وأمثالهم، ولكنه لا يقل عنهم في صدق الشعور القومي. وقد يمتاز أحيانا برقة ديباجته وحرارة عاطفته.

ومن أفضل نفثاته القومية ما نظمه في القضية الفلسطينية التي كانت ولا تزال تعد القضية العربية المشتركة. ومن أقواله فيها أبيات أذاعها من محطة الإذاعة الفلسطينية سنة ١٩٤٢ اليك بعضها[٤٨]:

**فلسطين أفديك من دمعة**
**تهاوت على بسمة حائره**
**تعانقتا فاستحال العناق**
**لهيباً على شفة ثائره**
**فلسطين يا حلم الأنبيا**
**ءِ ويا خمرة الأنفس الشاعره**
**حملنا لك المهج الظامئا**
**ت وأصدية القبل الطاهره**

وقد أذكت الثورة الفلسطينية في شعره لهيباً من فخر قومي كقوله من قصيدته التي مطلعها[٤٩]:

**سائل العلياء عنا والزمانا**
**هل خفرنا ذمة مذ عرفانا**
**المروءات التي عاشت بنا**
**لم تزل تجري سعيراً في دمانا**

ومنها:

**ضجت الصحراء تشكو عريها**
**فكسوناها زئيراً ودخانا**
**مذ سقيناها العلى من دمنا**
**أيقنت أن معداً قد نمانا**[٥٠]
**إن جرحاً سال من جبهتها**
**لثمَتْه بخشوع شفتانا**
**وأنيناً باحت النجوى به**
**عربياً رشفته مقلتانا**

وقد نلمس هذه الروحية العربية فيه خلال مراثيه لبعض زعماء العرب كقوله مثلاً في مرثاته للملك فيصل الأول المار ذكرها وقد أنشدها في بغداد. وفيها يصف صدق عروبة لبنان فيقول:

**وسفحنا في دجلة قلب لبنان**
**وأجفانه الهوامي الهوائم**
**عربي النجار شد عراه**
**بالليواءين عبد شمس وهاشم**
**خذ بهمس القلوب في أذن الحب**
**ودع عنك كاذبات المزاعم**

والحقيقة أن هذا ما كان يشعر به الشاعر نفسه من الولاء للعروبة. وكذلك في مرثاته للزعيم المصري العظيم سعد زغلول التي يستهلها بقوله[٥١]:

**قالوا دهت مصر دهياء فقلت لهم**
**هل غيّض النيل أم هل زلزل الهرمُ**
**قالوا أشد وأدهى قلت ويحكم**
**إذن لقد مات سعد وانطوى العلم**

ويختمها بقوله:

**من مبلغ مصر عنا ما نكابده**
**إن العروبة فيما بيننا ذمم**
**ركنان للضاد لم تفصم عرى لهما**
**هم نحن إن رزئت يوماً ونحن هم**

وإنك لتستشف هذه الروح في غير هاتين المرثاتين من مراثيه لزعماء العرب. وقد تكون في مثل هذه المواقف عاطفة شعرية عابرة. ولكن الذي يتأمل حياة الأخطل الصغير وشعره لا يسعه إلا أن يشعر بأنها تنبع من قلب صادق الشعور. وينعكس ذلك لنا أيضاً من بعض أناشيده الوطنية لشباب العرب.

**خلاصة القول في فنه الشعري:**

قد يتبين للناظر في شتى مواقفه الشعرية كما عرضنا آنفاً صورة عامة عن ملامحه الفنية. بقي أن نقول كلمة في موقفه الوجداني ـ أي في نظره الخاص الى نفسه إزاء الحياة العامة. ثم نختم دراستنا لشعره بموازنة وجيزة بينه وبين من درسناهم من شعراء جيله.

أما موقفه الوجداني فليس له فيه غير بضع قطع صغيرة وكلها لا تخرج في الغالب عما تعوده الشعراء السابقون ـ شكوى من الدهر لإساءته اليهم، أو من الناس لتقصيرهم في إيفاء حقهم ـ تشاؤم يعتريهم لفقد عزيز عليهم، أو لشعورهم بظلمة في الحياة تحيط بهم، أو غير ذلك مما كان يدفعهم الى بث خواطرهم في تأملات يتخللها أحيانا حكم تؤثر عنهم، كقول شاعرنا مخاطباً الليل[٥٢]:

**يا ليل قد وشَّحْتني بالأسى**
**ما عشت لا أطرح هذا الوشاحْ**
**أحالني الهم الى ليلة**
**ماطرة تعصف فيها الرياح**

وقوله واصفاً حاله وقد هجره الحبيب[٥٣]:

**قسَّمتُ فؤادي بين بؤسي والهوى**
**فهذا له شطر وهذا له شطرُ**
**سقيت مرارات الحياة فلم أجد**
**كمثل الذي يسقيه من كفك الهجر**

وقوله أيضاً في هذا المعنى[٥٤]:

**وأية بهجة للنفس تبقى**
**إذا ذهبت أحبتها الكرامُ**
**فكل خميلة قفر يباب**
**وكل ومـيض بارقة ظلام**

وقوله في قصور العقل أمام الكون[٥٥]:

**ويح هـذي الـعـقـول لم تـصب الـرمـ**
**ـيـة يـومـاً إلا لـتـخـطئ عـشـرا**
**دون مـا نـبـتـغـيه من كـنه هـذا الـ**
**ـكـون سـر فـيه الجـواب اسـتـقـرا**

والذي يبدو مما نشر له حتى الآن أن شاعريته لا تتألق في الأجواء الفكرية البعيدة أو الميادين الإنسانية الواسعة تألقها في الجو العاطفي الخاص. ولكن إذا لم يكن قد خاض بعيداً في خضم الحوادث السياسية أو غاص الى أغوار المسائل الاجتماعية والفكرية كما فعل بعض زملائه من مخضرمي هذا العصر، فذلك لا يحط من إمامته الشعرية التي اعترف بها كبار أهل الأدب والشعر في العام العربي يوم أموا بيروت من جميع الأقطار واشتركوا في مهرجان تكريمه سنة ١٩٦١ ثم في مهرجان ذكرى وفاته الأولى سنة ١٩٦٩ .

وهنا فلنسأل: ما العنصر الفني في شعره الذي أحرز له هذه المكانة العالمية؟ أو ما الذي دفع أهل الأدب في شتى الأقطار العربية الى الاعتراف بإمامته الشعرية؟ ذلك بأنه كان رسول الشعر العاطفي المصفى ـ غنى عواطف قلبه فأطرب وأشجى، وصور لنا اختبارات نفسه في حالتي مرحه وأساه فارتفع به الشعر الغنائي الى أعلى مستوى. إن سر الفن في شعر الأخطل الصغير هو تلك الحيوية العاطفية ـ تلك الشاعرية التي تتناول الحروف فتنسج منها ديباجة مشرقة الألوان والظلال، وتستوحي المعاني فتخرجها بصور رائعة الجمال.

تأثر بالرومانسية الغربية ولكنها لم تفصله عن تراثه العربي الصميم. فعاش في جوها حاملاً رسالته الشعرية في ألفاظ مصفاة وتعابير موسيقية ومعارض جديدة من الأوزان والمعاني. وقد أصاب من قال فيه:

**لم يـزل صـوته كـأن الـلـيـالي**
**سـكـبت صـفـوهـا عـلى تحـنـانه**

كـالـنـسـيم الـعـلـيل خـفقُ جـنـاحـيه
ووقع الـــنـــدى رقـــيق بـــيـــانه[٥٦]

☆☆☆☆☆

أضـــفى عـــلى الأدب الـــريـــان طـــابـــعه
فلاح مـــصـــدر نـــور من مـــصـــادرهِ
تـهـفـو الـعـروبـة من شـتى مـنـاكـبـهـا
الى الـــرحـــيق المـــصـــفى من بـــواهـــره[٥٧]

وفي هذا وأمثاله مما قيل في الأخطل الصغير كثير من الصواب برغم بعض المآخذ التي يأخذها عليه بعض ناقديه.

**أنيس المقدسي**

✱✱✱✱

## الهوامش

* – اختلفت الروايات في تاريخ ميلاد الأخطل الصغير. وقد رأينا بعد البحث والمقابلة أن هذه السنة (١٨٨٥) أقرب الى الصحة من سواها.

١ – راجع مقالة «الأخطل بين المنبر والديوان»

٢ – من كلمة صلاح الأسير في مجلة «هنا لندن» عدد ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٩.

٣ – يرى بعضهم أنه كان يومئذ في الثامنة عشرة باعتبار أنه ولد كما يظنون سنة ١٨٨٩ ولكننا كما ذكرنا سابقاً أنه ولد قبل ذلك.

٤ – من مقال في المقتطف ٨١ ص ٩٤ ـ ٩٩ .

٥ – ولعل أوفى ما كتب في ذلك أطروحة قدمتها سهام أبو جودة للدائرة العربية في الجامعة الأميركية وهي مخطوطة في ٦ أجزاء محفوظة في مكتبة الجامعة.

٦ – عن البرق ع ـ ٣٤٥١ .

٧ – عاش الشاعر سبع سنوات فقط بعد ١٩٦١ وكان في أثنائها قد قل نشاطه الأدبي وأقعده الضعف والمرض عن الإنتاج.

٨ – للاطلاع على إحصاء تفصيلي واسع في هذا الباب راجع مخطوطة سهام أبوجودة في مكتبة الجامعة الأميركية.

٩ – مج ٢ ـ ٢٤ .

١٠ – معبد وابن عائشة ومالك والغريض من كبار المغنين القدماء. وابن مخزوم هو الشاعر عمر بن أبي ربيعة. والوليد هو الخليفة الأموي المعروف بمجالسه الشعرية والخمرية.

١١ – راجع مخطوطة سهام أبو جودة ٢ ـ ٥٤ .

١٢ – المجموعة الأولى ١٩ .

١٣ – أي ترفٌ على الحبيب وعلى الهوى.

١٤ – المصدر نفسه ٢٥٨ .

١٥ – المجموعة ٢ص ٢٤٤ .

١٦ - المجموعة ٢ ص ٥٢ .

١٧ - المجموعة ٢ ص ٥٤ .

١٨ - المجموعة ٢ ص ٨١ .

١٩ - المجموعة ١ ص ١٤٨ .

٢٠ - راجع كتابه «الأخطل الصغير» ص ٢٧ ـ ٢٨ .

٢١ - بتصرف قليل عن مقدمة ديوان شعر الأخطل الصغير «نكتار طعام الآلهة».

٢٢ - المجموعة ١ ص ١٤٠ .

٢٣ - المجموعة ٢ ص ١٢٠ .

٢٤ - المجموعة ١ ص ١٤٣ .

٢٥ - مج ٢ ص ٢١٥ .

٢٦ - مج ٢ ص ١٦ .

٢٧ - مج ٢ ص ٢٨٤ .

٢٨ - العود ـ الآلة الموسيقية المعروفة.

٢٩ - مج ٢ ص ٣٦ .

٣٠ - راجعها في المجموعة الأولى ص ٦٧ .

٣١ - راجعها في المجموعة الأولى ص ٥٩ .

٣٢ - راجعها في المجموعة الأولى ص ٧٧ .

٣٣ - المجموعة الأولى ص ١٠٣ .

٣٤ - مج ١ ص ٥٣ .

٣٥ - سينا ـ أي برية سيناء.

٣٦ - حذام ـ اسم امرأة قديمة عرفت بصدقها.

٣٧ - مج ٢ ص ٢٧٩ .

٣٨ - مج ٢ ص ٧٨ .

٣٩ - مج ٢ ص ٢٦٨ .

٤٠ - مج ٢ ص ٨٦ .

٤١ – مج ٢ ص ١٢٦ .

٤٢ – مج ٢ ص ١٦١ .

٤٣ – مج ٢ ص ٨٧ .

٤٤ – مج ١ ص ١٨٤ .

٤٥ – مج ٢ ص ٢٢ .

٤٦ – مج ٢ ص ٢٢٠ .

٤٧ – الأداهم ـ القيود.

٤٨ – مج ١ ص ١٦٣ .

٤٩ – مج ١ ص ١٦٥ .

٥٠ – أي أيقنت أننا ننتمي الى معد وهو الجد الأعلى للعرب.

٥١ – مج ٢ ص ٢٠٧ .

٥٢ – مج ٢ ص ٢٠ .

٥٣ – مج ٢ ص ٦٠ .

٥٤ – مج ٢ ص ١٨٧ .

٥٥ – مج ٢ص ١٠٣ .

٥٦ – عبدالمنعم الرفاعي من قصيدته في ذكرى الأخطل، جريدة الحياة، عدد ٧٣١٥ .

٥٧ – عزيز أباظة من قصيدته في ذكرى الأخطل. المصدر نفسه.

✱✱✱✱

# بشـارة الخـوري

**د. سامي مكارم**

.... أما بشارة الخوري فله أهمية كبيرة في الشعر العربي الحديث. فلقد كان واحدا من أولئك الشعراء اللبنانيين الذين ساروا في مطلع القرن العشرين بالشعر العربي أشواطا إلى الأمام. تلك النخبة من الشعراء، التي على تأثرها بالأدب الغربي ظلت محافظة في أغلب آثارها على عمود الشعر القديم وعلى موسيقاه. فكان لها أن جمعت بين روعة القديم وبهجة الجديد فأتت لنا بشعر جدير بأن يرافق ركب الشعر العالمي دون تعب أو ونى.

كانت هذه النخبة تقرأ ما تشاء من أدب الغرب وخصوصا من الأدب الحديث، أدب القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وكانت تقرأ ما تشاء من الأدب العربي القديم، وكانت تحاول أن تمزج بين الأدبين. وقد تم لها ذلك أو كاد لها أن يتم فإذا بها تأتينا بهذا الشعر الذي كان العتبة في طريق التجديد.

وكان للأخطل الصغير النصيب الأوفر من هذا التجديد، وكان لشعره أن أصبح مشعلا يسير على هديه كثير من الشعراء.

تأثر الأخطل الصغير بأدب الغرب وخصوصا بالشعراء الفرنسيين الرومانتيكيين أمثال ألفرد ده موسيه ولامرتين، وفيكتور هيجو وغيرهم. وكثيرا ما كان يترجم شعرهم وكثيرا ما كان يقتبس منهم ما أراد. وديوانه «الهوى والشباب» يزحز بهذه الاقتباسات ويزحز بهذا الأثر الفرنسي الرومانتيكي.

ولست أعني بهذا القول أن شاعرنا رومانتيكي خالص، وإنما الذي أعنيه هو أن فيه بعض آثار الرومانتيكية.

---

■ من أطروحـــة الدكتور سامي مكارم «الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين».

وربما تكون رومانتيكية بشارة الخوري تقتصر على أن شعره في معظمه، هو مما يختلج في ذاته من خواطر، وهو عرض لعواطفه ومشاعره وأحاسيسه، إن رومانتيكية بشارة الخوري تظهر في غزله المتألم الملتاع. فهو في أغلبه لا يصف الناحية المادية في حبيبه، ولا يصف العاطفة الشهوانية في نفسه وإنما يصف، كالشعراء الرومانتيكيين تألمه والتياعه كقوله:

**أيـــهـــا الخـــافق المـــعـــذّب يـــا قـــلـــبي**
**نـــزحت الـــدمـــوع من مـــقـــلـــتـــيّـــا**
**أفـــحَـــتْمٌ عـــلـــيّ إرســـال دمـــعي**
**كـــلـــمـــا لاح بـــارق في مـــحـــيّـــا**
**يـــا حـــبـــيـــبي لأجل عـــيـــنـــيك مـــا ألـــقى**
**ومـــا أولَ الـــوشـــاة عـــلـــيّـــا**
**أأنـــا الـــعـــاشق الـــوحـــيـــد لـــتـــلـــقى**
**تـــبـــعـــات الـــهـــوى عـــلـــى كـــتـــفـــيّـــا**[1]

أو قوله:

**أيـــهـــا الـــغـــائب الـــذي في فـــؤادي**
**حـــاضـــر كـــيف حـــال قـــلـــبك بـــعـــدي**
**أين عـــيـــنـــاك، تـــنـــظـــراني وكـــفّي**
**فـــوق قـــلـــبي ومـــدمـــعي فـــوق خـــدي**
**هـــائـــمـــاً في الـــظلام يـــلـــذع حـــر الـ**
**ـــوجـــد قـــلـــبي ويـــلـــذع الـــبـــرد جـــلـــدي**
**شـــبح طـــائف كـــســـتْه يـــد الـــلـــيـ**
**ـلِ بـــبـــرد كـــوجـــهـه مـــســـودّ**
**بـــيـــد أني لـــو شـــئت مـــا اعـــتـــرف الـــلـــيـ**
**ـل بـــســـهـــدي ولا اعـــتـــرفت بـــوجـــدي**

ولَـــمـــا هـــزّ صـــفع نـــعـــليَ للأر
ض ســـكـــونَ الـــظلام إذ جـــدَّ جـــدي
ولمـا اسـتـلـنـي الـشـقـاء حـسـامـا
في نـــهـــاري وصـــيّـــر الـــلـــيل غـــمـــدي
ولمـــا حـــيّـــر الـــكـــواكب مـــني
زفـــرات كـــشـــهـــبـــهـــا ذات وَقْـــد[٢]

ألا تذكرنا هذه الأبيات، بما فيها من عاطفة صادقة ومن شوق وحبٍّ حق ومن ألم والتياع ومرارة ومن رقة وطلاوة وعذوبة «بليالي» موسيه المتألمة المريرة التي تفيض رقة وتفيض عاطفة. وألا يذكرنا هذا الانسياب وهذا التدفق العاطفي وهذا النفس الطويل بانسياب موسيه وتدفقه ونفسه؛ بل على الأصح بانسياب جميع الشعراء الرومانتيكيين.

وإذا نحن نظرنا إلى هذا الألم وهذا الالتياع اللذين يقربانه إلى الرومانتيكيين في قصيدته «آه يا هند لو ترين» فإننا نجد أنه يعرض ذاته عرضا ويعبّر عن عواطفه وشعوره بصدق كصدق الرومانتيكيين، وبسذاجة كسذاجتهم. لنسمعه يقول فيها:

آه يـــا هـــنـــد لـــو تـــرين
مـــوقـــفي بـــين حـــائـــطـــين
لا يـــحـــيـــران أخـــرســـين
وعـــلـــى الخـــد دمـــعـــتـــين
لـــو تـــرين

إلى أن يقول:

أبـــداً ســـاهـــر كـــئـــيب
لا صـــديـق ولا حـــبـــيـــب
ومع الـــلـــيل لي نـــحـــيـــب
كـــنـــحـــيب الحـــمـــامـــتـــين
بـــعـــد بـــين

إلى أن يقول:

**لم يعد في السراج زيت**
**وكما ينطفي انطفيت**
**فأنا الآن مثل ميت**
**ما له غير ساعتين**
**لو ترين**[٣]

هذا التعبيرعن الذات المتألمة وهذه اللوعة وهذه اللهفة في الحب هي ولا شك صفات رومانتيكية. ولقد يقرب شاعرنا من الرومانتيكيين أيضا في نظرته لمحبوبته فإننا نراه عندما يتكلم صادقا في عاطفته، ينظر إلى حبيبته نظرة عليا تمجدها وترفعها وتنزهها عن الشهوات الجسمانية. فهو لا يعود يرى فيها الشفة والنهد والساق بل ولا يعود يراها كالبشر وإنما هي إلى الملائكة أقرب وبالطهر والبراءة ألصق، فهو يرى حبيبته روحا سامية طاهرة، ومثالا يشفق الإنسان من أن يمسه بسوء، أو ينظر إليه بشهوة، فهو ملاك طاهر وجد لكي يتأمل فيه الإنسان الجمال وحسب:

**رقدت ترشف الكرى مقلتاها**
**مثلما ترشف العطاش المياها**
**صاعدات أنفاسها هادئات**
**كصلاة الأطفال طهر شذاها**
**تحلم الحلم لؤلؤيا فتمليه**
**طهوراً على الصّبا شفتاها**
**وأزاح النسيم عن صدرها الثو**
**ب فلاحا... ولا تقل نهداها**
**شك في نفسه الملاك فلا يد**
**ري إذا كان صبّها أم أخاها**[٤]

لا يمكن لنا أن نتبين من هذه الصورة إلا صورة الطهر والبراءة.

**صـــاعـــدات أنـــفـــاســـهـــا هـــادئـــات**

**كـــصلاة الأطـــفـــال طـــهـــر شـــذاهـــا**

حتى إنه لا يصورها طاهرة بريئة فحسب بل إنه يصورها موحية بالطهر والبراءة فإذا هو لا يستطيع عندما رأى نهديها أن يفكر بريب بل أنف من ذلك وأشفق على نفسه أن تتمادى بشهوتها حتى ولا بالفكر:

**وأزاح الـــنـــســـيم عن صـــدرهـــا الـــثـــو**

**ب فلاحـــــا... ولا تـــــقل نـــــهـــــداهـــــا**

إنه يصور حبيبته ملاكاً طاهراً يغفو، وهو إنما يتأمل هذا الملاك ويتأمل هذا الجمال الروحاني الذي ينبعث منه نقيا طهورا.

وها هو في قصيدته «رحمة ربّ»[٥] يصف حبيبته ملاكا طاهرا، لا يعرف الإثم، فهي تعيش في جنة الخلد بين الملائكة والحور، ويصف حبه لها وكأنه خير ما في الجنة وخير ما في السماء. هكذا اشتط الأخطل الصغير في الحب حتى إنه لم يعد بمقدوره أن يظن أن حبيبته تخطئ، فلا عقاب يمكن أن ينزل بها وهو إذا أنزل فالويل من شكواه والويل من غضبه. فلنسمعه يقول:

**لم يـــشُـــقْـــنـي يـــوم الـــقـــيـــامـــة لـــولا**

**أمـــــلـي أنـــــنـي هـــــنـــــاك أراهـــــا**

.....

إلى آخر الأبيات.

إن ذلك هو الرومانتيكية بعينها.

ولا أعني بهذا القول أن شعر الأخطل الصغير خلو من الثغر والنهد والساق. ففي شعره كثير من هذا، وفي شعره كثير من المادية ومن الشهوة ومن التخلي عن المثالية. ولكن الذي قلته من قبل هو المسحة الغالبة على شعره.

ولا ننتظر من الشاعر أن لا يحيد عن سنة اختطها لنفسه، فهو قبل كل شيء شاعر، والشاعر ليس بالفيلسوف الذي يعتنق عقيدة لا يحيد عنها. الشاعر تملي عليه العاطفة، والعاطفة تتغير وتتبدل بتبدل الأوقات والظروف والمؤثرات.

وهنالك أمر آخر يدني شعر الأخطل الصغير إلى الرومانتيكية. هذا الأمر هو الليونة التي نجدها فيه. ولا شك أن هذه الليونة الموجودة في شعر بشارة الخوري قد نتجت عن عاطفته الرقيقة من جهة والهادئة من جهة ثانية.

ولقد غلبت هذه الليونة على جميع شعر الأخطل الصغير حتى إننا نراها في حماسياته وشعره الوطني، فشعره بعيد عن الجفاف والشدة. والأخطل الصغير في أحاديثه الخاصة[٦] يسمي هذه الخاصية في شعره «زوما»، فالشعر الندي الرطب هو شعر يحتوي على الزوم، أي أنه غير جاف. لقد كان الشعر قبل الأخطل الصغير في أغلبيته صلبا جافا ليس فيه شيء من الليونة والنعومة. يغلب الشكل الرصين والجزالة على عاطفته، فيبدو وكأنه قد حملت العاطفة إليه حملا أو جرّ هو إلى العاطفة جرّا. أما شعر الأخطل الصغير فيختلف عن ذلك. فلقد علم أن الشعر الحقيقي هو الشعر الذي يمتزج نغمه بمعناه، وشكله بمضمونه، وعلم أن الموسيقى الشعرية هي الوحدة بين المبنى والمعنى فجاء بشعره وهو يقطر (زوما) على حد تعبيره.

أما ما عدا هذه الخواص التي ذكرنا فإننا نرى أن شعر الأخطل الصغير إنما هو أقرب إلى شعر البرناس منه إلى شعر الرومانتيكيين. فلقد ظل الأخطل الصغير محافظا على عمود الشعر العربي التقليدي، وظل محافظا على وحدة الوزن وعلى وحدة القافية وعلى صحة اللفظة العربية القديمة وهو إلى ذلك يجهد نفسه في وضع الكلمة موضعها لتؤدي المعنى المقصود. فهو يصقل شعره ويغنيه بكلمات تطابق المعنى تمام المطابقة وتلائمه وتؤثر بالقارئ وتوحيه. كقوله:

**أيـــهـــا الخـــافق المـــعـــذّب يـــا قـــلـــبي**
**نـــزحت الـــدمـــوع من مـــقـــلـــتـــيّـــا**[٧]

أو كقوله:

**رقـدتْ تـرشف الـكـرى مـقـلـتـاهـا**
**مـثـلـمـا يـرشف الـعـطـاش الـمـيـاهـا**[٨]

أو كقوله:

**تحـلـم الحـلـم لـؤلـؤيـاً فـتـمـلـيه**
**طـهـورا عـلـى الـصّـبـا شـفـتـاهـا**[٩]

أو كقوله:

**أنت ذوّبت في مـحـاجـرهـا الـسـحـر**
**ورصّـعـت بـالـلآلئ فـاهـا**
**أنت عـسّـلت ثـغـرهـا فـقـلـوب الـنْ**
**نـاس نـحـل أكـمـامـهـا شـفـتـاهـا**[١٠]

أو كقوله:

**تـعـجّب الـلـيل مـنـهـا عـنـدمـا بـرزت**
**تُـسـلـسل الـنـور في عـيـنـيه عـيـنـاهـا**[١١]

أو كقوله:

**قم ننهنه شفتينا ونذوّب مهجتينا رضي الحب علينا يا حبيبي**[١٢]

أو كقوله:

**يـا صـارف الـكـأس عـنـا لا تـضِنّ بـهـا**
**ويـا أخـا الـوتـر المـكـسـال لا تـنـم**[١٣]

فلنلاحظ التأثير الذي تحدثه بالقارئ كلمات مثل: نزحت الدموع من مقلتيها، وترشف مقلتاها الكرى، والحلم اللؤلؤي، وأنت ذوّبت في محاجرها السحر، وعسّلت ثغرها، وتسلسل النور عيناها، وقم ننهنه شفتينا، ويا أخا الوتر المكسال، وغير ذلك من الكلمات المنتقاة التي يزخر بها الديوان ولا يسع المجال الى ذكرها.

هذه الخاصة في شعر الأخطل الصغير من أهم الخصائص التي تميز شعره والتي أثرت على غيره من الشعراء المعاصرين كأمين نخلة في لبنان وعمر أبي ريشة في سوريا وإبراهيم طوقان في فلسطين.

هذه الصياغة، صياغة القصيدة من ألفاظ محكمة ملائمة هي ما جعلت الأخطل الصغير قريبا إلى مدرسة البرناس التي ظهرت في فرنسا. وربما كان من الأصح أن نجعل الأخطل الصغير من المدرسة الأصولية الجديدة التي جددت بروح القصيدة وحافظت على شكلها الخارجي. ولقد كانت هذه المدرسة التقليدية المجددة التي ظهرت في بدء القرن العشرين والتي كان من أعلامها خليل مطران وبشارة الخوري وأمين تقي الدين وشبلي الملاط ونقولا فياض والياس فياض وغيرهم نقطة انتقال بين التقليدية التي يمثلها أمين ناصر الدين وعبدالله البستاني والأميران شكيب ونسيب أرسلان وبين المدارس الغربية التي يمثلها في لبنان الياس أبي شبكة ويوسف غصوب وأديب مظهر وسعيد عقل وغيرهم من الشعراء، الذين تأثروا بالغرب إلى مدى بعيد. ويمكننا القول إن هذه المدرسة التي نحن بصددها كانت ممهدة لهذه المذاهب الغربية في الشعر العربي في لبنان.

هذه المدرسة هي تقليدية، لمحافظتها على عمود الشعر العربي، ولمحافظتها على وحدة الوزن والقافية وعلى جزالة اللفظة ومتانة التركيب، ولمحافظتها على روعة الوقع القديم وموسيقاه. وهي جديدة لتأثر شعرائها بطبيعة أرضهم وروح عصرهم ولتثقفهم بالثقافات الغربية واطلاعهم على آداب الغرب وفلسفاته في بعض الأحيان، وإلمامهم بالمذاهب الشعرية التي نشأت في أوروبا وخصوصا الرومانتيكية والبرناسية والرمزية ولتجديدهم في الموضوعات الشعرية. فلم يعد الشعر عندهم مقتصرا على المديح والهجاء والفخر والحماسة بل تعداه إلى الشعر الوطني والاجتماعي وتعداه إلى عرض الذات والتعبير عن الأحاسيس الداخلية. ولم يعد الغزل مقتصرا على التعبير عن الشهوة الجسمانية بل تعداه إلى التعبير عن العواطف والأحاسيس وإلى التعبير عن الألم والمرارة، وعن الحب الخالص والمشاعر الصادقة. وهذه المدرسة إنما هي مجددة

لأنها أدخلت موضوعات أخرى لم تكن معروفة من قبل. أدخلت الملحمة التي كان لمطران فيها فضل السبق والتي ازدهرت على يد بولس سلامة، وأدخلت القصة الشعرية. فإن الأقدمين لم يعرفوا القصة الشعرية «غرضا اجتماعيا أخلاقيا» – كما يقول بطرس البستاني – «إلا ما كان من التحدث عن مغامراتهم الغرامية المتهتكة، وإلا ما كان من ذكر الأساطير والأخبار القصيرة التي لا يتألف منها قصص صحيح[١٤]، فإذا ببشارة الخوري يطلع لنا عددا من القصائد القصصية الرائعة التي تخبئ وراءها موعظة أو عبرة اجتماعية كقصيدة «المسلول» و «الريال المزيف» و «عروة وعفراء»، و «من مآسي الحرب» و «سلفين وجيروم».

إن في هذه المدرسة الأصولية الجديدة مظاهر غربية ألمعنا إليها، ولكن الناحية الغربية في شعراء هذه المدرسة لم تشتط كثيرا إلى حد أنها محت خصائص الشعر العربي التقليدي من نفوسهم. إن روعة الشعر العربي القديم وموسيقاه ووقعه لم تزل في أعماق أولئك الشعراء تسيرهم وتصبغ شعرهم.

ولذلك فإننا نرى بشارة الخوري، وقد آن لنا أن نرجع إليه، قد ظل متأثرا بالشعر العربي القديم من حيث روحه وشكله، ولم تتغلغل فيه الرومانتيكية الغربية، كما تغلغلت في الياس أبي شبكة فيما بعد، ولم تصل إلى أعماقه. فها هو لا يزال كشعراء العربية القدامى موضوعيا في نظرته إلى الكون، فهو إن وصف لا يتغلغل إلى أعماق الموصوف، ولا يحاول أن يعكس الموصوف على ذاته أو أن ينعكس هو على الموصوف شأن الرومانتيكي الذي يتحد بالموصوف اتحادا ويتخذه مرآة يرى بها ذاته بما فيها من عواطف وآلام، ومن مشاعر وأحاسيس. إن الرومانتيكي إذا كان أمام الطبيعة إنما يذوب فيها وينصهر ويؤخذ بها أخذا حتى إنه كان يفنى فيها فناء كليا: لقد حدث بين الرومانتيكي والطبيعة نوع من الصوفية حتى إنه كان يرى الألوهة تتجلى بها واضحة بيّنة.

على أن ذلك لم يحدث للأخطل الصغير فلم ير الطبيعة إلا مظهرا من مظاهر الجمال، لم يفهم معنى الحلول فيها ولم يفهم معنى الفناء. وبعبارة أخرى لم يفهم معنى الصوفية التي فهمها الرومانتيكيون. لم يتخذ من الطبيعة مرآة يرى بها ذاته كما اتخذ

منها الرومانتيكيون بل بقي ينظر إليها نظرة متفرج ولكنها نظرة متفرج يستمتع بما يرى. لقد بقيت الطبيعة للأخطل الصغير موضوعا خارجا ولم يتغلغل إلى أعماقها. ولذلك فلقد كان أقرب إلى الكلاسيكية في هذه الناحية منه إلى الرومانتيكية. إن في جميع قصائده تقريبا تظهر الموضوعية ولا نراه مرة يتغلغل إلى أعماق الطبيعة فيرى ذاته فيها. فلنسمعه مثلا في أرجوزته «القرية» يقول:

**أيتها الفتانة الصغيرة**
**أنت بتاج ملك جديره**
**من القِرى اشتقوا لك اسم القرية**
**وعطّل السفح فكنت الحلية**
**شاعرك البلبل ذو الإلهام**
**وعودك الجدول ذو الأنغام**
**والغيمة البيضاء مثل القبّة**
**كأنها من الحرير جبّه**[١٥]

إنه يرسم لنا صورة واضحة جميلة للقرية ولكنها صورة خرساء لا تنطق. وفي قصيدته «قلت أهواك يا ملاكي» يقول:

**ليتهم يذكرون ليلة كنا**
**والهوى نحن أمه وأبوه**
**وعيون النجوم ترنو إلينا**
**ولسان الدجى يكاد يفوه**
**والنسيم الخفيف يلهو بثوبينا**
**كطفل أهلوه ما هذبوه**
**ورشفنا كأس الحميا فباحت**
**بالذي في الصدور منا الوجوه**[١٦]

ليس هناك تجاوب بينه وبين الطبيعة فإن عمل الطبيعة لا يتعدى النظرة: «وعيون

النجوم ترنو الينا». أما المشاركة والمداخلة والاتحاد بينه وبين الطبيعة فأمر لم يعرفه الأخطل الصغير. إن وصف الطبيعة في شعر الأخطل الصغير وصف لا يتعدى الظاهر ليغوص في الأعماق، ولا يتعدى المحسوس لينفلت الى الروحانيات فهو وصف ظاهري سطحي حسّي لا غير.

إن السطحية والمادية تتحكمان بشعر الأخطل الصغير وتقيدانه، وربما يكون ذلك ناتجا عن تأثره بالشعر العربي القديم. فهو في غزله، كما في وصفه سطحي مادي لا تتعدى تشابيهه الورد والعناب والتفاح وإن هي تعدتها فإنها تتعداها إلى المها والظباء أو الى الكواكب والنجوم. تشابيه كلها حسية مادية قد ألفها الناس منذ الزمن القديم. فجاء بشارة ووضعها بقالب جميل:

**تعجب الليل منها عندما برزت**
**تسلسل النور في عينيه عيناها**
**فظنها وهي عند الماء قائمة**
**منارة ضمها الشاطي وفدّاها**
**وتمتمت نجمة في أذن جارتها**
**لما رأتها وجنّت عند مرآها**
**انظرن يا اخوتا هذى شقيقتنا**
**فمن تراه على الغبراء ألقاها**[١٧]

أو قوله:

**قتل الورد نفسه حسداً منك**
**وألقى دماه في وجنتيكِ**
**والفراشات ملّت الزهر لما**
**حدثتها الأنسام عن شفتيك**
**رفعوا منك للجمال مثالاً**

وانحنوا خشّعاً على قدميك[١٨]

ليس هنالك شيء جديد، فما زالت الوجنات بلون الورد، وما زالت الشفاه كالزهور، وما زالت الحسناء مثالا مرفوعا للجمال. فها هو في قصيدته «هند وأمها» يقول:

أتت هند تشكو إلى أمها
فسبحان الذي جمع النيّرين
فقالت لها - إن هذا الضحى
أتاني وقبّلني قبلتين
وفرّ فلما رآني الدجى
حباني من شعره خصلتين
وما خاف يا أم بل ضمني
وألقى على مبسمي نجمتين
وذوّب من لونه سائلا
وكحلني منه في المقلتين
وجئت إلى الروض عند الصباح
لأحجب نفسي عن كل عين
فناداني الروض يا روضتي
وهمّ ليفعل كالأولين
فخبأت وجهي ولكنه
إلى الصدر يا أم مدّ اليدين
ويا دهشتي حين فتحت عيني
وشاهدت في الصدر رمانتين
ومازال بي الغصن حتى انحنى
على قدمي ساجدا سجدتين
وكان على رأسه وردتان
فقدم لي تينك الوردتين
وخفت من الغصن إذ تمتمت

بـــأذنـي أوراقه كـــلـــمـــتـــين
فـــرحت إلى الـــبـــحـــر لـلابـــتـــراد
فـــحـــمَّـــلـــنـي ويـــحـه مـــوجـــتـــين
فـــمـــا ســـرت إلا وقـــد ثـــارتـــا
بـــردفيّ كـــالـــبـــحـــر رجـــراجـــتـــين[١٩]

وها هو في قصيدته «من مآسي الحرب» يقول:

المـــهـــا أهـــدت الـــيـــهـــا المـــقـــلـــتـــين
والـــظـــبـــا أهـــدت إلـــيـــهـــا الـــعـــنـــقـــا
فـــهـــمـــا في الحـــسن أســـنى حـــلـــيـــتـــين
لـــلـــعـــذارى جلَّ من قـــد خـــلـــقـــا
ودرى الـــروض بِـــتَـــيْن المـــنـــحـــتـــين
وقـــديمـــا يـــعـــشق الـــروض الحـــســـان
فـــكـــســـا بـــالـــورد مـــنـــهـــا الـــوجـــنـــتـــين
وكـــســـا مـــبـــســـهـــمـــا بـــالأقـــحـــوان
ورمى في صـــــدرهـــــا رمـــــانـــــتـــــين
من رأى الـــرمـــان فـــوق الخـــيـــزران
فـــهـــمـــا في صـــدرهـــا كـــالمـــوجـــتـــين
أي صب مـــا تـــمـــنـــى الـــغـــرقـــا
أو هـــمـــا - ولـــيـــســـلـــمـــا - كـــالـــتـــوأمـــين
كـــلـــمـــا هـــمـــت لأمـــر قـــلـــقـــا
ورآهـــا الـــلـــيـــل فـــاخـــتـــار المـــقـــام
- ولـــقـــد طـــاب له - في شـــعـــرهـــا
وصـــبـــا الـــفـــجـــر فـــأضـــحـــى حـــين هـــام
بـــهـــواهـــا درة في ثـــغـــرهـــا
فـــإذا ميّ كـــمـــا شـــاء الـــغـــرام
مـــا نجـــا ذو صـــبـــوة من أســـرهـــا[٢٠]

لا شيء يصور النهد إلا الرمان أو موج البحر، ولا شيء يدل على الحسن إلا المها والظباء، والروض والورد. الصور ذاتها تتوالى وتطبع الشعر بطابع واحد. فها هو شبلي الملاط يورد قبله في قصيدته «الجمال والكبرياء» نفس الصور فيقول:

**نظر الصبح إليها فانطبع**
**رسمها في وجهها الزاهي الجميل**
**وانحنى الورد عليها فارتضع**
**من دم الورد محياها الأسيل**
**فزها العناب والخد امتقع**
**حمرة يحرسها جفن كحيل**[٢١]

ترديد بترديد، وصور حسية مادية تتردد في كل القصيدة. إن «هند» في قصيدة بشارة الأولى هي طبق الأصل عن «ميّ» في قصيدته الثانية، والنهار والليل والروض والبحر قد هامت في «هند» كما هامت في «مي» ولا فرق. ولا يمكننا أن نفرق بوجه من الوجوه بين «هند» و«مي» عند الأخطل الصغير وبين عروس الملاّط التي وصفها.

وهكذا نرى أن بشارة الخوري ظل ماديا حسيا في شعره ولم يصل إلى أعماق النفس ويسبر أغوارها. فقد ظلت صبغة الشعر العربي القديم طاغية عليه. وإن كنا نلمس تأله وتلوعه وشكواه في غزله فإننا نرى أنها لا تتعدى الظواهر. إن السطحية تطغى على شعر الأخطل الصغير فلا غوص إلى الأعماق ولا شجو ولا وصف لعاطفة قوية مريرة كما نرى عند الرومانتيكيين الأصيلين.

فإذا حدثناعن عاطفته فلا يحدثنا عنها ذاتها. وإنما يحدثنا عن مظاهرها وحسب وهو وإن أراد أن يتحدث عن مطاوي نفسه وأحاسيسها فإنه يلمح إليها لمحا وكأنه يعجز عن سبر أغوارها.

غير أنه، على بعده بذلك عن الرومانتيكيين، كان من أولئك الشعراء اللبنانيين الذين مهدوا في الشعر العربي إلى المذهب الرومانتيكي الذي كان من أعلامه الياس أبي شبكة.

**د. سامي مكارم**

****

# لبنـــان الشاعـــر

**صلاح لبكي**

لم يكن شاعرنا الكبير بشارة الخوري، الذي نشرت له دار المعارف ديوان «الهوى والشباب»، إلا واحداً من حلقة الشيخ اسكندر العازار، يختلف الى مجالسه فيصغي مع المصغين الى نوادره الأدبية والشعرية، ويروح يقرض الشعر معارضاً كبار الشعراء. روي عن أحد أفراد الحلقة أن الشيخ اسكندر كان، إذا قيل له: «هو ذا بشارة يقرض الشعر» يجيب: «بشارة صحفي وسليم شاعر، وهو يعني سليم عازار، فاتركوا بشارة للصحافة يبرز بها»، وكان بشارة آنذاك قد أنشأ مجلة «البرق» يساعده الشيخ اسكندر العازار، شيخ الحلقة. إلا أن بشارة لم يقنع بالصحافة بل عكف على النظم وطلع ذات يوم على شيخه ورفاقه بقصيدته الغزلية:

**عشت فالعب بشعرها يا نسيم**
**واضحكي في خدودها يا نجوم**
**من ملاك في بردتيها مقيم**
**جسد طاهر وروح كريم**
**ومحيا فيه ترى البدر حيا**

وانطلق إلى فضاء الشعر لا يتخطى حدود ما رسمه الأقدمون. شعر وصفي لما يقع تحت العين ولما تلمسه الأكف، فهو في قصيدته وصف فتاة:

**شعرها قطعة من الليل والخد**
**قبلته شمس الضحى فتورد**

■ الشعر في مطلع القرن، دار الحضارة، ص٩٩ .

وعـــلى صـــدرهـــا مـــتى تـــتـــنـــهـــد
مـــوجـــة هـــزت الـــصـــغـــيـــرين في المـــهـــد
فـــاشـــرأبـــا كـــمن تـــخـــوف شـــيـــا

وفي قصيدته «هند وأمها»:

أتت هـــنـــد تـــشـــكـــو إلى أمـــهـــا
فـــســـبـــحـــان من جـــمع الـــنـــيـــرين

فقالت لها:

إن: الضحى قبلها قبلتين - والدجى حباها من شعره خصلتين - والروض وضع في الصدر رمانتين - والغصن قدم لها وردتين - والبحر موجتين -

وفي قصيدته التي عنوانها «من مآسي الحرب»:

المـــهـــا أهـــدت الـــيـــهـــا المـــقـــلـــتـــين
والـــظـــبـــا أهـــدت إلـــيـــهـــا الـــعـــنـــقـــا
فـــهـــمـــا في الحـــسن أســـنى حـــلـــيـــتـــين
لـــلـــعـــذارى، جل من قـــد خـــلـــقـــا
ودرى الـــروض بـــتَـــيْن المـــنـــحـــتـــين
وقـــديمـــاً يـــعـــشق الـــروض الحـــســـان
فـــكـــســـا بـــالـــورد مـــنـــهـــا الـــوجـــنـــتـــين
وكـــســـا مـــبـــســـمـــهـــا بـــالأقـــحـــوان
ورمى في صـــدرهـــا رمـــانـــتـــين
مَن رأى الـــرمـــان فـــوق الخـــيـــزران
فـــهـــمـــا في صـــدرهـــا كـــالمـــوجـــتـــين
أي صب مـــا تـــمـــنـــى الـــغـــرقـــا؟
أو هـــمـــا - ولـــيـــســـلـــمـــا - كـــالـــتـــوأمـــين
كـــلـــمـــا هـــمت بـــأمـــر قـــلـــقـــا

ورآهـــا الـــلـــيل فـــاخـــتـــار المـــقـــام
- ولـــقـــد طـــاب لـه - في شـــعـــرهـــا
وصـــبـــا الـــفـــجـــر فـــأضـــحى حـــين هـــام
بـــــهـــــواهـــــا درة في ثـــــغـــــرهـــــا

أقول في هذه القصائد يضع الرسم الحبيب، رسم جمال المرأة كما تخيله متقفياً الأقدمين، لا فرق بين واحدة من الحسان وأخرى، حتى ليُظن أن الفتاة التي وصفها في و«صف فتاة» هي هند التي جاءت تشكو إلى أمها وهي أخيراً ضحية «علي منيف» في «من مآسي الحرب».

جمال فتاته أو فتياته مجموعة من عيون المها، وأعناق الظبا، وخصل الليل، وورد الخدود ، وأقحوان الشفاه، وخيزران القدود، ورمان الصدور – من رأى الرمان فوق الخيزران – وموج الردفين تارة والصدر أخرى، أي صب ما تمنى الغرقا.

ولكن بشارة الخوري الذي بدأ يقرض الشعر سنة ١٩٠٩ على هذا النحو ما لبث أن عكف على مطالعات أجنبية خلبته، فعرّب قصائد كثيرة، وقد تكون هذه المطالعات هي التي صرفته إلى نحو آخر من الوصف: إلى وصف اللواعج وما اليها من حنان وعطف ورضى وغضب. غير أنه لم يرفع الصوت بصيحة ألم إلا في ما ندر كمثل هذا التلهف على ضياع الهوى والشباب والأمل المنشود. فقد ظل شعره يخفق بالأخبار عن العواطف وبوصفها لا بالتعبير عنها تعبيراً، مباشراً.

وكثيراً ما يتجاوز موضوعه متخذاً منه مناسبة لوصف مشهد من مشاهد الطبيعة كالجبل والسهل والبحر، كما في قصيدته قلب خافق:

أنـــا ســـاهـــر والـــكـــون نـــا
م وكل مـــا في الـــكـــون نـــامْ
نـــام الجـــمـــيع ومـــقـــلـــتي
يـــقـــظى تَـــجَـــوَّل مع الـــظلام

حـــــــتى نجـــــــوم الافق نـــــــا
مت فـــوق طـــيـــات الـــغـــمـــام

أنـــا ســـاهـــر وجـــبـــال لـــب
ـــنـــان عـــلـــيـــهـــا الـــصـــمت حـــام
خـــــلع الجلال عـــــلى مـــــنـــــا
كـــبـــهـــا مـــواهـــبه الجـــســـام
فـــكـــأنـــهـــا إذ صـــعَّـــدت
في الجـــــو مـــــرّاد عـــــظـــــام
صـــمـــتت لَـــدُنْ بـــرز الـــدجى
فـــكـــأن في فـــمـــهـــا لجـــام

أنـــا ســـاهـــر والـــســـهل في
حـــضن الـــطـــبـــيـــعـــة كـــالـــغلام
وكـــــــأمـــه فـــــــتـــــــحت ذرا
عـــيـــهـــا لـــيـــهـــنـــأ بـــالمـــنـــام
يـــغـــفـــو ويـــحـــرس ثـــغـــره
روح الـــبـــنـــفـــسج والخـــزام
الـــســـهل نـــام فلا حـــرا
ك ولا هـــتـــاف ولا بـــغـــام



أنـــا ســـاهـــر والـــبـــحـــر أخـ
ـــرسَ لا هـــديـــر ولا احـــتـــدام
كـــالمـــارد الجـــبـــار مـــنـ
ـــطـــرح عـــلى صـــدر الـــرغـــام

فـــــــكـــــــــأنـه والـــــــــرمل إلـ

ـــفـــا صـــبـــوةٍ مـــنـــذ الـــفـــطـــام

فـــتـــعـــانـــقـــا عـــنـــد المـــنـــا

م وملء ثـــغـــرهـــمـــا ابـــتـــســـام

لا حـسّ حـــــــــتـى خـــــــــلـتَ أن

ســـــاد الحـــــمـــــام عـــــلـى الأنـــــام

وحـــــســـــبت أنـــفـــاس الـــورى

ســـجـــنت بـــأقـــفـــاص الـــعـــظـــام

صـــــمـت يـــــقـــــزُك فـــــيـه حب

الـــــنـــــمـل في مَـــلَس الـــــرخـــــام

إلا أن هذا الشعر يتميز بصوره القوية الواضحة التي تطفو عليها حالة مرضية، هي جل ما اقتبسه الشاعر من الرومانطيقيين:

يـــحـــمل الابـــتـــســـام في شـــفـــتـــيه

والمـــنـــايـــا تـــســـيل من أردانه

كـــســـراج في جـــوف ديـــر قـــديم

هـــــرقت روحـه عـــــلـى جـــــدرانه

يـشـــهق الـشـــهـــقـــة الـخـــفـــيـــة في الـ

ـــفـجـر ويـفـنـي أنـفـاسه بـدخـانه

كـــعـــلـــيل عـــلـى فـــراش من الـــسل

بـــعـــيـــد المـــزار عن إخـــوانه

كـــلـــمـــا ألحف الـــســـعـــال عـــلـــيه

أطـــعم الـــداء قـــطـــعـــة من جـــنـــانه

ولقد يعمد أحياناً إلى ابتداع صور محض تخيلية أسطورية كما في «سلمى الكورانية» و «مولد المتنبي»:

**عرس من الجن في الصحراء قد نصبوا**
**له السرادق تحت الليل والقببا**
**كأنه تدمر الزهراء مارجة**
**بمثل لُسن الأفاعي تقذف اللهبا**
**أو هضبة من خرافات مرقعة**
**بأعين من لظىً أو من رؤوس ظُبى**
**تخاصر الجن فيها بعد ما سكروا**
**وبعد ما احتدمت أوتارهم صخبا**
**فأفزع الرمل ما زفوا وما عزفوا**
**فطار يستنجد القيعان والكثبا**

ويتصف على الأخص بموسيقاه، فهو قد علم بسر الشعر العربي المطبوع على تجانس المقاطع وائتلافها، فوافق في نفسه وتراً فإذا بكل شعره قطع موسيقية يسيطر عليها النغم العذب، حتى لتنصرف إليها النفس من دون المعنى، وحتى ليغتفر العقل رداءة المعاني أحياناً وابتذالها. إلا أن الأخطل في موشحاته بلغ الغاية.

ولنسمعه في قصيدته «بأبي أنت وأمي»:

**اسقنيها بأبي أنت وأمي  لا لتجلو الهم عني  أنت همي**
**املا الكأس ابتساماً  وغراما**
**فلقد نام الندامى  والخزامى**
**زحم الصبح الظلاما  فإلاما**
**قم نُنهنه شفتينا،  ونذوّب مهجتينا  رضي الحب علينا**
**يا حبيبي**

**بأبي أنت وأمي، اسقنيـها  لا لتجلو الهم عني  أنت همي**

**غنني واسكب غناك  ولمـــــاك**

**في فمي، فدّيت فـاك  هـــل أراك**

**وعلى قلبي يـــداك  ورضـــاك**

**هـكـذا أهـــــل الغــزل  كلمـا خافوا الملل  أنعشوه بالقبـــل**

**يا حبيبي**

**بأبي أنت وأمي، اسقنيها  لا لتجلو الهم عني  أنت همي**

**صبها من شفتيـــك  فـي شفتيا**

**ثم غرّق ناظـــــريك  فـي ناظريا**

**واختصرها ما عليك  أو عليـــــا**

**يا حبيبي**

**إن تكن أنت وانا  وجعلنا الزَّمنا  قطرةً في كأسنا**

**يا حبيبي**

**بأبي أنت وأمي، اسقنيها  لا لتجلو الهم عني  أنت همي**

فما هي منزلة الأخطل الصغير من تطور الشعر العربي في لبنان؟.

يؤلف شعره حلقة بين المفهوم القديم للشعر والمفهوم الرومانطيقي.

لقد تخلى الأخطل عن أكثر مواضيع القدماء فلا مدائح إلا ما ندر، ولا هجاء إلا ما ندر، ولا رثاء إلا في أديب أو وطني أو صديق. عاش عصره، فوصف حالة البؤس وأحس مع البؤساء، ونادى بالعدل الاجتماعي، وأوحت له الحوادث السياسية شعراً وطنياً ثار به على الظلم والاستبداد.

لكنه عبر عن خوالج نفسه واشتهر وأثر بهذا النوع من الشعر الوجداني ممهداً لمدرسة الياس أبي شبكة، بما هيأ من حجارة البناء، وبما تخير من الألفاظ الرقيقة وتغنى بجمال الطبيعة موثقاً عرى الصداقة بينها وبين الإنسان.

وله على الرومنطيقية في لبنان هذا الفضل الآخر وهو أنه في التعبير عن الفكر والأحاسيس الجديدة لم يخرج على عبقرية اللغة، ولم يحطم القوالب العربية القديمة، بل أفاد من صناعة العرب وقوالبهم وصفاء لغتهم.

وإذا كان قد تأثر بنظريات من لحقوه حتى ليبدو شعره الحديث أجمل وأنعم موسيقى وأعمق إحساساً، فلا مراء في أنه كان الحافز الأول في تقديم الفن الجديد.

نشأ في لبنان مدرستان، بعد بشارة، الرومنطيقية والرمزية. وأغرب ما في الأمر أن آثار الشاعر استهدفت لنقمة هؤلاء وأولئك على السواء ففي سنة ١٩٣٠ شنت عليه «عصبة العشرة» في مجلة «الجمهور» حملة نارية اشترك فيها: أبو شبكة، وخليل تقي الدين، وميشال أبو شهلا، ووصفوه بحفار القبور إشارة منهم إلى قصائده المترجمة التي كان ينشرها ويدعيها موضوعاً وشكلاً.

فيرد من قصيدته في رثاء حافظ:

**شاعر النيل جز طريقك للخلـ**
**ـد وخذها لمن تريد صداقا**
**درة صاغها الذي ترك الحسْ**
**سَاد تجري ولا تطيق لحاقا**
**كلما اطبق الغبار عليهم**
**حشرجوا تحته وماتوا اختناقا**

ودعت الجامعة الأمريكية الأخطل الصغير، وسعيد عقل، زعيم الرمزية في لبنان، إلى حفلة أقامتها في قاعة «وست» فألقى الأخطل قصيدته «عروة وعفراء»، وقد كان نظمها منذ عشرين سنة قبل ذلك (سنة ١٩١٧)، وما أن انتهى حتى وقف سعيد عقل، وكان بعد في مستهل الشباب، وقال إنه لا يقيم وزناً لشاعر يعيش على ساحل البحر الأبيض المتوسط تغسل أقدامه الأمواج ويكلله صنين بثيجانه، ثم يحمل نفسه إلى الصحراء لتوشي قصائده.

فرد الأخطل ممتثلاً بقوله:

**ومـعـشـر حـاولـوا هـدمي ولـو ذكـروا**
**لـكـان أكـثـر مـا يـبـنـون من أدبي**
**تـركـتـهم في جـحـيمٍ من وسـاوسـهم**
**ورحت اسـحب أذيـالي عـلى الـسـحب.**

فالأخطل، كأكثر القدامى يعد كل نقد يوجه إلى آثاره تعرضاً شخصياً له. ولا غرو فهو لم يعان التبصر في النظريات ولا اتبع في النظم مبادىء مدرسة، ولا وضع ولا تبنى نظرية.

لو أن ديوان الأخطل الصغير نشر في حدود ١٩٢٠ – ١٩٢٥ لكان له وقع الحدث، ولكنه، وهو لم يظهر في حينه، يبدو اليوم، برغم اشتماله على المقاطع الجديدة التي قلت إنها تأثرت بنظريات اللاحقين ممن ناصبوا صاحبه العداء، وكأنه زهور ربيع سبق، له جماله وروعته وأثره الفاعل، إلا أن الجمال والروعة والطيب هذه تحمل طابع عصر عَبَر ومفهوماً شعرياً نأى، فلا دخل له في معترك الحاضر.

**صلاح لبكي**

****

ابيض

# الأخطل الصغير
# بين المنبر والديوان

عبدالمطلب الأمين

هل كان الأخطل الصغير شاعر منبر أم شاعر ديوان؟

ليس هذا السؤال مجرد تمييز بين «الشفهي» و «التحريري» وبين «المسموع» و«المقروء»، بل إنه يعني الانتقال بالشعر العربي من المرحلة «العكاظية» والمفاخر الجاهلية، والوقوف على الأطلال، إلى مرحلة التعايش مع العصر والتفاعل مع الحياة انطلاقا من خوالج النفس الإنسانية الذاتي منها والموضوعي.

ولست أقصد أن مرحلة المنبر في الشعر العربي لم تكن تعبر في حينها عن هذه الخوالج، بل على العكس ففي رأيي ان الشعر الجاهلي، ولا سيما الوقوف على الأطلال والبكاء على الدمن والتفاخر بالأمجاد والأحساب، هو من أصدق ألوان الشعر العربي وأكثرها انعكاسا لصور الحياة.

فالطلل، والرماد والأثافي في حياة البدوي هي كل ما تبقى من حياة كانت بالأمس صخابة ريانة حافلة بالأمل.

كانت الخيام الصورة المعبرة عن الحياة البدوية القلقة الرجراجة: وكان الشعر انعكاسا لهذه الحياة حتى إنه استعار من الخيمة بيتها وعمودها ووتدها وقلقها وتنقلها. ومن هنا كانت الوحدة في البيت لا في القصيدة، وكانت الصور من إلمامة عابرة و «لقطة» سريعة يعوزها العمق والشمول والتتابع.

---

■ مجلة الطريق.

وأدى انتشار الأمية وندرة الكتابة إلى شيوع الرواية، كواسطة للحفاظ على الشعر حتى قيل: «ويل للشعر الحسن من راوية السوء».

ولكن روح التقليد والجمود التي جعلت من الشعر الجاهلي، الذي كان صورة صادقة للبيئة البدوية، نموذجا كلاسيكيا يحتذى لفريق كبير من شعراء العصر الأموي والعباسي، فكان التقليد المشوه في الشكل والمضمون، وقوف موهوم على أطلال موهومة بين قصور بغداد، وغزل كاذب بحبيب موهوم، ثم تخلص لمديح كاذب زائف.

ولقد أدى هذا الجمود والتقليد بشاعر ثائر كأبي نواس، إلى الهجوم والسخرية من هذا الشعر، والتهكم على أصحابه.

ولكن ما شأن الأخطل الصغير وكل هذا؟

المنبر الذي احتكاه الأخطل الصغير في طريقه الطويلة إلى الشهرة والتي كانت نهاية المطاف فيها «إمارة» الشعر، المنبر هذا هو الذي يربط الأخطل الصغير بعالم التقليد هذا، المنبر الذي يتلاعب فيه «الإلقاء» وحسن الأداء و«الخطابة» بعواطف الجماهير وينتزع منها التصفيق حتى في المآتم، المنبر الذي جعل من المرحوم حليم دموس، في حفلة تأبين شوقي، مرشحا لإمارة الشعر، المنبر الذي يجعل النقد الصحيح من حكم المستحيل، ويعيده إلى مفهومه القديم حينما كان يحكم على شاعر بأنه أشعر العرب لأنه القائل لبيت من الشعر هز مشاعر «الناقد» أو صادف هوى في نفسه.

هذا المنبر ما هو دوره في شعر الأخطل؟ وما هو دور الديوان المقروء الخاضع لمفاهيم النقد العلمي؟

يقول سعيد عقل في مقدمة ديوان الأخطل الصغير، في معرض حديثه عن صاحب الديوان والدور الذي لعبه، في نقل الشعر من المنبر إلى المطبعة والحرف، ونقل القصيدة من براعة الإلقاء، وخداع «النبرة»، إلى مختبر النقد و «أرجوحة» التحليل، يقول:

«بلى كان المنبر – لا رد الله عهده – لكبار شعرائنا والناثرين بمثابة دار النشر، مجال هو ليوم عز، ما سواه لهم حافز.

ماذا عمل الشاعر؟. فتت الجنزير!!».

ولكن هل صحيح أن الأخطل كسر الجنزير حقا؟.

إن سعيد عقل بإجابته على هذا التساؤل بعد سطور يبدو وكأنه يناقض ما قرره قبل سطور، فقال: «ذات يوم – وكيف أنسى آخر في بغداد؟ كبروا للبنان في القاهرة كما للذي لا تكبيرة إلا له. كان ذلك بفضل بيت من شعر له أو قوافٍ مِرْنان دونها انعطاف الحور على الحور».

إذن ما زلنا في عصر: «إنه أشعر العرب، أليس هو القائل؟».

«بيت من شعر أو قواف مرنان» لا تجعل من الأخطل «أمير الشعر» أو أشعر العرب فحسب، بل تجعل الناس في القاهرة وبغداد ودمشق تكبر للبلد الذي أنجبه كما لا تكبر إلا لله. إذن فالجنزير لم يكسر، وما زال الحكم على الشاعر من خلال بيت من شعر يهز المشاعر بطلاوته وأناقة قافيته.

ولعل شعر الأخطل خضع لأول مرة لموازين النقد الحديث، ولو لم تكتمل عناصره الموضوعية، وذلك حينما «وقعت الواقعة» بينه وبين «عصبة العشرة» ولا سيما الياس أبي شبكة، ورغم أن العصبة لم تعد إلى العشرة رغم اسمها فقد كانت نوعا من الانتفاضة على القديم ومن يمثله، إلا أن العامل الشخصي – بكل أسف – لعب دورا مهماً في تطور «المعركة» وكانت ردود الفعل لدى الأخطل الذي كان يضيق ذرعاً بالنقد، أهاجي « للياس أبي شبكة» و «هجوم معاكس» على العصبة.

وكان أكثر ما أهاج الأخطل الصغير على العصبة التي جعلت من مجلة «المعرض» منبرها، وكان يشرف عليها ميشال زكور وميشال أبو شهلا، أنها نسبت إليه «انتحال» الشعر الفرنسي ولا سيما شعر ألفرد دو موسيه وعلى الأخص قصيدة «المسلول» التي يقول في مطلعها:

**حسناء، أي فتى رأت تصد**
**قتلى الهوى فيها بلا عدد**

وقد حدا ذلك بالأخطل الصغير عند طبع ديوانه الأخير إلى أن يشير في فهرست الديوان الى أن المقطع بين هلالين هو لموسيه وفي هذا المقطع البالغ عشرين بيتا يقول موسيه بالعربية:

«قـــالت لـه: نم، نم لـــفـــجـــر غـــد
ضع رأسك الـــواهي عـــلى كـــبـــدي
نم لا تـــســـلط يـــا حـــبـــيب عـــلى
مـــخـــمـــور جـــسـمك قـــلـــة الجـــلـــد
عـــيـــنـــاك مـــتـــعـــبـــتـــان من ســـهـــر
ويـــداك راجـــفـــتـــان من جـــهـــد
- لا، لا أنـــــــام ولا أذوق كـــــــرى
إن الـــنـــهـــار مـــضى ولم يـــعـــد
لا، لا أنـــــــام ولا أذوق كـــــــرى
أنـــا لـــست من أحـــيـــا لـــفـــجـــر غـــد
ســـلـــمى أحس الـــنـــار ســـائـــلـــة
بـــدمي وتجـــري مـــعه في جـــســـدي
وأحِسّ قـــلـــبي فـــاغـــراً فـــمه
لـــلـــحب، لـــلـــذّات، لـــلـــرَّغـــد
إن ضـــاع يـــومي، مـــا أســـفت عـــلى
خـــضـــر الـــربـــيع وزرقـــة الجـــلـــد
- نم لا تـــكـــابـــر، كـــاد رأسك أن
يـــهـــوي بـــكـــأسك، غـــيـــر أن يـــدي...
- يـــهـــوي!.. نـــعم يـــا فـــتـــنـــتي ومـــنى
نـــفـــسي، وزهـــرة جـــنـــة الخـــلـــد
يـــهـــوي! ولِمَ لا، والـــشـــبـــاب ذوى
وعـــلى شـــبـــابي كـــان مـــعـــتـــمـــدي

لم تبق لي مني، سوى رمق
متراوح في أضلع همد
رباه! من يومين كنت فتى
لي قوتي وشبيبتي وغدي
واليوم، أسرع للبلى، وأنا
لم أبلغ العشرين أو أكد
سلماي إنك أنت قاتلتي
فجميل جسمك مدفني الأبدي
وطويل شعرك صار لي كفنا
كفن الشباب ذوى وكان ندي
سلمى اطفئي الأنوار، وافتتحي
هذي الكوى لنسائم جدد
ودعي شعاع الشمس يضحك لي
فشعاعها برد على كبدي
ودعي أريج الزهر ينعشني
وهديل طير الأيكة الغرد
أنا إن قضيت، هوى فلا طلعت
شمس الضحى بعدي على أحد»

لقد تعمدت نقل المقطع الذي أشار الأخطل الصغير أنه لموسيه بعد أن شنت عليه «عصبة العشرة» حملة الانتحال ولكي أعطي للقارئ صورة عن «المعارك الأدبية» ونشوء المدارس النقدية في أوساط الثلاثينات، التي بقيت – بكل أسف – «كتاتيب» نقدية ولم تجارِ قوانين التطور وبقي «النقد» حتى اليوم أسلوبا إما لإغداق المديح، على الأصدقاء أو التجريح ونبش المثالب لمن لا يشملهم العطف و «الاستلطاف»، وهذه المثالب ليست

مثالب في الأثر بل مثالب في «الشخص» وكانت المحاولة النقدية الموضوعية الثانية التي كان الأخطل الصغير هدفا لها، هي المقال الذي نشره أمين الريحاني، هذا العبقري، الذي سبق زمانه، وكان عنوان مقاله «أنتم الشعراء» فشن هجوما على الشعراء في شخص الأخطل الصغير بمناسبة ظهور قصيدته الشهيرة (الهوى والشباب).



وسواء كان الأخطل الصغير شاعر منبر أو شاعر ديوان، أو شاعر صحيفة – ولا يمكن أن ننسى دور جريدته «البرق» في حليتها الأدبية والسياسية في المساهمة في خلق الحركة الأدبية في البلدان العربية، فقد كانت منبرا وديوانا سياراً للقدماء والناشئين – من شعراء العربية وكتابها، في فترة كانت الصحافة الأدبية معدومة أو شبه معدومة. قلت إن الأخطل الصغير سواء كان شاعر منبر أو شاعر ديوان أو شاعر صحيفة، فهناك أمر لا مراء فيه وهو أن الأخطل يمثل مدرسة المخضرمين الذين نشأوا قبيل الحرب العالمية الأولى وبرزوا في فترة ما بين الحربين ومهدوا لظهور المدارس الأدبية «الجديدة» ورعوها حتى تنكرت لهم فتنكروا لها. وللأخطل الصغير من هذه الناحية خصائص تميز بها عن بقية رجال هذه المدرسة منها: أنه انطلق إلى الآفاق العربية والإنسانية، ولم يحصر نفسه في إقليمية ضيقة، وذلك دون أن يتنكر لوطنه لبنان، ولقد سمعته رحمه الله أكثر من مرة يردد في أحاديثنا الخاصة أن «العش» ليس إلا منطلقا للشاعر النسر، وليس عالمه، لأن عالمه الأبعاد والأعالي، وأنه يعتبر لبنان العش الذي نشأ فيه وترعرع، وأن مرتعه القريب الأدنى هو دنيا العروبة، ومرتعه الأبعد هو الإنسانية.

وإن نظرة واحدة تلقى على ديوانه تظهر أنه تجاوب في شعره مع أحداث العالم وكان شعره صدى لأفراحه وأتراحه فقصيدته «مرحبا مصر» التي يقول فيها:

**مَرحباً مِصرُ**
**مَرحباً،**
**كُلُّ أهلٍ لك أهلُ**

**وكُلُّ صَدرٍ**
**مَحَلُّ**

**مرحبا مِصرُ**
**يا شقيقتنا البِكرَ،**
**ويحلو**
**تَردِيد مِصرَ**
**وَيَغلو،**

وضفاف بردى التي يقول فيها:

**بـــردى هل الخـــلـــد الـــذي وعـــدوا به**
**إلاك بـــــين شـــــوادنٍ وشـــــوادي**
**قـــالـــوا تحب الـــشـــام قـــلت جـــوانـــحي**
**مـــقـــصـــوصـــة فـــيـــهـــا وقـــلت فـــؤادي**

وقصيدته «غنيت للشرق الجريح»:

**أنـــا في شـــمـــال الحب قـــلب خـــافق**
**وعـــلى يمـــين الحق طـــيـــر شـــادِ**
**غـــنـــيت لـــلـــشـــرق الجـــريح، وفي يـــدي**
**مـــا في ســـمـــاء الـــشـــرق من أمـــجـــاد**
**فـــمـــزجت دمـــعـــته الحـــنـــون بـــدمـــعـــتي**
**ونـــقـــشت مـــثل جـــراحه بـــفـــؤادي**

وقصيدته «خيال من دمر» التي يقول فيها:

**ســـألـــتـــني وكـــفُّـــهـــا فـــوق قـــلـــبي**
**عـــزك الـــلـــه هل تحب الـــشـــآمـــا**
**قـــلت: حـــبـــاً زقَّ الحـــمـــامـــة لـــلـــفـــر**
**خِ فـــلِمْ لا نـــكـــون ذاك الحـــمـــامـــا**

وقصيدته «شوقي» التي يقول فيها:

تـغـرب الحـسن والإحـسـان فـالـتـمـسـا
وجـــهـــاً من الأرض هـشَّـاشـاً لـزائـرهِ
لا يـــسـتـــوي المجـــد إلا من مـــفـــارقه
ولا يـــصـــفق إلا في ضـــفـــائـــره
مـــا غـــادرا بـــلـــدا إلا إلى بـــلـــد
والحـــر يـــلـــهب من خـــدّي مـــسـافـره
حـتى أطلاً - عـلى مـصـر فـراعـهـمـا
مـا زخـرف الـنـيل من إبـداع سـاحـره
فـألـقـيـا بـعـصـا الـتـرحـال واعـتـصـمـا
بـضـفـتـيه وهـامـا في حـواضـره
فـاطـعم الجـود من كـفي قـسـاوره
واشـرب الحـسن من عـيـني جـآذره



لـبـنـان يـا مـصـر مـصـر من مـطـامـحه
كـمـا عـلـمت ومـصـر من مـفـاخـره
هل كـان قـلـبك إلا في جـوانـحه
أو كـان دمـعك إلا في مـحـاجـره
أو كـان مـنـبت مـصـر غـيـر مـنـبـته
أو كـان شـاعـر مـصـر غـيـر شـاعـره

وقصيدته (المتنبي والشهباء) التي قال فيها:

شـهـبـاء لـو كـانت الأحلام كـأس طلا
في راحـة الـفـجـر كـنت الـزهـر والحـبـبـا

وقوله في المتنبي:

**يـا مـلـبس الحـكـمـة الـغـراء روعـتـهـا**
**حـتـى هـتـفـنـا: أوحـيـاً ذاك أم أدبـا**
**(...) أضـرمت ثـورتك الـهـوجـاء فـالـتـهـمت**
**من الـقـريض الـهـشـيم الـقش والخـشـبـا**
**يـا خـالـقـا جـيـله لـولاك مـا عـرفت**
**له الأواخـر لا رأسـا ولا ذنـبـا**
**هل الـنـبـوة إلا ثـورة عـصـفت**
**عـلى الـتـقـالـيـد حـتى تـسـتـحـيل هـبـا**
**مـا ضـر مـوقـدهـا، والخـلـد مـنـزله،**
**إذا رمى نـفـسه في نـارهـا حـطـبـا**

وقصيدته أبو العلاء التي قال فيها:

**يـا لـهـا ثـورة تـأجج في صـدرك**
**تـردِّي الـظـنـون فـيـهـا الـظـنـونـا**
**بـسـمـة الـهـزء أين مـنـهـا أبـو بـحـر**
**و «فـولـتـيـر» سـيـد الـهـازئـيـنـا**
**فـأحـايـين لا أرى لـك دنـيـا**
**وأحـايـين لا أرى لـك ديـنـا**
**رب شـاكٍ قـصـر الـعـيـون ولا**
**ينـفك يـهـدي الـعـيـون لـلـمـبـصـريـنـا**

وقصيدته في حافظ ابراهيم التي يقول فيها:

**... ودوى صـوتك الـنـذيـر بمـصـر**
**فـإذا الـشـرق عـنـده يـتـلاقى**

لاهـــثـــاً في الحـــديـــد رنَّـــحه الـــظـــلم
كـــمـــا رنـــحت حـــالمـــاً فـــاســـتـــفـــاقـــا

وقصيدته «الشام منبتهم» التي يقول فيها:

بـــردى نـــظـــمتَ لـــنـــا الـــزمـــان قـــصـــائـــداً
بـــيـــضـــاً وحـــمـــراً من نـــدى وصـــفـــاحِ
كم وقـــــفـــــة لـــي في ذراك وجـــــولـــــة
شـــعـــريـــة وهـــوى الـــشـــآم سلاحي

وقصيدته (النيل) التي قال فيها:

(...) املأ الـــشـــاطـــئـــين حـــبـــاً وشـــعـــراً
فـــجـــنـــاح الـــهـــوى شـــراع ســـفـــيـــنكْ
لـــــثم الـــــدهـــــر راحـــــتـــــيك وغـــــنَّى
عـــبـــقـــري الألحـــان تحت غـــصـــونك

وقصيدته: سقط السيف «ابراهيم هنانو» التي يقول فيها:

يـــا دمـــاء الـــشـــبـــاب مـــا أنت إلا
ذائب الـــطـــيب يـــا دمـــاء الـــشـــبـــابِ
كل حق لم تـــســـقه لـــضـــيـــاع
كل صـــرح لم تـــبـــنه، لـــيـــبـــاب
أنـــا مـــنـــهـــا وقـــلب لـــبـــنـــان في قـــلـــبي
وأهـــــــدابـه عـــــــلى أهـــــــدابي

وقصيدته «صدى القبلات» :

فـــلـــســـطـــين أفـــديك من دمـــعـــة
تـــهـــادت عـــلى بـــســـمـــة حـــائـــره

تـعـانـقـتـا: فـاسـتـحـال الـعـنـاق
لـهـيـبـاً عـلـى شـفـة ثـائـره
فـلـسـطـين يـا هـيـكل الـذكـريـات
عـلـى جـبـهـة الأعـصـر الـغـابـره
مـضـمـخـة بـغـبـار الحـروب
مـخـضـبـة بـالمـنـى الـزاخـره

ولكن الأخطل «النسر» لم ينس لبنان «العش» فقد ظل لبنان في حنجرته وقلبه وقلمه وضميره، لبنان المجاعة في الحرب العالمية الأولى. ولبنان الجياع الذين يزمجرون ولبنان الفقراء والكادحين، ولبنان «المئة عائلة»، لبنان الترف والنعيم، إلى جانب الحرمان والفاقة ولنستمع إلى الأخطل الصغير في هذه اللوحة الرائعة التي لا تزال قائمة حتى الآن رغم مرور السنين عليها:

لـبـنـان عـيـد مـا أرى أم مـأتم
لـلـه أنـت وجـرحك المـتـبـسّمُ
عـصـروا دمـوعك وهي جـمـر لاذع
يـتـنـورون بـهـا وصـبـحك مـظـلم
... تـعـرى الـصـدور هـنـا على قـبل الـهـوى
وهـنـاك عـاريـة تـنـوح وتـلـطم
والـكـهـربـاء هـنـا تـشع شـمـوسـهـا
وسـراج أكـثـر من هـنـاك الأنجم
لـبـنـان يـا بـلـد الـسـذاجـة والـوفـا
حـلـم... وهل غـيـر الـطـفـولـة يـحـلم
... بـيـعت لـتـهـرق في الـكـؤوس مـدامـة
هـي - لا روتـهـم - أنـفـس تـتـألم

كـــبـــر الـــزمـــان ولا تـــزال كـــأمـــسه
فـعـســاك تـكـبـر أو لـعـلك تـفـطم
زمن به تُـشـقي الـفـضـائل أهـلـهـا
الـصـدق يَـقـتل والمـروءة تُـعِـدم

وهناك لوحة أخرى لا تقل روعة عنها هي قصيدة (الجابي) التي اقتصر على بضعة أبيات متفرقة منها.

... بـــرب الأرز حـــدثـــني
أحـــقـــاً قـــولـــهم حـــقـــا
بـــأن الـــنـــاس في بـــيـــروت
لا تـــشـــقى كـــمـــا نـــشـــقى
وأن الأتـنَ والـــثـــيـــران
تـــلـــقى الـــعـــطف والـــرفـــقـــا

لمن يـــنـــســـاق هـــذا المـــال
قـــولي يـــا ســـمـــا قـــولي
أأيـــلـــول عـــلى الأبـــواب
لا عـــشـــنـــا لأيـــلـــول
يـــبـــاع الخـــبـــز في بـــيـــتي
لـــتـــزمـــيـــر وتـــطـــبـــيل
وخـــنـق الـــدمـــعـــة الحـــمـــراء
فـي كـف الأبـــــاطـــــيـل

وأما قصيدته (الفقراء) فقد تجلت فيها نزعته الإنسانية الشاملة:

أيـــهـــا الأغـــنـــيـــاء إن غـــنـــاكم
شـــيـــدته ســـواعـــد الـــفـــقـــراءِ

**القصور التي تقيمون فيها**
**من بناها لكم سوى الفقراء**
**والرياحين في الجنائن من هم**
**غارسوها لكم سوى الفقراء**
**والحليب الذي رضعتم صغاراً**
**كان من صدر معظم الفقراء**
**(...) إن للفقر ثورة لو علمتم**
**تسبح الناس دونها في الدماء**

كلمة أخيرة: الأخطل الصغير رغم ما فيه، ككل شاعر، من مآخذ، يجب أن تؤخذ من زاوية عصرها، لكي يصح الحكم عليها، شاعر آمن بالحب، وآمن بالإنسان وآمن بكل ما توفره المحبة للإنسان شرفا وخلودا.

والعذر من الشاعر والقارئ، والنقد.

**عبدالمطلب الأمين**

****

ابـــــــ

# الأخطل الصغير

**حبيب مسعود**

قيل قديماً: بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد وتمثلاً بهذا التصنيف أقول: بدأ الغزل بابن أبي ربيعة وانتهى بالأخطل الصغير. في القولين غلو وتعسف وإغراق وتصلف، إذ مادام في عالمنا أرحام تلد فليس للنبوغ حد ولا للعبقرية نهاية. ولكني أردت أن أتأثر القول القديم المشهور لكي أنوه، وإن مغالياً، بمكانة «أخطلنا» في دولة الشعر ودنيا الغزل.

ما برح صاحب «الهوى والشباب» منذ أن خفق علمه في دولة القوافي عرضة للنقد من مغرق في المدح ومفرط في القذع، لكن أحداً حتى بين القاذفين لم يستكبر لواء الغزل يعقد له في عصرنا.

في رأيي أن الأخطل كان يختار حتى الحروف لصوغ ألفاظه فكأن الحروف في عرفه تمثل الأوتار والألفاظ تمثل النغم. ما قرأت له بيتاً، مهما يكن طرازه، إلا نفشت في مسمعي رنات لطاف هي أشد وقعاً في النفس من روعة المعاني فكأنه كان يعنى باقتناص الكلمات الناغمة فوق عنايته باصطياد شوارد المعاني، فكان شأنه في معالجة الكلمة شأن العَوّاد في معالجة أوتاره لا يني يتدبرها بين إيتار وإرخاء حتى ينتفي التنافر ويستقيم النغم.

الأخطل حلق كثيراً وأسفَّ أحياناً، وأي شاعر لا يسف؟ الشاعر كالقشعم له تحليق وجثوم. حتى الأجرام السماوية تتهبط بنيازكها. القريحة مثل كل عضو في المرء تنشط حيناً فإذا هي كالبلور صفاءً وحيناً تخمل فإذا هي كسيحة مقعدة. والأخطل على رأي دخلائه كان ضنيناً برضاه لا يستقر على مبنى أو معنى إن لم

■ المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩، العدد ١٥٠ ، السنة ١٤.

يُرضِ نفسه أولاً، فالشعر عنده كان أشبه بالمخاض والولادة فإن حَسُن الوليد في عينه شكلاً وصباحة استبقاه وإلا أنكره وأهمله. وهذا شأن الشاعر الذي يركن إلى رأي نفسه قبل أن يبالي برأي السوى.

انقطع شاعرنا في سنيه الأخيرة عن أي نشاط أدبي فأشبه طائراً جريحاً انزوى وانقطع عن الشدو، وقد مثل انزواءه وانقطاعه بقوله يوم بويع إمارة الشعر:

**أيــوم أصــبــحت لا شــمــسي ولا قــمــري**
**من ذا يـــغـــنـي عـــلـى عـــود بلا وتـــر**
**مــا لـــلـــقـــوافي إذا جــاذبــتــهــا نــفــرت**
**رعت شــبــابي وخــانــتــني عــلى كــبــري**
**كــأنــهــا مــا ارتــوت من مــدمــعي ودمي**
**ولا غــذتــهــا لــيــالي الــوجــد والــسـهـر**

بيد أن داره ما فتئت بعد انكماشه مزاراً لقوافل الأدباء والمعجبين وقد زرته غير مرة فإذا أنا أمام عود بلا وتر. هيكل نحيل لولا بريق عينيه لاستحلته وخلته نحيتاً حال وشحب لونه بفعل الزمن. تجلس إليه فلا يتعرف بك إلا بعد مذاكرة فإذا ما خطر لك أن تروي بيتاً من إحدى قصائده بغتك، وقد انتفض واستعاد ذاكرته، بسردها دون تلعثم فكأنه أسطوانة الحاكي تخالها قطعة من جماد فما إن تطلق الإبرة على صفحتها حتى تتحول الى كائن ناطق.

لقد خبا رسول الغزل والكلمة الأنيقة كما تخبو الشمعة وقد أذاب اللهب جسمها. جالد الفناء نحو عقد من السنين حتى كبا فكبا معه جواد الهوى.

ما الأخطل الصغير إلا تراث لبناني له حرمة الأرز وروعة هياكل بعلبك، وتراث عربي يضم الى ذخائر الفصحى ومفاخر العرب.

**حبيب مسعود**

****

# الأخطل الصغير

**حبيب مسعود**

قيل قديماً: بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد وتمثلاً بهذا التصنيف أقول: بدأ الغزل بابن أبي ربيعة وانتهى بالأخطل الصغير. في القولين غلو وتعسف وإغراق وتصلف، إذ مادام في عالمنا أرحام تلد فليس للنبوغ حد ولا للعبقرية نهاية. ولكني أردت أن أتأثر القول القديم المشهور لكي أنوه، وإن مغالياً، بمكانة «أخطلنا» في دولة الشعر ودنيا الغزل.

ما برح صاحب «الهوى والشباب» منذ أن خفق علمه في دولة القوافي عرضة للنقد من مغرق في المدح ومفرط في القذع، لكن أحداً حتى بين القاذفين لم يستكبر لواء الغزل يعقد له في عصرنا.

في رأيي أن الأخطل كان يختار حتى الحروف لصوغ ألفاظه فكأن الحروف في عرفه تمثل الأوتار والألفاظ تمثل النغم. ما قرأت له بيتاً، مهما يكن طرازه، إلا نفشت في مسمعي رنات لطاف هي أشد وقعاً في النفس من روعة المعاني فكأنه كان يعنى باقتناص الكلمات الناغمة فوق عنايته باصطياد شوارد المعاني، فكان شأنه في معالجة الكلمة شأن العَوّاد في معالجة أوتاره لا يني يتدبرها بين إيتار وإرخاء حتى ينتفي التنافر ويستقيم النغم.

الأخطل حلق كثيراً وأسفَّ أحياناً، وأي شاعر لا يسف؟ الشاعر كالقشعم له تحليق وجثوم. حتى الأجرام السماوية تتهبط بنيازكها. القريحة مثل كل عضو في المرء تنشط حيناً فإذا هي كالبلور صفاءً وحيناً تخمل فإذا هي كسيحة مقعدة. والأخطل على رأي دخلائه كان ضنيناً برضاه لا يستقر على مبنى أو معنى إن لم

■ المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩، العدد ١٥٠ ، السنة ١٤.

يُرضِ نفسه أولاً، فالشعر عنده كان أشبه بالمخاض والولادة فإن حَسُن الوليد في عينه شكلاً وصباحة استبقاه وإلا أنكره وأهمله. وهذا شأن الشاعر الذي يركن إلى رأي نفسه قبل أن يبالي برأي السوى.

انقطع شاعرنا في سنيه الأخيرة عن أي نشاط أدبي فأشبه طائراً جريحاً انزوى وانقطع عن الشدو، وقد مثل انزواءه وانقطاعه بقوله يوم بويع إمارة الشعر:

**أيــوم أصــبــحت لا شــمــسي ولا قــمــري**
**من ذا يـــغـــنـي عـــلـى عـــود بلا وتـــر**
**مــا لـــلـــقـــوافي إذا جــاذبــتــهــا نــفــرت**
**رعت شــبــابي وخــانــتــني عــلى كــبــري**
**كــأنــهــا مــا ارتــوت من مــدمــعي ودمي**
**ولا غــذتــهــا لــيــالي الــوجــد والــسـهـر**

بيد أن داره ما فتئت بعد انكماشه مزاراً لقوافل الأدباء والمعجبين وقد زرته غير مرة فإذا أنا أمام عود بلا وتر. هيكل نحيل لولا بريق عينيه لاستحلته وخلته نحيتاً حال وشحب لونه بفعل الزمن. تجلس إليه فلا يتعرف بك إلا بعد مذاكرة فإذا ما خطر لك أن تروي بيتاً من إحدى قصائده بغتك، وقد انتفض واستعاد ذاكرته، بسردها دون تلعثم فكأنه أسطوانة الحاكي تخالها قطعة من جماد فما إن تطلق الإبرة على صفحتها حتى تتحول الى كائن ناطق.

لقد خبا رسول الغزل والكلمة الأنيقة كما تخبو الشمعة وقد أذاب اللهب جسمها. جالد الفناء نحو عقد من السنين حتى كبا فكبا معه جواد الهوى.

ما الأخطل الصغير إلا تراث لبناني له حرمة الأرز وروعة هياكل بعلبك، وتراث عربي يضم الى ذخائر الفصحى ومفاخر العرب.

**حبيب مسعود**

****

# تأبين بشارة الخــوري

**افتتاحية المراحل البرازيلية**

**غــنــيت لــلــشــرق الجــريح وفي يــدي**
**مــا في ســمــاء الــشــرق من أمــجــاد**
**أنــا في شــمــال الحب قــلب خــافق**
**وعــلى يمــين الحق طــيــر شــاد**

«الأخطل الصغير»

هـذا هــو بشارة الخــوري الذي فقده الشــرق. وكـان لوفاته رنة حزن تجاوبت في كل قطر عربي.

شـعرت جـامعـة الـقلم بـهول المـصـاب بوفاة بـشـارة الخوري وأحـبت أن ترسم شعورها بكلمات فكانت الحفلة التأبينية الكبرى التي أقامتها في بهو النادي الحمصي.

وفي الـساعة المعـينة من ١٧ كانـون أول سنة ١٩٦٨ كانت صـالة النـادي ملأى بمحبي الأدب وقادري مكانة الراحل.

وافتتح رئيس الجامعة الشاعر فيليب لـطف الله الجلسة طالباً من الحضور الوقوف والصمت دقيقة احتراماً للراحل. ومن ثم ألقى كلمة عجلى عن حياة الراحل، وأدوار حياته، الى أن تبوأ إمارة الشعر منذ سبع سنين، وأخذ عريف الحفلة يقدم

■ «المراحل البرازيلية» الافتتاحية، كانون الثاني ١٩٦٩، العدد ١٥٠ ، السنة ١٤.

الخطباء والشعراء الذين تكلموا من منظومهم ومنثورهم والذين ألقوا ما أرسله الأدباء الذين لم تسمح الأبعاد بحضورهم. وقد تكلم نثراً: عبداللطيف اليونس. سعاد سعيد ملكي. وفاء نصر. نصري حديفه. أنجال عون شليطا.

وتكلم شعراً: فيليب لطف الله. شكيب تقي الدين. توفيق بربر. نبيه سلامة.

أما الذين أرسلوا قصائدهم وخطبهم لتلقى بالنيابة عنهم فمنهم: حبيب مسعود (لبنان)، زكي قنصل (الأرجنتين)، شكرالله الجر (لبنان)، جورج رشوان (الريو) أسد موسى (سانتا كاترينا).

وكانت الحفلة على مستوى رفيع مما ألقي فيها من شعر ونثر..

**المراحل، كانون الثاني ١٩٦٩**

****

# ذكريات عن الأخطل الصغير

د. جبور عبدالنور

إذا كان الاتباعيون يذهبون الى القول بأن أكره الأمور الى نفس السامع أو القارئ هو أن يتحدث المتكلم أو الكاتب عن نفسه، فسأرقى الآن قمة المكروهات، لأن كلمتي تتناول، بالإضافة الى التعليقات والهوامش، ملامح من حياة الشاعر عرفتها معرفة مباشرة بين عامي ١٩٣٠ و١٩٣٣، عندما كان (البرق الأدبي) في أوج ازدهاره، وفي أحسن أيام عافيته. واعتمادي هذا الأسلوب ما هو إلا للنسج على منوال الأخطل الصغير الذي أبرز في مقالاته المتتابعة (من بقايا الذاكرة) صورا طريفة ومشاهد شائقة عن فرسان الأدب الذين دار هو في فلكهم أو داروا هم، من بعد، في فلكه.

كنا آنذاك ثلاثة طلاب، نخطو خطواتنا الأولى في عالم الكتابة: رئيف خوري، فقيد الظرف والأدب، وفؤاد مفرج الذي اخترمته المنية وهو في إبان تفتحه فذهب ضحية حادث سيارة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان يعد رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، وكاتب هذه الكلمة. وما أشك ـ وإن كنت أنطق بلسان غائبين، كما أعبر عن شعوري ـ في أن مراننا في إدارة (البرق الأدبي) فتح أبصارنا على أمور لا يتاح الوقوف عليها في كتب أو على مقاعد مدرسة. وأذكر أن رئيف خوري كان أخصبنا إنتاجا وأغزرنا مادة، وأن العمل الذي أخذته على عاتقي، أو كلفت به، هو كتابة أقصوصة العدد والرواية المتسلسلة. فكان منها الكثير من الرديء، والقليل من الموفق. وتحضرني ذكرى يوم جئته بمقطوعات شعرية وطرحتها بين يديه أطلب منه رأيه، وأنا أمني النفس أن تحظى برضاه فأراها مطبوعة على صفحات جريدته. فأجال فيها

■ الآداب ، عدد ١٠ ، ص ٣٤، سنة ١٩٦٩

البصر وقال إنها تحتاج الى تعديل وتشذيب وصقل وتهذيب. وفي اليوم التالي كان عددها قد هبط الى مقطوعتين اثنتين، بعد أن رمى أكثرها في سلة المهملات وبادرني قائلا، مطيبا خاطري: «قبل أن يدب حبر المطابع في شعري وأدت عشرات القصائد، وأسقط الشيخ اسكندر العازار المئات من أبياتي فلا تعتب ولا تحزن، ولكن اليك مني نصيحة مخلصة: إذا شئت ألا تجوع دعك من الشعر فإنه أقرب الطرق الى ضياع صاحبه». ولم أتبين آنذاك أكان يخاف علي من الشعر، أم كان يخاف على الشعر مني. ولكنني فرحت كالطفل بثوب العيد عندما قرأت المقطوعتين منشورتين في العدد التالي من البرق وقد ذيلتا باسمي. ولست بحاجة الى التأكيد على أن ملامح جمالهما إنما هي تضوع من القلم الذي أجراه بسخاء فيهما.

وأذكر أيضا قيام نخبة من فتيان الأدب آنذاك تسمَّت بعصبة العشرة، تلاقت في مكاتب مجلة (المعرض) لصاحبها ميشال ابوشهلا، وضمت في صفوفها خليل تقي الدين والياس أبوشبكة وفؤاد حبيش. وكان هؤلاء قد بدأوا ينهدون الى شهرة واسعة، وصيت عريض. وأخذت الجرائد والمجلات تتحدث عنهم، وتعنى بأخبارهم لخروجهم عن المألوف في الصنيع المتعارف عليه، ولطلوعهم على القراء بنفثات متحررة في النظر الى أمور الناس، وفي تسمية الأشياء بأسمائها ولإخراجهم في العربيةُ طرفاً من الآداب الأجنبية وأخبارها، بالإضافة الى فنهم الأصيل. ورأوا أن أقصر الطرق وأقربها الى بلوغ هدفهم التصدي للرؤوس الكبيرة، وأبرزها آنذاك بشارة الخوري الذي كان قد توصل بشعره الغزلي وبقصائده الوطنية الى تبوؤ مرتبة مرموقة داخل لبنان وخارجه. فتصدت له، كما تصدت لأمير الشعراء احمد شوقي، وعقدت المقالات التي تتناوله بالنقد المر. ففي ١١ من أيار سنة ١٩٣٠ نشرت (المعرض) مقالة بقلم بشار، وهو لقب عرف به أحد أعضاء عصبة العشرة، عالج فيها مفهوم الشعر، قال: «لا نرمي من نقدنا هذا إلا الى تخليص الشعر من قيود التقاليد الثقيلة التي لا تزال تمنعه عن الحركة والانفلات، وإننا نريد الشعراء على أن لا يصغوا إلا الى صوت الإلهام والوحي، ولا

ينظروا إلا في قرارات نفوسهم حين ينظمون، فإن لم يستطيعوا فلا ينظموا، ذلك خير لهم ولنا وللشعر وأبقى الخ..» ولحق بهذه المقالة أخوات لها حللت قصائد شهيرة للأخطل الصغير، واتسمت بتقصي العيب والتغافل عن الحسنة، وتخريج المعاني على غير ما وضعت له. فكان الشاعر يقرأ ما يُكتب، وفي نفسه جيشان البركان، لأن الكلمة الواحدة المسيئة كانت تقض عليه المضاجع. وقد رافقنا هذه المرحلة، وتبينا أثر الحملة في تصرفه وتفكيره، وأسهمنا، ضمن قدرتنا وإمكاناتنا في الرد، وألححنا عليه في أن يفجر الألم الكظيم من شق قلمه، فأكب يوما، وقد ضاق ذرعا بالناقدين وبإلحافنا، فكتب مقالته المشهورة (صليب المقابر، أو الحسود العاثر، أو فلان)، وأنزل هو في مكان فلان اسم مضطهده. وأعلن في (البرق)، ضمن إطار بارز هذا العنوان، على أن يدرج المقالة في الأسبوع القادم. وسألناه عن الحكمة في التأجيل فقال: إذا نشرت كلمتي في عدد اليوم فسيقرأه من وجه إليه ويغمى عليه مرة واحدة. وأما انتظاره الى الأسبوع المقبل فيرميه مغشيا عليه كل يوم ألف مرة مدة سبعة أيام. وما اكتفى بما كتب، وبما رد به نثرا، بل تحين أول فرصة سانحة ليغمز من قناة ناقديه (ناثر وشاعر) وليقول فيهما موجها كلامه الى عمر بن ابي ربيعة:

**حلق ولا تحفل لزرْي حاسدٍ**
**لو انبرى لحتفه شويعر**
**عاب على البلبل ما يطرحه**
**من ريشه وهو به يأتزر**

كانت السهام التي أصابته من (عصبة العشرة) ومن فيلسوف الفريكه، أمين الريحاني في (أنتم الشعراء)، ومن مارون عبود باعثا لأن يتفوق على نفسه، ويسمو بحاضره على ماضيه، ولأن يعتبر كل قصيدة من قصائده درجة صاعدة في سلم تكامله.

يخطئ من يعتقد أن الأخطل الصغير كان ينظم كما يغرد الطير، وكما تضوع الزهرة، ويسقسق الجدول. فما بلغ المدى الذي وصل إليه إلا بالعناد والصبر الطويل والجهد المضني والتحدي للنقاد والحساد. وهذه القصائد التي نطالعها له في الوقت الحاضر فتجري على ألسنتنا وكأنها قد تنزلت في قوالبها وأخيلتها تنزلا طبيعيا عفويا، فاكتست بهذه الحلة من البساطة، ما تبلورت في بنيتها إلا بعد السهر والعناء. فقد كان ـ رحمه الله ـ يود أن تؤثر عنه السهولة في النظم، والسرعة في الخاطر، ولكن الحقيقة أنه كان يعاني مخاضا عسيرا، ونادرا ما يرضى عما يكتب، فيعيده مرة ومرات، الى أن يخرج من يديه كائناً سويا. ولقد قيض لي أن أحضر ولادة عدد من قصائده، وبخاصة الهائية التي رثى فيها أمير الشعراء أحمد شوقي، وأتت مدماكا ركينا في صرح شهرته، فرأيته يتجرع في صياغتها الأمرين، يجمع القوافي، وينظم الخاتمة، ويرتد الى المطلع ويسبك أبياتا من أقسامها المتوسطة، ثم يعود فيحذف ويضيف ويعدل من هنا كلمة ومن هناك بيتا بكامله مقدما مقطعا على آخر الى أن تنتهي الى ما هي عليه في ديوانه وكأنها هبطت عليه وحدة تامة متناغمة. وأذكر أنني أبديت له تعجبي لما أصاب سطور المسودة من تمثيل وتشويه فما كان منه بعد أن بيضها بخطه الجميل الواضح إلا أن دفعها اليّ لأحتفظ بها ذكرى.. وظلت بين أوراقي سنوات، ثم غابت عن ناظري.

كان بشارة الخوري فنانا أصيلا لا يحمّل المعجب به معاناة الحمل والمخاض والوضع معه، وإنما يعرض عليه نتاجا صقيلا ينسيه رؤية الأزاميل المتحطمة على الرخام قبل اكتمال التمثال، والقوافي والأوزان والألفاظ التي ضحيت قبل تمام القصيدة، والنبرات الضائعة والأوتار المتقطعة قبل استواء اللحن. سر من أسرار الإبداع يعرفه الشعراء والمثالون والموسيقيون والرسامون، فيكون لهم فيه شقاء الخلق، ويكون لنا منهم سعادة المتعة.

ليس من التنبؤ القول إن مؤرخ الشعر في لبنان، إذا ما وقف، بعد رحلة في الزمن، على الصنيع الذي غمر المجلات والكتب في خلال النصف الأول من القرن العشرين ستغيم أمام ناظريه المعالم الجزئية، وتتوارى تخوم وتلال، وتختفي في المدى البعيد رسوم وآثار ظن أصحابها أنها خالدة خلود الدهر. فلا يستوقف انتباه هذا المؤرخ إلا قمم شاهقة سمت فوق ضباب النسيان.

إن ديوان الشعر كوجه الحسناء، يتفتح قلبك له، وتلذ عينك بمرآه، وتتسقط أذنك كلماته. وتعمل الأيام في الشعر عملها في الوجه الوسيم، فتجعده، وتعفي على ملاحته. ولكم طربنا حوالي عام ١٩٢٠ لقصائد نشرت آنذاك، وأفسحنا لها مقاما أثيرا في صدورنا، وخطبنا ودها، وتغزلنا بمحاسنها، كما كنا نتغزل ببنات ذلك العهد. ونحن اليوم نتصبر على سماعها ولا نعود اليها إلا لحاجة في درس، أو لتعيين مرحلة من مراحل التطور الأدبي، وقلبنا يشيح عنها، كما يتحول نظرنا عن الفتيات اللواتي عرفناهن آنذاك في ريق الشباب، فأصبحن الآن أثرا من فتنة، وحطاما من جمال. لنعد الى أمسنا ولنسائل ذاكرتنا عن الدواوين التي طالعناها في فتوتنا من معارف ذلك العهد، وأثرت في نفوسنا، واعتقدنا آنذاك أنها الكلمة الفصل، ولنبحث في مصيرها نجد أن أبناءنا لا يلتفتون اليها، ولا يعنون بها، كما نفعل اليوم نحن بسراج الزيت الذي استضاء به أجدادنا. فلكل جديد روعة، ولكل عروس بهجة. وإنما جديد اليوم هو عتيق الغد. ولا يثبت في وجه الزمن إلا الشعر الأصيل الذي يستمد فتوته الدائمة من العناصر الثابتة فكرا وقلبا ولسانا.

فمَنْ من فتيان الجامعات يقرأ الآن لناصيف اليازجي وخليل الخوري ويوسف الأسير؟ بل من يطالع بتوق وانفعال لأدباء عاشوا أمس أمثال قيصر المعلوف وفؤاد باشا الخطيب والياس فياض وعبدالرحيم قليلات؟ وكل منهم كان في زمنه ـ أي البارحة ـ مهوى الأفئدة وقطب الإعجاب؟

من المغالاة القول إن شعر الأخطل الصغير كله يتفلت من هذا المصير المحتوم، وأنه سيبقى أبد الدهر على ألسنة الرواة والمعجبين، فلا تبين في قصائده شعرة واحدة بيضاء. فسنة الهرم تصيب الشعر كما تصيب الكائنات الحية بلا استثناء، وستأتي على عدد لا يستهان به من مقطعاته فتغرق في عالم النسيان، لزوال المناسبة الآنية التي دعت الى ظهورها وإلى إقبال الناس عليها.

ولكن واقعين اثنين سيكون لهما حكم قاطع في تقويم أثر شاعرنا، وتعيين مكانته، ويتنكبان بالتالي عن وقوع الدارسين في الشطط والتسرع في الحكم عليه وهما:

- مجيئه خاتمة لعهد ومطلعا لعهد آخر.

- تعبيره العفوي عن الحب الخالد.

والواقع أننا عاجزون كل العجز عن تفهم النقلة الجذرية في الأدب كله، وبخاصة في الشعر، من البهلوانية المتوازنة، والرصف اللغوي، والتلهي الذهني، والإعجاز البلاغي الى النظريات الجمالية الحديثة إذا لم نتوقف عند الأخطل الصغير وبعض من أقرانه، ونحل اللغز الكامن في تحررهم من التقليد الوقوفي، وتطلعهم الى التجديد المتطور.

ما تقدم فن من الفنون الأدبية في لبنان تقدم الشعر. فقد سما في زمن وجيز سمواً مذهلا، انتقل من عالم الى آخر، وشاد مدارس، وأنشأ مذاهب، وهدم قديما، وبنى جديدا، وحطم أصناما، وأقام أنصابا، حتى تبدلت مقاييسنا، وتحولت أذواقنا وأحكامنا، وأصبحنا لا نرضى إلا بالمعجز منه. وبيّن أن الفارق الفني بين شاكر شقير الذي يفتتح محبوكاته في (الذهب الابريز في مدح السلطان عبدالعزيز) ببيتين يضمنهما خمسة وثمانين تاريخا هجريا لسنة ١٢٨٨ على عدد حروفهما، وبين الشعراء المعاصرين من سعيد عقل الى مدرسة (شعر)، الى خليل الحاوي بالإضافة الى الطليعيين في البلدان العربية هو فارق لا يقاس بالأيام والأعوام، بل يؤخذ على

أنه نشأة مستحدثة وخلق جديد. فقد مسح السيل المعاصر كل ما وقف أمامه من نظريات متوارثة وأغرق لبنان في بحر من العقائد المستقاة من المنابع الثقافية العالمية أو المتفجرة من الأصالة الذاتية. وقد كان الأخطل الصغير ممثلا لمرحلة انتقالية متوسطة، أي صلة بين جماعة العفوية في الخاطر، والسلاسة في الكلمة والعذوبة في الجرس وجماعة التكثف الشعوري والثقافي والالتزام الفكري والاجتماعي والجمالي. ولنقل كلاما مألوفا في كتب الأدب، أعني لنقل إنه كان مع جماعته برزخا بين جيلين، بين عقليتين، بين مفهومين، ولا تتضح الصلة بينهما بأفضل مما تتراءى من خلال صاحب (الهوى والشباب).

اما العامل الثاني أو الإبانة العفوية عن الحب الخالد فيعتبر من النوافل عرضه وتفصيله وتعليله. فما أن نلفظ اسم (الأخطل الصغير) حتى يتبادر الى أذهان السامعين صورة امرئ جبل كيانه حسب نمط أنف. هو كناية عن قلب تلاقت فيه رقة الحضارة كلها، وحساسية النفوس الزكية، وتفاعلت فيه حلاوة الابتسامة الندية ومرارة الآهة المزقة بحيث يجد فيه قارئه، في كل مكان وزمان أمله ويأسه، نعيم التملي من الحياة، وجحيم الكبت والحرمان. فهو لا يقلب بين يديه قوارير قد أفرغت من الطيب، بل يجبهه في صفحات بشارة الخوري صنيع حار، يلهب عينيه، ويحرك في أعمق أعماقه ما أغفى من ذكرياته، أو ما اعتمل من واقع يومه وساعته. تقصر دون بلوغ شأوه ـ في تحرير المشاعر البشرية ـ كاتدرائيات المكتفين ثقافيا، الغائصين في التحليل الفرويدي، والاكتئاب الأوديبي، والأثرة النرجسية، وكل ما يدخل في نطاق التعبئة الفنية العالمية. فبساطة الكلمة، وعفوية التعبير، وسذاجة العاطفة، وعافية الخيال... هذا الرباعي البدهي، السهل الادراك، الصعب التقليد هو الذي يبقي قوارير الأخطل الصغير مليئة بالعطر، عطر تأرج به أبناء ألف ليلة وليلة، كما نلذ به اليوم، وكما سيهفو إليه أبناؤنا من بعدنا.

**د. جبور عبدالنور**

****

ابـــــــ

# كان الأخطل الصغير
# نهـراً كبيــراً..

**نزار قباني**

كان الأخطل الصغير بستاناً ونهراً كبيراً

وبيدر قمح في حياة الشعر العربي!

والبساتين التي من نوع بشارة الخوري

لا تقفل أبوابها بموت أصحابها.

بدليل أننا نحن شعراء الأربعينات والخمسينات

لا نزال نقطف الورد والتفاح والنجوم

من الشجر الذي زرعه بشارة الخوري!

وبالنسبة لي

كان بشارة الخوري معلماً كبيراً.

فقد تعلمت منه الطراوة والطلاوة

وطريقته المدهشة

في مزج الإيقاعات والألوان

■ كلمة قيلت في برنامج إذاعي إثر وفاة الأخطل ونشرت فيما بعد في كتيب خاص.

إن بشارة الخوري لم ينحسر عن الشعر العربي الحديث أبداً.

فهو موجود في كل دفاترنا وكل كتاباتنا،

ومخبوء فى أوتار حناجرنا!

إن صوته يسكن في كلامنا وأبجدياتنا

كما يسكن النغم في قصب الربابة

وكما تسكن المياه في عروق الصخر

وكما يسكن الكحل في عيون الجميلات!

هذا الرجل جعل الزمن الشعري العربي

زمناً أخضر.

وحوَّل القصيدة العربية إلى مروحة ونول حرير !

وبكلمة موجزة:

إن الشعر العربي لا يزال يصطاف في قصائد بشارة الخوري، ويستحم في جداول كلماته الصافية...

**نزار قباني**

✱✱✱✱

# غنائية الأخطل الصغير

## هل هي تلقائية لاواعية، أم عمل شعري مقصود؟

**لميعة عباس عمارة**

لو ناقد تحدث لاختلف السند وبدت النظريات محتوى والفرضيات نتائج، ولكن حين يتحدث شاعر عن شعر يسلم نفسه للهواجس، ويخرج بنتيجة مختصرة أن هذا الشعر شعر شاعر لأنه نفسه جاهل يدرك بلا وعيه ولا يفلسف.

الأخطل الصغير شاعر وقصائده شعر، وإن قلت غنائي فلا أعني ما درست ودرّست من تفسير لمعنى (الشعر الغنائي) وهو الشعر الوجداني – لا – إن الغنائية عندي هي توقع الإنشاد من منبر أو في فم مغن، والتوقع وإن كان عملاً مقصوداً إلا أنه يصبح ممارسة ومهارة كما عازف البيانو الأعمى تستدل أصابعه على مفاتيح اللحن انسياباً متحرراً من توجس الالتباس، أصابعه العشرة لا تهبط إلا على المعازف المنتقاة لتطلق النغم المنشود!.

لبشارة الخوري – الأخطل الصغير – تلك القدرة بالإمساك بالدفقة الشعرية الأولى. فالغنائية عند الأخطل انسجام لاواع بين حروف الكلمة ومجاورتها مما يمكن إحلال أكثر من مرادف مكانها ولكن على حساب الموسيقى الداخلية في البيت.

أحياناً أفكر بإخضاع أبيات من الأخطل الصغير على التعيين للفحص فأخرج بنتائج متشابهة تماماً تنتظمها كلها الحساسية الموسيقية.

والأمثلة تكوّن التسعين بالمئة من أبيات الأخطل، ولست أقول قصائده وإن كان لكل قصيدة خيط من الموسيقى ينظمها داخل الأبيات، ولو شئت أن أكون أدق لقلت هناك في كل نصف بيت أحياناً موسيقى محسوبة – بلا وعي طبعاً – تشد الشطر الواحد.

■ قيلت في برنامج إذاعي بعد وفاة الأخطل.. ونشرت في كتيب تذكاري.

يقول الأخطل الصغير عن شعره:

**صنعت القريض وما لي في القريض يد**
**يد الطبيعة فيه أو يد القدر**

ونحن الآن نشرح صنع الطبيعة والقدر ونحاول ألا يكون الشرح تشويهاً – لأن الشرح بمجمله في الشعر يقلل من جماله.

ويقول الأخطل:

**يا عاقد الحاجبين**
**على الجبين اللجين**
**إن كنت تقصد قتلي**
**قتلتني مرتين**

ثلاث جيمات وأربع قافات وسبع نونات في البيت، فإذا عدنا إلى الأشطر: أختص الصدر بالجيمات وتحمل العجز أكثر القافات فيما بقيت قاف واحدة مشتركة بين الصدر والعجز ، أما النونات – والأخطل يكثر منها – فهي الأرضية التي تنبت عليها الحروف مجتمعة كما بساط من العشب الربيعي انتشرت عليه شقائق النعمان.

وحين نأخذ هذا البيت:

**الهوى والشباب والأمل المنشود**
**توحي فتبعث الشعر حيا**

نجد (الشين) تشد الشطرين وإن كره مارون عبود تعاقب الشينات حتى حسبها منشاراً أو زعانف سمكة.

اللفظة عند الأخطل تجر وراءها مذنباً من النور يستدعي لفظة ثانية لا غيرها.
.. **تمر قفز غزال** ..

هذه (الزاي) نادت أختها و:...

**أدر كؤوسك، أدركني بواحدة،**
**وهل يطيب بكأس غيرها سكري**

(الكاف) تكررت وأدر كؤوسك استدعت أدركني و (باء) يطيب استدعت الباء بعدها وهكذا السين.

كما قوله أيضاً:

**عـــذر لمن مـــات لا عـــذر لمن ســـلـــمـــا**

**إذا تـــهـــدم مـــجـــد واســـتـــبـــيح حـــمى**

سبع (ميمات) توالت وثلاث (ذالات) وأربع (لامات) و(دالان)... إلخ فيما (حاء) استبيح استدعت (حاء) حمى بعدها .. والتنوين يجر النون إلى آخر ما يخرج من هذه اللعبة في علم الأصوات.

لقد عبر الموسيقار محمد عبدالوهاب عنها بشكل آخر في حوار أجري معه على صفحة جريدة أخبار اليوم في الخمسينات حين سأله كامل الشناوي.

– لمن لحنت من الشعراء يا أستاذ محمد عبدالوهاب؟

فيرد عليه: لشوقي وأحمد رامي، وعلي محمود طه المهندس، وعزيز أباظة وغيرهم.
فيسأله المحاور وكأنه يذكره:
– ألم تلحن للأخطل الصغير؟
فأجاب محمد عبدالوهاب – كلا!

عندئذٍ يسأله الشناوي:

– من لحن إذن «الهوى والشباب» و «جفنهُ علم الغزل» و«الصبا والجمال» و«يا ورد من يشتريك»..؟.

فيضحك ويقول لم ألحن هذه القصائد ... لأنها جاءتني ملحنة من الأخطل الصغير!.

**لميعة عباس عمارة**

****

ابيض

# الأخطل الصغير ليس الماضي

**رفيق خوري**

أمس سافر بشارة الخوري «الأخطل الصغير» وأخذ معه الكأس والصمت والريح.

لو سألوه هناك: من أين جئت؟ لما قال كلمة.

بشارة الخوري لم يأت من لبنان. لم يأت من العرب. جاء من كبده. ولد من قلبه وعاش في قلبه كانت مهجته واسعة مثل غابة وموزعة مثل ظلال من الحلم:

**للحب أكثرها وبعض كثيرها**
**لرقى الجمال وبعضها للراح**

سافر الأخطل وأخذ معه الحب والخرافة الصغيرة التي تسرح شعرها على النبع وتجلس في الفيء ثم تغني..

على الحد بين الريح والخيمة عاش. عندما هدأت الريح من حوله، ظلت في أعماقه. وعندما هدأت في أعماقه، انطوى على نفسه في الخيمة، ثم طوى معه الخيمة وسكت.

وبرحيل بشارة وضع السيف المذهب في قرابه. فليس في جيله من هو قادر أن يحمل ذلك السيف. وليس في الجيل الذي جاء بعده، من يقدر أن يكسر الزجاج من حوله ليقترب من السيف.

وداع للرومانتيكية بعد بشارة الخوري. وداع للعالم الذي لا ينفصل الإنسان فيه عن حواسه، وداع للعالم المضيء، في زمن وقفت السكين فيه بين الإنسان وإحساسه. في زمن لم يعد الشوك فيه يحمي الورد، بل صار الورد منفياً وممنوعاً حتى من حراسة الشوك!.

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

وداع للقمر والقرميد والشبابيك والعين في عالم الغربة والحزن الذي يطلع من الكأس. وداع للحلم في زمن الخيبة والهزيمة. وداع للسيف في زمن النابالم.

بشارة الخوري لم يكن الماضي، ونحن لسنا الحاضر، وغيرنا ليس المستقبل. بشارة الخوري هو الحلم الذي يضيء نافذة غرفته. فيعرف الناس أن العالم لم يمت. البلبل الذي يغني. فيتذكر الناس – أو يتوهمون – أن العالم ليس قفصاً.

لم يكن الماضي الذي ذهب. كان العالم الآخر الذي قتله العالم. كان العالم الجميل الذي سحقه التلفزيون والكمبيوتر وإنذارات البنوك وقرارات الأمم المتحدة!

كان «بيرانجة» يوجين يونسكو الذي رفض أن يصبح وحيد القرن عندما تحولت المدينة إلى قطيع من الخراتيت. رفض أن يبدل صوته الإنساني العذب في العصر الذي صار الصوت الإنساني فيه غريباً ومتهماً بالوحشية!

لبنان الذي بكى الأخطل الصغير أمس كان يبكي شبابه.

العرب الذين بكوا الأخطل الصغير كانوا يبكون الفردوس الذي لم يبنوه. الفردوس الذي سقطوا قبل أن يدافعوا عنه.

أما الحب فكان ينزح الدموع من عينيه، باحثاً عن قلب وبيت شعر يسكن فيهما.

**رفيق خوري**

****

# الأخطل الصغير ليس الماضي

**رفيق خوري**

أمس سافر بشارة الخوري «الأخطل الصغير» وأخذ معه الكأس والصمت والريح.

لو سألوه هناك: من أين جئت؟ لما قال كلمة.

بشارة الخوري لم يأت من لبنان. لم يأت من العرب. جاء من كبده. ولد من قلبه وعاش في قلبه كانت مهجته واسعة مثل غابة وموزعة مثل ظلال من الحلم:

**للحب أكثرها وبعض كثيرها**
**لرقى الجمال وبعضها للراح**

سافر الأخطل وأخذ معه الحب والخرافة الصغيرة التي تسرح شعرها على النبع وتجلس في الفيء ثم تغني..

على الحد بين الريح والخيمة عاش. عندما هدأت الريح من حوله، ظلت في أعماقه. وعندما هدأت في أعماقه، انطوى على نفسه في الخيمة، ثم طوى معه الخيمة وسكت.

وبرحيل بشارة وضع السيف المذهب في قرابه. فليس في جيله من هو قادر أن يحمل ذلك السيف. وليس في الجيل الذي جاء بعده، من يقدر أن يكسر الزجاج من حوله ليقترب من السيف.

وداع للرومانتيكية بعد بشارة الخوري. وداع للعالم الذي لا ينفصل الإنسان فيه عن حواسه، وداع للعالم المضيء، في زمن وقفت السكين فيه بين الإنسان وإحساسه. في زمن لم يعد الشوك فيه يحمي الورد، بل صار الورد منفياً وممنوعاً حتى من حراسة الشوك!.

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

وداع للقمر والقرميد والشبابيك والعين في عالم الغربة والحزن الذي يطلع من الكأس. وداع للحلم في زمن الخيبة والهزيمة. وداع للسيف في زمن النابالم.

بشارة الخوري لم يكن الماضي، ونحن لسنا الحاضر، وغيرنا ليس المستقبل. بشارة الخوري هو الحلم الذي يضيء نافذة غرفته. فيعرف الناس أن العالم لم يمت. البلبل الذي يغني. فيتذكر الناس – أو يتوهمون – أن العالم ليس قفصاً.

لم يكن الماضي الذي ذهب. كان العالم الآخر الذي قتله العالم. كان العالم الجميل الذي سحقه التلفزيون والكمبيوتر وإنذارات البنوك وقرارات الأمم المتحدة!

كان «بيرانجة» يوجين يونسكو الذي رفض أن يصبح وحيد القرن عندما تحولت المدينة إلى قطيع من الخراتيت. رفض أن يبدل صوته الإنساني العذب في العصر الذي صار الصوت الإنساني فيه غريباً ومتهماً بالوحشية!

لبنان الذي بكى الأخطل الصغير أمس كان يبكي شبابه.

العرب الذين بكوا الأخطل الصغير كانوا يبكون الفردوس الذي لم يبنوه. الفردوس الذي سقطوا قبل أن يدافعوا عنه.

أما الحب فكان ينزح الدموع من عينيه، باحثاً عن قلب وبيت شعر يسكن فيهما.

**رفيق خوري**

****

# كان متعاقداً مع الحب

**أنسي الحاج**

كان الأخطل الصغير متعاقداً مع الحب حتى أنسانا، نحن الناشئين ضد جيله، أنه من جيله. كان صوته الرقيق معنا.

أكبر مفارقة حيال شعره هي أن الذين أحبوا أحمد شوقي أحبوه، والذين أحبوا أبو شبكة أحبوه، والذين أحبوا أمين نخلة أحبوه، والذين أحبوا سعيد عقل أحبوه. حتى نحن، الذين تظاهروا أنه لم يعجبهم العجب في شعر العرب، أحببناه، فشعره النضر ليس شعر جيل وحسب. هو شعر وحسب.

ومنذ أن رسموه أميراً للشعراء قبل سنوات. بل قبل ذلك بحقبة، ونحن نعيش وإياه في وطن واحد، ولا نراه. كان ساكتاً. سكت حتى النهاية. سكت منذ أن نضب. ويوم مبايعته في الأونيسكو تثاقل على نفسه المتعبة وقام يسأل:

**أيــوم أصــبــحت لا شــمــسي ولا قــمــري**
**من ذا يــــغــــني عــــلى عــــودٍ بلا وتــــر؟**

فبعد عهد طويل من الدفق جف الينبوع. ولم يفتعل الأخطل العطاء. طول عمره لم يفتعل العطاء، وهذا شعره الصادق المرهف العنيف والوديع يشهد على عفوية تولدت لها الأناقة من غير تكليف. وفي أصيل حياته هرب إلى حاله في الداخل. انسحب من المباراة ململماً وراءه أذياله عن السحب. راح يتفرج على العالم وهو يشيخ بلياقة، بلا نحيب. وجلس ينتظر الموت ولم تفارقه النكتة حتى اللحظة الأخيرة.

شفافاً عاش وشفافاً ناضل وغنى وشفافاً ألقى السلاح. وعاش بجماع حواسه، ولم يعرف التحدي والعدوان، وعرف اللذة واللطافة، وحفظت أشعاره العرب العربان:

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

عرب عبد الوهاب وعرب فيروز. وكان وبقي في شعره وفي شخصه نصفه سيف ونصفه الآخر بستان من الورد.

وهو الأخطل وليس الصغير. بل هو بشارة الخوري وكفاه إسماً. وليس أميراً للشعراء فكثير من الشعراء الذين بايعوه لا يستحقون أن يكونوا في بيعته. بين رجال عصره وشعراء خطه هو أسلسهم وأطراهم. هو شاب شيخوختهم وشيخ شبابهم. هو أجدهم وألمعهم وكلامه أقرب الكلام إلى القلب وإلى الحبيبة وإلى اللحن. يكرج كرجاً مع اللحن. يموج بصفاء عين الديك.

عتيق، بشارة الخوري؟ مضيء، بشارة الخوري. وما يضيره أن لا يكون ضخماً ولا ملحمياً ما دام في الشعر وسيبقى مكان وسيع للحساسين والكنارات؟ ما دام في الشعر وسيبقى مكان وسيع لكل ذي أسلوب، ما دام الأسلوب بلورا، والبلور يعكس الشمس والقمر وتتعلق بطياته النجوم كالدبابيس.

تقليدي بشارة الخوري؟ يرثي ويهجو ويمدح ويفاخر ويبكي على الأطلال؟ ربما. لكنه، إذ ذاك، ملك التقليديين جميعاً في هذا العصر. لأنه تخطاهم وأدرك في رحلته وجهاً من وجوه الشعر. هذا الوجه ليس ملمحاً فنياً. ولا مذهباً. ولا شكلاً ولا مضموناً هذا الوجه هو بشارة الخوري الإنسان. لقد كان هو نفسه شعراً، والشعر، في الأخير من مجموعه، هو الشاعر وليس القصيدة. وبموته يختم الشعر في لبنان إحدى كلمات حبه. كلمة كانت متوترة، مسنونة نضرة، وذات حنين يعصر القلب. وبموته يختم لبنان خطاباً من صفحتين: صفحة مرشوشة بالعطر وصفحة تلتهمها النار.

إننا نودع مع بشارة الخوري عالماً قديماً عاش بيننا بانسجام. نودع برقاً ظل يبرق نثراً وشعراً نصف قرن. نودع العهد القديم الذي مات شاباً. وسنبكيه كلما نسيناه، وسنفرح به كلما عادنا شعره فأنشدناه. وسنراه دائماً عبر كل كأس، وعند كل نهر، وعلى كل سحابة.

وكلما نضب ينبوع، سنعرف أنه إياه. وكلما سكت عصفور فسنعرف أنه إياه.

وكلما انكسر وتر في عود سنعرف أن قلبه هو الذي انكسر.

**أنسي الحاج**

****

# كان شعره أميناً كالدمع

**أدونيس**

كان الأخطل الصغير بين شعراء جيله يمثل طليعة الانتقال من الشعر الذي يرتبط بكتب الأدب وقواميس اللغة والذي عممه رجال عهد سميناه خطأً عهد النهضة ورسخته المدارس ومناهج التربية، إلى الشعر الذي يرتبط بالحياة اليومية وأشياء القلب. لهذا نرى فيه، نحن الأجيال التي أتت بعده، بداية من بدايات التغير في التعبير الشعري. وقد شمل هذا التغير شكل القصيدة ومحتواها على السواء.

من الناحية الأولى ليَّن الأخطل الصغير البناء الشعري وحدد كلماته وصيغه وشدد على أولية المشاعر حتى كاد أن يوحد بين القصيدة والأغنية.

هكذا كانت قصائده تخلق في نفس قارئها أو سامعها جواً من الطرب والنشوة بمعناهما العربي الصافي.

ومن الناحية الثانية التحم الشاعر بجيله وقضاياه وبخاصة ما اتصل منها بالحرب والكفاح من أجل التحرر على الصعيدين القومي والاجتماعي. وبقي حتى في تناوله هذه المشكلات غنائياً مرهفاً يتلألأ شعره صافياً أميناً كالدمع.

هكذا يمكن أن نصف تجربة الأخطل الشعرية بأنها، في حينها، تجربة ريادية ربطت بين إيقاع النفس الداخلي وإيقاع الحياة الخارجي، وجلت عن الكلام الشعري الموروث كثيراً من الصدأ والأنقاض مما عزز الانفصال عن التقليد، وعن الجمود السلفي وأشاع في الكلمة الشعرية نقاوة جديدة وقشعريرة خاصة.

كان الأخطل الصغير، في حياته، غائباً في سفر دائم وراء الشعر. وهو الآن، في غيابه، حاضر أبداً مع الشعر.

****

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

ابيض

# مـن يملك الخلـود

**كامل مـروة**

في غمرة التردي الذي عصف بالمقاييس في هذا البلد، وبدل المفاهيم حتى استوى الماء والحطب، نعتبر المهرجان التكريمي الذي أقيم لشاعرنا الكبير الأخطل الصغير شعاع أمل في بقية باقية من الوفاء، وتقدير النبوغ. ومما يزيد في قيمة المهرجان أنه استدر الحبيس الغالي من أنفاس شعرائنا وأدبائنا، وأخرجهم مكرهين من عزلتهم الصامتة العجفاء.

وما كان لبنان – لبنان هذه الأيام – مضرب المثل في الحمية حيال الأدب والأدباء، فلقد أتت المغريات المادية العارضة على التليد من تراثنا، فإذا بهذا الفيض الدافق من خريجي مدارسنا يصبح أبعد عن الأدب من أشد الأجيال الماضية جهلاً وأمية. وتلك لعمري أعجوبة المتناقضات!.

إن تكريم الأخطل الصغير يدغدغ أملنا بردة على تجارة الحبر والورق، التي استشرى سرطانها في هذا الجيل، ويرشدنا إلى السبيل الصحيح للأدب الرفيع: أدب الخلود لا الأدب الذي ينتهي إلى قمامات النفاية وموازين الباعة!.

لقد زين الأخطل الصغير حياة الأدب العربي، في لبنان وخارجه، نصف قرن بألوان زاهرة، فضحكنا معه ، وبكينا معه، وعشنا في قصائده الجليل من أفراحنا وأتراحنا. وما زال شاعرنا الكبير يهل علينا بنفحات ترفعنا من غبار الحاضر الخانق إلى علياء العبقريات الولادة.

إن الأخطل الصغير لا يحتاج إلى تقديرنا، فمن يملك الخلود في سجل الشعر الراسخ أبداً، لا يعوزه تكريم، وإنما نتخذ المهرجان مناسبة لنشر كنوزنا، علّ سناءها يشعل في نفوس شبابنا جذوة، ويبعث في أخلاقنا كرامات.

****

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

ابيض

# يأتـــي مـــن ذاتـــه

**منصور الرحباني**

يأتي من ذاته ليلغي كل اتفاق بينه وبين الانتماء.. قصيدته، هو .. هذا الشاعر الطالع، من وحدة البيت إلى توحيد القصيدة.

التوغل في عالمه الشعري يسقط المعادلات، فقوافيه في القديم، وصوره في الحداثة.

يقف على أول الطريق الصاعد نحو الألفين، نحو اتحاد الرجل بالآلة. نحو تحوله رقماً في مدينة أو مصنع ويخاف.. – هو، سقط في هذه اللعبة فأحرق أيامه بين ساحة البرج والدورة – يخاف علينا نحن الآخرين، يخاف أن ترحل الطبيعة من قلوبنا، فيمطر على طرقاتنا ورداً وفراشات ، عطراً وشقرة شعر، يحمل إلينا الحقول والبيادر وحزن الحبيبات.

أعرفه جيداً .. الأخطل الصغير لم يحفظ من شعر الأقدمين أكثر من أربعين بيتاً، كي لا يسكنه آخر، فسكنته بلاده جبالا وأنهارا وجرأة قول، سكنه الإنسان المتمرد الموجوع، فوقف على منابر الشرق متوتراً كسيف، صارخاً كنبوءة، من أجل أن يبقى في الوجود قيمة،

من أجل أن لا يكف بوح المحبين.
من أجل أن لا تنكسر الكؤوس ويرحل السهر.
من أجل أن لا تذهب الصبية قبل أن تسكن القصيدة.
من أجل أن نكون وطنا واصلاً أرضا بسماء..

✱✱✱✱

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

ابـــــــــــــــــــــــــــيـــض

# شاعر الحب والأوطان

**قبلان مكرزل**

كثيراً ما نسمع أناساً يتكلمون واصلين الآناء بالأطراف ويخطبون بل يكتبون... والذكي من عرف بأية من كلماتهم يؤمنون! يظهر أن الكلام بنظرهم: شيء – فن – سلوك.. والحياة شيء آخر.

بينما نعرف أناساً كلامهم قطع من قلبهم وضميرهم وصميم واقعهم. وكأنه وحي أو إشعاع من كواكب لم يشرق صباحها على أرضنا بعد.. وأرى أن بشارة الخوري. الأخطل الصغير من سلالة هذا النوع: فنه مخلص لحياته، وحياته مرتسمه خطوة خطوة ولوحة لوحة في شعره. كما ارتسمت أزهار الضفاف وأشجارها في صفاء النهر المهيب! يلمح شاعر الحب والأوطان – الأخطل الصغير – جرحاً في جبين البلاد، عذوبة على شفة فينطبع كل ذلك في شعره، فيتنهد:

**الفراشات ملت الزهر لما**
**حدثتْها الانسام عن شفتيكِ**

.....

**اثنان لا يتهادنان دقيقة**
**شبح الضحية والضمير المجرم**

فحياة هذا الشاعر الأمير وشعره: شيء واحد! يتنافسان تشابها وتجاذب إخلاص. فتتحول حياته إلى شعر وشعره إلى حياة مرفرفة في آفاق اللانهايات..

بركات السماء على طيفك الحلو المتأود في قلوبنا يا أبا عبدالله.

****

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

ابـــــــ

# من تاريخنا المجهول أو المنسي

## بشارة عبدالله الخوري

## «أحد مؤسسي جامعة الدول العربية»

**يوسف إبراهيم يزبك**

في هذه الذكرى الوفية، تجمع بين بعض محبي الأخطل الصغير، مجددين عهدهم لصديقهم الحبيب الراسخ رسْمه في قلوبهم، والمستحيل عليهم نسيانه، يحملني شوقي إلى لبنان الشهيد حيث أنشد الأخطل درره الخالدة فرددها كل مثقف عربي، ورددتهاالروابي والبطاح، والجبال والأودية، والصحارى والبيد، والمدن والقرى في الشرق والغرب – ردد الجميع الروائع الأخطلية وغنوها لأنها كانت صدى أمانيهم، وتجاوب أحاسيسهم، وحملتهم على حب منشدها.

ثم تنقلني ذاكرتي إلى الطابق الأول من بناية «فخمة» وعصرية بالنسبة إلى زمانها البعيد تتعالى في مدخل سوق سرسق ببيروت القديمة حيث إدارة جريدة «البرق»، أرقى جريدة أدبية يومئذٍ في الشرق كله. فأرى صاحبها الكاتب الجريء بشارة عبدالله الخوري يستقبلني بوداعة ويصغي إلى ملتمسي أن أكون تلميذاً أبدأ ممارسة الصحافة في جريدته، فيوافق الصحافي الذائع الشهرة على قبول الفتى الناشىء. في تلك الآونة (١٩١٩) كانت الصحافة ما تزال ممارسة إنشائية أكثر من كونها علماً بدأ يصير فناً وتخصصاً: فالمحرر الأول، الأنشط والأكثر إنتاجاً في (مؤازرة) رئيس التحرير، هو المقص. أما المحرر الثاني بعده فمسؤول عن إعداد الترجمات ورسائل الجهات والأخبار المحلية، وهي كلها تأتي في المرتبة الثانية بعد

■ نشر في كتيب تذكاري صدر بعد وفاة الشاعر.

المقالات. والمحرر الثالث والأخير في أسرة التحرير هو الممارس المبتدئ (أنا مثلاً) ومهمته مساعدة «زميله» بتصحيح الأخطاء المطبعية (البروفات) وتصويب لغة الخبر المحلي والاشتراك بترجمة برقيات شركة «هافاس». وقد قلت إن هذه المواد كلها في المرتبة الثانية، ولا تنشر إلا إذا بقي لها مكان في الصفحتين الثالثة والرابعة وحسب جرائدنا يومها إعلاماً وعبقرية وفناً!

أول شيء بعد بدئي العمل في «البرق» عرفته في الصحافي اللامع بشارة عبدالله الخوري بطء في الكتابة، وإطالة تفكير واستلهام، وحذف جمل وكلمات، فقد كان يعنى بالصياغة أولاً وقبل أي شيء آخر، ثم تعيد ريشته (كنا نكتب بالريشة «المغطوطة» بالحبر) الحذف والنص حتى يتصبب العرق من جبهته ويتصبب الحبر على ورقته!.

وكانت المقالة الرئيسية التي يكتبها صاحب «البرق» وتعقيبه على خبر ما بنكتة أو لذعة، هما في رأيه، ورأي كل صحافي في زمانه، في وزن محتويات العدد كله، لأنهما المقروآن الأولان. ولكن بشارة عبدالله الخوري كان له أيضاً اهتمام رئيسي آخر في عمله الصحافي مربوط بما سيحمله إليه البريد وينتظره على أحر من الجمر... ينتظر حوالة من نصير كريم ومحب، أو مقالاً من القاهرة أو بغداد أو البصرة أو حلب، أو القدس أو جدة، أو استنبول أو باريس. ولهذا المقال وقع خاص في نفسه وتقديره قد يوازي حيناً وقع مقاله الرئيسي أو وقع تعقيبه على خبر ما (..). هنا – في انتظاره البريد – يكمن العمل العظيم الذي أتاه بشارة عبدالله الخوري في جريدته «البرق» لم يقدره الوصوليون: فالمقالات المرسلة إليه من المدن التي ذكرتها، من أعلام الفكر والأدب، كانت أول تلاق في لبنان للثقافة العربية في مختلف ديارها. وذلك التلاقي زاد نشر الفكرة العربية في الناشئة، وزيادة انتشار هذه الفكرة قوى رواد العروبة وشجعهم وأيقظ النائمين. ناهيك بالمنتدى الذي أسسه رواد جريدة «البرق» وكان يجمع بين لبنانيين مقيمين وعرب زائرين. وأذكر في طليعة المقيمين

المغفور له اسكندر العازار في ختام أيامه وداود عمون والخوري يوسف أسطفان (حبيب أسطفان بعدئذٍ) ويوسف الخازن وشبلي الملاط ومصطفى الخازن وأمين تقي الدين ولبيب الرياشي وإخوانهم من أعلام الفكر والشعر، يبحثون ويتناقشون ويتندرون ويجدون وتعبق مجالسهم بالعبقرية والأنس!.

وما بدأه الصحافي الكبير بشارة عبدالله الخوري في جريدته «البرق» قبيل الحرب العالمية الأولى على الصعيد العربي، ثم تابعه على أثر الاحتلال الأجنبي كتابة وشعراً – وما أروع خالدات الأخطل الصغير في أماني العروبة! – أوصل إلى تأسيس جامعة الدول العربية العابث بها اليوم أكثر دولها (...).

وأستعيد عرض المطاف الطويل الذي اجتازه الصحافي اللبناني والشاعر المرشد في هذا الميدان، في سبيل جامعة عربية حلم بها أساتذتنا الأحرار وشهداؤنا المؤمنون منارة لقومية إنسانية نقية – وأستعيد رؤى لمعت في بضعة عقود من العمر وصارت إلى ما صرنا فيه من حابل ونابل، ومشرق ومغرب، فأغبط معلمي وصديقي الحبيب الأخطل الصغير على سفره، وتحرره من القيد الأكبر، ومن الداهية الآتية، رحمنا الله!

**يوسف إبراهيم يزبك**

****

ابـــــــ

# شخصيات بارزة
# في تاريخ لبنان

د. عصام خليفة

**الأخطل الصغير:ما تهدمه السياسة يبنيه الأدب**

«شخصيات بارزة في تاريخ لبنان المعاصر» كتاب جديد للدكتور عصام خليفة صدر في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسطة يهديه إلى كل الكبار الذين جاهدوا وضحوا ليكون للشعب اللبناني دولة مستقلة وإلى الأجيال القادمة التي ستحسن قراءة وصناعة تاريخ لبنان.

أما الكتاب الوثيقة الذي أشرنا إليه حين صدوره، فهو يطرح إشكالية مغايرة، فكرية طبعاً، تتوقف عند شخصيات مهمة في تاريخ لبنان الحديث: البطريرك الياس الحوّيك، خيرالله خيرالله، جبران، الأخطل الصغير، أمين الريحاني، ورجالات أُخر كان لهم دور تاريخي وتأسيسي في لبنان شخصية ومرتجي. من الكتاب نختار ثلاثة بحوث عن الأخطل الصغير، عن جبران وعن الريحاني، لما في هذه البحوث من كشف وأضواء على مسيرة في نتاج هؤلاء الأعلام وطنياً وفكرياً ونضالياً.

اليوم نعيد نشر الوثيقة الأولى عن الأخطل الصغير، وفيها المثقف الملتزم بالوطن والإنسان، مسقطين هوامش البحث والكتاب على أهميتها:

**الأخطل الصغير: المثقف الملتزم بالوطن والإنسان**

كثيرة هي الدراسات التي اهتمت بالأخطل الصغير شاعراً كبيراً بين شعراء لبنان

■ صحيفة الأنوار اللبنانية، ١٩٩٧/٣/٢٩.

والعالم العربي، لكن الأخطل الصغير المصلح الاجتماعي والصحفي، والمفكر السياسي والمناضل الوطني وداعية الاستقلال والتحرر الكبير لا يقل أهمية عن إنتاجه الشعري، وفي هذه المداخلة المقتضبة، عن بعض محاور القضية اللبنانية والعربية عند الأخطل، نزعم أننا نفتح النقاش ولا ندعي أننا نوفيه حقه من الدرس والتحليل.

**ما هي أبرز تلك المحاور؟**

**١- الاستقلال:**

تدرج الأخطل الصغير من داعية للإصلاح والتقدم ضمن الدولة العثمانية مع التمسك بامتيازات متصرفية جبل لبنان والتحذير من خطر السياسات الأجنبية التي تبث الفرقة بين اللبنانيين إلى داعية للبنان الكبير في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي فترة الانتداب الفرنسي دافع مثقفنا عن استقلال الوطن وقد عطلت «البرق» أكثر من مرة بسبب مواقفه الجريئة، ولم يكن يجد تناقضاً بين استقلال لبنان وانتمائه على عالمه العربي الأوسع، فمن شعارات جريدته لعامي ١٩٢٧ – ١٩٢٨ :

«البرق أمتن صلة بين اللبنانيين والسوريين في الوطن والمهجر، وإذا كان هناك قوة تحول دون تفكك أبناء الشرق العربي فتلك القوة هي اللغة العربية».

معادلة اللبننة في إطار العروبة، واستقلال الدولة اللبنانية في إطار التعاون والتحالف مع المنظومة العربية، ومجابهة أخطار الاستيطان الصهيوني والأطماع الخارجية على قاعدة التفاهم والتضامن العربي، تلك كانت القاعدة الفكرية التي وجهت مسار نضال أديبنا منذ أوائل عهده بالكتابة والعمل في الحقل العام، وكل منابر المدن العربية في مصر والشام والعراق وغيرها لا تزال تذكر قصائده المدوية التي تجل الثورات العربية التي اندلعت في فلسطين (١٩٣٦) أو في مصر وسوريا والعراق:

**يـــا جـــهـــاداً صـــفق المجـــد له**
**لـــبس الـــغـــار عـــلـــيه الأرجـــوانـــا**
**شـــرف بـــاهت فـــلـــســـطـــين به**

وبـــنـــاء لـــلـــمـــعـــالي لا يـــدانـــا
إن جـــرحـــاً ســـال من جـــبـــهـــتـــهـــا
لـــثـــمـــتـه بـــخـــشـــوع شـــفـــتـــانـــا
وأنـــيـــنـــاً بـــاحت الـــنـــجـــوى به
عـــربـــيـــاً رشـــفـــتـه مـــقـــلـــتـــانـــا

**٢ - نقد السلطة والدفاع عن الديمقراطية:**

الخط الثابت في مواقف الأخطل (منذ الفترة العثمانية حتى فترة الاستقلال مروراً بفترة الانتداب الفرنسي) هو اتخاذه المواقف النقدية من الحكام، فعام ١٩١١، يؤكد أن من الصغارة أن تجاري الحاكم على غيه، ومن العار أن تبيعه ضميرك وتسخر له إرادتك وتخون لأجله وطنك. ومن شعاراته: «ما تهدمه السياسة يبنيه الأدب» ومن موقعه التوجيهي في الصحافة كان يحذر الشعب من الانقياد الأعمى وراء الحكام: «ما رأيت كشعب لبنان لا إرادة له ولا رأي، ما رأيت مثله يقاد بخيط من العنكبوت إلى ما يريده الحاكم والزعيم، يقاد وهو لا يسأل لماذا ولا يعرف إلى أين... فقليل من اتحادنا يكفي ليلقي الرعب في قلب أكبر قوة. فلماذا لا نتحد؟».

تصدى للمتصرف العثماني قائلاً: «فقد سعى المتصرفون للانتفاع من هذه السلطة وعملوا بالقاعدة اقسم تملك وجعلوا العزل والتنصيب رائدهم للوصول إليها»، وكان يفهم الصحافة مرجعاً ووكيلاً عن كل مظلوم: « فقد تدفع المطامع بعض الحكام إلى استنزاف أموال الناس إشباعاً لبطونهم الفارغة ونفوسهم الظمأى، فيمطرونهم ظلماً ويرهقونهم استبداداً، فلا يرى المظلوم ملجأ سوى الصحافة التى أقامت نفسها وكيلاً عنه».

كما تصدى لسلطات الانتداب الفرنسي، وفى مرحلة الاستقلال لم تسمح له السلطة باستعادة امتياز جريدته.

لم يكن من مثقفي البلاطات الذين تغريهم السلطات وتغرهم بل كان في مجمل كتاباته مثال الإنسان المدافع عن حقوق كل الناس والرافض لكل ظلم: «لا غاية لنا في

البرق سوى خدمة نمحضها أبناء الوطن يؤازرنا عليها بعض أرباب الغيرة من حملة الأقلام ويرشدنا إليها آثار من تقدمنا من مصابيح الهدى ودعاة الإصلاح». وجوابه على حملات التضييق عليه شخصياً وعلى جريدته كان المزيد من التشبث بموقفه النبيل: «من العار أن تنظر الحكومة إلى الصحافة كما ينظر الخصم إلى خصمه... وأنه ليضحكنا أن يسعى هؤلاء الموظفون اليوم، المفصولون غداً إلى التضييق على الجرائد».

**النظرة النقدية:**

بالنسبة إلى نظرته للمسؤولية في العمل السياسي فقد انطلق من نظرية نقدية:

– انتقد المصالح الخاصة: «علة خرابنا إذن هي الانقسام، وعلة انقسامنا هي حب المأموريات واستبداد المتصرفين وعلة هذين هي نظام لبنان، فنظام لبنان سبب كل علة». ويضيف في مقال آخر: «آفة لبنان حب الوظائف، وآفة سياسته التفريق».

– اعتبر أن وظيفة النائب «هى الوقوف في وجه الحكومة عند كل مظلمة والعمل على ما يرقي الشعب ويمهد له سبيل السعادة».

– وكان جريئاً فى نقد سلبيات بعض الأحزاب: «كثيرة هى أسماء الأحزاب في لبنان وقليلة بل معدومة فوائدها، ما نسميه حزباً فى لبنان لا يستحق أن يسمى حزباً بل عصابة لأن لا خطة قانونية له ولا جامعة تجمعه ولا غرض يرمي إليه فلبنان مسرح للعصابات وما هو الفرق بين عصابات اللصوص التى تنهب أفراداً وعصابات الزعماء التي تنهب شعباً؟».

وكرد على هذا الواقع السياسي طرح الأخطل باستمرار جملة مبادئ تمسك بها طوال حياته:

– الإيمان بالشعب كمصدر لكل سلطة « أما نحن فنفضل الانتخاب الشعبي الصرف لأنه على ما نرى أصلح وأسلم».

– الإيمان بالمؤسسات السياسية ذات البرنامج الإصلاحي، من هنا انتخابه عام ١٩١٠ أمين السر (لجمعية أرز لبنان) التى ارتكز برنامجها على نقطتين:

– تحقيق الإصلاح الأساسي في الجبل وتحرير البلاد من الحكومة الظالمة، ومن

هنا مبادرته لإنشاء حزب الشبيبة اللبنانية الذي تجاوبت معه أغلب المناطق اللبنانية.

ومن برنامج هذا الحزب تعديل النظام السياسي للجبل وإجراء إصلاحات اقتصادية واجتماعية في البلاد وكذلك فرض التعليم الإجبارى والمجاني (١٩١٠).

وفي مرحلة الانتداب الفرنسي رشح نفسه للنيابة (عام ١٩٢٥) فخسر على أصوات قليلة، لكنه عمل في مجال المصلحة العامة فانتخب رئيساً لبلدية برج حمود عام ١٩٣٠ .

**٣ - الدفاع عن العدالة الاجتماعية:**

دافع الأخطل الصغير، منذ عهده بالكتابة، عن الفقراء والمظلومين وفى كثير من قصائده ومقالاته نستشف السخط على المتنعمين في البطر بينما البائسون في حاجة، وقد يتقد شعره أحياناً بالثورة على الظلم الاجتماعي فيهتف بأن العدالة قد زالت والإنصاف قد اندثر (قصائد: على ذكر الجراد - الريال المزيف - الحرب الكبرى - بؤساء ١٩١٧).

أطلق على الأثرياء ألقاباً لافتة في مدلولاتها فهم «أكلة لحوم البشر» وهم «محتكرو قوت الشعب»، وهم «المتعاونون مع الحكومة العثمانية ضد شعبهم». وكان يتألم من بيع الفقراء لأرضهم بسبب حاجتهم إلى الطعام.

**أيطوف الساقي هنا بكؤوسه**
**ويزمجر الجابي هناك ويرزم**
**تعرى الصدور هنا على قبل الهوى**
**وهناك عارية تنوح وتلطم**

وكان يعتقد أن الجواهر البشرية أكثر ما تكون في الطبقتين الوسطى والفقيرة، فإذا لم نعمل على حفظ من بقي من هاتين الفئتين وإنقاذهما من مخالب الجوع فنكون قد جنينا جناية لا تغتفر.

**إن للفقر ثورة لو علمتم**

من هذا الموقع الفكري دافع الأخطل عن حقوق العمال وطلب من الرأسماليين استثمار أموالهم في بلادهم لكي ينفعوا وينتفعوا، وكان من السباقين في تحريض العمال على إنشاء نقابة لهم، فتعليقاً على وثيقة حقوق العمال التي نشرتها «البرق» عام ١٩١٩ قال: «وقد تكون هذه الكلمة قبساً يشعل نار الهمة في قلوب العمال عندنا فتدفعهم إلى السعي لتأليف نقابة عامة وقد لا تكون»، وفي أكثر من مناسبة حرض على إنشاء النقابات للعمال في ذكرى الأول من أيار، وليس من قبيل المصادفة مبادرته إلى تسلم مسؤولية نقيب الصحافة عام ١٩٢٨ .

وكما دافع عن العمال كان يدافع عن الفلاحين: «إن الفلاح (هو) عماد ثروة البلاد، فإذا ضيقنا عليه الخناق ترك الديار تنعى من بناها»، وكان ينتقد الحكومة لإهمالها الزراعة وتقاعسها عن دفع البؤس والحاجة عن الفلاح.

وفي كل الأحوال كان يعرف أن الاستقلال الاقتصادي هو الركن الأساسي للبناية الوطنية وهو الطريق الصحيح للاستقلال السياسي.

**٤ - العلمانية والتسامح الديني هما البديل عن الطائفية والتعصب:**

منذ مطلع شبابه وحتى كهولته التزم الأخطل الصغير خطاً وطنياً متعالياً عن كل الثغرات الطائفية، وليس مصادفة أن يبايع بإمارة الشعر العربي وهو المسيحي الماروني من جبل لبنان، فلقد كان مقتنعاً أن لا تناقض بين الإخلاص لدينه وبين المحبة المطلقة والاحترام العميق لدين إخوانه المسلمين اللبنانيين والعرب، وثقافته الإنسانية العميقة جعلته يفهم أن نسغ التقدم الحضاري، في العصر الحاضر يفترض الفصل بين الشأن الديني والشأن السياسي.

«لا قوام للشرق إذا هو لم يحل الجنسية الوطنية محل الجنسية الدينية» هذا كان من الشعارات التي التزمتها جريدة «البرق»، وكان يهيب باللبنانيين أن هويتهم الحق

هي هوية وطنية لا دينية، وليس لمواطن فضل على مواطن إلا بالعلم والأدب والأخلاق.

وفي عيد المولد النبوي عام ١٩٢٠ أكد «أن للوطنية علينا واجباً مقدساً هو أن نتحد وأن للاتحاد سبباً هو أن نتحاب، ولا نتحاب إلا إذا امتزجت عواطفنا امتزاج الماء بالراح».

وفي جريدته وفي أشعاره وفي سلوكه السياسي والاجتماعي كان الأخطل وطنياً يرفض التعصب الطائفي، وكان يتنكر لكل من يتخذ من الدين سبيلاً إلى الكسب أو لإذكاء الأحقاد:

**كلنا إخوة وما الدين إلا**
**واحد للجميع من حيث كانوا**
**فاتقوا الله واحقنوا دم هذا**
**الخلق رفقاً فكلنا إخوان**

ورداً على بعض الحوادث الطائفية هتف عام ١٩١١:

«عار على بلد كبيروت يتمنى فيها العاقل أن يكون بلا دين» وكان معجباً بالأبيات الشعرية لابن عربي: أدين بدين الحب...». وفي إحدى مقالاته تمنى أن تصبح أبيات شعرية لأمين تقي الدين صلاة لطلبة المدارس يقرأونها بكرة وعشية علّها تشفيهم من مرض الطائفية:

**يا بني لبنان، لبنان إذا**
**ما تباهينا دعوناه أبا**
**إنما نحن اختلفنا بيننا**
**حين يقضي الفضل أن نتعصبا**
**وجعلنا الدين فينا فراقاً**
**فتفرقنا به أيدي سبا**
**ويح لبنان. إذا داع دعا**

ولطالما كان يردد بأن أوروبا لم تصب رقياً إلا بعد أن اعتنقت الجنسية الوطنية ديناً في السياسة والاجتماع، لمعرفتها أن الدين هو رابط الإنسان بالله. وبرغم انتقاده لممارسات بعض رجال الدين الغافلين عن آلام شعبهم، فقد مدح بعض المناضلين منهم كالمطران بطرس شبلي والبطريرك الحويك.

وللوصول إلى تعميق الروح الوطنية اعتبر أديبنا أن المدرسة هي من أفضل الوسائل الفاعلة، ففي مقالات كثيرة دعا إلى بث العلم وإلى إنشاء مدارس تعلم الحق والحرية والوطنية، وتلقن المواطن الناشئ ما يترتب له من حقوق وعليه من واجبات مدارس تلقن طلابها الإيمان بأن لا جامعة إلا الوطنية وأن المحبة والاتحاد والإخلاص للوطن والوفاء له لا تتناقض مع الإيمان الديني الصحيح.

عام ١٩١٠ قال أديبنا الكبير الأخطل الصغير:

«لبنان مجبول بحب الذات، لبنان نخرت عظامه الخيانة، لبنان سائر الى الخراب بقدم واسعة الخطى لأن زعماءه يفضلون مصالحهم على مصالح الشعب».

ومنذ أول عهده بالكتابة تعرض للاغتيال أكثر من مرة ومنعه سلاطين السرايات من الدخول إلى سراياتهم. كما أوقفت جريدته مرات كثيرة.

وبرغم مرارة الواقع الذي نعيشه اليوم، وبرغم السلاطين الصغار الذين يحلمون بإلغاء الوطن وحقوق الإنسان في هذا الوطن، فإن سيرة الكبار كالأخطل الصغير وتقاليد شعبنا اللبناني في الدفاع عن الحرية، لقادرة أن تلهم أجيالنا على المقاومة وتحقيق الانتصار الأكيد لقيم الاستقلال والسلام والوحدة والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان.

**د. عصام خليفة**

# القسم الثاني
# قصائد

## أولاً: في تكريمه

ابـــــــــــــــيـض

# محملاً غار القلوب

محمد مهدي الجواهري

«لـبـنـان» يـا خـمـري وطـيـبي
هـلا لمـمت حـطـام كـوبي
هـلاّ رددت لـسـهـدهـا
عـيـني وقـلـبي لـلـوجـيب
هـلاّ عـطـفت لـيَ الـصـبـا
نـشـوان يـرفل في الـذنـوب
نـزق الـشـبـاب عـبـدته
وبـرئت من حـلـم المـشـيب

☆☆☆☆☆

لـبـنـان مـا ذنـبي إذا
رقَّـعت شـيـبي بـالـنـسـيب
الاخـضـر الـريـان بـيـ
ـنَ جـوانـحي عـرم الـشـبـوب
يـا من يـقـايـضـني صـدى الـ
ـهـمـسـات والـسـمـر المـريب
وتـرصُّـد الأقـمـار كـابـ
ـنِ أبـي ربـيـعـة في المـغـيب
والـكـاعب الحـسـنـاء تـسـ
ـتـرني بمـفـضـلـهـا الـقـشـيب

■ الورود، ألقيت في حفل تكريم الأخطل الصغير، سنة ١٩٦١.

وتـــنـــابـــذ الـــقـــبلات في
نجـــوى كـــمـــســـتـــرق الـــدبـــيب
ويـــداً تـــخـــبّط في الـــهـــوى
ويـــداً تـــعـــابث في الجـــيـــوب
يـــا من يـــقـــايـــضـــني ربـــيـ
ـع الـــعـــمـــر ذا المـــرج الـــعـــشـــيب
بـــالـــعـــبـــقـــريـــة كـــلـــهـــا
بـــخـــرافـــة الـــذهن الخـــصـــيب
بـــعـــصـــارة الـــســـتـــين تـــر
زح بـــــــالأديـب وبـــــــالأريب
شـــيـــطـــان «غـــوتـــة» يـــا ربـــيـ
ـبِ الـــغـــدر والـــدم والحـــروب
ومـــقـــايض الـــســـبـــعـــين بـــالـ
ـــعـــشـــرين عن ثـــمنٍ رهـــيب
لـــو جـــئـــتـــني لـــوجـــدتـــني
مـــحض الـــســـمـــيع المـــســـتـــجـــيب

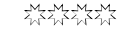

إيـهٍ بـــشـــارة والـــلـــيـــا
لـي مـــثـــقـلات بـــالـــعـــجـــيب
مـــتـــدافـــعـــات بـــالـــفـــجـــا
ءة لا يـــنـــين من الـــلـــغـــوب
والـــدهـــر في صـــعـــد ومـــا
عـــز الـــطـلاب عـــلى طـــلـــوب
و«الـــزُهـــرةُ» الـــشـــقـــراء طـــو
ع يـــديْ «كـــكـــارين» الـــرهـــيب

«الأخـــــطل» الجـــــبـــــار جـــــا
ءَ «الـــكـــوفـــتـــين» عـــلـى نجـــيب
وأبـــوالـــعلاء عـــلـى بـــنـــا
تِ المـــاء تُـــحـــدى بـــالجـــنـــوب
وذَعـــرتَ صـــحـــراء الـــعـــرا
قِ بمـــوكب الـــنـــار المـــهـــيب
بـــالآلـــة الخـــرســـاء تـــسـ
ـــتـــوري عـــلـى وهج الـــلـــهـــيب
وأتـــيت «لـــبـــنـــانـــا» بـــجـــا
نـــحـــتـــين من ريح غـــضـــوب
مـــثل المـــســـيح الى الـــســـمـــا
ءِ وقـــد حُـــمِـــلتُ عـــلى صـــلـــيب
كـــأسي تـــصـــفّق بـــالـــغـــمـــا
مِ بـــكف غـــيـــداء لـــعـــوب
ويـــدي عـــلـى جـــرس تـــشـــدْ
دُ ومـــقـــلـــتي لـــفم مـــجـــيب
وتحـــفـــز الـــنـــهـــدان في
أفقٍ من الـــصـــدر الـــرحـــيب
ســـخِـــرتْ عـــصـــافـــيـــر الـــســـمـــا
ءِ بـــخـــائـــفـــين من الـــوثـــوب
بمـــزعـــزعـــين تـــوجـــســـاً
ومـــحـــزَّمـــين عـــلى الجـــيـــوب
واســـتـــصـــغـــرت زمـــر الجـــنـــادب
في فـــويـــهـــات الـــثـــقـــوب

صـــنَّـــاجـــة الـــكـــلـم الـــرقـــيـ
ـق ومـــزْهـــرَ الـــنـــغـمِ الـــرتـــيب
جـــئت الـــعـــراق فـــعـــاش فـــيـ
ـك عـــهـــود «أحـــمـــد» و«الحـــبـــيب»[1]
وســـحـــرت أمَّ الـــســـحـــر «بـــا
بل» بـــالـــعـــجـــيب وبـــالـــغـــريب
«أبـــشـــارة» «أنـــذا» لـــديـ
ـك مـــحـــمَّلا بُـــرُد الـــقـــلـــوب
تـــهـــدى الى نـــعم المـــثـــا
ـب عـــلـى يـــدي نـــعم المـــثـــيب
من ســـوح دجـــلـــة والـــفـــرا
ت مـــنـــابت المجـــد الـــســـلـــيب
أمِّ الـــشـــمـــوس ومـــســـرح الـــدْ
دُنـــيـــا ومـــنـــتـــطح الـــشـــعـــوب
من نـــخـــلـه وزيـــوتـه
ومن الـــشـــمـــال الى الجـــنـــوب
من مـــكـــمن الـــقـــنـــاص فـــيـ
ـهِ لـــقـــانـص الـــرشـــأ الـــربـــيب
من دار «هـــارون» الـــرشـــيـ
ـــدِ لـــدارة الأدب الحـــســـيب
ســـقط الـــنـــدى من «شـــهـــرزا
د» لـــغـــصن «أنـــدلس» الـــرطـــيب
من «ألف لـــيـــلـــتـــهـــا» لـــلـــيـ
ـلـتك الـغـريـقـة بـالـطـيـوب

(١) المتنبي وأبوتمام.

مــن لحــن «زريـــــــــــــاب» و«إسـ
ـــحقٍ» عـــلى شـــفـــتي «عـــريب»
لمُـــرقـــرق الـــنـــغـــمـــات في
أكـــواب مـــنـــطـــقه الخـــلـــوب
من عـــطـــر خـــمـــر «أبـي نـــوا
سٍ» بـــين أربـــاض الـــكـــثـــيب
المـــســـتـــدر الـــكـــأس من
خُـــلُق الـــنـــدامى والـــشَّـــروب
والـــعـــابث الـــهـــازي بمـــا
درّت نـــيـــاق من حـــلـــيب
لمـــعـــتِّق زهـــر الـــربى
عن ديمـــةٍ ســـمْحٍ ســـكـــوب
«كـــالـــبـــحـــتـــريّ» يـــقـــرب الـ
أبـــعـــاد بـــالـــلـــفظ الـــقـــريب

☆☆☆☆☆

يـــا مـــبـــضع الألم الحـــبـــيـ
ـسِ وبـــلـــسم الجـــرح الـــرغـــيب
لا شُـــلَّت الـــكف الـــتـــي
مـــســـحت عـــلى روح الـــكـــئـــيب
ومـــذوِّب الأنـــغـــام لا
خـــانـــتك بـــوتـــقـــة المـــذيب
لـــغـــة الجـــمـــال نـــخـــلـــتـــهـــا
من كل حـــوشيٍّ مـــشـــوب
ووهـــبـــتـــهـــا الأجـــيـــال تـــر
عى مـــنَّـــة الـــســـمح الـــوهـــوب

☆☆☆☆☆

لـــبـــنـــانُ يـــا خـــمـــري وطـــيـــبي
لا لا مـــســـتك يـــدُ الخـــطـــوب
لـــبـــنـــان يـــا غُـــرفَ الجـــنـــا
ن الـــنـــاضـــحـــات بـــكلِّ طـــيب
مـــتـــنـــاثـــرات في المـــشـــا
رفِ والأبـــــــاطح والـــــــدروب
الـــفـــاتـــنـــات بمـــا اقـــتـــبـــس
ـن من الـــشـــروق أو الـــغـــروب
ألَقَ الـــتـــوقـــد بـــكـــرةً
وأصـــائلاً ألق الـــشـــحـــوب
يـــا بـــنت ســـاحـــرةٍ أرا
دت مـــنك مـــعـــجـــزة الحـــقـــوب
نـــفـــثت أفـــانـــين الـــرؤى
مـــا بـــين صُـــلـــبِك والـــتـــريب
بـــالـــشـــمس حـــالمـــة الـــســـنـــا
والـــريح نـــاعـــمـــة الـــهـــبـــوب
ســـرَّحت طـــرفي في نـــســـيـ
ـج الـــلـــه والـــصـــنع الـــعـــجـــيب
في ســـحـــر أنمـــلـــةٍ جـــلـــت
مـــوشيّ مـــطـــرفك الـــقـــشـــيب
في الـــســـفح في قـــمم الـــثـــرى
في الـــبـــحـــر في خـــضـــر الـــســـهـــوب
فـــجـــهـــلتُ أيـــاً أنـــتـــقي
من حـــســـن أشـــتـــاتٍ ضـــروب

لُـــطْفَ الـــســـوار بك الخـــضـــيـ

ـب أم لـــطف مـــعـــصـــمك الـــذهـــيب

لُـــبـــنـــانُ يـــا وطـــنـي إذا

حُـــلِّـــئتُ عن وطـــني الحـــبـــيب

نـــســـرٌ يـــحـــوم عـــلى ربـــا

ك فلا تـــخـــافـــيه كـــذيب

أبـــشـــارةُ وبـــأيمـــا

شـــكـــوى أهـــزك يـــا حـــبـــيـــبي؟

شـــكـــوى الـــقـــريب إلى الـــقـــريـ

ـبِ أم الـــغـــريب إلى الـــغـــريب

هـل صك ســـمـــعك أنـــنـي

مـن رافـــديّ بـلا نـــصـــيب

في كـــربـــةٍ وأنـــا الـــفـــتى الـ

ممـــراحَ فـــرّاج الـــكـــروب

نـــحـن الـــذين نـــحـــبب الـــدْ

دُ نـــيـــا لأســـيـــانٍ حـــريب

أنـــا «عـــروةُ الـــوردي» رمـ

ـــزُ مـــروءة الـــعـــرب الـــعـــريب

وزعت جـــســـمي في الجـــســـو

مِ ومـــهـــجـــتي بـــين الـــقـــلـــوب

أبـــشـــارةٌ يـــا نـــاخل الأ

يـــام بـــالـــفـــكـــر الأريب

يـــا من نـــزلت بـــسُـــوحـــهـــا
مـن يـــــانـع خـــــضـل ومـــــوبـي
يـــا من أذبت ضـــريـــبـــهـــا
فـي عـــلـــقـم الألـم الـــوصـــيـب
يـــــا مـن غـــــــذيـت مـن الأذى
وشـــــبـــــعت من إفك وحـــــوب
أعـــــرفت أوجـع من مُـــــثـــــا
بٍ بـــالـــعـــقـــوقِ ومن مُـــثـــيب
أبـــــــــشـــــــــارةٌ إنـي لأر
مـــز عن هـــمـــوم تـــغـــتـــلي بي
كـــذب الـــتـــبـــجُّح غـــيـــر مـــا
يُـــنـــبـــيـــكه حـــال الأديب
أبـــشـــارة يـــا أصـــغـــر الـ
أخـــوين ســـنّـــاً يـــا ربـــيـــبي
أنـــعشْ بـــكـــوبك ســـؤر كـــوبي
وأذبْ نـــصـــيـــبك في نـــصـــيـــبي
لك فـــضـــلـــة في الـــعـــمـــر من
أعـــمـــار شـــبـــان وشـــيب

**محمد مهدي الجواهري**

****

## فعقدنا له لواء الإمـارة

صالح جودت

هـمـسـةٌ في حـديث جـارٍ وجـاره
رنـة حـلـوة عـلى قـيـثـارهْ
قـطـرة عـذبـة عـلى نـوَّاره
زهـرة كـلـهـا شـذى ونـضـاره
مـوجـة من حـنـيـنـهـا هـدَّاره
بـنت كـرم تـدور في عـصـاره
مـاسـة خـبـئت بـجـوف مـغـاره
درة حـرة بـقـلـب مـحـاره
دعـوة مـلـؤهـا هـدى وطـهـاره
دمـعـة عن ذنـوبـهـا كـفَّـاره
كل هـذي المـعـادن المخـتـاره
صـاغ مـنـهـا حـبـيـبـنـا أوتـاره
وجلا من خـيـوطـهـا أشـعـاره
فـعـقـدنـا له لـواء الإمـارة



يـا ابـنـة الارز، انت مـحـظـيـة الـله
وأخت الـكـواكب الـسـيـاره
اصـطـفـاك الـرحـمن في قـمـة الـدنـيـا
فـكـانت ثـلـوجـهـا أنـواره

■ الورود، ألقيت في حفل تأمير الأ خطل الصغير، سنة ١٩٦١.

وســـرى في ربـــاك نـــور «شـــهـــاب»
بـــارك الـــلـه عـــهـــده وشـــعـــاره
واجـتـبـاك الخـلـود بـالـنـغم الـعـذ
ب، وأولاك طـــيـــيـــره وهـــــزاره
فـــيك شب «الأمـــين» في مـــرجـــة الـبـا
روك، في نـــور عـــيـــنـــهـــا الـــفـــواره
وتـنـاهى لك ـ الـرشـيـد ـ حـبـيب الـشـ
ـــام والـــنـــيل، شـاعـــر الـبـــربـــاره
وانجـلى في سـمـائك «الأخـطل» الـفـر
د، فَـدنّـا لـقـوسه بـالـصـداره

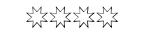

ولـد الـكـأس والـغـرام عـلى مـهـ
ـد أبي الـكـأس والـغـرام بـشـاره
واسـتـنـامت له عـذارى المـعـاني
نـومـة الـبـكـر يـوم عـرس الـبـكـاره
وتـــعـــرى الجـــمـــال بـــين يـــديه
وارتـــمى عـــنـــده وخـــلـى عـــذاره
وأقـــام الـــربـــيع في شـــفـــتـــيه
ورمـى في فـــــؤاده مـــــزمـــــاره
وحـــبـــاه الإله بـــالـــنـــفس الحـــلـ
ـــو، وأولاه في الـــهـــوى أســـراره
فـقـضى الـعـمـر يـعـشق الحـسن، حـتى
عـــشق الحـــسن شـــيـــبه ووقـــاره

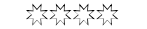

يـا ابـنـة الارز، قـد تـخـايـلت بـالـشـعـ
ـــر وكـــرمت تـــاجَه ومـــنـــاره

في زمـــان اضـــله هـــدف الـــعـــلـ
ـم، فـأمـسى بـالـعـلم يـحـمل عـاره
هـــلل الـــنـــاس لـــلـــذي ركب الـــصـــا
روخ، يـــبـــغي من الـــفـــضـــاء مـــداره
وقـــصـــاراه أن يـــجـــوز إلى الـــنـــجـ
ـم، لـــيـــبـــني الـــقـــواعـــد الجـــبـــاره
ومـــدى ســـعـــيه الـــتـــحـــكم في الـــكـــو
ن لـــيـــلـــقي عـــلى الحـــيـــاة دمـــاره
كل هـــذا نـــصـــيـــبـــنـــا من دعـــاة الـ
ـعـلم، بـاسم الحـجى وبـاسم الحـضـاره
قـذفـوا في الـفـضـاء بـالـقـمـر الـطـا
ئـــر، لا يـــلـــحق الخـــيـــال غـــبـــاره
يـــنـــفـــر الـــوحي مـــنه ســـاعـــة يـــلـــقـا
ه شـــقـــيّـــاً بـــنـــفـــسه الأمّـــاره
كـــالـــقـــريض الجـــديـــد، مـــنـــعـــدم الـــوز
ن، عـــجـــول الخـــطى قـــبـــيح الإثـــاره
هـــمـــجي الخـــيـــال، مـــبـــتـــر الجـــر
س، غـــريب الـــصـــدى، مـــجـــافٍ إطـــاره
أجـــوف الـــلـــفظ في فـــراغ المـــعـــاني
كـــافـــر الـــنـــهج، قـــرمـــزي الـــعـــبـــاره
أين هـــذا الجـــديـــد من قـــمـــر الـــله
ومن شـــعـــره، ســـنى وطـــهـــاره
والـــــذي أبـــــدع المجـــــرة طـــــراً
قـــــادر أن يـــــقـــــدَّه بـــــشـــــراره

هـــاكم الـــشـــاعـــر الـــذي ســـبق الـــعـــلـ
ـم جـلالاً وقـــــــدرة ومـــــــهـــــــاره

ركب الـــوحي قـــبل عـــهـــد الـــصـــواريـ
ـــخ، وكـــــــــــــانـت أحـــلامـــه راداره
كم تـــــدانى مـن الألـــــوهـــــة روحـــــا
وتـــــلـــــقَّى من الـــــســـــمـــــاء إشـــــاره
واســـتـــبـــان الـــدروب في الـــفـــلـك الـســـا
ري، وأرسـى عـــــــلـى المجـــــــرة داره
وعلا قـــــدره إلى مـــــنـــــزل الـــــشـــــمـ
ـس، وغـــادى بـــدر الـــدجى بـــزيـــاره
وقـضى الـعـمـــر يـنـظم الانجم الـــزهـ
ـــــر عـــــقـــــوداً لـــــكل جـــــارٍ وجـــــاره
ويـــحـــيي بـــهـــا الحـــوادث في الـــشـــر
ق ويـــــهـــــدي من الحـــــمى أحـــــراره
ويـــــغـــــني عـــــلى أرائك لـــــبـــــنـــــا
ن، ويـــشـــدو به، ويـــحـــمي ذمـــاره

إخـــوة الأرز ذلك الـــصـــوت فـــيـــكم
نـــبـــويّ الـــصـــدى عـــزيـــز الـــســـفـــاره
كـــلـــمـــا طـــاف بـــالـــعـــروبـــة كـــفـــر
الـتـمـسـنـا في شـعـره اسـتـغـفـاره
عـــاش «خـــوريّـــكم» يـــبـــشـــر بـــالـ
ـــحب، ويـــتـــلـــو في لـــيـــله أذكـــاره
ويـــــــحـث الـــــــهـلال فـي كـل أرضٍ
ويـــهـــز الـــعـــروبـــة الجـــبـــاره
لـــتـــرد الـــســـيـــوف أرض فـــلـــســـطـــيـ
ـن، وتحـــمي الحـــمى وتـــمـــسح عـــاره

ويـــعـــز الـــصـــلـــيب في حـــرم الـــقـــد
س وتـــصـــفـــو لأهـــلـــهـــا الـــبـــيـــاره

إخـــــوة الأرز، نـــــحن أدنـى من الـــكـــــو
ن الـــيـــــكم يمـــيـــنه ويـــســـــاره
إن تـــكن ضـــلت الـــســـيـــاســـة طـــوراً
وشـــقـــيـــنـــا بـــالـــطـــائـــفـــيـــة تـــاره
واســـتـــطـــالت يـــد الـــعـــدو عـــلى الحق
ومـــــالت فـــــســـــمـــــمت آبـــــاره
فـــلـــقـــد أنـــعـــمتْ عـــلـــيـــنـــا الـــلـــيـــالي
وقـــبـــلـــنـــا من الـــزمـــان اعـــتـــذاره
ورعى الـــلـــه لـــلـــعـــروبـــة لـــبـــنـــا
ن ووقـــــاه تـــــيـــــهه وعـــــثـــــاره
قل لمن هـــام بـــالـــشـــمـــاتـــة فـــيـــنـــا:
خـــدعـــتك الـــغـــشـــاوة المـــكّـــاره

كم تـــبـــيت الـــزهـــور في هـــالـــة الـــشـــو
ك، ويـــخـــفى الـــرحـــيق في الـــصـــبـــاره
ويـــطـــيب الـــــدلال في ذروة الـــــشـــــو
ق يـــــحـــــلـــــو الـــــدواء رغم المـــــراره
وتـــنـــام الـــعـــيـــون في مـــســـرح الحـ
ـبّ، ويـــصـــحـــو الـــهـــوى وراء الـــســـتـــاره
ذلك الـــــشـــــرق أمـــــنـــــا وأبـــــونـــــا
قـــبل عـــيـــسى وأحـــمـــد والـــبـــشـــاره

كم سـجـدنـا لأرضه وسـمـاه
وعـبـدنـا مـا فـيه، حـتى الحـجـاره
لا تـسـيـئـوا لـله بـالحـقـد والـبـغـ
ـض وتـسـتـعـجـلـوا عـلى الأرض نـاره
أنـتـمـو من عـالم الـنـور إشـعـاع
ومن صـفـوة الـصـفـاء عـصـاره
لا تـزلّـوا بـالـدين، فـالـدين لـله
ولا تجـعـلـوا الـسـمـاء تجـاره
فـبـإنجـيـلـهـا تـرنم شـوقي
وبـقـرآنـهـا تـغـنى بـشـاره

صالح جودت

****

# أكرم بمضفور له وبضافر

عمر أبوريشة

هل في لقائك للخيال الزائر
إغضاء سالٍ أم تلفت ذاكرِ
أشقَتْه غربته ووثبة ظله
عبر الأصيل على ثراك العاطر
وحكاية السمّار عن أوتاره الـ
ـمتقطعات وشمله المتناثر
كنت الحفيّ به وكان ولاؤه
وهواك قادمتي جناحَيْ طائر
كم في نديِّك من شموع شبابه
ما ذاب بين مَزاهر ومَجَامرا!
لا تجرحنَّ له بقية زهوه
إن لم يهزّك بالطريف النادر
عبث الليالي لم يدع في حقله
إلا ادّكار خمائلٍ وأزاهر

لبنان جئتك في غيابات السرى
ويدي على دقات قلب حائر
وحفيف أشباح الونى في مسمعي
ورفيف أطياف المنى في خاطري

■ الورود، ألقيت في حفل مبايعة الأخطل الصغير بإمارة الشعر، ١٩٦١.

وإذا عـــروسٌ مـــا اســـتـــقـــر رواؤهـــا
إلا عـــلـى مـــتـــبـــاين مـــتـــنـــافـــر
بـسـمَتْ إليّ، ومـا سـمـعت لِـلـمَّـتي الـ
ـــبـيـضـاء هـمـســة وازعٍ أو زاجـــر
من أنتِ، قـلت لـهـا، فـفـيك تـقـاتـلت
شـــتى غـــوايـــات الـــفـــتـــون الآســـر
أقـبـلتِ من صـدر الـربـيـع وقـلت لي:
أتحـبـنـي، أتحـبـنـي، يـا شـاعـري؟
أنـا بـدعـة الـدنـيـا وسـر خـلـودهـا
هـتـكتْ عـلى عـرْيِ الحـيـاة سـتـائـري
تـتـلـمظ الـشـهـوات فـوق مـحـاجـري
وتـــعـــريـــد الـــلـــذات خـــلـف مـــآزري
وتـسـلـسل الـنـعـمـاء حـمـر مـراشـفي
وتـلـفُّ جـيـد الـنـجم شـقـر ضـفـائـري
- حـسـنـاء لا تـتـغـيـبي عن نـاظـري
طُـوِي الـبـسـاط ونـام جـفن الـسـامـر!

وفـــتـــحتِ أبـــواب الـــثـــراء وقـــلت لي:
أتحـبـنـي، أتحـبـنـي، يـا شـاعـري؟
أنـا مـتـعـة الـعـانـي وفيْءُ دروبه
ومـلاذه مـن كـل صـــــرف غـــــادر
تـرمي بـأكـداس الـنـضـار مـواطـني
وتـفضُّ جـلـبـاب الـظلام جـواهـري

وأقـيم حـول ركـاب عـمـرك أعـبُـداً
يـتـسـابـقـون إلى نـداك الآمـر
- حـسـنـاء لا تـتلاعـبي بمـشـاعـري
حـسـبي من الـيـنـبـوع جـرعـة عـابـر

وطـلـعت من حـجب الـغـيـوب وقـلت لي
أتحـبـنـي، أتحـبـنـي، يـا شـاعـري؟
أنـا فـيـض آلام ووحْـي ضلالـةٍ
وسـراب أحلامٍ وقـبـر ضـمـائـر
أقـتـات بـالجـرح الـسـخـيّ وأشـتـهي
لـو قـبّـلتْ شـفـتـاي مُـدْيـة نـاحـري
لاتـهـتـدي بـسـنـا الـشـمـوس أحـبـتي
وتـمـوت دون مـوارِدٍ ومـصـادر
ـ حـسـنـاء، لا تـتـغـيـبي عن نـاظـري
هـذي يـدي فـتـصـرفي بمـقـادري

لـبـنـان مـا خـبـأت عـنك نـوازعي
أتُـراك فـيـهـا عـاذلي أم عـاذري
يـغـنـيك عـنـي إخـوة مـا غـرَّدوا
إلا وملء ربـاك ذوب حـنـاجـر
شـربـوا جـمـالك فـانـتـشَـوا وتـأنـقـوا
في بـث نـشـوتـهم تـأنق قـادر
ولـربمـا صـاغـوا سـنـاه أسـاوراً
لمـعـاصمٍ، وخـواتـمـاً لخـنـاصـر
جـمـعـتـهُمُ شـيم الـوفـاء لمـاردٍ
في الـشـعـر جـوّاب الأعـالي قـاهـر

ضـــــفـــــروا لـه من روح أرْزك غـــــاره
أكـــرِمْ، بمـــضـــفـــور له وبـــضـــافـــر
هـــز الـــشـــذى أعـــطـــافـــهم فـــتـــســـاءلـــوا
من أيّ مـــخـــضل الـــكـــمـــائم نـــاضـــر
قـــد يـــذكـــر الـــنـــدمـــان بـــين كـــؤوســـهم
مـــا قـــال لـــلـــعـــنـــقـــود ســـر الـــعـــاصـــر
يـــا لـــلـــيـــد الـــبـــيـــضـــاء في مـــر الـــنـــدى
من زنـــبق في الـــقـــفـــر نـــضـــو هـــواجـــر
كم مُـــطْـــبقٍ بـــاب الخـــلـــود وراءه
وشـــجـــونه في الـــدرب زاد مـــســـافـــر
مـــا اعـــتـــاد هـــذا الـــشـــرق أن يـــعـــطي الى
نـــبـــغـــائه الأحـــيـــاء زنـــد مـــنـــاصـــر



أمـــجـــنَّح الحـــرف الحـــرون ومـــرقص الـ
ـــوتـــر الحـــنـــون عـــلى أنـــاملِ ســـاحـــر
الـــذكـــريـــات عـــلى الـــزحـــام تـــدافـــعت
فـــكـــأنـــهن لـــديك ســـرب ضـــرائـــر
فلأيـــهـــا تـــومي بـــراحـــة تـــائب
ولأيـــهـــا تـــرنـــو بمـــقـــلـــة غـــافـــر
غـــامـــرتَ في طـــرق الحـــيـــاة ولم تـــزل
طـــرق الحـــيـــاة حـــوافـــزاً لمـــغـــامـــر
فـــهـــصـــرت زهـــرتـــهـــا بـــدمـــعـــة شـــاكـــر
وعـــصـــرت شـــوكـــتـــهـــا بـــبـــســـمـــة صـــابـــر
من كـــان مـــحـــراب الجـــمـــال مـــطـــافه
حـــمل الحـــيـــاة عـــلى أكفّ بـــشـــائـــر

كم جـولـة لك في الـصـبـابـة والـهـوى
سـدت مـسـالـكـهـا حـبـائل ظـافـر
ولـكم تـخـطَّـفك الخـيـال فـعـدت بـالـ
ـعـشـاق من حـرم الـزمـان الـغـابـر
«عـمـر ونـعم»، يـا خـيـام تـلـفَّـتي
صـوب الـعـبـيـر، ويـا نجـوم تـسـامـري
نَـثَـرا شـفـوف الـلـيل حـول جـدائل
لمـعـانق وسـواعـد لمخـاصـر
يـا طـيب مـا اخـتـصـرا رسـالات الـهـوى
فـيـه ويـا طـيب الـصـدى المـتـطـايـر
حب طـوته يـد الـبـلـى ونـشَـرْتَه
وتـركت مـاضـيـه حـديث الحـاضـر
وشـجـاك «عـروة» وهْـو يـسـحب خـلـفه
في الـرمل تـابـوت الـشـبـاب الـعـاثـر
وخـيـال «عـفـراء» يـسـيـر أمـامه
والمـوت في ذل الـعُـبَـيـد الـصـاغـر
فـإذا مـغـاني الـبـيـد في ذكـراهـمـا
رفَّـات أهـداب وبـوح سـرائـر
أشـفـقت أن يـنـسى الـزمـان مـكـانـهـا
فـسـلـلـتـهـا من أدمع ومـحـاجـر
الحب مـجـلى الـلـه، كم من عـابـد
سـاهٍ بـهـيـكـله الـوضيء وسـاهـر
لـبـسَتْ عـلـيه المجـدلـيـة خـلـعـةً
بـيـضـاء بـاركـهـا سـمـاح الـنـاصـري

غـــنـــيـــتـه بـــجـــمـــالـه وجلاله
وروته عـــنك حـــرائـــر لحـــرائـــر
مـا بـال نـعـمـتـه حـبَتْ نـفـحـاتـهـا
في كـأس عِـربـيـدٍ ومـزهـر فـاجـر
نـــرمي بمـــنـــســـوب إلـــيه وربمـــا
أنـــفت تـلاوته شـــفـــاه عـــواهـــر

يـا مُـطـرقـاً يـصـغي بـخـشـعـة راهب
مـتـواضع ويـغض طَـرْف تـفـاخـر
مـا زلت تـسـحب فـوق كل مـعـانـد
ذيل الـشـمـوخ وفـوق كل مـكـابـر
أوَلـست من نـسل الأُلى نـسـلـوا الـعـلى
وكـسَـوْا ديـاجـيـر الـورى بمـنـائـر
وتـطـلـعـوا صـوب الـشـموس وأسرجـوا
لـلـفـتح صـهـوة كل مـهـر ضـامـر
ومـضَـوْا الى غـايـاتـهم ثم انـثـنَـوْا
وعـلى خـدود الـنـجم وشْمُ حـوافـر
عـرفـتك دنـيـا الـبـغي صـرخـة نـاقم
يـزري بـهـيـبـتـهـا، وغـضـبـة ثـائـر
أيـام أعـنـاق الـبلاد جـريـحـة
بـقـيـود نـزّاز الـضـغـيـنـة جـائـر
فـهـززت عـزمـة كل وانٍ مـتـعب
وأثـرت نـخـوة كل عـانٍ سـادر
فـإذا الجـبـال الـشم لـفْح مَـعـاقلٍ
وإذا الـسـهـول الـفـيح نـفح مـقـابـر

وإذا العبوديات تخلع ليلها
مِزَقاً على قدم الصباح السافر
لا يحزننك ما ترى لفلولها
في القدس من راع لها ومؤازر
أو ما تُعَبِئ في الصحارى من قنا
للقاء مخضوب الوشاح جزائري
أو ما تصب على الخليج أكفّها
من سود آثام وحمر جرائر!
هي سكرة المذبوح مال بعنقه
ونزا على السكين نزوة خائر
أرأيت كيف تجمعت هبواتها
في عاصفات زمازمٍ وزماجر
وعدَتْ على أرض الكنانة رُعَّف الـ
أحقاد شُرَّاب النجيع الفائر
فمشى اليها كل أروع غاضب
وخطاه خوض ملامح ومجازر
هيهات ما لانت عقيدة مؤمن
مهما تحدتها غواية كافر
يا طول ما انهدَّ الحديد مبعثراً
قطعاً على خشب الصليب الطاهر
ما للهدير على الهديل طغى وما
ليدي تشد على جموحٍ نافر
طال انتظار أحبتي وتململوا
يا ملء أبصار لهم وبصائر

فــاطــلَعْ عــلــيــهم إنّ دهــرك تــاب عن
أهــوائه واشــتــاق ســمح الخــاطــر
يــكــفــيك أن تــلــقــاه يــطــلع دولــة
من مــجــد أقلام وعــز مــنــابــر
وتــرى الــضلال عــلى ســنــا أعــتــابــهــا
شــلــو تجــرّره جــبــاه جــبــابــر

عمر أبوريشة

****

# أنت في دولة القوافي أمير

أمين نخلة

أيـــقـــولـــون أخـــطل وصـــغـــيـــرُ
أنت في دولـــة الـــقـــوافي أمـــيـــرُ
ولك الـــتـــاج والمـــطـــارف والـــبُـــرْد
وركن مـــجـــلل وســـريـــر
فـــاســـحب الـــذيل مـــا تـــشـــاء وجـــرِّرْ
إن مُـــلْكَ الـــبـــيـــان مـــلْكٌ كـــبـــيـــر!
وضع الـــعـــصـــر في يـــديك أمـــانـــا
ت الـــقـــوافي والـــعبء حـــيث الجـــديـــر
قـــد أبى الـــلـــه في الـــفـــصـــاحـــة أن
يـــغـــدو مـــنـــا في الـــعـــالمـــين أخـــيـــر
يـــأنف الـــســـفح والـــغـــمـــائم والـــدو
ح وظلٌّ مـــفـــيـــح وغـــديـــر!
فـــارفع الـــصـــوت إنه صـــوت لـــبـــنـــا
ن وردد بـه ونـــعم الجـــهـــيـــر
مـــخـــول أنت في الـــفـــخـــار مـــعمٌّ
فـــلـــنـــا في الـــعـــصـــور جـــاه أثـــيـــر
لم تـــغـــرد فـــصـــاحـــة الـــعـــرب إلا
كـــان مـــنـــا المـــغـــرد الـــشـــحـــرور!

■ الورود، ألقيت في حفل تكريم الأخطل الصغير، سنة ١٩٦١.

إن «وادي العقيق» في فرحة الشعـ

ـر فقد عاد عهده الممطور

ماجَتِ البيد من إجادات «قيس»

وانثنت أربُعٌ إليه ودور

أين «ليلى» وقدٌّ «ليلى» فقد

حن اليه هذا الدمقس الحرير!

غزل رق كالرنين على الوجـ

ـدِ ولانت له القلوب الصخور

تسمع الدق فيه للقلب بل تنـ

ـظر دمعاً يجري ودمعاً يفور

مطرب معجب فكيف - لك الله -

ببرد القلوب جاء السعير!

هو زاد العشاق أُنْس لياليـ

ـهمْ وكأس بين الندامى تدور

وهو سر الحديث عند الغواني

وإليه بغمز عين تشير

حسدتْ فيه كل غانية أخـ

ـتاً فغارت من البدور البدور

في قوافٍ لولا اللآلئ منها

لا يقال الأوزان ثَمَّ بحور

ومبانٍ من دقة النسج أثنا

ءُ حبير لا أحرف وسطور

دقة عندها من الإبر اللطـ

ـف وفي الخزّ أي غرز يجور!

ومـــعـــانٍ كـــأن مـــدهـــنـــة المـــس
ـك وقـــد حُـــرِّكتْ وفـــاح الـــعـــبـــيـــر
وكـــأن انـــحـــدارهـــا في مـــجـــاري الـــسَّ
سَـــمْعِ مـــاء مـــهـــرول وهـــديـــر
صـــدفـــات الآذان أولى بـــضم الـــدُّ
دُر لـــكنْ لـه هـــنـــاك مـــرور
ذاك غـــيـــر الجـــزيل في الـــرأي والحـــكـ
ـــمـــة وهـــو المـــردد المـــأثـــور
لـــفَـــتَـــات لـــلـــذهن والحس لا تـــغـــر
بُ عـــنـــهـــا في وشك لمحٍ أمـــور
غـــايـــة الـــفجء والـــوثـــوب فـــمـــا ســـه
ـم يُـــرنّي ومـــا جـــنـــاح يـــطـــيـــر!
من أعـــالٍ في الـــلب تـــلـــحظ بـــالـــظنْ
نِ فـــتـــجـــلى عن الـــغـــيـــوب الـــســـتـــور
ولـــنـــعم الـــفـــتـــون بـــالحـــسن مـــا لـــوْ
وَحَّ بـــادٍ من الحـــيـــاة غـــريـــر
أتُـــرى الحـــسن في الـــوجـــود تجـــلَّى
لـــيـــراه هـــذا الـــلـــســـان الـــبـــصـــيـــر
رُب قـــولٍ له عـــلـــى الـــظُّـــلل الخـــضـ
ـــرِ وقـــد حـــفَّـــهـــا صَـــبـــاً وبـــكـــور
تـــخـــرج الـــعـــين مـــنـــه بـــالـــوهم لا تـــد
ري أروضٌ يـــهـــتـــز أم تـــصـــويـــر!
لـــيس وصـــفـــاً وإنمـــا هـــو نـــقل
من مـــكـــان وفي مـــكـــان يـــصـــيـــر

وخـــيـــال كـــأنمـــا غـــمـــر الـــدنـ
ـنـيـا ومـا ضـاق عـنه سـطـر قـصـيـر!
عـــمـــرك الـــله هل رأيت كـــبـــيت الـــشـْ
ـشِـعـر كـهـفـاً يـأوي الـيه الـضـمـيـر!
بـــين شـــطـــريه قـــد أتـــيح بـــيـــاض
وانـــفـــســـاحٌ فـــلـــيـــنـــزل المـعـمـور

يـــا أخي الأبـــلج الـــكـــريم عـــلى الـــودْ
ـدِ زهـــانـي بمـــا زهـــاك الـــســـرور
فـــكـــأني أنـــا الـــذي هـــتـــفـــوا بـــاسـ
ـــمي وعجَّ المـــنـــظـــوم والمـــنـــثـــور
جـمـعـتـنـا عـلى الـوداد الـقـوافي
والـهـوى الـضـخم والـطِّلاب الخـطـيـر
حـسْب حـظي في المجـد أني أخـو «الأخـ
ـطل» فـانـظـر هل جـاء مـني «جـريـر»!
لا وحُـبِّـيك مـا أنـا الحـاسـد الـشـا
ـنئ أو طـــامع حَـــدَاه الـــغـــرور
أنـا مـصْـفـيك في الـشـبـاب وفي الـشـيـ
ـب إخـــاء لا يـــعـــتـــريه فـــتـــور
وبـــنـــفـــسي مـــا مـــرَّ من طـيـبـات الـ
ـعـيش والـعـيش مـا يـطـيب عـشـيـر!
حـبـذا عـهـدنـا عـلى «الـنـهـر» «والجـسـ
ـر» ونـدمـانـنـا وتـلك الـقـصـور
من يـظن الـشـبـاب في الـبـهج والـزهـ
ـوِ سـمـاء تـهـوي وأرضـاً تـمـور!

فـــارقـــتـــنـــا الـــكـــؤوس والاخـــذ والإعـ
ـــطـــاء والـــلـــيل والـــبـــســـاط الـــوثـــيـــر
قـــد أعـــار الـــشـــبـــاب ذو كـــرم جمْ
مٍ ولـــكـــنـــمـــا اســـتـــرد المـــعـــيـــر!

يـــا مـــغـــنِّي الـــصـــبـــا ومن ذا يـــغـــنـــيـ
ـهِ اذا أمـــسك المـــغـــنـــي الـــقـــديـــر!
جـــاءك الـــشـــيب بـــالأزاهـــر بـــيـــضـــاً
فـــعـــلـى كل شـــعـــرة مـــنـه نـــور
بـــسط الـــكف نـــحـــو شـــعـــرك يـــرجـــو
بـــعض مـــا نـــاله أخـــوه الـــطـــريـــر
وعـــزيـــز عـــلـــيه حـــرمـــان مـــا ســـو
ف تـــغـــنـــي به وتحـــدو الـــدهـــور

أمين نخلة

ابـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــيـــض

# الى أمير الشعراء
# شاعر الهوى والشباب

جبران خوري

شـــاعـــر الحب والجـــمـــال سلام
لـك عـــــرش حـــــفـت بـه الأحـلامُ
أقـبـلتْ تـلـتـقـيك بـالمـوكب الـفـخـ
ـمِ الـــقـــوافي والـــصـــحف والأقلام
ولـــهـــا مـــهـــرجـــانـــهـــا ولك الـعـــر
ش الـــــــذي زغـــــــردت بـه الآرام
هـــو عـــرس الـقـريض يـجـلس فـيه الـ
ـــوحي عن جـــانـــبـــيك والإلـــهـــام
وتـــغـــنـــيك الـــشـــاديـــات به شـــعـ
ـــــرك والحب لحـــــنه والـــــغـــــرام
وهـنـا الأخـطل الـصـغـيـر أمـيـر الشْ
شُـــعـــراء المـــدلّه المـــســـتـــهـــام
مـحـفل يـحـسـد الـشـبـاب به الـشـيـ
ـب ويـــبـــغي لـــو ردَّه الإحـــجـــام
فـــكـــأني بـــالـــدار ســـوق عـــكـــاظ
وعـلـيـهـا لـلـمـنـشـدين زحـام

■ الورود، حزيران ١٩٦١، السنة ١٤.

جـمـعت هـهـنـا الـعـصـور جـمـيـعـاً
ولـــهـــا في دار الاونـــسـكـــو الـــتـــئـــام
بـــايـــعـــوا دولـــة الأمـــيـــر عـــلـى عـــر
شِ الـــــقـــــوافـي وصـــــدَّق الاعلام
وتـلاقـى الـــفـــرات والـــنـــيل فـــيـه
بـــــردى حـــــيث أرْزه والـــــشـــــآم
ذمـــة ســـنَّـــهـــا الـــوفـــاء عـــلـــيـــنـــا
فـــاكـــتـــفـــيـــنـــا وكـــوفئ الإكـــرام
شـيـمـة الـعـرب أن يـصـونـوا زمـام الـ
ـــعـــرب والـــعـــرب بـــالـــوفـــاء كـــرام
ومن الـــنـــبل والـــنـــبـــوغ عـــلـــيـــنـــا
حـــرمـــة الـــعـــهـــد والـــنـــكـــوث حـــرام
يـــا أمـــيـــر الـــبـــيـــان تـــلك أمـــانيّ
ولي أخـــلـص الـــتـــهـــاني مـــرام
أين مـــنـــهم لك الـــوشـــاح المـــوشَّى
وعـــلـى صـــدرك الـــرفـــيع الـــوســـام
لـيـتـهم بـالجـمـيل زانـوا جـمـيل الـ
ـــفن لـــلـــمـــجـــد والـــتـــمـــام خـــتـــام
حـســبك الحـلّـتـان في هـذه الـبـيـ
ـــعـــة ذكـــر مـــخـــلَّـــد ومـــقـــام
.....

جبران خوري

****

# الى أمير الشعراء
# شاعر الهوى والشباب

جبران خوري

شـــاعـــر الحب والجـــمـــال سلام
لـك عـــــرش حـــــفـت بـه الأحـلامُ
أقـبـلتْ تـلـتـقـيك بـالمـوكب الـفـخـ
ـمِ الـــقـــوافي والـــصـــحف والأقلام
ولـــهـــا مـــهـــرجـــانـــهـــا ولك الـعـــر
ش الـــــــذي زغـــــــردت بـه الآرام
هـــو عـــرس الـقـريض يـجـلس فـيه الـ
ـــوحي عن جـــانـــبـــيك والإلـــهـــام
وتـــغـــنـــيك الـــشـــاديـــات به شـــعـ
ـــــرك والحب لحـــــنه والـــــغـــــرام
وهـنـا الأخـطل الـصـغـيـر أمـيـر الشْ
شُـــعـــراء المـــدلّه المـــســـتـــهـــام
مـحـفل يـحـسـد الـشـبـاب به الـشـيـ
ـب ويـــبـــغي لـــو ردَّه الإحـــجـــام
فـــكـــأني بـــالـــدار ســـوق عـــكـــاظ
وعـلـيـهـا لـلـمـنـشـدين زحـام

■ الورود، حزيران ١٩٦١، السنة ١٤.

جـمـعت هـهـنـا الـعـصـور جـمـيـعـاً
ولـــهـــا في دار الاونـــسـكـــو الـــتـــئـــام
بـــايـــعـــوا دولـــة الأمـــيـــر عـــلـى عـــر
شِ الـــــقـــــوافـي وصـــــدَّق الاعلام
وتـلاقـى الـــفـــرات والـــنـــيل فـــيـه
بـــــردى حـــــيث أرْزه والـــــشـــــآم
ذمـــة ســـنَّـــهـــا الـــوفـــاء عـــلـــيـــنـــا
فـــاكـــتـــفـــيـــنـــا وكـــوفئ الإكـــرام
شـيـمـة الـعـرب أن يـصـونـوا زمـام الـ
ـــعـــرب والـــعـــرب بـــالـــوفـــاء كـــرام
ومن الـــنـــبل والـــنـــبـــوغ عـــلـــيـــنـــا
حـــرمـــة الـــعـــهـــد والـــنـــكـــوث حـــرام
يـــا أمـــيـــر الـــبـــيـــان تـــلك أمـــانيّ
ولي أخـــلـص الـــتـــهـــاني مـــرام
أين مـــنـــهم لك الـــوشـــاح المـــوشَّى
وعـــلـى صـــدرك الـــرفـــيع الـــوســـام
لـيـتـهم بـالجـمـيل زانـوا جـمـيل الـ
ـــفن لـــلـــمـــجـــد والـــتـــمـــام خـــتـــام
حـســبك الحـلّـتـان في هـذه الـبـيـ
ـــعـــة ذكـــر مـــخـــلَّـــد ومـــقـــام
.....

جبران خوري

****

# مبايعة الأخطل الصغير

جورج غريب

بـــــالأمس عـــــصِّب أخـــــطل
في مـــهـــرجـــانٍ لـــلـــعـــبـــيـــرِ
يـــوم «المـــبـــايـــعـــة» انـــتـــشت
وجْـــداً عـــلى عـــاج الـــنـــحـــور
رؤيـــــا من الحب الـــــقـــــديـ
ـمِ مـــشت بـــهـــا أســـراب حـــور
هـــذي تـــقـــبّل جـــيـــده
وتـــئن تـــلك من الـــشـــرور
فـــتـــغـــيب كف في الـــنـــدى
وتـــغـــيب أخـــرى في الخـــصـــور
والـــشـــعـــر في الأبـــعـــاد يـــهـ
ـــتف بـــاسم شـــاعـــره الـــكـــبـــيـــر
وتـــلـــفـــتت ســـمـــر الـــطـــيـــو
رِ الى عـــمـــالـــقـــة الـــطـــيـــور
لـــبـــنـــان عـــانق أخـــطلاً
ورنـــا الأمـــيـــر إلى الأمـــيـــر

****

■ الورود ، حزيران ١٩٦١، سنة١٤ ، ج:١٠

ابـــــــــــــــــــــــــــــيـــض

# إلى الأخطل الصغير ...
# بشـــارة الخـــوري

جورج نقولا سركيس

خـلـد المجـد فـالـسـطـور الـغـوالي
نـــفـــحـــات من الـــرؤى والخـــيـــالِ
أي «عـفـراء» لم يـضـمخ فـتـاهـا الطْ
طِـيب في جـنـة «الـصـبـا والجـمـال»؟
«جـفـنـه» خط «لـلـجـحـيم» دروبـاً
وغـــزا «الحـــلـم» روضـــة الآمـــال
«والـهـوى والـشـبـاب» في نـغم الـعـ
ـــود جـــراح الأوتـــار ـ آه الـلـيـالي!

يـا مـلـيك الـقـريض حـلق فـفـيك الـ
ـــيـــوم تحـــلـــو طـــرائف الأقـــوال
أين مـنك الـبـزاة يـا واحـد الـعـصـ
ـــرِ وأين الـــذرى ورحب المجـــال؟
مـا يـقـين الـبـقـاء في عـالم الـذرْ
رَة إلا لـــشـــاعـــر الأجـــيـــال!

■ الورود، حزيران ١٩٦١ ، السنة ١٤

حـــسب لـــبـــنـــان أن تـــكـــون وســـامـــاً
تـــتـــغـــنى به يـــتـــامى الـــلاّلي
لـم يـــكن لـــلـــســـنـــين أي مـــنـــال
مـــنك يـــا مـــعـــقل الـــتـــراث الـــغـــالي
مـــوسم الـــشـــعـــر من روائـــعك الحـــيْ
ـــيَـــة خـــمـــر تـــعبٌ مـــنـــهـــا الـــدوالي

**جورج نقولا سركيس**

****

# مبايعة الأخطل الصغير

جورج غريب

بـــــالأمس عـــــصِّب أخـــــطل
في مـــهـــرجـــانٍ لـــلـــعـــبـــيـــرِ
يـــوم «المـــبـــايـــعـــة» انـــتـــشت
وجْـــداً عـــلى عـــاج الـــنـــحـــور
رؤيـــــا من الحب الـــــقـــــديـ
ـمِ مـــشت بـــهـــا أســـراب حـــور
هـــذي تـــقـــبّل جـــيـــده
وتـــئن تـــلك من الـــشـــرور
فـــتـــغـــيب كف في الـــنـــدى
وتـــغـــيب أخـــرى في الخـــصـــور
والـــشـــعـــر في الأبـــعـــاد يـــهـ
ـــتف بـــاسم شـــاعـــره الـــكـــبـــيـــر
وتـــلـــفـــتت ســـمـــر الـــطـــيـــو
رِ الى عـــمـــالـــقـــة الـــطـــيـــور
لـــبـــنـــان عـــانق أخـــطلاً
ورنـــا الأمـــيـــر إلى الأمـــيـــر

****

■ الورود ، حزيران ١٩٦١، سنة١٤ ، ج:١٠

ابـــــــــــــــــــــــــــــيـــض

# عاطفة وصدق(*)

**بشارة الخوري**
**(الأخطل الصغير)**

وها نحن قد تلاقينا إخوانا وتساقينا أحبابا، وإذا نحن لم نلتق في هذا العهد عهد الرئيس فؤاد شهاب، بل على الأصح فؤاد لبنان، فمتى نلتقي؟ متى نلتقي؟

أما الصديق الكبير الأخ الحبيب، الرئيس صائب سلام فما أكثر أياديه على الأدب وقد أصابنا منها النصيب الأوفر، إن أية كلمة مهما انتشرت ستعجز عن تبيان شكري للبنان كل لبنان، وللإخوان كل الإخوان، أفما هو لبنان الذي حملني على جناحيه الى البلاد العربية أحمل تحيته وأحمل عاطفته؟ أما هو لبنان الذي أنطقني؟

**الى مصر:**

**مرحباً مصر مرحبا كل أهل**
**لك أهل وكل صدر محلُّ**
**ليس تألو الرياض أن توقظ**
**الزهر وأن تجمع الشذا ليس تألو**
**لتريق الأريج سحّاً وتهتاناً**
**على وجه مصر حين يطل**
**معجزات الزمان منكم ومنا**
**زِنَّ جيد الوجود والدهر طفل**
**هرم تجثم العظائم فيه**
**وسفين على البحار يُدلّ**

■ الورود ، حزيران ١٩٦١ ، السنة١٤ ، ج:١٠

(*) الكلمة التي ألقاها الأخطل الصغير في حفل تكريمه عام ١٩٦١.

**وإلى العراق:**

**طـــــائـــــــر من دجـــــلـــــــة**
**الخـــلـــد الى لـــبـــنـــان حـــنّـــا**
**كم بـــســـــحـــــر الـــشـــــرق في**
**عـــيـــنـــيه من مـــعـــنى ومـــعـــنى**
**يـــــا رســـــول الأدب الـــعـــــالي**
**سلام الـــشـــعـــــر عـــــنـــــا**
**قل لـــــبـــــغـــــداد مـــــتى**
**عـــــدت الى بـــــغـــــداد: إنّـــــا..**

**وإلى الشام:**

**يـــــا ربى لا تـــــتـــــــركي ورداً**
**ولا تـــــبـــــــقي أقـــــاحـــــا**
**مـــــشت الـــــشـــــام الى**
**لـــبـــنـــان شـــوقـــا والـــتـــيـــاحـــا**
**تـــفـــرش الـــدرب قـــلـــوبـــاً**
**وثـــــغـــــوراً وصـــــداحـــــا**
**جـــــمع المجـــــد عـــــلى الأرز**
**ســـــيـــــوفـــــاً وجـــــراحـــــا**
**فـــتـــســـاويـــنـــا جـــهـــاداً**
**وتـــآخـــيـــنـــا سلاحـــا**
**ونـــشـــرنـــاهـــا عـــلى**
**الـــدنـــيـــا جـــنـــاحـــاً وجـــنـــاحـــا**

وبعد أيها السادة فماذا يمكن لمثلي أن يقول بعد أن ذبلت صبابتي وخبت جذوة القريض في صدري. ليس سوى هذا القريض القديم الذي لابد منه وفاء لواجب وشكراً لفضل.

**بشـــارة الخـــوري**

وأنهى شاعرنا الأخطل الصغير، كلمته بهذه المقطوعة الرائعة:

أيــوم أصــبــحتُ لا شــمــسي ولا قــمــري
من ذا يـــغـــنـي عـــلـى عـــود بلا وتـــر
مــا لـلـقــوافي إذا جــاذبــتــهــا نــفــرت
رعت شــبــابي وخــانــتــني عــلى كــبــري
كــأنــهــا مــا ارتــوت من مــدمــعي ودمي
ولا غَـذَتْـهـا لـيـالي الـوجـد والـسـهـر

☆☆☆☆☆

أين الـقـصـائـد تـنـدى من جـوانـحـهـا
ريــحــانــة الــسـفح أو أغـنـيِّـة الـنـهـر
شــعــر كــمــا شــاءه الإبــداع مــبــتــكــر
تـــدفـــقتْ فـــيه أمـــواج من الـــصـــور
غــنى الــعــروبــة ألحــانــاً مــجــنــحــة
من دمــعــة الــلـيل أو من بــسـمـة الــسـحـر
من ســحـــر لــبـــنـــان من شلال قــمـــته
ومــا تــســلــسل من آيــاته الــكــبــر

☆☆☆☆☆

من لي بــأضــوع مــا في الــروض أنــثــره
عــلـى المــفــارق من إخــوانيَ الــغــرر
صـغت الـقـريض... ومـا لـي في الـقـريض يـد
يــد الــطــبــيــعــة فــيه... أو يــد الــقــدر
إن المــواهب لا فــضـل لــصــاحــبــهــا
كـالـصـوت لـلـطـيـر أو كـالـنـشـر لـلـزهـر

✱✱✱✱

ابـــــــ

**ثانياً: في رثائه**

ابـــــــ

# فـــي رثاء الأخطل الصغير

## نـديـك السمـح

عمر أبوريشة

نـــديّك الـــســـمح لم يُـــخـــنق له وتـــرُ
ولم يـــغب عن حـــواشي لـــيـــلهِ ســمـــرُ
بـــنـــات وحْـــيك في أرجـــائه زمـــرٌ
يـــهـــزهـــا المـــتـــرفـــان الـــزهـــو والخـــفـــر
تـــيـــتـــمتْ وهي لا تـــدري، ونـــشـــوتـــهـــا
من كل عـــنـــقـــود ذكـرى كـــنت تـــعـــتـــصـــر
رواقصٌ تحـمل الـسـلـوى وتـسـكـبـهـا
ولـيس تـعـلم مـا الـدنـيـا، ومـا الـقـدر
عـــلـى تـــأودهـــا الإزراء مـــنـــتـــفض
وفي تـلـفـتـهـا الـتـحـنـان مـنـهـمـر
ونـحـن من حـولـهـا أنـضـاء غـربـتـنـا
وأنت عـــنـــا وراء الـــغـــيب مـــســـتـــتـــر
نُـبـدي لـهـا غـيـر مـا نُـخـفي ولـوعـتـنـا
تـكـاد في صـمـتـهـا لـلـشـوق تـعـتـذر
فلا تـلـمْـهـا إذا لم تـخبُ بـسـمـتـهـا
ولم يـــعـــكـــر صـــدى ألحـــانـــهـــا كـــدر
لم يـبْـلغِ الخـبـر الـنـاعي مـسـامـعـهـا
عن مـثل هـذي الـيـتـامى يُـكـتم الخـبـر

■ ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير سنة ١٩٦٩ .

غـنت فـمن بـابلٍ طـاف الـنـعـيم بـنـا
فـكل مـنـطـلَقٍ ريـان مـزدهـر
جلا الحـيـاة لـنـا عن سـرِّ فـتـنـتـهـا
فـمـا اشـتـفى وطـر إلا اشـتـهى وطـر
الـكـأس من خـمـرة الإلـهـام مـتـرعـة
والـقـلب في هـيـكل الأحلام مـعـتـمـر
والحب قـرَّبـنـا مـنه وعـلّـمـنـا مـا
قـدَّس الـلـه لا مـا دنَّس الـبـشـر

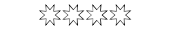

غـنت ومن نـيـنـوى مـر الـشـقـاء بـنـا
فـالـراح لا عـبَقٌ والـغـصن لا ثـمـر
رمى بـنـا الـقـفـرَ وافـتـض الـسـراب به
فـأين لا أين مـنـه الـوِرد والـصَـدَر
خـصـاصـة الـعـيش مـا مـدّتْ لـنـا يـدهـا
إلا وأقـدامـنـا من سـعـيـنـا حـمُـر
فـكم عـثـرنـا ولم تـعـثـر إبـاءتـنـا
وكم نـهـضـنـا ولم يـشـمتْ بـنـا خَـوَر
وكم لـدى صـدف الحـرمـان من غـصصٍ
ممـا عـلـيـهـا ولم تُـكـشَف لـنـا سُـتُـر



غـنّتْ وغـنتْ فـدنـيـاك الـتي طُـويت
مـنـشـورة يـجـتـلـيـهـا الـسـمع والـبـصـر
تـرفـعتْ عن رخـيـص الـعـمـر وائـتـلـقت
بمـا أراد لـهـا من زهـوهِ الـعـمـر
خـتـمتَ بـالـبـسـمـة الـريّـا جـراحـتـهـا
فـلم يـلـحْ لـضـمـادٍ فـوقـهـا أثـر

تـعـالَ نـسـرح عـلى أدنى ملاعـبـهـا
فـقـد تحنّ إلى مـرآتـهـا الـصـور
ومـا عـلـيك إذا مـا الـزورة اخـتُـصِـرت
بعض الـربـيع بـبعض الـعطر يُـخـتـصر

طـلـعتَ من حَـرَم الـتـاريخ في جـبل
تـزيـنتْ بـسـنـا آلائه الـعُـصُـر
وفي ضـمـائـرهـا من خـيـره سِـيـرٌ
وفي حـنـاجـرهـا من هـديه صـور
مـؤثّل شـامخ، بـالـنـجم مـعـتـصب
بـالمجـد مـتـشح، بـالـعـز مـؤتـزر
إزمـيـل مـبـدعه أدى رسـالـتـه
إلى الـعـوالم، فـانـطِقْ أيـهـا الحـجـر
درجتَ فـوق ثـراه في كـآبـتـه
ودون قـيـد خـطـاك المسـلك الـوعـر
وحش الـغـزاة تـمـطى في ملاعـبه
وشَـدْقه عن لـعـاب الـكـيـد مـنـحـسـر
يـنـسـاب بـالـنـهم الـطـاغي وشِـرّته
مـسـنـونـة الـنـاب لا تُـبـقي ولا تـذر
حَـطَـمْتَ بـالـصـرخـة الـزهـراء شـوكـته
ولم يـحل دونـهـا خـوفٌ ولا حـذر
ثـارت عـلى رجْـعـهـا الأجـيـال وانـطـلـقت
فـكل مـيـدان ثـأرٍ بـالـدمـا عَـطِـر
وخـلـف هـذي الـربى تـهـفـو إلـيك ربىً
بـين الـفـرات وبـين الـنـيل تـنـتـشـر

عـلى شـهيِّ رؤى لـقـيـاك مـطـبَـقَـةٌ
أجـفـانـهـا فـهي تـسـتـجـدي وتـنـتـظـر
حـمـلت أشـجـانـهـا الحـرَّى فـمـا شـهـقتْ
إلا وراحت إلى نجـواك تـغـتـفـر
أذاكـرٌ يـوم رواد الجـمـال بـهـا
لـفّـوا جـبـيـنك بـالـغـار الـذي ضـفـروا
أحـطت في رقّـة الـرهـبـان جـمـعـهمُ
كـمـا أحـاط بـعـقـد الأنجم الـقـمـر
وأنت تـكـتم عـنـهم مـا تـكـابـده
تـمـوت وهي عـلى أقـدامـهـا الـشـجـر

☆☆☆☆☆☆

يـا راقـداً في حـمى الـنـعـمى ومـضـجـعُه
مـازال يـنـدى عـلـيه الـعـشب والـزهـر
نجـيّك الـيـوم مَن أزرى الـزمـان به
وردَّه عن مـدى آفـاقه الـكِـبَـر
جـنـاحه بـعـدمـا طـال المـطـاف به
مـخـضب من شظـايـا الـشـهب مـنـكـسر
يمـشي الـهـويـنـا عـلى صـحـراء رحـلـته
وصـحـبه الـلـيل والأشـبـاح والـسـهـر
وبـين جـنـبـيه آمـال مـبـعـثـرة
تـكـاد لـولا بـقـايـا الـصـبـر تـنـتـحـر
كـانت له في هـضـاب الـشـرق ألـويـة
نـسْجُ الـكـرامـة مـعـقـود بـهـا الـظـفـر
يـسـائل الـقـدرَ المحـمـوم في خـجـل
عـنـهـا فـيـغـضي على اسـتـحـيـائه الـقـدر

عـــزاؤه أن ملء الـــســـاح فـــتـــيـــته
إلى الـــردى والـــفـــدا أرواحَـــهم نـــذروا
كـتـائب الـفـتـح في إعـصـار عـاصـفـة
بـالحـقـد والـغـضب الـعِـلـويِّ تـنـفـجـر
من كل أمـــــردَ مـــــا أدمى مـــــراشـــــفه
في رِعـشـة الـشـوق إلا الـوحي والمـدر
من كل حـسـنـاء مـا بـاعت أسـاورهـا
إلا لـتـشـري بـهـا مـا المـوت يُـدَّخـر
كـتـائب بـالـنـضـال الحق مـؤمـنـة
إذا الـطـواغـيت من إيمـانـهـا سَـخِـروا

عـفـواً بـشـارةُ بـعض الـبـوح ضـقت به
فـسـال فـوق فـمي حـرّان يـسـتـعـر
خـنـقت بـالـدمـعـة الخـرسـاء أكـثـره
وأقـتَلُ الـدمع مـا لا يـلـمح الـنـظـر

عمر أبوريشة

****

ابـــــــ

# في رثاء الأخطل الصغير

## مستهام غـفـا

عبدالمنعم الرفاعي

مـســتـهـام غـفـا عـلـى أحـزانهْ
هـزّه الـذكـر عن غـضـيض زمـانهْ
فـانـتـشى غـصـنه وفـتَّح بـالـذكـرى
كـأن الـشـبـاب في ريـعـانه
مـدلجٌ في الـسُّـرى تـسـربل بـالـلـيـ
ـلِ ونـام الـظـلام فـي أردانـه
حـامـل هـمّهُ يـدمـدم في الأفـ
ـقِ فـتـبـكي الـهـمـوم من ألحـانه
ضـارب في المـدى فـكل مـجـال
في الـبـعـيـد الـبـعـيـد بـعض مـكـانه
يـرتـقي مـنـبـر الـنـجـوم فـيـلـقي
وهَـجَ الـنـجـم حـولـه من دُخَـانه
هـا هـنـا داره ورجـع هـواه
وصـبـاه والـشـعـر في مـهـرجـانه

☆☆☆☆☆

جـئت في مـوكب الأمـيـر أغـنـي
وغـنـائـي يـغـصّ في أوزانه

■ ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير سنة ١٩٦٩ .

أذكـــر الأخـــطل الـــصـــغـــيـــر كـــبـــيـــراً
عِـــــظَمَ الأرز في ذرى لـــــبـــــنـــــانه
قـــبَّل الـــشـــعـــرُ ثـــغـــره ويـــديه
فـــهْـــو دنـــيـــا أعلامه وحـــســـانه
تـــتـــمـــنى الـــشـــفـــاه لـــو تـــتـــلـــوى
قُـــبَـلاً طـــوْعَ ثـــغـــره وبـــنـــانه
تـــتـــمـــنى الـــكـــؤوس لـــو مَـــزَجَ الـــرا
حَ بـــأنـــفـــاسه وخـــمـــر دنـــانه
ذلك الـــشـــامخ المـــطلّ عـــلى الخـــلـ
ـــد وأفق الخـــلـــود دون عـــيـــانه
لم يـــزل صـــوته كـــأن الـــلـــيـــالي
ســكــبتْ صــفــوهــا عــلى تَــحــنــانه
لم يـــزل طـــرفه يـــحـــلّق في الـــكـــو
ن فـــتـــهـــمي الحـــيـــاة من أجـــفـــانه
كـالـنـسـيـم الـعـلـيل خـفْضُ جـنـاحه
ووقْـع الـــنـــدى رقـــيق بـــيـــانه
عـــربيّ الـــنِّـــجَـــار شـــد عـــراه
فـــرع غـــسَّـــانه به إلى حـــسّـــانه

أيـــهـــا الأخـــطل الـــصـــغـــيـــر أبـــا الـــعـــب
ـــد وكم يُـــرضع الـــعُلا من لِـــبـــانه
قـــد أتـــيـــنـــا لـــيـــوم ذكـــراك جـــمـــعـــاً
في شـــجـــيّ الـــلـــقـــا وفي أشـــجـــانه
الحـــمى يـــا فـــتى الحـــمى مـــســـتـــبـــاح
جـــلَّل الـــعـــار فـــيـــه كل كـــيـــانه

رنَّ فـــيه الـــصـــدى فـــقـــاهـــرة الأر
ض تـــــبث الأسى إلى عـــــمَّـــــانه
لا أرى في الـــرحـــاب غـــيـــر شـــريـــدٍ
مـــطْـــرقٍ مـــطْـــبقٍ عـــلى أحـــزانه
حـــائـــرٍ لـــفّه الـــذهـــول فـــأرخى
من دجى شـــــكِّه عـــــلى إيمـــــانه
ثـــائـــرٍ نـــاره تـــأجَّجُ في الـــطـــيـ
ـن فـيـطـفـو الـطـمى عـلى نـيـرانه
أســـدلت حـــوله الخـــيـــام سُـــتـــوراً
كي يـــعـــيش الحـــيـــاة في أكـــفـــانه
أين مـــــنـه الـــــربـــــا وكن من المجـ
ـــد هـــضـــابـــاً تـــشـــد من أركـــانه
أين مـــنه الـــســـهـــول كـــالأمل الأخـ
ـــضـــــر في غـــــضِّهِ وفي ريّـــــانه
أين شطٌّ كـــــزغـــــردات الـــــعـــــذارى
أو هـــــديل الحـــــمـــــام في ألـــــوانه
أين وادي مـــشَتْ إلـــيه الـــلـــيـــالي
فـــاســـتـــعـــارت أمـــانـــهـــا من أمـــانه
أين بـــيتٌ له بـــنَـــتْه الحـــكـــايـــا
عن قـــديم الـــهـــوى وحـــلـــو زمـــانه
أين كـــرْمٌ وتـــيـــنـــة زرعـــتْـــهـــا
كـــفُّه أمسِ في ثـــرى بـــســـتـــانه
أين مـــهـــد ومـــرتـع ومـــقـــيلٌ
وهـــزارٌ شـــادٍ عـــلى أغـــصـــانه

ذهب الـــكل غـــيـــر رجْعٍ يـــدوِّي
في ضـــمـــيـــر المـــدى وفي وجـــدانه

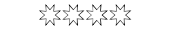

كـسَّـر الـقـيـد واسـتـشـاط أخـو الـبـأ
س وأورى من حـــــدِّه وســـــنـــــانه
واعـتـلـى صـهـوة الـنـضـال كـأن الـ
ـــــجـنّ من ركْـــبه ومن فـــرســـانه
يـهـمـز الحـقـد فـالـروابي شـظـايـا
من لـــظى عـــزمه ومن بـــركـــانه
أسـمـرٌ كـالـقـنـاة لاعَـبَـهـا الـريـ
ـح فـشـبّتْ عن قـوسه وعـنـانه
زاحف والـرصـاص سـد نـواحـيـ
ـه ومـوج الـردى وعـصْفُ دخـانه
شكَّ صـدرَ الـدجى ومـرَّ شـهـابـاً
نـاشـراً نـوره عـلـى أكـوانه
واعَـدَ المـوتَ أن يـلاقـيَه الـصـبـ
ـح عـلـى مـفـرق الـوغى ورهـانه
حـيث مـا الـقـدس كـبّـر الـفـتح فـيـهـا
تحـت أجـــــــراسـه وتحـت أذانـه
وفـلـسـطـين والـفـدائيُّ حـرٌّ
زفـــهـــا حـــرة إلى أقـــرانه

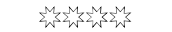

ودخـلـنـا إلـيكِ يـا بـلـد الأقـ
صى ودمع المحـــراب في عـــيـــدانه

نـلـثم المـنـبـر الجـريح ونمـحـو
زلـة الأمس من رضـا غـفـرانه
وظلال الـسـيـوف تـلـقي عـلـيـنـا
أن مـجـد الـنـضـال فـوق سِـنـانه
أن روح الـشـهـيـد من قـبس الـله
ومـن روحـه ومـن ريـحـانـه
وعـلـى كل مـأتمٍ قـام عُـرس
كـقـيـام الـهـدى عـلـى صـلـبـانه

يـا أمـيـر الـقـريض مـال بيَ الـشـعـ
ـر وجـئت الـغـداة من خـلـجـانه
من مـثـار الـردى عـلـى قـمم الـهـو
ل تـلـظّتْ بـنـاره وعَـوَانه
من مـزار الـشـهـيـد ضـمّـخه الـطـيـ
ـب ومـرَّ الـنـديُّ عن جـثـمـانه
من رُبى خـالـد وسـهل شُـرَحْـبـيـ
ـلَ ونـهـرٌ يـئن في جـريـانه
ولـكم رنَّ في الـشـعـور نـدائي
وتلاشى الـنـداء في مـيـدانه
وتـعـلـقتُ في الـذرا بـخـيـالي
فـتـهـاوت ذراه في وديـانه
ضـاق عـني المـدى فـمـنـتـجَع الـشـعـ
رِ تـنـاءت دنـيـاه عن شـيـطـانه

جـــئت أُلـــقي أعـــنَّـــتي وقـــيـــادي
عـــنـــد شط الـــنـــدى وتحت جِـــنـــانه
يـــحـــتـــويـــني لـــبـــنـــان ســـحـــراً وشـــعـــراً
ويـــــصب الحـــــنـــــان مـن هـــــتَّـــــانه
مـــوطنُ الـــوحي لا عَـــدَتْه الـــعـــوادي
نـــــور إنجـــيـــــله ســـــنـــــا قـــــرآنه

عبدالمنعم الرفاعي

****

# في رثـاء الأخطل الصغير

## بشـارة الخـــوري

عـزيـز أباظة

قِفْ في رُبـا الخـلـدِ واهـتفْ في مـقـاصـرهِ
بـشـاعـرٍ ملأ الـدُّنـيـا كـشـاعـرهِ
ســـرى لـه أمسِ. والأمـلاكُ تَـــقـــدمُه
في مـــوكبٍ عـامـر الإشـراقِ غـامِـرِه
الـبـحـتـريُّ تـهـادى عن مَـيَـامِـنه
يـخـتـالُ. والمُـتـنـبي عن مـيـاسـره
يـسـعى أمـامـهـمـا في قُـدس هـالـته
شـوقي يـزفُّ جـديـداً عن مُـعـاصـره
والخـالـدون الأُلى حـلَّت ذخـائـرُهم
صَـدرَ الـوجـودِ. فـرفُّـوا من ذخـائـره
تحـاشـدوا لأخٍ كـانت تـرانِـمُه
قـيـثـارةَ الـشـرقِ. بـاديه وحـاضـره
قـالـوا ظـفـرْنَـا بـخلاَّقِ الجـمـال. زكـا
في الأحـرف الـصمِّ وحْـيـاً عن خـواطـره
بـالـعـبـقـري المُـلـقَّى مِن عـبـاقـره
والأوحـديِّ تـعـالى عن مُـنـاظـره

■ ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير سنة ١٩٦٩ .

وهــشّت الــروضــة الــفــيــحــاءُ نــاثــرةً
في بــهــوهــا الــزَّهــرَ تــرحــيــبــاً بــزائِــره
الــلــه دبَّج جــنــاتِ الــنــعــيــمِ لمَنْ
تــفــيَّــأ الخــلــقُ ظِلاً من مــآثــره
أَدْنى الــعــبــاد له أوفــاهُمُ مَــدَدًا
في فــضــلــه أو هُــداه أوْ بــصــائــره
وخــيــرُهم لا المــصــلِّي في مــســاجــده
أو في كــنــائــســه بلْ في ســرائــره
ورادعٌ نــفــســه عن شــرِّ مــا ضَــمِــنَت
وخُــلْــقه عن مُــسيءٍ من بــوادره
والــدّينُ في روحه أو في ســمــاحــته
بــنــوَّةٌ بــين إنــســانٍ وفــاطِــره

(٢)

لم أنس آخــر عــهــدٍ لي بــطــلــعــته
ولــلــرَّدى رَفــرَفــاتٌ في مــقــاصــره
والــداءُ مُــحــتــكمٌ. والحَــولُ مُــنــحــطمٌ
وأول الــنــزْع يــحــبــو صَــوْبَ آخــره
وحــوله الــله. يُــلْــقي في عــقــيــلــته
من لــطــفه الــسمِح. عُــذراً عن مــقــادرِه
تــفــيضُ عــطــفــاً وإيــثــاراً وخــافــقُــهــا
يــذوب كــالــكــرمِ في راووق عــاصــرِه
في مــنــزلٍ - لــو ضــمــيــرُ الــشــرقِ أنــصــفه
لاعــتــدَّه الــشــرق ركــنــاً من شــعــائــره

لم أنسهُ حين أفضينا له فمضى
يعتامُنا بكليلِ الطرفِ فاترِه
وقال من أنت؟ فاستعرفتُ فأْتلقتْ
لحاظُه ثمَّ غامتْ في محاجره
وقال هل كنت من صحبي؟ فقلتُ أجَلْ
كصحبةِ العُشُبِ الظَّامي لماطِره
وراحَ صَحْبي وهمْ مثلي ذَوُو نسبٍ
بفنِّه. وبنُو مَوْشيٍّ سامره
فطارحوه وساقُوا من جياهِره
فاهتز ينثرُ عقداً من جواهِره
وعاد كالمرح النشوانِ. ثم طَغتْ
عليه وعْكةُ ذاوي الروحِ حائرِه
ما رابهُ الدّهرُ إلاّ زاده عِظَماً
كا الطَّيب يزداد طيبا في مجامره
ثم افترقنا. وأدري أنَّ نازلةً
ترقَى إلى عُشهِ الحالي وطائِره
ونحذَرُ الموتَ. لا نألو له حذرا
والموتُ أقربُ شيءٍ من مُحاذِره
يا وَيْحَها ذكرياتٍ هجْنَ شجَنا
تظل روحي تلَظَّى في هواجره
فما طرقنَ سوى نفسٍ وذابِحِها
وما تركنَ سوى قلبٍ وصاهر ه
أعدى عدوَّك سِنٌّ صاحَبَتْ سَقَما
عدا عليها بعاتٍ من مَنَاسره

ويحَ اجتماعهما والموتُ أكرمُ من
عُمرٍ رمى الدهرُ فيه من فواقِرِه
لم يرحم الشعر - والدنيا تُضيء به -
في ذات صائِغه الأعلى وخابره
أدالَ منه. ولكن عزَّه نغمٌ
من السماء تراقتْ عن مزاهره

(٣)

بشارةُ انعَمْ فجارُ الله أنتَ وَمَنْ
أرضى وأروحُ نفساً من مجاوره
قد كنتَ للدهر عُذراً من معاذره
بما ابتدَهت وفخراً من مفاخره
عارضتُكَ اليومَ. أين البئرُ ناضبة
من مُغدقٍ زاخرِ الدُّفاع هادره
وأين منْ جهده «مُستفعل فَعِلٌ»
من مُلهمٍ مشرق الإبداع آسره
أضفى على الأدب الريّان طابعَه
فلاح مصدر نورٍ من مصادره
وكان ما زفَّه للناس رائقة
من السلافة تندى عَفوَ خاطره
إن ثار قلتَ الرياحُ الهوجُ عاصفةً
أو قرَّ قلتَ شكا صبٌّ لهاجره
مُنَمنَمُ النَّسجِ يجري في ديابِجِه
من كلَّ معنى شفيف الروح نادره

يُـــخـــالُ من قـــربه لـــلـــنـــفس أن له
نـــظـــائـــراً وهـــو عـــالٍ عن نـــظـــائـــره
تـــهـــفـــو الـــعـــروبـــةُ من شـــتَّى مـــنـــاكـــبـــهـــا
إلى الـــرحـــيـــقِ المـــصـــفَّى من بـــواهـــره
فـــيـــا لـــهـــا نـــشـــوةً مـــجت مُـــدامَـــتَـــهـــا
أقلامُه وهـــي ريـــــاً من مـــــحـــــابـــــره
خـــواطـــرُ الخـــلق تُـــســـقـــاهـــا مـــشـــاعـــرُه
مُـــســـتـــبـــهَـــمـــاتٍ فـــتـــجـــلى في مـــشـــاعـــره
فـــيـــرسل الـــقـــولَ مـــأنـــوســـاً فـــيـــحـــســـبه
من صـــدقه المـــرءُ هـــمـــســـاً من ســـرائـــره
بـــشـــارةُ أين؟ شـــوقي أين؟ هل لـــهـــمـــا
من وارثٍ واثب الإلـــــهـــــام طـــــافـــــره
واحـــســـــرتـــــا زال عن روضٍ بـلابـــــلـه
فـــأوحش الـــروضُ إلا من عـــصـــافـــره
وود كل نـــضـــيـــر فـــيـه مـــؤتـــلقٍ
لـــو قـــد تجـــرد عن أفـــواف نـــاضـــره
بـكى مع الأرز ســاجي الـورد وانـعطف الـصّ
ـصـفـصـاف يُـجـلي حلاه عن ضـفـائـره
والـسـوسنُ الـضـاحك انـغـاضت بـشـاشـته
والـنـرجس الـغضُّ أعـضى من نـواظـره
حـزنـا عـلى نـاهل مـنـهـا عـواطـرهـا
يـديـفـهـا في الـذواكي من عـواطـره
فـابـكـوا عـلى الـشـعـر أمـسى دُره بـدداً
وأســـوا لـــنـــاديه أقـــوى من عـــبـــاقـــره

(٤)

بشارة القيم العليا يكيد لها
حرَّان كل قصير الباع قاصره
العجزُ أو شهوةُ البانى بلا أُسُسٍ
أو أنه الجدبُ في أشقى مظاهره
أو ثورةٌ في طوايا النفس حاقدةٌ
يصلى بها كلُّ ضحل الجُهْد عاقره
أو أنه قلقٌ والعصرُ مضطربٌ
يمضي لكل سقيط السَّمتِ صاغره
فهذه ذَكرٌ في زيِّها خنثٌ
وذاك يخطرُ أنثى في غدائره
وتلك لوحات معتلٍّ يخطُ بها
ما لوّث الطفلُ عن ملتاثِ خاطره
من كل رسمٍ جهيض غير ذي شيةٍ
وكل نقشٍ بغيض اللون نافره
وتلك قصةُ ذي عقل رأى سفهاً
أن يعْريَ العقل فيها عن مآزره
يقول جدّدتُ. قل جدَّدتَ في هذرٍ
والفجّ يُعرفُ فجّاً في بواكره
وزاعم أنَّ صقل الشعرِ منقصةٌ
ووزنه ناقضٌ أركانَ عامره
وأن عُلْويَّ موسيقاه منتهكٌ
خِدْر العذارى الغواني من حرائره

الـشِّـعـر مـا قـلتَ لا مـا قـاله نـفـرٌ
عَـدَوْا عـلى قُـدْس مـاضـيه وحـاضـره
ثم استطالوا على الفُصحى وحرمتها
بـآمـرٍ من دَويِّ الـضِّـغن غـائـره
صالوا مجاهيدَ فارتدُّوا وما بلغوا
من فـارع الـطـودِ إلا سـفْحَ حـاجـره
الـله كـرَّمـهـا فـاخـتـارهـا لـغـةً
لمعجزٍ مُحكَمِ الـتـنـزيلِ بـاهـرِه
تبقى على الدهرِ تسْنى في مساجده
نـوراً وتـنـهلُّ هـديـاً عن مـنـابـره
لا فنَّ من غـيـر قـيـدٍ أو تُـواثـبَه
فـوْضى تُطيح بمحضٍ من عناصره
والـقـيـدُ إن كـانَ في فـضلٍ نجوت به
كـعـقّـةِ المـرءِ قـيـدٌ من كـبـائـره

(٥)

يـا شـاعـر الـشـرقِ في أفـيـاء جـنـته
قم فاشهد الشرق في غاشي مخاطره
قـدْ بـات لا تـتـراءى في عـزائـمه
قُـواهُ.. بل تـتـجـلى في حـنـاجـره
وفي الأهـازيج تُـجـدي عن تـضـافُـرِه
وفي الـهُـتـافـاتِ تُـغـني عن بـواتـره
عـجـبتُ مـنه تُـغـاديه تـوافـهُ
فـيُـسـتـثـار.. ويـلـهـو عن مـصـائِـره

قــد مــارَ سُمُّ الأفــاعي في بــواطــنه
خُـلـفـاً.. وشُـهْـدُ المُـداجي في ظـهـائـره
وانـقـاد لـلـجـهل واسـتـهـواه بـاطـله
فـجـرَّد الـفـضل عن عـلـيـا مـعـايـره
مـتى يُـفـيـقُ؟ فـمـا ذُلٌّ ولا ضـعـةٌ
كـهـونه وهـو مُـسـتَـخْـذٍ لـواتـره
الـدَّهـر يـومـان والأيـام حـامـلـةٌ
حظ الـوجـودِ جـنـيـنـاً في سـرائـره
لـقـد أرى والمـنـى تُـرضي - وإن خَـدعتْ -
طـغـاوَة الـنـور تـسـري في ديـاجـره

(٦)

رحـلتَ عـنه وعن عـصـرٍ هـوى خُـلـقـاً
في عـالمٍ فـخـرهُ كـبـرى جـرائـره
يـهـنـيكَ أنكَ نـاجٍ من بـراثـنه
نـفـسـاً.. وأنك نـاءٍ عن أظـافـره
طـغـى الـضلالُ به حـتى لأوهَـمَه
أن الـضـراوةَ ضـربٌ من دسـاتـره
الحق لـلـبـاطش الأقـوى وإن سـفـرتْ
نـيـاتُه عن خـسـيس الإثم غـادره
يـنـقض ذئـبـاً فـمـا خُـلْقٌ بـرادِعِه
ولا اجـتـمـاعٌ عـلى شـكـوى بـضـائِـره
والأمـرُ لـلـجـاهلِ المُـثـري بـعـسـكـره
والحـكم أهـوج في أيـدي جـبـابِـره

وبـــات حُـــكَّـــامُه بـــاسِم الـــشـــعـــوبِ كـــمنْ
ســـام الـــزمـــانَ هـــوانًـــا من قـــيـــاصِـــره
مـــنـــهم قـــبـــيلٌ وإن أبـــدى مُـــحَـــاسَـــنَـــةً
فـــفي ضـــمـــائِـــره مـــا في ضـــمـــائـــره
وذاك يُـــبـــرمُ عـــهـــداً، ثم يـــنـــقـــضُه
وذاك يـــنـــفثُ سُـــمًـــا عن مـــنـــابـــره
تـــخـــاله ســـائس الـــدُّنـــيـــا وقـــاهـــرَهـــا
وهـــو المـــضـــرَّس في أنـــيـــابِ قـــاهـــرِه
يـــا نُـــكـــســـةَ الـــعـــصـــرِ لا إلٌّ ولا ذممٌ
ألـــيس حُـــمْلانُه صـــرعَى كـــواســـره
لم تـــشف نـــزعـــته الـــســـفـــلى حـــضـــارتُه
بل زافَ مـــنـــهـــا شـــعـــاراً في حـــواضـــره
حظُّ الـــعـــروبـــةِ فـــيه حظُّ ممـــتـــهنٍ
في يُـــتـــمِه بـــين جـــافـــيه وزاجـــره
مـــتى يـــطـــالـــعُـــنـــا عـــدلُ الـــزمـــانِ؟ مـــتى
ولـــلـــزمـــانِ قـــصـــاصٌ في دوائـــره
إن يـــنـــصـــر الـــلهُ طـــاغـــوتـــاً إذن فـــلـــقـــدْ
- أســـتـــغـــفـــر الـــلـه - أغـــرى شـــرَّ كـــافـــرِه

(٧)

لـــبـــنـــانُ يـــا حُـــجـــةً لـــلـــعُـــربِ دامـــغـــةً
بُـــهـــتـــانَ كل دخـــيل الحـــقـــدِ واغـــره
وكلِّ ســـاعٍ بمـــا يـــفـــريه من تُـــهَـــمٍ
يـــبـــثـــهـــا في المـــدوِّي من عـــقـــائِـــره

إن يـبـتـعثْ فـتـنـة الأديـان سُـقت له
تـسـامـحـاً فـيكَ يـسـمـو عن نـظـائـرِه
أو يـذكـرِ الحـكم قـد ألـقـمْـتَه حـجـراً
فـشـعـبُك الحـرُّ قـاضٍ في مـصـائـره
أو يـذكـر المـيل عن نـهج الحـضـارة لم
يُـعـجـزك دفع غـويٍّ من بـوادره
حـضـارةُ الـشـرقِ تجـلـوها يُـمـازجُـها
مـا رَقـرقَ الـغـربُ فـيـها من بـصـائـره
مـا بـين طَـوْديكَ رفَّتْ نـهـضـةٌ عـممٌ
أجـدَّ شـعـبُك فـيـها مـجـدَ غـابـرِه
وعِـزَّةُ الـشـعبِ لـيـست في تـكـاثُـره
الـعـقلُ أجـدى عـلـيه من تـكـاثـره
لـبـنـانُ يـا فـخـر هـذا الـشـرقِ عـشت له
في ركْبِ حـاضـرِه إنـسـان نـاظـرِه
يـا صـائغَ الحـسنِ في أبـهى وسـامـتِه
ورافعَ الـوعْيِ في أسـنى مـنـائـره
من كلِّ غـيـداء ريَّـا من صـبـاحـتـهـا
وكل يـقـظـانَ رحبِ الـوسع ثـامـرِه
وبـاعثَ الأدب الـعـالي يُـوشَّحُ من
فُـصـحـاهُ في عـبـقـريٍّ من مـآزِره
ونـاشـر الـروحِ والـتـهـذيبِ في لـغـةٍ
صـحـيـحـهـا طُمَّ دهـراً في مـغـاوره
سـعِـدتَ كم لك من أيـدٍ مُـقـبَّـلـةٍ
عـلـى الـقـريض أضـاءت في جـواهـره

فـصـادحٌ في ربـاك الخـضـرِ ذو طُـرفٍ
ونـائحٌ يـتـغـنى فى مـهـاجـره
يـقـول وهـو رغـيـدُ الـعـيشِ في بـلـدٍ
لم تـعـرف الأرضُ أبـهى من حـواضـره
لـبـنـانُ أين عـلـيلٌ منْ نـسـائـمه الـنْـ
ـنَـشـوى وأين حـبـيبٌ من دسـاكـره
وأين حـورٌ حـسـانٌ من مـهـائِـره
تُـشـرقْن في حـالـيـاتٍ من سـوامـره
وأين أثـداءُ تـفَّـاحٍ يُـدغـدغُـهـا
طلُّ الـصـبـاحِ فـتـزهُـو في تـبـاشِـره
وأين مـاءٌ كـراحِ الخُـلـد تـسـكـبُه
عـيـونُه الـنـجلُ من صـافي مـصـادِره
نـأى عن الـدار فـانـهـلتْ روائـعُه
عُـصـارة الـقـلب مـاجتْ في مـحـاجـرِه
لـبـنـانُ لـستَ المُـعَـزَّى إنـهـا أُممٌ
في الـشـرق تـأسى لهُ في نـأي شـاعـره
لم يـطـوِه المـوتُ إن المـوت أعـجـزُ من
أن يـطـويَ الـنـور يـسـنى في سـوائـره
كم مـاثلٍ هـو مـيتٌ في مـقـاصـرِه
وراحلٍ هـو حيٌّ في مـقـابِـره
هـذِي نُـفـاثـةُ مـحـزونٍ أخي مِـقَـةٍ
يـذيـبـهـا عـبـراتٍ من مـشـاعـره

بـــادلـــته الـــود مـــخـــضلاً وكـــنت له
في جـــرحهِ الـــلـــطفَ نـــدَّى وقْـــدَ نـــاغِـــره
والـــلـــه مـــا رُوّعتْ مـــصـــرٌ وقـــد مـــنـــيتْ
بـــكل خـــطبٍ شـــديـــد الـــعـــركِ جـــائـــره
بمـــثلِ مـــا لـــقـــيتْ يـــوم انـــتـــقـــالِك من
هـــولٍ رمـــاهـــا بـــواري الـــبـــرحِ ثـــائِـــره
أهـــرامُـــهـــا نـــكَّـــست هـــامـــاتِـــهـــا جـــزعـــاً
وأجـــهش الـــنـــيلُ عن مِـــســـكيٍّ هـــامـــره
فـــاذهب كـــمـــا مـــال قـــرصُ الـــشـــمس ضَمَّ إلى
شـــكـــرانِ ذاكِـــره إكـــبـــارَ شـــاكـــرِه

عـزيـز أباظة

****

# في رثـاء الأخطل الصغير

## بشـارة الخـــوري

عـزيـز أباظة

قِفْ في رُبـا الخـلـدِ واهـتفْ في مـقـاصـرهِ
بـشـاعـرٍ ملأ الـدُّنـيـا كـشـاعـرهِ
ســـرى لـه أمسِ. والأمـلاكُ تَـــقـــدمُه
في مـــوكبٍ عـامـر الإشـراقِ غـامِـرِه
الـبـحـتـريُّ تـهـادى عن مَـيَـامِـنه
يـخـتـالُ. والمُـتـنـبي عن مـيـاسـره
يـسـعى أمـامـهـمـا في قُـدس هـالـته
شـوقي يـزفُّ جـديـداً عن مُـعـاصـره
والخـالـدون الأُلى حـلَّت ذخـائـرُهم
صَـدرَ الـوجـودِ. فـرفُّـوا من ذخـائـره
تحـاشـدوا لأخٍ كـانت تـرانِـمُه
قـيـثـارةَ الـشـرقِ. بـاديه وحـاضـره
قـالـوا ظـفـرْنَـا بـخلاَّقِ الجـمـال. زكـا
في الأحـرف الـصمِّ وحْـيـاً عن خـواطـره
بـالـعـبـقـري المُـلـقَّى مِن عـبـاقـره
والأوحـديِّ تـعـالى عن مُـنـاظـره

■ ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير سنة ١٩٦٩ .

وهــشّت الــروضــة الــفــيــحــاءُ نــاثــرةً
في بــهــوهــا الــزَّهــرَ تــرحــيــبــاً بــزائِــره
الــلــه دبَّج جــنــاتِ الــنــعــيــمِ لمَنْ
تــفــيَّــأ الخــلــقُ ظِلاً من مــآثــره
أَدْنى الــعــبــاد له أوفــاهُمُ مَــدَدًا
في فــضــلــه أو هُــداه أوْ بــصــائــره
وخــيــرُهم لا المــصــلِّي في مــســاجــده
أو في كــنــائــســه بلْ في ســرائــره
ورادعٌ نــفــســه عن شــرِّ مــا ضَــمِــنَت
وخُــلْــقه عن مُــسيءٍ من بــوادره
والــدّينُ في روحه أو في ســمــاحــته
بــنــوَّةٌ بــين إنــســانٍ وفــاطِــره

(٢)

لم أنس آخــر عــهــدٍ لي بــطــلــعــته
ولــلــرَّدى رَفــرَفــاتٌ في مــقــاصــره
والــداءُ مُــحــتــكمٌ. والحَــولُ مُــنــحــطمٌ
وأول الــنــزْع يــحــبــو صَــوْبَ آخــره
وحــوله الــله. يُــلْــقي في عــقــيــلــته
من لــطــفه الــسمِح. عُــذراً عن مــقــادرِه
تــفــيضُ عــطــفــاً وإيــثــاراً وخــافــقُــهــا
يــذوب كــالــكــرمِ في راووق عــاصــرِه
في مــنــزلٍ - لــو ضــمــيــرُ الــشــرقِ أنــصــفه
لاعــتــدَّه الــشــرق ركــنــاً من شــعــائــره

لم أنسهُ حين أفضينا له فمضى
يعتامُنا بكليلِ الطرفِ فاترِه
وقال من أنت؟ فاستعرفتُ فأْتلقتْ
لحاظُه ثمَّ غامتْ في محاجره
وقال هل كنت من صحبي؟ فقلتُ أجَلْ
كصحبةِ العُشُبِ الظَّامي لماطِره
وراحَ صَحْبي وهمْ مثلي ذَوُو نسبٍ
بفنِّه. وبنُو مَوْشيٍّ سامره
فطارحوه وساقُوا من جياهِره
فاهتز ينثرُ عقداً من جواهِره
وعاد كالمرح النشوانِ. ثم طَغتْ
عليه وعْكةُ ذاوي الروحِ حائرِه
ما رابهُ الدّهرُ إلاّ زاده عِظَماً
كا الطَّيب يزداد طيبا في مجامره
ثم افترقنا. وأدري أنَّ نازلةً
ترقَى إلى عُشهِ الحالي وطائِره
ونحذَرُ الموتَ. لا نألو له حذرا
والموتُ أقربُ شيءٍ من مُحاذِره
يا وَيْحَها ذكرياتٍ هجْنَ شجَنا
تظل روحي تلَظَّى في هواجره
فما طرقنَ سوى نفسٍ وذابِحِها
وما تركنَ سوى قلبٍ وصاهر ه
أعدى عدوَّك سِنٌّ صاحَبَتْ سَقَما
عدا عليها بعاتٍ من مَنَاسره

ويحَ اجتماعهما والموتُ أكرمُ من
عُمرٍ رمى الدهرُ فيه من فواقِرِه
لم يرحم الشعر - والدنيا تُضيء به -
في ذات صائِغه الأعلى وخابره
أدالَ منه. ولكن عزَّه نغمٌ
من السماء تراقتْ عن مزاهره

(٣)

بشارةُ انعَمْ فجارُ الله أنتَ وَمَنْ
أرضى وأروحُ نفساً من مجاوره
قد كنتَ للدهر عُذراً من معاذره
بما ابتدَهت وفخراً من مفاخره
عارضتُكَ اليومَ. أين البئرُ ناضبة
من مُغدقٍ زاخرِ الدُّفاع هادره
وأين منْ جهده «مُستفعل فَعِلٌ»
من مُلهمٍ مشرق الإبداع آسره
أضفى على الأدب الريّان طابعَه
فلاح مصدر نورٍ من مصادره
وكان ما زفَّه للناس رائقة
من السلافة تندى عَفوَ خاطره
إن ثار قلتَ الرياحُ الهوجُ عاصفةً
أو قرَّ قلتَ شكا صبٌّ لهاجره
مُنَمنَمُ النَّسجِ يجري في ديابِجِه
من كلَّ معنى شفيف الروح نادره

يُـــخـــالُ من قـــربه لـــلـــنـــفس أن له
نـــظـــائـــراً وهـــو عـــالٍ عن نـــظـــائـــره
تـــهـــفـــو الـــعـــروبـــةُ من شـــتَّى مـــنـــاكـــبـــهـــا
إلى الـــرحـــيـــقِ المـــصـــفَّى من بـــواهـــره
فـــيـــا لـــهـــا نـــشـــوةً مـــجت مُـــدامَـــتَـــهـــا
أقلامُه وهـــي ريـــــاً من مـــــحـــــابـــــره
خـــواطـــرُ الخـــلق تُـــســـقـــاهـــا مـــشـــاعـــرُه
مُـــســـتـــبـــهَـــمـــاتٍ فـــتـــجـــلى في مـــشـــاعـــره
فـــيـــرسل الـــقـــولَ مـــأنـــوســـاً فـــيـــحـــســـبه
من صـــدقه المـــرءُ هـــمـــســـاً من ســـرائـــره
بـــشـــارةُ أين؟ شـــوقي أين؟ هل لـــهـــمـــا
من وارثٍ واثب الإلـــــهـــــام طـــــافـــــره
واحـــســـــرتـــــا زال عن روضٍ بـلابـــــلـه
فـــأوحش الـــروضُ إلا من عـــصـــافـــره
وود كل نـــضـــيـــر فـــيـه مـــؤتـــلقٍ
لـــو قـــد تجـــرد عن أفـــواف نـــاضـــره
بـكى مع الأرز ســاجي الـورد وانـعطف الـصّ
ـصـفـصـاف يُـجـلي حلاه عن ضـفـائـره
والـسـوسنُ الـضـاحك انـغـاضت بـشـاشـته
والـنـرجس الـغضُّ أعـضى من نـواظـره
حـزنـا عـلى نـاهل مـنـهـا عـواطـرهـا
يـديـفـهـا في الـذواكي من عـواطـره
فـابـكـوا عـلى الـشـعـر أمـسى دُره بـدداً
وأســـوا لـــنـــاديه أقـــوى من عـــبـــاقـــره

(٤)

بشارة القيم العليا يكيد لها
حرَّان كل قصير الباع قاصره
العجزُ أو شهوةُ البانى بلا أُسُسٍ
أو أنه الجدبُ في أشقى مظاهره
أو ثورةٌ في طوايا النفس حاقدةٌ
يصلى بها كلُّ ضحل الجُهْد عاقره
أو أنه قلقٌ والعصرُ مضطربٌ
يمضي لكل سقيط السَّمتِ صاغره
فهذه ذَكرٌ في زيِّها خنثٌ
وذاك يخطرُ أنثى في غدائره
وتلك لوحات معتلٍّ يخطُ بها
ما لوّث الطفلُ عن ملتاثِ خاطره
من كل رسمٍ جهيض غير ذي شيةٍ
وكل نقشٍ بغيض اللون نافره
وتلك قصةُ ذي عقل رأى سفهاً
أن يعْريَ العقل فيها عن مآزره
يقول جدّدتُ. قل جدَّدتَ في هذرٍ
والفجّ يُعرفُ فجّاً في بواكره
وزاعم أنَّ صقل الشعرِ منقصةٌ
ووزنه ناقضٌ أركانَ عامره
وأن عُلْويَّ موسيقاه منتهكٌ
خِدْر العذارى الغواني من حرائره

الـشِّـعـر مـا قـلتَ لا مـا قـاله نـفـرٌ
عَـدَوْا عـلى قُـدْس مـاضـيه وحـاضـره
ثم استطالوا على الفُصحى وحرمتها
بـآمـرٍ من دَويِّ الـضِّـغن غـائـره
صالوا مجاهيدَ فارتدُّوا وما بلغوا
من فـارع الـطـودِ إلا سـفْحَ حـاجـره
الـله كـرَّمـهـا فـاخـتـارهـا لـغـةً
لمعجزٍ مُحكَمِ الـتـنـزيلِ بـاهـرِه
تبقى على الدهرِ تسْنى في مساجده
نـوراً وتـنـهلُّ هـديـاً عن مـنـابـره
لا فنَّ من غـيـر قـيـدٍ أو تُـواثـبَه
فـوْضى تُطيح بمحضٍ من عناصره
والـقـيـدُ إن كـانَ في فـضلٍ نجوت به
كـعـقّـةِ المـرءِ قـيـدٌ من كـبـائـره

(٥)

يـا شـاعـر الـشـرقِ في أفـيـاء جـنـته
قم فاشهد الشرق في غاشي مخاطره
قـدْ بـات لا تـتـراءى في عـزائـمه
قُـواهُ.. بل تـتـجـلى في حـنـاجـره
وفي الأهـازيج تُـجـدي عن تـضـافُـرِه
وفي الـهُـتـافـاتِ تُـغـني عن بـواتـره
عـجـبتُ مـنه تُـغـاديه تـوافـهُ
فـيُـسـتـثـار.. ويـلـهـو عن مـصـائِـره

قــد مــارَ سُمُّ الأفــاعي في بــواطــنه
خُـلـفـاً.. وشُـهْـدُ المُـداجي في ظـهـائـره
وانـقـاد لـلـجـهل واسـتـهـواه بـاطـله
فـجـرَّد الـفـضل عن عـلـيـا مـعـايـره
مـتى يُـفـيـقُ؟ فـمـا ذُلٌّ ولا ضـعـةٌ
كـهـونه وهـو مُـسـتَـخْـذٍ لـواتـره
الـدَّهـر يـومـان والأيـام حـامـلـةٌ
حظ الـوجـودِ جـنـيـنـاً في سـرائـره
لـقـد أرى والمـنـى تُـرضي - وإن خَـدعتْ -
طـغـاوَة الـنـور تـسـري في ديـاجـره

(٦)

رحـلتَ عـنه وعن عـصـرٍ هـوى خُـلـقـاً
في عـالمٍ فـخـرهُ كـبـرى جـرائـره
يـهـنـيكَ أنكَ نـاجٍ من بـراثـنه
نـفـسـاً.. وأنك نـاءٍ عن أظـافـره
طـغـى الـضلالُ به حـتى لأوهَـمَه
أن الـضـراوةَ ضـربٌ من دسـاتـره
الحق لـلـبـاطش الأقـوى وإن سـفـرتْ
نـيـاتُه عن خـسـيس الإثم غـادره
يـنـقض ذئـبـاً فـمـا خُـلْقٌ بـرادِعِه
ولا اجـتـمـاعٌ عـلى شـكـوى بـضـائِـره
والأمـرُ لـلـجـاهلِ المُـثـري بـعـسـكـره
والحـكم أهـوج في أيـدي جـبـابِـره

وبـــات حُـــكَّـــامُه بـــاسِم الـــشـــعـــوبِ كـــمنْ
ســـام الـــزمـــانَ هـــوانًـــا من قـــيـــاصِـــره
مـــنـــهم قـــبـــيلٌ وإن أبـــدى مُـــحَـــاسَـــنَـــةً
فـــفي ضـــمـــائِـــره مـــا في ضـــمـــائـــره
وذاك يُـــبـــرمُ عـــهـــداً، ثم يـــنـــقـــضُه
وذاك يـــنـــفثُ سُـــمًـــا عن مـــنـــابـــره
تـــخـــاله ســـائس الـــدُّنـــيـــا وقـــاهـــرَهـــا
وهـــو المـــضـــرَّس في أنـــيـــابِ قـــاهـــرِه
يـــا نُـــكـــســـةَ الـــعـــصـــرِ لا إلٌّ ولا ذممٌ
ألـــيس حُـــمْلانُه صـــرعَى كـــواســـره
لم تـــشف نـــزعـــته الـــســـفـــلى حـــضـــارتُه
بل زافَ مـــنـــهـــا شـــعـــاراً في حـــواضـــره
حظُّ الـــعـــروبـــةِ فـــيه حظُّ ممـــتـــهنٍ
في يُـــتـــمِه بـــين جـــافـــيه وزاجـــره
مـــتى يـــطـــالـــعُـــنـــا عـــدلُ الـــزمـــانِ؟ مـــتى
ولـــلـــزمـــانِ قـــصـــاصٌ في دوائـــره
إن يـــنـــصـــر الـــلهُ طـــاغـــوتـــاً إذن فـــلـــقـــدْ
- أســـتـــغـــفـــر الـــلـه - أغـــرى شـــرَّ كـــافـــرِه

(٧)

لـــبـــنـــانُ يـــا حُـــجـــةً لـــلـــعُـــربِ دامـــغـــةً
بُـــهـــتـــانَ كل دخـــيل الحـــقـــدِ واغـــره
وكلِّ ســـاعٍ بمـــا يـــفـــريه من تُـــهَـــمٍ
يـــبـــثـــهـــا في المـــدوِّي من عـــقـــائِـــره

إن يـبـتـعثْ فـتـنـة الأديـان سُـقت له
تـسـامـحـاً فـيكَ يـسـمـو عن نـظـائـرِه
أو يـذكـرِ الحـكم قـد ألـقـمْـتَه حـجـراً
فـشـعـبُك الحـرُّ قـاضٍ في مـصـائـره
أو يـذكـر المـيل عن نـهج الحـضـارة لم
يُـعـجـزك دفع غـويٍّ من بـوادره
حـضـارةُ الـشـرقِ تجـلـوها يُـمـازجُـها
مـا رَقـرقَ الـغـربُ فـيـها من بـصـائـره
مـا بـين طَـوْديكَ رفَّتْ نـهـضـةٌ عـممٌ
أجـدَّ شـعـبُك فـيـها مـجـدَ غـابـرِه
وعِـزَّةُ الـشـعبِ لـيـست في تـكـاثُـره
الـعـقلُ أجـدى عـلـيه من تـكـاثـره
لـبـنـانُ يـا فـخـر هـذا الـشـرقِ عـشت له
في ركْبِ حـاضـرِه إنـسـان نـاظـرِه
يـا صـائغَ الحـسنِ في أبـهى وسـامـتِه
ورافعَ الـوعْيِ في أسـنى مـنـائـره
من كلِّ غـيـداء ريَّـا من صـبـاحـتـهـا
وكل يـقـظـانَ رحبِ الـوسع ثـامـرِه
وبـاعثَ الأدب الـعـالي يُـوشَّحُ من
فُـصـحـاهُ في عـبـقـريٍّ من مـآزِره
ونـاشـر الـروحِ والـتـهـذيبِ في لـغـةٍ
صـحـيـحـهـا طُمَّ دهـراً في مـغـاوره
سـعِـدتَ كم لك من أيـدٍ مُـقـبَّـلـةٍ
عـلـى الـقـريض أضـاءت في جـواهـره

فـصـادحٌ في ربـاك الخـضـرِ ذو طُـرفٍ
ونـائحٌ يـتـغـنى فى مـهـاجـره
يـقـول وهـو رغـيـدُ الـعـيشِ في بـلـدٍ
لم تـعـرف الأرضُ أبـهى من حـواضـره
لـبـنـانُ أين عـلـيلٌ منْ نـسـائـمه الـنْـ
ـنَـشـوى وأين حـبـيبٌ من دسـاكـره
وأين حـورٌ حـسـانٌ من مـهـائِـره
تُـشـرقْن في حـالـيـاتٍ من سـوامـره
وأين أثـداءُ تـفَّـاحٍ يُـدغـدغُـهـا
طلُّ الـصـبـاحِ فـتـزهُـو في تـبـاشِـره
وأين مـاءٌ كـراحِ الخُـلـد تـسـكـبُه
عـيـونُه الـنـجلُ من صـافي مـصـادِره
نـأى عن الـدار فـانـهـلتْ روائـعُه
عُـصـارة الـقـلب مـاجتْ في مـحـاجـرِه
لـبـنـانُ لـستَ المُـعَـزَّى إنـهـا أُممٌ
في الـشـرق تـأسى لهُ في نـأي شـاعـره
لم يـطـوِه المـوتُ إن المـوت أعـجـزُ من
أن يـطـويَ الـنـور يـسـنى في سـوائـره
كم مـاثلٍ هـو مـيتٌ في مـقـاصـرِه
وراحلٍ هـو حيٌّ في مـقـابِـره
هـذِي نُـفـاثـةُ مـحـزونٍ أخي مِـقَـةٍ
يـذيـبـهـا عـبـراتٍ من مـشـاعـره

بـــادلـــته الـــود مـــخـــضلاً وكـــنت له
في جـــرحهِ الـــلـــطفَ نـــدَّى وقْـــدَ نـــاغِـــره
والـــلـــه مـــا رُوّعتْ مـــصـــرٌ وقـــد مـــنـــيتْ
بـــكل خـــطبٍ شـــديـــد الـــعـــركِ جـــائـــره
بمـــثلِ مـــا لـــقـــيتْ يـــوم انـــتـــقـــالِك من
هـــولٍ رمـــاهـــا بـــواري الـــبـــرحِ ثـــائِـــره
أهـــرامُـــهـــا نـــكَّـــست هـــامـــاتِـــهـــا جـــزعـــاً
وأجـــهش الـــنـــيلُ عن مِـــســـكيٍّ هـــامـــره
فـــاذهب كـــمـــا مـــال قـــرصُ الـــشـــمس ضَمَّ إلى
شـــكـــرانِ ذاكِـــره إكـــبـــارَ شـــاكـــرِه

عـزيـز أباظة

****

# في رثاء الأخطل الصغير
## أغنيكَ لا أبكيك

لميعة عباس عمارة

أغنيكَ لا أبكيك يخذلني شعري
وما زلت ملءَ الحب واللحن والعطرِ
وملء رُبى لبنان ذكراً مطيّباً
ويا رُبَ أجيال تعيش على ذكْر
وكيف يلمُّ الموت روحاً توزعت
بأرواح كل الناس كالطيب في العطر
يضم خيوط الشمس يحزمها دجى
وأحلام هذا القلب تُغمد في قَدْر
تناهى غنىً لبنان لفتةُ خالقٍ
يُري خلقه في الأرض جناته تجري
له هيبة والشمس حُمَّ رحيلها
فألقت بقايا زينة العيد في البحر
وتحضنها الأمواج لا شَغَفاً بها
ولكنها تنزو وتغلو وتستشري
نوازعها الهوجاء أهواءُ شاعرٍ
يظنون يدريها وتُقسم لا يدري
تناهى غنىً لبنان منه بشارةٌ
وذهنٌ يصيد العُصْم أوطانه تثري
بشارةُ يا نبعاً ترقرق هادئاً
يلوذ به الحرّان في وهَج الظهر

■ ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير سنة ١٩٦٩ .

ويا غيمة يشتفُّها الزرع والثرى
بلا بارقٍ أو راعدٍ وبلا قَطْر
تغطي السفوحَ الشم زحفاً إلى الذرا
فتحسبها بحراً رقى أو ندىً يجري
بشارةُ يا عمر الهوى وشبابه
تخيَّرته أوجاً فلم تُبق في العمر
وبوْأتَها حواء قلبك لا غوتْ
ولا زُغتَ حسب الأرض ضوءاً من البدر
ولمَّحتَ ما عفَّرت والفن لمحةٌ
وإيماءة توحي تعالت على الجهر
أيوحش عبدالله صوت تمازجت
به الطيبة السمحاء والغزل العذري؟
لذيذ على جهد المدى وجفافه
ويزكو كما تزكو معتَّقة الخمر
وفي ثغر عبدالله من ذلك الندى
لحون وفي الجنبين من ذلك النسر

مررتُ على الصحراء ذكّرْتُها فتىً
تسائل عنه الكثب مَنْ شبحٌ يسري؟
وشمَّتْك مما جال منك بخاطري
وما رفّ من ريّاك وانحل في صدري
مررت على الصحراء لم تشكُ عُريها
كَسَتْها دُخَاناً صولة النجب الغر
فطِبْ ما غلا حق متى أُرخص الدما
ولا غفل الموتور أو نام عن ثأر

لميعة عباس عمارة

****

# في رثاء الأخطل الصغير
## لبنان كان ولم يزل

أحمد السقاف

لبنان كان ولم يزل يُشكَرْ
وعلى مدى الأجيال ما قصَّرْ
هيهات يرهب طغمة سكرت
بالنصر فالأيام لا تَسْكَر
وبنوه من غسانَ مطلعُهم
أيخاف في أجماته القَسْوَر؟
لبنان علَّمنا عروبتنا
وبها بكل ديارنا بشَّر
لم يخشَ ظلمة ليلِ غفوتنا
فعلام يخشى فجرَنا الأنور؟
ليس الصمود - وإن قسا - خطراً
إن التخاذل وحده أخطر

قل للذي شاعت دسائسه
وزها بأسطولٍ له يمخر
وشَدَتْ على آلامنا طرباً
أصنامه ودماؤنا تُهدَر
العُرّبُ أقوى من حماقته
وعلى هزيمته هُمُ أقدر

■ ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير سنة ١٩٦٩ .

وَحِـلَتْ بـسـايـغـون جَـحَـافِـله
فـحـذار وَحْـلَـته هـنـا أكـبـر

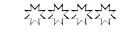

لـبـنـان يـا أحـلى مـنـازلـنـا
يـا درةً كـالـبـدر بل أقـمـر
يـا لـهـفـةً في ثـغـر وحـدتـنـا
يـا بـسـمـةً من طـرفـهـا الأحـور
يـا هـمـسـةً في أذن سـاهـرةٍ
ولـهى إلى مـيـعـادنـا الأخـضـر
يـا جـنـةً كـشَـفَتْ مـحـاسـنـهـا
فـتـحـيَّـر الـفـردوس والـكـوثـر
مـا جـئت لـولا أن عـاطـفـتي
تـهـفـو إلـيك وخـاطـري أكـثـر
فـاصـفح - سـلـمتَ - إذ بـدا شـططٌ
فـالـشـعـر كـالإنـسـان قـد يـعـثـر

يـفـنى الـوجـود وذكـرُ شـاعـرنـا
مـسْكٌ يـضـوع وخـالص الـعـنـبـر
الأخـطـل الـعـملاق مـدرسـة
في كل حـاضـرةٍ له مـنـبـر
حـاز الإمـارة غـيـر مـفـتـقـرٍ
لـلـمـجـد وهـو بمـجـدِهـا أجـدر
والـفـضل مـحـفـوظ ومـا جُـحـدت
وقـفـاته يـومـاً ولم تُـنـكـر

كَـرِه الـتـعـصب فـهـو يـلـعـنه
ويـــراه أقـــبحَ سُـــبّـــة تـــذكـــر
إن هـــزه الـــنـــاقـــوس أطـــربه
صـــوت لـــذكـــر الـــله قـــد كـــبَّـــر

أبـــشـــارة الخـــوريّ مـــعـــذرة
عـشـيَتْ عـيـون الـشـعـر في عـبـقـر
الـــتـــمـــرُ لا يُـــهـــدَى إلى هَـــجَـــرٍ
والـــنـــاي لا يـــرقى إلى المـــزهـــر
قـســمـاً لأنت الـشـعـر أجـمـعه
أنت المحـــيط بمـــوجه يـــزخـــر
في الجِـدِّ بـركـان يـسـيل لـظىً
ولـدى الـنـسـيم حـبـائل الجـؤذر
يـــهـــنـــيك أنك ألف رائـــعـــة
جُـنَّت بـهـا الحـفلات والـسـمَّـر



ولـــرُبَّ مـــوهـــوبٍ نـــكـــرِّمه
ونُـــزيل جـــفْـــوَتَه إذا مـــا ازور
نـكـأ الجـراح غـداة نـكـسـتـنـا
فـتـلـوثت بـهـوامش الـدفـتـر
واسـتل ألـفـاظـاً مُـسـمـمّـةً
الحـرف مـنـهـا يـرعب الخـنـجـر
عـــجـــبي لـه فـــالحـــرب دائـــرة
مـا مـسَّـنـا وهَنٌ ولم نُـكـسـر

يـــأبى الـــنـــضـــال سِـــبـــاب مـــتـــهم
جَـــهِل الـــنـــضـــال وودّ أن يـــظـــهـــر
والـــشـــعـــر يـــرفض أن يـــســـخّـــره
ويـــصـــول في حـــلـــبـــاته عـــنـــتـــر
لـــولاه مـــا سُـــحـــقت أبـــالـــســـةٌ
رضـــعتْ ثـــديَّ الـــبـــغي والمـــنـــكـــر
كم أيـــقظ الـــشـــعـــراء من أمم
لـــولا الـــقـــريض الـــظـــلـــم لم يـــثـــأر

مـــا لـــلـــعـــصـــابـــة وهي مـــثـــقَـــلـــةٌ
بـــسلاحـــهـــا قـــد أصـــبـــحت تجـــأر
إن الـــشـــبـــاب وكـــلّـــهُ أملٌ
قـــدرٌ إذا مـــا ثـــار أو دَمّـــر
ومـــخـــيـــمـــات الـــبـــؤس تـــطـــعـــمه
حـــقـــداً يـــكـــاد من الـــطـــوى يـــحـــمـــر
حـــيـــفـــا تـــمـــيـــد بـــهـــا زلازله
والـــغـــور بـــركـــان مـــتى غـــوَّر
بـــذل الحـــيـــاة وكل مـــطـــلـــبه
وطن يـــعـــود ويـــرجع المـــعـــشـــر
رفـــعتْ جـــبـــاه الـــعـــرب ثـــورته
فـــتـــسـربـــلـــوا بـــالمجـــد والمـــفـــخـــر
وكـــأنـــهم فـى كل مـــعـــركـــة
صَـــحْبُ الـــرســـول تـــصـــول في خـــيـــبـــر

متلثمون اللهُ يكلأهم
لا الدرع يعرفهم ولا المِغفر
ومحطمون غرور شرذمة
إرهابها ورثته عن هتلر
تمسي وتصبح في مخابئها
لم تحمها الفانتوم والعكسر

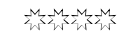

يا نيل مجدك خالدٌ أبداً
سَحَر العصور ولم يزل يسحر
فاسخر فأنت إذا عَدَتْ نوبٌ
يا نيل أنت بسخفها تسخر
كوهينُ أصبح فارساً بطلاً
يهوى النزال وقائداً أمهر
ويلي على مُضَرٍ فخشيتُها
منه كخشية أختها حِمْيَر
نشوانُ يرْفلُ في تبجِّحهِ
بالغدر ليس بغيره يفخر
قالوا لنا في النيل معجزة
تغفو النجوم وطرفها يسهر
فتلفتت للنيل أفئدة
كادت بحمل كفاحنا تُعصر
فعسى البناء يظل مزدرياً
لغة الخيال وبهرج المظهر

وعـــسى الـــنـــســـور بـــألف مـــاحـــقـــة
تـــمـــحـــو خـــرافـــة مـــعـــتـــدٍ مـــغـــتـــر
والـــعُـــرب قـــد عـــرفت مـــســـيـــرتـــهـــا
من ذا الـــــذي إن لـم يـــســـرْ يُـــعـــــذر
ومَن الـــــذي يـــنـــــسى مـــكـــارمـــنـــا
تـــــلك المـــكـــــارم لـم تـــزل تُـــنـــــشـــــر
ومَن الـــــذي يـــنـــــسى وقـــائـــعـــنـــا
كـــسـرى تُـــرى خـــفـــنـــاه أو قـــيـــصـــر؟
وبـلادنـــــا تـــــاريـخ مـــــعـــــرفـــــةٍ
من بـــــنـــــدرٍ حُـــــمِـــــلتْ إلى بـــــنـــــدر
وشـــبـــابـــنـــا أُســـدٌ فـــإن غـــضـــبت
ألـــفـــيـــتـــهـــا فى ثـــورة تـــزأر
قـــومي هـــمـــو الـــتـــاريخ إن خـــرجـــوا
من بـــابه فـــالـــكـــون لن يُـــعـــمـــر

أحمد السقاف

****

# أمــل الشعــر

شـفيـق معلـوف

عــبــــقــــريٌ نـــفـــرشُ الـــتـــبْـــر لهُ
ولــو اســطَــعْــنــا فــرَشْــنــا المُــهَــجَــا
وانـــدفـــعْـــنـــا زغـــردات في المـــدى
نـــقـــحم الـــريح ونـــطـــوي الـــلُّـــجـــجـــا
وحَـــمَـــلَـــنـــاهـــا إلى سُـــدّة مَن
أرقص الـــعـــقـــد وهـــز الـــدُمـــلـــجُـــا
سلْ شـفـاه الـغـيـد تـهْـمُسْ بـاسـمه
كـلـمـا شيء عـلـيـهـا اخـتـلـجـا
واســـأل «الـــبـــرق» الـــذي عن قـــومه
زُجّ ســـهْمُ الـــفـــجـــر في قـــلبِ الـــدجى
أخـــطـــليُّ الـــكـــأس شـــوقيُّ الـــطلا
عُـــمـــريُّ الـــبثّ سِـــحْـــراً وشـــجـــا
أملُ الـــشـــعـــر المـــرُجَّى يـــوم لمْ
يـــبق لـــلـــشـــعـــر بـــقـــيّـــاتُ رَجَـــا

****

■ نشرت في الكتيب الخاص الذي صدر بعد وفاة الأخطل الصغير.

ابـــــــ

# الأخطل الصغير

**سعيد عقل**

ذكـــرى ألا اشـــمخ مـــا تـــشـــاءْ
يـــا أرزُ وافـــتـــرشِ الـــعـــلاءْ
ذكـــرى تـــقـــولُ مـــتـى، إلى
لـــبـــنـــانَ، ذاك الـــتـــاجُ جـــاء
حجَّ الـــعـــظـــام! كـــأنّـــمـــا
حـــمـــلـــوا الـــضـــيـــاء إلى الـــضـــيـــاء
لإخـــالـــهـمْ قـــالـــوا: يـــفـي
بـــالـــشـــمس بُـــدَّاعُ الـــبـــهـــاء

☆☆☆☆☆

هُمْ بـــايـــعـــوك؟ قَـــدَرْتُـــهمْ
أنـــا، بـــاسم لـــبـــنـــانَ، الـــوفـــاء
كـــنت الـــسـفـيـــرَ مـــتى الـــسـفـا
رةُ شـــدُّ مـــا شـــدَّ الإبـــاء
ألـــيـــوم بـــين الـــشـــرق والـــشـــر
قِ - اكـــتـــئبْ قـــلـــمي - جـــفـــاء
والـــشـــرق في عـــهـــديـــكـــمـــا،
«شـــوقي» وأنت ، صـــدى ســـمـــاء

☆☆☆☆☆

انـــفض غـــبـــار الـــقـــبـــر، وامـ

ـــــتـــــطه جـــــواداً مـن ســـــنـــــاء

اغـــــزُ المـــــواجـــــدَ، أغـــــزل الـ

غـــــزلـــــين، وجـــــهك ضـجَّ مـــــاء

كـــان الـــتـــغـــزُّل، قـــال، يـــو

مـــــة غـــلَّف الـــوجْه الحـــيـــاء

عـــنك انـــتـــهـــرتُ أولي الـــعُـــرو

ش أنِ الـــعـــروشُ هي الـــعـــطـــاء

لـــكم انـــتـــهـــاءٌ والـــقـــريـ

ـضُ إمـــــارة لا لانـــــتـــــهـــــاء

**سعيد عقل**

****

# فقيد الشعر الأخطل الصغير

**جورج الكعدي**

(لاباز – بوليفيا)

مـــات في الأرز عـــبـــقـــري المـــشـــاعـــرْ
فـــاذرف الـــدمع كـــالـــســـيـــول الحـــوادرْ
وانـــعِهِ لـــلـــســـمـــاء لـــلـــملأ الأعـ
ـــلى لـــنـــور الـــضـــحى لـــكل الـــزواهـــر
لـــلـــحـــسَـــاســـين في ربى الأرز تـــز
قـــو لمـــهـــا الـــشـــام لـــلـــشـــوادي الـــشـــواعـــر
لـــلـــريـــاض الـــغـــنَّـــاء لـــلـــغـــابـــة الـــشـــجـ
ـــراء لـــلـــنـــهـــر لـــلـــخـــمـــيل الـــزاهـــر
لـــلـــقـــيـــاثـــيـــر لـــلـــكـــؤوس عـــلـــيـــهـــا
خـــمـــرة الـــوحي من كـــروم الـــعـــبـــاقـــر
خـــمـــرة الـــوحي كم ســـقـــاهـــا نـــفـــوســـاً
ســـادرات لـــدى الـــوجـــود حـــوائـــر
تـــتـــغـــنـــى بـــأمـــة الـــعـــرب حـــتى
شـــعـــره أرقص الـــنـــهى والمـــنـــابـــر
وهـــداهـــا الى طـــريـــقٍ ســـويٍّ
فـــمـــضت تـــنـــشـــد الـــغـــوالي الـــذخـــائـــر

■ الأديب، تشرين أول، ١٩٦٨، ص٤.

وأثـــار الحـــســـان شـــدو شـــجْيٍ
رددته من الحِـــسَـــان، الحـــنـــاجـــر
مـــالك الـــيـــوم قـــد ســـكتَّ عن الـــتـــغـ
ـريـد واخـتـرت ضـجـعـةً في الحـفـائـر
من يـعـزّي الـريـاض صـوَّحـهـا الحـز
ن وحـــالت إلى وجـــوم المـــقـــابـــر
والـــنـــجـــوم الـــتي رعـــيت طـــويلاً
لـــفَّـــهـــا الـــبث في ظلام الـــديـــاجـــر
صـــرعـــة هـــزت الـــشـــام ولـــبـــنـــا
ن ونـــاحت مع الحـــجـــاز الجـــزائـــر
وعـــلى الـــنـــيل لـــوعـــةٌ وشـــجـــون
وعـــلى دجـــلـــة قـــلـــوبٌ ســـواعـــر
وفـــلـــســـطـــين في نـــشـــيج ممضٍّ
شـــلَّـــهـــا الحـــزن والجـــدود الـــعـــواثـــر
نم هـــنـــيـــئـــاً فـــلـــن تـــضـــيع بلاد
قـد عـقـدنـا عـلى فـداهـا الخـنـاصـر
لن تـضـيع الحـقـوق في غـضـبـة الـشـعـ
ـب ولن تـكـهم الـسـيـوف الـبـواتـر
أمـــة الـــعُـــرْب لن تـــزول عـــلى الـــدهـ
ـر وفي الـقـوم يـقـظـة في الـضـمـائـر
فـابـعث الـشـعـر في غـنـاهـا شـروداً
وأثـــره عـــواصـــفـــاً وقـــنـــابـــر

كـرمى عـين الـفـقـيـد من نـظم الـشـعـ

ـــر عـــقـــوداً لجـــيـــدهـــا، والجـــواهـــر



ســـأغـــني أمـــجـــادهـــا كل يـــوم

بـــقـــصـــيـــد في كل نـــاد وســـامـــر

وأوالي الجـــــهـــــاد حـــــتى أراهـــــا

حـــرة الـــنـــفس لا تـــلـــين لجـــائـــر

**جورج الكعدي**

✱✱✱✱

ابـــــــ

# قيثارة الهوى والشباب(*)

أسد موسى

مِـعـزفَ الحب احـتـجب لا تـبـخلِ
آثَـرَ الـصـمت هـزار المحـفلِ
من لأوتـارك إن يـدعُ الـهـوى
عُـصب الـعـشـاق بـعـد الـبـلـبل
شـاعـر كي يـطـرب الأرض غـزا
فـاسـتـبى إنـشـاد أجـواق الـعـلي
فـأدار الـشـعـر لحـنـاً فـاتحـاً
في الحـنـايـا كل قـلب مـقـفل
وجـنى الخـمـرة شـهـداً من لمى
كل بـكـر في الـربـيع الأول
نـزلت صـرفـاً عـلى دن «الـهـوى
والـشـبـاب» الـبـابـليِّ المـنـزل
فـإذا مـا عـبّـهـا عـاصي المـهـا
هـام في لـيل الـغـرام الألـيل
سِـحْـر هـاروت تلاشى دونـهـا
اي سـحـر مـثل سـحـر «الأخـطل»؟

☆☆☆☆☆

■ المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩ ، العدد ١٥٠ ، السنة ١٤

* ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير الذي أقامته (جامعة القلم) في البرازيل.

يـــا رســـول الـــضـــاد في لـــبـــنـــانـــهـــا
وخـــتـــــام الـــبـــلـــغـــاء الأفـــحـل
شـــيّـــعت أحلامـــهـــا خـــاتـــمـــة
بك أمـــجـــاد الـــرعـــيل المـــفـــضل[1]
فـــانـــطـــوى عـــهـــد الـــقـــوافي رفَـــلَت
بـــالـــقـــشـــيب الـــيـــعـــربيّ الأجـــزل
وغـــدا الـــشـــعـــر هـــجـــيـــنـــاً نـــدَّ عن
مـــنـــطق الـــعـــرب المـــعمّ المخـــول
ولـــغَتْ فـــيه رطـــيـــنى عـــصـــبـــة
تـــلـــبس الـــتـــجـــديـــد أبـــلى مـــبـــذل
يـــحـــتـــذي الـــغـــرب لـــقـــاطـــات نَـــبَتْ
عن تـــبـــنـــيـــهـــا فـــصـــاح المـــقْـــوَل
تـــنـــفـــر الـــفـــصـــحى إذا عـــاجت بـــهـــا
نـــفـــرة الحـــرة من مُـــســـتـــرذل
أرزَ لـــبـــنـــان انـــتـــفض طـــال الـــكـــرى
فـــغـــدا الخـــفـــاش رب المـــنـــزل
كـــيف تـــرضـــاه جـــواءٌ نـــســـرهـــا
حط في روق الـــســـمـــاك الأعـــزل
يـــا لـــهـــا من غـــمـــرة حـــان لـــهـــا
عن ربى إلـــهـــامـــنـــا أن تـــنـــجـــلي

(١) هكذا في الأصل.

نم حـــبـــيب الـــعُـــرْب في أنـــقى ثـــرى
متّ لـــلـــخـــلـــد بـــحـــلي وحُـــلي
إرثك الـــغـــالي عـــلى الـــدهـــر لـــنـــا
آيـــة الـــشـــعـــر وهـــدي المـــرسل
مـــا ثـــنى لـــبـــنـــان عـــنه عـــاثـــر
هـــام في الـــرمـــز هـــيـــام الأخـــبل
فـــغـــصـــون الأرز لا تـــهـــوى ســـوى
بـــلـــبل غـــنى الـــعـــلى أو أجـــدل

أسد موسى

****

ابـــــــ

# لبنان العنادل

**بديع شبلي**

أطل الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)، بلبلا ملأ الشرق صداحا دافئا، فغنى الحب فأسكره، وناجى الحرف فأطربه، فتبسم مجداً على مشارف الأرز، وخفق علماً على ذروات المشرقين، يرجع صوته رنين الكؤوس، وبحات الأوتار، وصيحات الأبطال المستشهدين، فهلاّ يفيه شعري، وجرس الحروف، ورفيف الكلمات، وشفيف التفكير، بعض ما له عليها وعلي؟

**مـــررتَ عـــلى الـــطـــروس مـــرور ريّـــا**
**فـــكـــنت ومـــا تـــزال هـــوى شـــقـــيّـــا**
**خـــلـــعتَ الـــطـــيـــلـــســـان عـــلى بـــيـــاضٍ**
**فـــجـــرَّ ذيـــولـه شِـــعـــراً ســـويـــا**
**أتـــاك الأيك يـــغـــمـــره ســـكـــون**
**فـــعـــاد يـــردد الـــطـــرب الـــشـــجـــيـــا**
**الى أن ســـالت الأفـــنـــان ســـكْـــراً**
**ولم تـــتـــرك بـــهـــا غـــصـــنـــاً غـــبـــيـــا**
**وأخـــشـــاب المـــنـــابـــر كم تـــبـــاهت**
**تـــرنم صـــمـــتـــهـــا نـــغـــمـــاً ســـخـــيـــا**
**وكم شـــفـــة تـــشـــهَّت رشف كـــأسٍ**
**هـــدرت نجـــيـــعـــهـــا الـــقـــاني ضـــحـــيـــا**
**وكم من ديمـــة ســـكـــرى حـــنـــينٍ**
**تـــثـــيـــر الـــدر تـــقـــطـــره بـــهـــيـــا**

☆☆☆☆☆

■ الورود، أيار ١٩٦١، ج٩، السنة ١٤.

ونـــاجـــيت الـــصـــخـــور حـــديث وردٍ
فـــهـــز الـــصـــخـــر ورداً مـــخـــمـــلـــيـــا
وحـــرفك إن تـــنـــهـــد، يـــا لـــســـحـــرٍ
يـــهل الـــطـــيب من حـــرف شـــذيـــا!
وتـــاقـــته الـــعـــذارى مـــشـــرعـــات
شـــفـــاهـــاً يـــشـــتـــهـــين دمـــاً زكـــيـــا!
ولمـــلـــمن الجـــديل حـــصـــاد عـــمـــر
وأحلام، وعـــلَّـــقن الحِـــلـــيَّـــا
ورنَّـــحْن المـــزاهـــر عـــازفـــاتٍ
نـــداء الحب يـــزهـــو عـــبـــقـــريـــا



هـــواك ســـمـــاؤه ورد تـــهـــاوى
وشـــوك الـــورد نـــور عـــســـجـــديـــا
يـــراعك إن تـــقـــطَّـــر حـــبـــر غـــيظ
كـــجـــيشٍ ثـــار يـــســـمـــعك الـــدويـــا
كـــإعـــصـــار الـــضـــيـــاء، يـــبـــيـــد لـــيلاً
يـــخـــوض الـــطـــرس، في غـــضب، كـــمـــيـــا
وجـــدَّدتَ الـــقـــريض هـــوًى وخـــمـــراً
فـــمـــاج الـــســـبك فـــيه بـــحـــتـــريـــا
عـــرفـــنـــاك افـــتـــرار الـــروض لـــونـــاً
وعَـــرْف الـــروض فـــوّاحـــاً ثـــريـــا
طـــلـــعت تـــذرذر الأضـــواء حـــتى
تجـــلَّت ومـــضـــة مـــنـــهنَّ فـــيـــا
زرعت الـــشـــوق من حـــبـــات قـــلب
كـــســـون جـــديـــبه ثـــمـــراً جـــنـــيـــا
عـــكـــاظ قـــد بـــعـــثت الـــشـــعـــر فـــيـــهـــا
فـــكـــان غـــوى، وكـــنت به غـــويـــا

تـخـصـلـه عـلـى الـدنـيـا تـراثـاً
تـهـادى في مـطـارفه غـنـيـا
لجـرح الـقـدس[1] فـيـه بـدت جـراح
فـأمـسى في مـبـاهـجه بـكـيـا!
وصـوت المـسـجـد الأقـصى نـحـيبٌ
وكـوكب هـديـنـا أمـسى دجـيـا
ويـوم الـشـام[2] قـد شـيـدت بـرجـاً
من الـصـلـبـان تـيّـاهـاً عـلـيـا
لـبـيت الـضـاد، لا يـعـلـوه عـرش
وبـالـتـنـزيل أضـحى مـسـجـديا

☆☆☆☆☆

صـحـارى الـرافـدين حـسـبْن قـيـسـاً
ولـيلاه ومـبـسـمـهـا الـسـنـيـا
غـداة طـويـتـهـا يـوم الـزهـاوي[3]
يـجـاذبـهـا الحـنـين شـجى أبـيـا
كـثـيب راح يـسـتـهـوي كـثـيـبـاً
كـثـغـرٍ غـاص في ثـغـرٍ قَـصـيّـا
زنـابق في هـوادج بـاسـمـات
سـكـبن الـطـيب عن طـيب شـهـيـا

☆☆☆☆☆

(١) إشارة الى قصيدته (تحية فلسطين)
(٢) إشارة الى قصيدة الأخطل وعنوانها «على ضفاف بردى» قال:
رفـعـوا الـشـآم عـلـي الـصـفـائح والـنـدى
وبـنـوا من الـصـلـبـان بـيت الـضـاد
(٣) وقال: في قصيدته في الزهاوي:
يـتـسـاءلـون وقـد رأوا
قـيـس المـلـوح في شـحـوبي

ألـــبـــنـــان الـــعـــنـــادل! أي صـــوت
ولم تـــنـــشـــره ســـحـــرا بـــابـــلـــيـــا؟
ألـــبـــنـــان المـــشـــارق! أي مـــجـــدٍ
أثـــــيل لم تـــــرتـــــلـه رويـــــا؟
ألـــبـــنـــان الجـــراح! وأي جـــرح
بـــقـــدسك، لم تـــضـــمـــده طـــريـــا؟
كـــأن الـــلـــه أنـــزلك ابـــتـــســـامـــا
وشـــعـــراً، لا يُـــبـــارى، أخـــطـــلـــيـــا



جـــوارحك الـــرهـــاف رفـــيف وجـــد
وشلال تـــكـــسَّـــر لـــؤلـــؤيـــا
عـــلى صـــلـــد يـــســـلـــسـله عـــبـــيـــراً
ويـــطـــرحه بـــســـاطـــا ســـنـــدســـيـــا
قـــريـــضك مـــوسم الأعـــيـــاد يـــبـــقى
كـــرشِّ الـــزهـــر يـــنـــدى عـــنـــبـــريـــا
عـــلـــيك الـــوحي آن الـــشـــعـــر يـــهـــمي
مـن الأبـــعـــاد، بـــلّـــورا هـــويّـــا!
إلـــيك الأرز خفَّ بمـــجـــد تـــاج
الـــيك الـــتـــاج أرْزاً ســـرمـــديـــا
تـــكـــســـرت الـــرمـــاح حـــطـــام دهـــر
ويـــبـــقى الـــدهـــر رمـــحـــاً ســـمـــهـــريـــا
بـــعـــيـــدك قـــد ســـفـــحت شـــذى «ورودي»
ورويت الـــــدنـــى دنَّـــــاً مـــــلـــــيـــــا

**بديع شبلي**

# خبـا البــرق

نبيه سلامة

خـــيـــالـك مـــا لـه في الأفق حـــدُّ
وشـــعـــرك مـــاله في الـــشـــعـــر نِـــدُّ
ســمـــوت الى الـــقـــريض فـــكـــنت فـــيه
أمـــيـــراً حـــولك الـــشـــعـــراء جـــنـــد

☆☆☆☆☆

تجـــاوَبَ في الـــبـلاد صـــدى نـــعيٍّ
كـــأن خـــفـــيَّه في الـــســـمع رعـــد
خـبـا «الـبـرق» الـذي بـهـر الـبـرايـا
وأخـــفق مـــرقمٌ ونـــبـــا الـــفـــرنـــد
تـعـلَّق بـالـعـروبـة واصـطـفـاهـا
وقـــال بـــحـــمـــدهـــا مـــا لا يُـــعـــد
وأنـشـد في مـحـاسـنـهـا نـظـيـمـاً
تـــنـــازع طـــيـــبه خـــمـــر وشـــهـــد
فـــلـــيس الأرز من يـــبـــكي حِـــداداً
بـــكل مـــديـــنـــة نـــوحٌ وحـــد
بـلاد الـــعـــرب دامـــيـــة المـــآقي
وبـــين ضـــلـــوعـــهـــا ألمٌ ووقْـــد
إذا هـــبت عـــلـى الـــربـــان ريح
فـــكل الـــركب لـــلـــبـــلـوى مـــعـــد

☆☆☆☆☆

■ المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩ ، العدد ١٥٠، السنة ١٤.

عـــجـــبت لمن تـــربع في الأعـــالي
يـــدحـــرجه لجـــوف الأرض لحـــد
وتـــزدحم الـــصـــخـــور لـــكـــبت صـــوت
كـــأن الـــصـــخـــر لـــلـــصـــدّاح قـــيـــد
ومـــا حـــجـــروا الـــطـــيـــور عن الـــتـــغـــني
وفي أقـــفـــاصـــهـــا الأطـــيـــار تـــشـــدو
فـــأنت تـــظل أنت كـــمـــا عـــهـــدنـــا
وبـــنـــدك في ذرى الإلـــهـــام بـــنـــد
تـــصـــعِّـــد من ظلام الـــقـــبـــر نـــوراً
يمـــور بـــضـــوئه ســـهل ونجـــد
بـــحـــقك هل نـــظـــرت الى الـــصـــبـــايـــا
يـــقـــرِّح جـــفـــنـــهـــا دمع وســـهـــد
وكـــنت بـــحـــبـــهن صـــريع لـــيـــلى
وهن إلـــيك أعـــنـــاق تُـــشـــد
وكم أســـمـــعت فـــاتـــنـــة مـــديـــحـــاً
فـــأشـــرق وجـــهـــهـــا وازور نـــهـــد
كـــأن الـــفـــاتـــنـــات من الـــعـــذارى
فـــراشـــات تحـــوم وأنت ورد
بـــديـــعك لـــلـــحـــســـان نـــدى رطـــيب
وهن لـــقـــولك الـــفـــتـــان صـــيـــد

تـــثـــاءبت الـــكـــؤوس فـــمن الـــيـــهـــا
وبـــيـــنـــكـــمـــا مـــخـــادنـــة وود
فـــمن رشـــفـــاتـــهـــا لـــلـــجـــسم روح
ومن نـــيـــرانـــهـــا لـــلـــروح بـــرد

تشعشع كالنجوم فتلتقيها
كطفل لارتشاف النهد يعدو
كأن رضابها مفتاح أفق
وفي الآفاق للشعراء ورد
وما ظفرتْ بباب السر يوماً
ومنها قد ظفرت بما تود



تطالعنا بشعر عبقريٍّ
عليه من نسيج الوحي بُرْد
تعالج ما تشاء من القوافي
وتمتلك القلوب وتستبد
دماغك روضة والشعر زهر
وروضك في جنان الحسن فرد
توزعه على الآفاق عطراً
يفوح عبيره ويضوع ند
وإن سئل البيان عن المجلّي
تشير اليك ألحاظ ويدّ

قحمْتَ خزائن التاريخ تسعى
الى خير التراث وتسترد
جليسك في الشراب «أبونواسٍ»
وحبك من هوى «عمر» أشد
صحبت «البحتري» على صعيد
تمدّه بالبديع وتستمد

ولم تكُ دون «أخطلك» انتفاضاً

ورب مشبَّه كالشبه يغدو

أعدت لعصرنا كنز القدامى

فأسفر بعد طول الحجْب مجد

نسور الشعر حبات بعقد

وضمك بينها للخلد عقد

نبيه سلامة

****

# فكنت كطود للبيان على طود

**فيليب لطف الله**
رئيس جامعة القلم – البرازيل

أمـــيـــرٌ وهل بـــعـــد الإمـــارة من مـــجْـــدِ
فـتـعـلـو عـلـى الأمـجـاد مـجـداً عـلـى مـجـدِ
أمـيـــرَ الـــقـــوافي كم جـــديـــد نـــســـجـــته
فـــجـــاء فـــريـــداً زاهـــيـــاً نـــاصع الـــبـــرد
وكم غـــادة حـــســـنـــاء حـــين جـــلـــوتـــهـــا
تـــبـــدت لـــنـــا «فـــيـــنـــيس» بـــالحُـــسْن والـــقـــد
رســمت ورود الـــروض طـــيـــبـــاً ونـــضـــرة
فـــبـــان جـــمـــال الـــروض بـــالـــطـــيب والـــورد
وأبـــدعت في فـــرخي حـــمـــام لـــنـــاهـــدٍ
فـكـادت تـمس الـكف تـكـويـرة الـنـهـد
وعـــلَّـــمت بـــالجـــفن الـــكـــحـــيل وغـــزله
مـــحـــبـــاً فـكـان الـغـزل مـجـلـبـة الـسـهـد
وبـح نـــــداء الحب في قُـــبَل الـــــهـــــوى
تـــبـــادلـــهـــا الـــعـــشـــاق كـــالمنّ والـــشـــهـــد
تـــكـــاثـــرت الألـــوان في شـــكل قُـــبـــلـــةٍ
مـطـيّـبـة مـعـسـولـة الـثـغـر والخـد
وخـضـت بـحـار الحب في وصف غـيـدهـا
فـــجـــاشت بـــحـــار الحب بـــالجـــزر والمـد

■ المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩، العدد ١٥٠ ، السنة ١٤، ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير الذي أقامته (جامعة القلم) في البرازيل..

فكم عاشق في البحر ألقى سفينه
فشقّ عباب اليمّ بالحب والوجْد
فعهدك عهد الشعر والحب والصبا
ظهرت أميرَ الشعر أعجوبة العهد
وصفت جمال الأرز في سفح طوده
فكنت كطودٍ للبيان على طود
وألبسْتَهُ بُرداً من الشعر خالداً
تألق بالإشعاع والحُسن والسعد
لئن كان نور الشعر هدياً وحكمة
فمثلك موهوب ومثلك مَنْ يهدي
فيالك فناناً من السحر صنعهُ
تفرَّدتَ بالإلهام كالجوهر الفرد
تفوقت حتى أصبح الشعر نغمة
يرددها العشاق في القرب والبعد

حلوت على الأفواه لحناً مردداً
يطيب على الأسماع والقلب والكبد
ملكت يراعاً ليس للسيف فعله
رهيفاً ليوم الضيم يقطع في الغمد
فإن رمته للسلم كان رسالة
وللحرب سيفاً ماضياً قاطع الحد
خدمت به الأعراب بالعُرْب مؤمناً
بأن بلاد العرب منبتة الأُسْد
وأن حماة العرب عرب أشاوس
ستُرفع للأعراب ألويةُ المجد

وأن جـيـوش الـعـرب عـقـد مـنـظم
وحـبـاته الـرأي المـسـدّد بـالـرشـد
فـبـان لـنـا بـالجـهل قـيـدتْ لـيـوثه
وأضـحى بـسـوء الـرأي مـنـفـرط الـعـقـد
ولـكن عـلـى الأيـام لـلـثـار ثـورة
تـوحـد فـيـنـا الـرأي بـالحـزم والحـشـد
فـتـقـضي عـلى صـهـيـون في عـقـر دارهـا
مـشـتـتـة الأهـداف والـشـعب والـقـصـد

نـظـمت فـجـاء الـشـعـر دراً مـنـضَّـداً
وإن جـمـال الـشيء يـظـهـر بـالـضـد
أطـال الأُلى في الـنـظم ذيل قـصـائـد
ولـيس يـقـاس الـشـعـر في كـثـرة الـعـد
فـمـا الـشـعـر إلا مـا يـهـز شـعـورنـا
ويـنـفـذ طي الـنـفس بـالـدفء والـبـرد
هـو الـسـحـر والإلـهـام والحب والـوفـا
بـهـا طـوقـتك الأم بـالـصـدر والـزنـد
رضـعت حـلـيب الـوحي من طـيب ثـديـهـا
فـغـذيـتـهـا نـفـساً من المـهـد لـلـحـد
خـلـقت أمـيـر الـشـعـر بـالمـهـد شـاعـراً
يـرافـقك الإلـهـام من هـزة المـهـد
وخـلـفت لـلـفـصـحى تـراثـاً مـخـلـداً
فـأجـرك عـنـد الـلـه في جـنـة الخـلـد

فيليب لطف الله

ابيض

# ويستطيل على أحرارها الدخل

جورج رشوان

قالوا «دهى للعرب دهياء» فقلت لهم
لا يأس فالدهر في أحواله دولُ
وكل ما السيف في الهيجاء يأخذه
يُرد بالسيف والأشياء تنتقل
قالوا «أشد وأدهى» قلت هل سكنوا
الى الهزيمة واستهواهم الفشل
قالوا «هي الضاد ثكلى» قلت ويحكم
إذاً ببلبنان هذا الحادث الجلل
وهل بغير أمير الشعر فاجعة
تهتز من وقعها الأقطار والدول

☆☆☆☆☆

نعاه للعَرب الناعون فازدحمت
في بابه الرّجْل والركبان والرسل
مضى وساعة واروه بحفرته
بكى «الهوى والشباب» الغض والغزل
وللقوافي انقباض عند مصرعه
وطالما كان يدعوها فتمتثل

■ المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩ ، العدد ١٥٠، السنة ١٤، ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير الذي أقامته (جامعة القلم) في البرازيل..

تـلك الـقـوافي الـعـذارى حـين أرسـلـهـا
سـارت كـمـا سـار مـا بـين الـورى المَـثَل
طـلـيـقـة كـلـمـا الحـادي يـرددهـا
تـكـاد تحـدو مع الحـادي بـهـا الإبل

مـضى الأمـيـر كـبـيـراً مـثل سـالـفه
مَنْ لـلـخلافـة هل بـاقٍ لـهـا أمل
وإن تـكن فـيـهـمـا صـحّت مـبـايـعـة
فـهل تـصح غـداً؟ أم تـأمـر الخـول
عـجـبت لـلـشـعـر لا يـلـغي إمـارته
وقـد تـخـالـطت الأجـيـاد والـهـمل
إن كـان لـلـشـعـر أن يُـغـزى بـدولـته
ويـسـتـبـاح إذاً فـلـيـسـلم الـزجل
ولـيـسـقط الـشـعـر لا وزن ولا نـسق
ولا قـوافٍ ولا حِـلْـيٌ ولا حـلـل
ذاك «الجـديـد» الـذي سـمَّـوه مـعـجـزة
وجُلُّ مـا فـيه فـنـاً أنه جـمل
تـأبى عـلـيـنـا الـقـوافي أن نـتـيح له
فـسـحـاً بـنـا كـره الـشـذّاذ أم قـبـلـوا

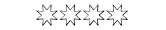

مـضى ومـأسـاته الـكـبـرى بمـا احـتـمـلت
أم الـلـغـات من الـفـوضى وتحـتـمل
غـنـى الـعـروبـة حـراً في عـروبـته
وكم عـروبـة قـومٍ نـصـفـهـا زغل

أدى الـنـصـيـحـة لا يـبـغي بـهـا جـملاً
فـلـم يـبـالـوا بمـا أدى ولا حـفـلـوا
رأى الـعـروبـة تـشـقى في حـمـاسـتـهـا
الـوفق يـعـوزهـا لا الـسـيف والـبـطل
والـقـدس في قـبـضـة الـطـاغـين شـاخـصـة
الى الحـدود وقـد ضـاقت بـهـا الحـيل

بـكى وأغـمض عـيـنـيه يـودعـهـا
وقـال أرحل عـنـهـا كـالأُلى رحـلـوا
ولا أرى الـعـلج يـلـهـو في حـرائـرهـا
ويـسـتـطـيل عـلى أحـرارهـا الـدخل

**جورج رشوان**

«ريو دي جانيرو»

✱✱✱✱

ابـــــــ

# شاعر الأحلام

## على ضريح الأخطل الصغير

زكي قنصل

لا الشمس هاويةٌ ولا الهرمُ
الثاكلان الحرفُ والقلمُ
سكت الهزار، فكل مصطفق
في الروض يخنق صوته الألم
وخبا الشعاع فكلنا وجِفٌ
وذوى الربيع فكلنا وجم
قالوا قضى من عمره وطراً
فأجبتهم لا يهرم النغم
لبكيت لو أحيا البكاء رجا
لاً أن يردّك مدمعٌ سجم
ما أبخل الدنيا لآملها
خاب الذي بالوهم يعتصم
تعطي وتندم دونما حرج
ما ضرَّ لو لم يثنها ندم
ما أن ترف ندى وعافية
حتى يوجّ بشدقها الضرم
حسناتها غيْمٌ ولا مطر
وشرورها في لطفها حمم

---

- المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩ ، العدد ١٥٠، السنة ١٤
- ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير الذي أقامته (جامعة القلم) في البرازيل.

صبَّتْ على الشعراء نقمتها
فالأرض مسبعة وهم غنم
يزهو عليهم بالريال عمٍ
ويسوطهم بغروره قزم
يعطون مما في قلوبهمُ
أين الذي يعطي ويبتسم؟
يعطون ثم يُعقّ فضلهمُ
يا ليتهم يا ليتهم عقموا
خُدِعوا بأوهام الخلود، فهل
يروي السراب ويُحمد الورم
خلقوا عوالم من خيالهم
زهراء بالأضواء تتسم
الحب في مملكوتها ملَكٌ
والحسن في محرابها صنم
لا مكر لا بغضاء لا حسدٌ
في رحبها، لا نهب لا نهم
لا عبد يخشى سوط سيده
لا سيد في العبد يحتكم
الأرض دارٌ في شريعتهم
والناس أهل الدار وانقسموا

⁂

يا شاعر الأحلام هل رقصتْ
إلا على نغماتك الأكم
دنيا العروبة كنت بلبلها
تشدو فتضحك مقلة وفم

غـنـيـتـهـا مِ الـشـعـر أعـذبه
لا يـسـتـوي الـشـحـرور والـرخم
نجـواك في الـسـراء قـافـيـة
تـنـدى، وفي الـضـراء تـضـطـرم
وزعت قـلـبك في مـنـاكـبـهـا
وكـذا يـكـون الـشـاعـر الـعـلم
الـعـبـقـريـة لا حـدود لـهـا
فـلـيـخـجل الـنـعّـاب ولْـيَـجـمـوا
هل يُـحـصـر الـشلاّل في قـدح
هل تـكـتـفي بـالحـقـلـة الـدّيَم؟
جـمـعتْ ديـار الـعـرب عـاطـفـة
في الـنـائـبـات ولـهـا رحم
من كـان يـزعم أنـهـا اخـتـلـفت
هـدفـاً فـقـد زلت به الـقـدم
الـفـرق في الأشـكـال مـنـحـصـر
كـالجـود من أسـمـائه الـكـرم
آيـات شـعـرك لا نـفـاد لـهـا
وخـنـافس الـرمـزيـة انـصـرمـوا
فـرضـوا عـلى الأغـرار بـدعـتـهم
ثم انـطـوت وتـقـلّص الـوصم
أقـسـمت لم أسـمع سـفـاسـفـهم
إلا حَـلاَ في أذنـيَ الـصـمـم
سـاء الجـديـد وخـاب قـائـلـه
لا الـعُـرْب تـفـهـمه ولا الـعـجم

قـــولـــوا لـــهم رفـــقـــاً بـــأدمـــعـــنـــا
لم يـــــبق ثـــــأر بـــيـــــنـــــنـــــا ودم
الـــلـــه يـــرحـــمـــنـــا ويـــرحـــمـــهم
لا نـــحن أذنـــبـــنـــا ولا نـــظـــمـــوا

يـــا شـــاعـــر الـــفـــصـــحى بـــنـــيت لـــهـــا
صـــرحـــاً تـــقـــاصـــر دونه الـــهـــمم
الـــشـــمس تـــاج فـــوق مـــفـــرقه
والـــبـــدر في شـــرفـــاته عـــلـــم
هـــتـــفتْ بـــشـــعـــرك كل صـــادحـــة
واحـــتـــال في تجـــويـــده الـــبـــكم
قل لـــلـــنـــعـــاة بـــكـــيـــتمُ شـــطـــطـــاً
قـــبـــر الـــعـــظـــيم لـــقـــومه حـــرم
أبـــقى بـــنـــات الـــفـــكـــر قـــافـــيـــةٌ
وأعـــــزّ أولاد الـــــنـــــدى قـــــلـــم

**زكي قنصل**

«بوينس آيرس»

✱✱✱✱

# الأخطل الصغير

شكيب تقي الدين

معْ لفيف من موطن الأمجادِ
في بلاد عزيزة كبلادي
أقف اليوم وقفة الأدب الثوريّ
حقاً هنا وفي كل ناد
من ضميري أهديك تاريخ نفسي
ومن الفكر حصة من زادي
رمَّض الشوق قلبها فتبدت
كالدريّ الدريّ في الأنجاد
يبرق الفن في حنياتها السو
دِ ويمضي كالطيف في الأشهاد
واحدٌ يكشف البعيد منها
وأخيٌّ يحار في الأبعاد
شاعر يدفع النفوس الى الجلّى
وثانٍ يغار من كل هاد
واحد يملأ الحياة انطلاقاتٍ
وثان بكاء في الأعواد
وعلى كل مورد يرصد اليأس
ضعاف النفوس والاكباد

---

- المراحل البرازيلية، كانون الثاني ١٩٦٩، العدد ١٥٠، السنة ١٤
- ألقيت في حفل تأبين الأخطل الصغير الذي أقامته (جامعة القلم) في البرازيل.

شـــاعـــري لـم تـــكن وحـــقك إلا
عـــبـــراً من خـــزائن الأجـــداد
وعـرفـنـاك مـوردا فـاسـتـقـيـنـا
مـبـدأ الـشـعـر بل لـظـاه الـشـادي
وسـمـعـنـاك مـنـشـداً فـسـكـتـنـا
كـيف نـبـكي عـلى المـنى كـالـعـادي
ونـــصـــلّي وألف ألـف مـــصـــلًّى
كـــحـــيـــارى الأيـــام في الآمـــاد

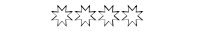

مـوطن الأرز مـعـهـد عـلَّم الـصـب
ـــرَ وحب الجـــمـــال في الأضـــداد
يـقف الـفن عـنـده حـاسـر الـرأ
سَ جـلـيّـاً كـغـدوة الـورّاد
ويـنـادي من أصـغـريه مع الـفـجـ
ـرِ سـعـيـداً نـام الخـليّ يـنـادي
يـا جـمـال الـصـبـا المـنـمـنم في الـصـيـ
ـف عـلى لحن صـبـوة الحـصَّـاد
يـا جـمـال الـشـتـاء في مـوقـد الـذكـ
ـرى عـلى لحن قـصـة الـعـوّاد
يـا جـمـال الـربـيع في الحـدر الـضـا
في حـيـاءً عـلى ضـمـيـر الـصـادي
نـحن قـوم يمـضي الـزمـان ونـبـقى
من ضـمـيـر الـزمـان بـالمـرصـاد

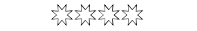

ويك يـــا أخـــطل الـــصـــغـــيـــر أمـــا
كـــنت لـــنـــا مـــوعـــداً عـــلى مـــيـــعـــاد
دولـــة الـــشـــعـــر في يمـــيـــنك شـــاد
الـــفـــكـــر مـــنـــهـــا مـــدافع الـــطـــرَّاد
وتـــــنـــــادي مع الحـــــيـــــاة ولـــــكن
رائـــد الـــفن عـــبـــرة في الـــتـــمـــادي
كل شـــعـــر لا يـــقـــلب الـــوضع بـــاق
في رقـــــاع الأوضـــــاع والأجـــــســـــاد
يـــتـــغـــنى به المـــقـــيـــمـــون في الـــنـــز
عِ حـــيـــاء وأســـوة بـــالحـــادي
والـــغـــنـــاء الحـــيّ كـــالـــدفء والـــســـلـــوى
ومـــــوج الحـــــريـــــر في الآحـــــاد
كل فـــكـــر لا يـــخـــدم. الـــنـــور والـــنـــا
رَ حـــــريٌّ بمـــــعـــــدن الأصـــــفـــــاد
وحـــــري بـــــأن نُـــــحـــــال الى وا
دٍ كـــبـــيـــر يـــئن من أطـــواد

رِيَش الـــفن كـــالخـــطـــاطـــيف يـــذكـــيـ
ـــهـــا ســـبـــاق معْ شـــوقـــهـــا الـــوقّـــاد
فـــإذا مـــا هـــوت عـــلى مـــتـــعب الـــغـــا
ب أثـــــارت غـــــرائـــــز الحـــــسَّـــــاد
فـــاســـتـــفـــاقت من الـــذهـــول وقـــد شـــدْ
دَت عـــلـــيـــهـــا تـــطـــفل المـــرّاد

فـتـرى الـغـاب يـسـتـعـيـد مع الـفنْ

نِ حـيـاة نـشـيـطـة بـالـتـنـادي

وعـــــلى كـل ربـــــوة من ربى الأر

ضِ جـــمـــال الـــطـــرائـــد الآســـاد

وعـــلى كل مـــشـــرع جـــذوة الحبْ

بِ وحـــقـــد المـــنـــسيّ في الأغـــمـــاد

شكيب تقي الدين

****

# عِقْدٌ مِنَ القُبُلاتِ ... تاجُك!

## رسالة إلى أبي

عبدالله بشارة الخوري

مَنْ كـــــانَ والـــــدُه الأمـــــيـــــرْ
في مَـــوْطنِ الـــشـــعـــرِ الـــكـــبـــيـــرْ
يـــــا ثـــــروة عَـــــزَّتْ عـــــلـــــى
مـــثـــرٍ وَعَـــزَّ بِـــهـــا فـــقـــيـــر!
إنـي وُلـــــدتُ يـــــضـــــمُّـــــنـي،
روضٌ يُـــنـــاغـــيـــنيِ غَـــديـــر
مـــا أَنْ شَـــمَـــمْتُ: فـــيـــا شَـــذىً،
مـــا أن لَـــمَـــمتْ: فـــيـــا حَـــريـــر!
هـــو عـــالمي المـــســـحـــور أحـ
ـــيـــا فـــيـهِ في جـــاهٍ أَثـــيـــر
وأنـــــا بـه - مـن قَـــــبـلِ مـــــا
كُـــوِّنْتُ - مـــغـــمـــورٌ شَـــهـــيـــر!

يـــا زارعَ الَـــعْـــيَـــنـــينِ بـــالـ
أحلام طـــارَ بـــهـــا الـــسَـــريـــر:

---

■ منشورة في كتيب خاص بذكرى الأخطل الصغير.

مـــجـــدُ الـــعـــيـــونِ، جـــمـــيـــعُهُ،
ظلٌ لمجـــــدِكَ أوْ خَـــــفـــــيـــــرِ!
مـــنْ والـــهٌ مـــــــــــــا ضَـــمَّ فـــي
عَـــيـــنَـــيْه «أخـــطـــلَه الـــصَـــغـــيـــر»؟
كـــمْ مـــن أخٍ لـــي، يـــــــــــا أبـــي،
بـــالـــوَرْدِ يَـــحْـــلفُ والـــعَـــبـــيـــر
ألـــــــقـــــــاهُـمُ فـي جـــــــانِحٍ
يـــلـــهـــو ... وفي كَـــرْمٍ يـــطـــيـــر!

عـــقْـــدٌ مِن الـــقُـــبُلاتِ .. تـــا
جُك! دُونَهُ الـــتـــاجُ الخَـــطـــيـــر:
يـــــــا أَولاً فـي الحُـبّ! يَـــــــوْ
مَ الحُبّ، في الـــنـــاسِ، الأَخـــيـــر

عبدالله بشارة الخوري

****

# القسم الثالث
# مصادر دراسة الأخطل الصغير

ابيض

# أولاً: المصــادر


أ - **ديوان الهوى والشباب**، دار المعارف، ١٩٥٣.

**ب - ديوان شعر الأخطل الصغير**، مؤسسة ألفونس بدران ودار المعارف ، بيروت ١٩٦١.

**ج - جريدة البرق**: جريدة أسبوعية ١٩٠٨ - ١٩١٤.

جريدة يوميـــة ١٩١٨ - ١٩٢٩.

جريدة أسبوعية ١٩٣٠ - ١٩٣٢.

**د - إصدارات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري:**(*)

**الأخطل الصغير - الديوان الكامل.**

**الأخطل الصغير - الأعمال النثرية.**

**الأخطل الصغير - الرسائل.**


☆☆☆☆☆

(*) جمعتها ورتبتها د.سهام أبوجودة، وأصدرتها المؤسسة بمناسبة إقامة دورتها السادسة «دورة الأخطل الصغير»، بيروت ١٩٩٨

## ثانياً : كتب خاصة به


أبوجودة، سهام، **الأخطل الصغير - حياته وأدبه**، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بيروت ١٩٩٨

برهومي، خليل، **الأخطل الصغير بين الهوى والشباب والجمال**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٣.

الحاوي، إيليا، **الأخطل الصغير شاعر الجمال والزوال**، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨١

الدهان، سامي، **الغزل**، دار المعارف، مصر، لا.ت.

شرارة، عبداللطيف، **الأخطل الصغير، دراسة تحليلية**، «شعراؤنا» دار صادر، بيروت ١٩٦٥

فؤاد، نعمات أحمد، **شاعر الهوى والشباب**، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٥٤.

قميحة ، مفيد محمد، **الأخطل الصغير حياته وشعره**، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢.

مسعد ، عمون يوسف، **فهارس البرق**، رسالة ماجستير - دائرة الدراسات الشرقية - جامعة القديس يوسف، بيروت ١٩٨٢ .

مطر ، سهيل، **الأخطل الصغير**، دار المشرق، بيروت ١٩٩١.

مطلوب، أحمد، **الصورة في شعر الأخطل الصغير**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ١٩٨٥

معوض، أ. أ، وسمير، **أجل نحن الشعراء**، ردّ على كتاب الريحاني **أنتم الشعراء** ودفاع عن الأخطل، سنة ١٩٣٣؟.

نمر، نسيب، **الأخطل الصغير، أبوعبدالله ، بشارة الخوري**، منشورات سمر، ١٩٤٨.

يس، محمد عثمان، **باليه الشاعر**، تحويل قصيدة «رثاء شوقي» إلى باليه مع مقدمة للشاعر، ص:٥-٨ ، الخرطوم ١٩٦٥.

نخبة من الكتاب والشعراء، **مهرجان أدب المهجر**، لتكريم أمير الشعراء، مجموعة خطب وقصائد ألقيت في المهرجان، ٥ تشرين الثاني ١٩٦١، في «وست هول» بالجامعة الأميركية في بيروت.

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،

**كتاب أبحاث دورة الأخطل الصغير**، ١٩٩٨، بيروت، ويتضمن (٨) أبحاث للأساتذة: أحمد قدور، إدريس بلمليح، أمينة فارس غصن، خريستو نجم، ، سالم خدادة، عبدالله الغذامي، محيي الدين صبحي، ياسين الأيوبي .

****

## ثالثاً : كتب تناولته بالبحث


أبوشبكة، الياس، **الرسوم**، «بشارة الخوري صاحب البرق»، ص٢٣-٢٧، سنة ١٩٣١ .

الترك ، نقولا، **مذكرات نقولا الترك**، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٠.

الرمادي، جمال الدين، من **أعلام الأدب المعاصر**، «بشارة الخوري»، ص: ٢٨٨، دار الفكر العربي، لا. ت .

الريحاني، أمين، **رسائل أمين الريحاني** «١٨٩٦ - ١٩٤٠»، ص: ١٤٧-١٨١، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٩.

زيادة، نقولا، **الفكر العربي في مئة سنة**، الدار الشرقية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٧.

عبود، مارون، **على المحك**: «أنقد أم حسد»، ص: ١٧-١٨، «الزهاوي، بشارة الخوري، والملاط»، ص: ٥٩-٧٥، «شعراء الفرح والترح»، ص٧٧-٨٩. «بشارة الخوري شيخ السفرة»، ص: ١٠٨- ١١٠، «قصيدة بشارة الخوري في الدندشي»، ص: ١١٧-١٢٣، «نمور، المطران، الملاط، بشارة، حبيب ثابت»، ص: ١٦٧-١٩٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٣.

**مجددون ومجترون**، «بشارة الخوري وأمين نخلة»، ص: ٣٨ -٦٠ ، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨.

عواد، توفيق يوسف، **فرسان الكلام**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لا. ت.

فياض، نقولا، **ذكريات أدبية**، محاضرات الندوة، لا. ت.

قبش، أحمد، **تأريخ الشعر العربي الحديث**، دمشق ١٩٧١.

كرم،أنطون غطاس، **مدخل إلى دراسة الشعر العربي الحديث**، «عامل الثقافة»، ص: ٢٥٥-٢٦٠، من **كتاب العيد**، الجامعة الأمريكية، بيروت ١٩٦٧.

لبكي، صلاح، **لبنان الشاعر**، «الشعر اللبناني في مطلع القرن»، ص: ٩٩، دار الحضارة ١٩٥٤ .

مروة، أديب، **أعلام الشعر العربي الحديث**، بيروت ١٩٧٠.

المقدسي، أنيس، **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة أولى ١٩٥٢ .

**أعلام الجيل الأول من شعراء العربية في القرن العشرين**، مؤسسة نوفل، ١٩٨٠.

مكارم، سامي نسيب، **الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين**، أطروحة، «بشارة الخوري»، ص: ٧٦-٨٩ ، سنة ١٩٥٧ .

الملائكة، نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، منشورات دار الآداب، بيروت ١٩٦٢.

****

## رابعاً : مراجع عامة


داغر، يوسف أسعد، **مصادر الدراسة الأدبية**، ج: ٢، منشورات جمعية أهل العلم، لبنان ١٩٥٥.

الريحاني، أمين، **أنتم الشعراء**، مطبعة الكشاف، بيروت ١٩٣٣.

**قلب لبنان**، مطابع صادر ، بيروت – لبنان، ١٩٤٧ .

طرازي، الفيكونت فيليب دي، **تاريخ الصحافة العربية**، ج: ١ –٢ ، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩١٣.

الكتاب الذهبي لمدرسة الحكمة، ١٨٧٦–١٩٢٦
يوبيل مدرسة الحكمة الخمسيني، ص:١١٥، مطابع قوزما، بيروت ١٩٢٦

معلوف، عيسى اسكندر، **دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف** ، المطبعة العثمانية، ١٩٠٧، ص: ٥٦٦، لا.ت.


****

## خامساً : مقالات المجلات العربية

**الآداب:**


«**تكريم الأدباء الأحياء**»، ٦ حزيران ١٩٦١، عدد: ٦، ص: ١

شوشة، فاروق، «**دور الأخطل الصغير في الشعر العربي المعاصر**»، ١٩٦١، عدد: ١، ص: ٣٧

عباس، إحسان، «**دور الأخطل الصغير في الشعر العربي المعاصر**»، ٦حزيران ١٩٦١، عدد: ٦، ص: ٨ –١٠و٦٢.

عبدالنور، جبور، «**ذكريات عن الأخطل الصغير**»، ١٩٦٩، عدد: ١٠، ص: ٣٤.

مروة، حسين، «**رحلة في شعر الأخطل الصغير**»، ١٩٦٨، عدد:٩، ص: ١١.

المعداوي، أنور، «**الأخطل الصغير، دراسة فنية لشعره**»، ٦ حزيران ١٩٦١، عدد: ٦، ص: ٢–٥و٦٠

«**النشاط الثقافي في العالم العربي– «ديوان بشارة الخوري**»، ١٩٥٣، عدد:٤ ، ص: ٦٧.


**الأديب:**


الأسير، صلاح، «**شاعر يتحدث عن شعراء معاصرين**»، ج:٢ السنة ٣، شباط ١٩٤٤، ص: ٢٥.

آل خليفة، أحمد محمد، «**الأخطل الصغير**»، ج:٧، السنة ٢٩، تموز ١٩٧٠، أنباء أدبية، ج:٢، السنة ٧، ص: ١٩، شباط ١٩٤٨، ص: ٦٣.

بدر ، جمال مرسي «المحامي»،
رد حول «**رائعة الأخطل الصغير**»، ج:٤، السنة ١٢، نيسان ١٩٥٣، ص:٦٦.

برقيات أدبية، عدد:٢٠١، كانون الثاني – شباط ١٩٤٣، ص:٦٣.
ج:٣، السنة ٣، آذار ١٩٤٤، ص:٦٢.
ج:٧، السنة ٣، تموز ١٩٤٤، ص:٦١.
ج:٨، السنة ٣، آب ١٩٤٤، ص:٦١.
ج:١٢، السنة ٣، كانون الأول ١٩٤٤، ص:٥٤.
ج:١، السنة ٤، كانون الثاني ١٩٤٥، ص:٦٢.
ج:٣، السنة ٤، آذار ١٩٤٥، ص:٦١.
ج:٤، السنة ١٣، نيسان ١٩٥٤، ص:٧٦.
ج:١١، السنة ٥، تشرين الثاني ١٩٤٦، ص:٧٩.
ج:٧، السنة ٨، تموز ١٩٤٩، ص:٧١.

تيمور، محمود، «**شاعر الهوى والشباب**»، السنة ١٢، ١٩٥٣، م:٢٥، ص:٧١.
«**حول رائعة الأخطل**»، ج:٣، السنة ١٢، آذار ١٩٥٣، ص:٦٧.

الخوري، بشارة، «**ذكريات الأخطل عن طانيوس عبده**»، ج:٨، السنة ١٧، آب ١٩٥٨، ص: ٤٩.
«**قصيدة بشارة الخوري في حفل تكريمه**»، ج:٧، السنة ٢٠، تموز ١٩٦٥، ص:٥٤.

زخريا، الياس خليل، «**بشارة عبدالله الخوري**»، ج:٩، السنة ٢٧، أيلول ١٩٦٨، ص:٢.

شلق، علي، «**السبك في شعر الأخطل الصغير**»، ج:٧، السنة ٢٠، تموز ١٩٦٥، ص:٤.

كعدي، جورج، «**فقيد الشعر الأخطل الصغير**»، ج:١٠، السنة ٢٧، ت٢، ١٩٦٨، ص:٤.

مطران ، خليل، «**إلى أخي الشاعر بشارة الخوري**»، ج:١١، السنة ٤، ت٢، ١٩٤٥، ص:٥٦.

نصر، نسيم، «**الهوى والشباب**»، ج:٣، السنة ١٣، آذار ١٩٥٤، عدد:٣، ص:٦٢-٦٦.

**الأسبوع العربي:**

البستاني، إدوار، ونصار، نعمة، «**الأسبوع العربي تقتحم خلوة الأخطل الصغير**»، ١٩ آب ١٩٦٥، عدد: ٣٢٢، ص:٣٤.

**الانطلاق:**

منعم، الأب طانيوس ، «**الأخطل الصغير**» ١٩٦١، سنة ١، عدد: ٩، ص: ١.

**البيدر:** «**بوفاة بشارة الخوري، غاب الشعراء الخمسة الذين كان يفاخر بهم الشيخ عبدالله البستاني**»، آب ١٩٦٨، سنة ٣٥، العددان: ٥٢٦-٥٢٧، ص: ٧-١٨.

**جامعة الحكمة:** **قصائد للأخطل الصغير:**

«**ذكرى وديع عقل**» نشرة الجامعة، ١٩٣٧، ص: ١١ - ١٤ .

- **ما نسينا صرح تلك الليالي**، ص:٥٣.

«**ذكرى ميخائيل عيدالبستاني**»، م.س.ص:٥٤-٥٥.

«**مجلس الجامعة**» ، ص:٦٥، ص:١٧٠

«**عكاظ الحكمة ١٩٣٥، ذكرى شاعر الفرس: الفردوسي**»، ص:٩٧

**الجمهور:**

أبو شبكة، الياس، «**بشارة الخوري وشاتوبريان، أحدهما في المنفى والآخر في برج حمود**»، ١٩٣٣، عدد: ٦١، ص: ٢١.

«**قصائد الشعراء في مهرجان الزهاوي**»، آذار ١٩٣٧، عدد: ٢٧، ص: ٢-٩.

«**الشعراء في مهرجان زكور**» ١٩٣٨، السنة ٢، عدد:٨٣، ص: ٧ .
«**سفر شاعرنا الكبير بشارة الخوري إلى فلسطين**»، ١٩٤٢، عدد: ٢١٩، ص:٧.

الخوري، بشارة، «**النشيد القومي**» ١٩٣٧، السنة الأولى، عدد: ٣٢، ص: ١ .
«**الشاعر بشارة الخوري يحيي الأستاذ جورج عقل**»، ١٩٣٧، السنة ١، عدد: ٤٣ .

فريحة، سعيد، «**الأخطل الصغير**»، ١٩٤٠، عدد: ١٤٣، ص: ٧.

**الحديث:**

«**الأخطل الصغير والأستاذ عبدالوهاب**»، أيلول ١٩٣٠، السنة ٤، عدد: ٩، ص: ٦٥٦.

«**الأدب العربي في سوريا ولبنان**» (رأي جريدة فرنسية Les Nouvelles Littéraires) شباط ١٩٣٥، السنة ٩، عدد :٢، ص: ١٥٧.

**الحكمة:**

«**أحاديث ومحاضرات: بولس سلامة والأخطل**»، كانون الأول ١٩٦٠، عدد: ١١، ص:٤٧.

«**أحاديث ومحاضرات: رئيف خوري والأخطل**»، كانون الأول ١٩٦٠، عدد: ١١، ص: ٤٨

«**الأخطل الصغير، آراء الكتاب في شعره**»، حزيران ١٩٦١، عدد: ٦، ص: ٧.

أنباء أدبية: كانون الأول ١٩٥١، ج:٢، ص:٢١
شباط ١٩٥٣، عدد: ٤، ص:٣١
كانون الثاني ١٩٥٥، عدد:٣، ص:٧٥
كانون الثاني ١٩٥٦، عدد: ٣، ص:٦٥.
آذار ١٩٥٩، عدد: ٣، ص: ٥٥.

كانون الأول ١٩٦٠، عدد: ١١، ص:٦٤.
شباط ١٩٦١، عدد:٢، ص:٦٤.
نيسان ١٩٦١، عدد: ٤، ص:٦٤
حزيران ١٩٦١، عدد: ٦، ص:٦٤.
تموز – آب ١٩٦١، عدد: ٧–٨، ص:٦٤.
شباط ١٩٦٢، عدد: ٢، ص:٦٤.
نيسان ١٩٦٢، عدد: ٤، ص:٦٤.

جبر ، جميل، «**الحكمة مع شاعر الهوى والشباب**»، ٥ آذار ١٩٥٧، عدد: ؟، ص:٥٣.

حتي، بديع، «**من هو الأخطل الصغير**»، حزيران ١٩٦١، عدد: ٦، ص:٣٤.

حنين، رياض، «**وجوه وأحاديث: الأخطل الصغير**»،١٩٦١، عدد: ٥ ص:٣٨.

الخشن، فؤاد، «**الأخطل الصغير**»، ١٩٦١، عدد: ٧، ص: ١٩.

خواجة، بطرس، «**الأخطل الصغير**»، حزيران ١٩٦١، عدد: ٦، ص: ٢٥–٢٧.

الخوري، بشارة، «**رأي لبشارة الخوري في الملاط**»، كانون الثاني ١٩٦٢، عدد: ١، ص:٣٢.

«**رسائل من صلاح لبكي وإليه، ولو متأخراً**»، تشرين الثاني–كانون الأول، ١٩٥٥، عدد: ١–٢، ص:١٢.

«**طانيوس عبده والأخطل الصغير**»، آذار ١٩٦١، عدد: ٣، ص:٤.

«**من بقايا الذاكرة**»، أيار ١٩٦٢، عدد: ٥، ص: ١٧.

«**س؟ ج، بشارة عبدالله الخوري**»، كانون الأول، ١٩٥١، عدد: ٢، ص: ٢٠.

شمس الدين، عبدالكريم، «**الأخطل الصغير**» ، ت٢ – ك١ ، ١٩٦١، عدد:١٠–١١، ص:٣٩.

عبدالساتر ، حسيب، «**من وحي الهوى والشباب**»، ١٩٥٥، عدد: ٤، ص:٣٨.

عقل، أسعد، «**الهوى والشباب**»، آذار ١٩٥٤، عدد: ٥، ص:٩–١١.

«**الأخطل الصغير بمناسبة تكريم المغتربين**»، ١٩٦١، عدد: ١١، ص: ٣٨–٤٠.

**الحوادث:**

اللوزي، سليم، «**الأخطل الصغير، ذكريات الهوى والشباب**»، نيسان ١٩٦٦، سنة ١٠، عدد: ٤٩٣، ص: ٢١.

شرارة، رياض، «**أربعة وثمانون عاماً من الشعر**»، ١٠ حزيران ١٩٦٦، عدد: ٥٠٠، ص٢١-٢٣.

**الرسـالة:**

كميد، جان، «**بشارة الخوري**»، ١٩٥٢، السنة ٢، عدد: ١٥٦، ص:٢١.

**شـعر:**

«**الأخطل الصغير** »، خريف ١٩٦٨، عدد: ٣٩، ص:١٥١.

الخال، يوسف، «**شعر الأخطل الصغير**»، ١٩٦٢، السنة ٦، عدد: ٢٢، ص: ١٠٧.

غريب، روز، «**شعر الأخطل الصغير، شاهد لعصره**»، ١٩٦٨، عدد: ٤٠، ص:١٢٥.

**الضـاد:**

الكيالي، سامي، «**الشاعر الذي غنى القلوب، وأشاع البهجة في النفوس**»، ١٩٦٦، العددان: ٧-٨، ص:٣٣٣.

**الصيـاد:**

الابن، يونس، «**العرس الكبير للشاعر الذي عصر دم قلبه براعم ورد**»، ١٩٦١، عدد: ٨٧٢، ص: ١٨.

«**ما هكذا يكرم الأخطل الصغير**»، ١٩٦١، عدد: ٨٧٣، ص: ٨.

الأحمد، محمد سليمان، (الملقب ببدوي الجبل) «**بدوي الجبل يقول إن أمين نخلة هو أشعر شعراء لبنان**»، السنة ١، ١٩٤٣، عدد: ٢، ص: ٦.

«**هنيئاً لك أبا عبدالله إمارة الشعر، من غلمانك عمر، من حجابك المتنبي، من حراسك شوقي**»، السنة ١ ، ١٩٤٣، عدد: ٣، ص: ٩.

الأسير، صلاح، «**كان للشعر دولة في لبنان، وكان بشارة الخوري جواز مرورنا**»، ١٩٤٨، عدد : ٢٠٨.

الخوري، بشارة، «**بردى شقيق النيل**»، قصيدة للأخطل الصغير،١٩٤٣، السنة ١، عدد:٣، ص: ٩.

«**تحية فاروق**» قصيدة نظمها الأخطل على شرف البعثة الملكية المصرية، ١٩٤٣، عدد: ٤، ص: ٩.

«**بين الأخطل وبدوي الجبل**»، ملثم من دمشق، ١٩٤٤، عدد: ٦، ص: ٥.

«**ما زلت أتبع الجمال**» ، قصيدة الأخطل في وصف ضهور الشوير، ١٩٤٤، عدد: ٢٦، ص:١٤.

«**أنا الذي غذى الجمال بشعره**»، قصيدة الأخطل في صالح العلي، ١٩٤٥، عدد: ٦٨، ص:١٣.

«**جلاء موقف**»، الأخطل الصغير، ١٩٤٥، عدد: ٦٩، ص:١٥.

«**تحية الأخطل إلى شاعر القطرين**»،١٩٤٥،عدد: ٧٧، ص:١١.

«**زنجي... يروي شعر الأخطل**»،١٩٤٥، عدد: ٧٧، ص:١٥.

«**الجابي سنة ١٩٣٥**»، ١٩٤٥، عدد: ٧٨، ص:١١.

«**نشيد الكتائب**»، ١٩٤٥، عدد: ٩٣، ص: ٢٥.

«**ندى**» ، نظمت ٢٧ آذار ١٩٤٦، عدد: ١١٢، ص: ١٦.

«**شرفاً أبا حسان وفيت العلى**»، نظمها الأخطل في شكري القوتلي ، ١٩٤٦، عدد: ١٣٠، ص:١١.

«**رثاء والدة الشيخ بشارة الخوري**»، ١٩٥١، عدد: ٣٤٩، ص: ١.

«**أنا من هواك غزلت جناحي**»، للأخطل في مدح عبدالله الجابر الصباح، ١٩٥٤

«**شرف الفتح**»، قصيدة في استقلال لبنان مهداة للشيخ عبدالله الجابر الصباح، ١٩٥٤، عدد: ٥٣٦، ص:١١.

«**قصيدة في عبدالله الجابر الصباح بمناسبة زواجه**»، ١٩٥٥، عدد: ٥٨٤، ص: ٢٥ .

الزعيم، محمد سعيد، «**بشارة الخوري مالئ الدنيا العربية شعراً وتغريداً**»، ١٩٤٤، عدد: ٧، ص:١٩.

غنام، علي، «**بدوي الجبل والدخلاء على الأدب**»، دمشق، ١٩٤٥، عدد: ٦٣، ص: ٧.

فريحة ، سعيد، «**عند سرير الأخطل**»، ١٩٤٥، عدد: ٦٨، ص:١٢.

نورالدين ، كمال، «**بدوي الجبل يصم الناس بما هو فيه**»، اللاذقية، ١٩٤٥، عدد: ٦٢، ص:١٥.

«**عودة الأخطل الصغير من دمشق**»، ١٩٤٦، عدد: ١٣١، ص:١٤.

«**بين بشارة الخوري وخليل تقي الدين**»،١٩٥١، عدد: ٣٧٨، ص:١٥.

«**أمين نخلة وبدوي الجبل يصدران حكمهما ، بشارة الخوري، حبيبنا وأستاذنا ولكن...**» ١٩٥١، عدد: ٣٨٠، ص:٢٢.

**العاصفة:**

أبوحلقة، «**الأخطل الصغير في قصيدته الأخيرة سلمى الكورانية**»، ١٩٣٢، عدد:٣، ص: ٥.

أبوشبكة ، الياس، «**بشارة الخوري وألفرد دي موسيه، بين «المسلول»، والكأس والشفاه**» ،١٩٣٣، عدد:٦٠، ص:١٣ .

الخوري ، بشارة، «**قصيدة الأخطل الصغير في الزهاوي، بغداد تصغي إلى الشاعر اللبناني**»، ٢٢ آذار ١٩٣٧، عدد: ١٠١، ص:١٣.

«**كيف يقابل سادتنا الأدباء نقد النقاد وحملة الأقلام**»، ١٩٣٣، السنة ٢، عدد: ٣٣، ص: ٢٢.

أبوشادي ، أحمد زكي، «**كلمة أبي شادي في ذلك الخلاف ، بين الريحاني والخوري**»، ١٩٣٢، عدد: ٤٨، ص:٥.

الفضل، ناصيف «**شاعر الأمة ترجمان عواطفها - الأخطل الصغير، كان بلبل الوطنية في قصيدته عن المعاهدة اللبنانية**»، ١٩٣٧، عدد:١٠٧، ص: ١٨.

«**بشارة الخوري صاحب قصيدة بلغوها**» ، ١٩٣٢، عدد: ٣، ص:٥.

«**من يحمل لواء الشعر العربي، بعد موت شوقي بك**»، ١٩٣٢، عدد: ٢٤، ص:١٢.

«**أدباؤنا يجرح خدهم الورد، كيف يقابل «سادتنا» الأدباء نقد النقاد وحملة الأقلام**»، ١٩٣٣، عدد: ٤٥.

«**الريحاني مشعوذ والخوري بكّاء**»، ١٩٣٢، عدد: ٤٦، ص:٥.

«**كيف تنام فرنسا عن الأخطل الصغير، هذه الكنفشة في الشعر العربي**»، ١٩٣٢، عدد: ٥٢، ص:٥.

«**نظرة في قصائد الملاط وتقي الدين والخوري في حفلة ذكرى وديع عقل**»، ١٩٣٣، عدد: ٥٩، ص:١٦

«**الرابطة الأدبية ملء السمع والبصر**»، أقوال الأدباء في الرابطة، ١٩٣٤،عدد: ٧٥، ص: ٤.

«**جمود سوريا ولبنان في مضمار الأدب، المطرب عبدالوهاب يتفق والأخطل الصغير على نظم الأغاني**»، ١٩٣٤، عدد: ٩٠، ص:٨.

«**كيف نظم الأخطل الصغير أنشودة (جفنه علم الغزل)**»، ١٩٣٤، عدد: ٩١.

**العرفان:**

العيسى، سليمان، «**مع الأخطل الصغير**»، ١٩٥٤، مج: ٤١، عدد: ٥، ص:٥٨٤.

**العـــــروة:**

العيسى، سعيد، «**كلمة تمهيدية في شعر الأخطل الصغير**»،١٩٣٦، مج:١، عدد: ٣، ص:٣.

**العلوم:**

الديراوي، عمر، «**عرس الشعر في مهرجان الأخطل الصغير**»، ١٩٦١، السنة ٦ ، عدد: ٧ .

**المراحل:**

ضعون، توفيق، «**تكريم الأخطل الصغير**،» ، ١٩٦١، عدد: ٦٨، ص: ١٦-١٨.

**المشرق:**

خليفة، أ. عبده، «**تعريف عن الكتب: الهوى والشباب للأخطل الصغير**»، ج:١، ١٩٥٥، السنة ٤٩، ص:١١٥.

نخلة ، رفائيل الأب اليسوعي، «**الشاعر بشارة الخوري**»، ج:٤ - ٥، تموز - تشرين الأول، ١٩٦٦، السنة ٦٠، ص: ٦٢٥.

**المصباح:**

الخوري، بشارة، «**شجرة العشاق، حكاية للأخطل**»، ١٩٠٣، عدد: ١٤٢٦، ص: ٣٩.

**المعـــارف:**

البستاني، إدوار أمين، «**في الشعر الحديث وتطوره**»، ١٩٦١، عدد: ٧، ص:٢٣.

كوزما، محمد «**الأخطل الصغير هل أدى رسالته**»، ١٩٦١، عدد: ٨، ص:٥٨-٦١.

**المعرض:**

أبوشبكة، الياس، «**الأخطل الصغير كما صوره رسام**»، (الياس أبوشبكة) ١٩٣٠، عدد: ٨٩٨، ص: ٣.

«**قصائد بشارة الخوري في الغربال**»، ١٩٣١، عدد: ٩٣٥، ص:٢-٤.

«**بشارة الخوري صاحب البرق**»، ك٢، ١٩٢٢، عدد: ٦٨، ص: ٨.

تقي الدين، خليل، «**الحرب بيننا وبين القدماء**» ، ١٩٣٠، عدد: ٩٠٤، ص:٤.

(بشّـــار) «**الشاعر بشارة الخوري في الغربال**»، ١٩٣١، عدد: ٩٣٤، ص:٣.

الخوري ، بشارة، «**كيف أنسى**»، تموز ١٩٢١، عدد: ١٩، ص: ٥.

«**إلى امرأة**»، تموز ١٩٢١، عدد: ٢١، ص: ٥.

«**الى لبنان**»، أيلول ١٩٢١، عدد: ٣٥، ص: ١٤.

«**عروة وعفراء**»، كانون الثاني، ١٩٢٢، عدد: ٦٨، ص: ٨.

«**كلانا نحارب الأقدار**»، أيلول ١٩٢٤، عدد: ٣٣٢، ص: ١١ .

«**في وصف العيون**»، أيلول ١٩٢٤، عدد: ٣٣٤، ص: ٥ .

«**سلخت عني الليالي**»، كانون الثاني، ١٩٢٥، عدد: ٣٦٤، ص: ٨.

«**خدعته ابتسامة**»، كانون الثاني ١٩٢٥، عدد: ٣٦٩، ص: ٤.

«**الإناء المكسور** » ، نشرها المعرض، نثراً وشعراً ١٩٢٧، عدد: ٥٦٨، ص: ٤.

«**قصيدة شاعر لبنان مطلعها كفنوا الشمس**»، تموز ١٩٣٠، عدد: ٩١٤، ص: ١٦.

«**بالعصيّين دمعه وبيانه**» ، قصيدة الأخطل الصغير في حفلة تكريم الياس فياض، كانون الأول، ١٩٣١، عدد: ٩٣٤، ص:١٧.

«**بشارة الخوري يحيي المازني**»، ١٩٣٤، عدد: ١٠١٦.

«**لبنان يا راحة الأرواح**»، قصيدة نظمها منذ أيام حين زار الكورة، ١٩٣٤، عدد: ١٠٣٢، ص: ١.

«**في الفردوسي**»، نيسان ١٩٣٥، عدد: ١٠٥٥، ص:١٤.

«**الأخطل الصغير يرثي الكاظمي**»،١٩٣٥، عدد:١٠٨٣، ص:٩.

«**قصيدة يرحب فيها بالوفد العراقي في بيروت**»، ١٩٣٦، عدد: ١٠٩٨، ص: ٢٨.

الخوري ، فيكتور، «**الأدب وبشارة الخوري**»، حزيران ١٩٣٦، عدد: ١١٠٦، ص:٨.

زكور، ميشال، «**ميشال زكور وصاحب البرق**»، ١٩٢١، عدد: ٦.

«**قصيدة بين شاعرين**»، ١٩٢٧، عدد: ١٠٧، ص: ٢.

«**كلانا يحارب الأقدار**»، رأي ميشال زكور في قصيدة الأخطل، ١٩٢٤، عدد: ٣٣٢، ص: ١١.

«**صفحة من الحرب الكبرى**»، حول قصيدة بشارة الخوري، «المها أهدت إليها المقلتين»، ١٩٢٦، عدد: ٥٠٥، ص: ١.

«**لبنان بين كبير وصغير**»، ١٩٢٧، عدد: ٦٤٦، ص: ١-٢.

«**غبطة البطريرك في دار الشاعر بشارة الخوري**»، حزيران ١٩٣٦، عدد: ١١٠٦، ص: ١٨.

نخلة، أمين، «**في ليل الكروم**»، قصيدة أهداها أمين نخلة للأخطل، ١٩٣٥، عدد: ١٠٥١، ص: ٧.

«**يوم مع الأخطل الصغير**»، ١٩٣١، عدد:٩٣٤، ص: ٨.

**المقتطف:**

أبوالوفاء، محمود، «**الأخطل الصغير، أو بشارة الخوري، صاحب البرق**»، ١٩٣٢، ج: ٨١، ص: ٩٤- ٩٩ .

***المكشوف:***

أبو شبكة، الياس، «**سرقات الأخطل الصغير**»، ١٩٣٨، عدد: ١٤٤، ص: ٤ .

«**كل مجاملة تصلح إلا في الأدب**»، ١٩٣٨، عدد: ١٤٦، ص: ٥ .

«**أبطال الحركة الأدبية في لبنان وسوريا**»، ١٩٣٩، عدد: ١٨٨، ص: ٨ .

**نشرت أيضاً في المقتطف**: ج: ٩٤، ١٩٣٩، ص: ٢٢١،٤٩٦؛ ج:٩٥، ١٩٣٩، ص: ١٠١، ٢٣٧ .

جبور، جبرائيل، «**كيف أفهم النقد**»، المكشوف، ١٩٣٧، عدد: ٩٦، ص: ١٤.

حبيش، فؤاد، «**بشارة الخوري وإمارة الشعر**»، ١٩٣٦، عدد: ٦٥، ص:٢.

(زهير زهير) «**عذر مسبوق إليه في السرقة عن ألفرد دي موسيه**»، ١٩٣٦، عدد: ٦٦، ص: ٤.

«**الأخطل الصغير في مقهى عارف**»،١٩٥٠، ١٩٣٦، عدد: ٦٦، ص:٥.

الخوري، بشارة، «**في رثاء شوقي**»، ١٩٣٦، عدد: ٨٠، ص: ٦ .

«**في ذكرى ميشال زكور**»، ١٩٣٨، عدد: ١٤٩، ص: ٤ .

« **تحية فلسطين، قصيدة**»، ١٩٤٢، عدد: ٣٤١، ص: ٤ .

«**لبنان صديق الحقيقة**»، ١٩٤٥، عدد: ٤٥١، ص: ١ .

«**التضحية الكاملة ومجد الوطن**»، ١٩٤٦، عدد: ٤٧٣ ، ص: ١.
«**لبنان وطن التسامح والإنسانية**»، ١٩٤٦، عدد: ٤٨٥، ص:٢.
«**الحكم رفق وحنان وعطف**»، ١٩٤٦، عدد: ٤٨٥، ص:٣ .

شعيب، محمد كامل العاملي، «**العاملي والأخطل ... وإمارة الشعر**»، ١٩٣٦، عدد: ٦٩، ص:٧.
«**لا إمارة في الشعر**»، ١٩٣٦، عدد: ٦٩، ص: ٥و١٢.

عبود، مارون، «**مارون عبود يدرس قصيدتين في رثاء شوقي**»، ١٩٣٧، عدد: ٩٩، ص:١١
«**معرض أدباء محصول شهر**»، نقد قصيدة الأخطل الصغير في مدح فاروق بمناسبة زواجه، ١٩٣٨، عدد: ١٦٣، ص: ٨.
«**بشارة الخوري يسكن كوخاً يحسبه قصراً**»، ١٩٣٨، عدد: ١٦٨، ص: ٨،١٢ .

غندور، كرم، «**رأي شفيق جبري في بشارة الخوري**»، ١٩٣٧، عدد: ٩٥، ص:١٢.
فرحات، خليل «**الأخطل الصغير مرشح لإمارة الشعر**»، ١٩٣٧، عدد: ٨٧، ص: ٦.
«**الأخطل الصغير بين المتنبي وفرحات**»، ١٩٣٨، عدد: ١٦٤، ص: ١٤.

**المكشوف**، (وردت هذه المقالات بدون توقيع، ولعل صاحب المجلة ذيّلها بتوقيع «المجلة» مكان اسم الناقد):
«**دعونا نتكلم بصراحة**»، ١٩٣٦، عدد: ٤٤، ص: ٣.
«**الأخطل يطمع بإمارة الشعر**»، ١٩٣٦، عدد: ٤٤، ص: ١٥.
«**ديوان الأخطل الصغير، عاطفة سقراطية**»، ١٩٣٦، عدد: ٥٨، ص:٤.
«**شعراء مهرجان المتنبي**»، ١٩٣٦، عدد: ٦١، ص: ٨.
«**استفتاء طريف عن إمارة الشعر بعد شوقي**»، ١٩٣٦، عدد: ٧٠، ص: ٢، وعدد: ٧٢، ٧٤، ص: ١ .
«**أمين نخلة يشفق على أعصاب بشارة**»، ١٩٣٦، عدد: ٧٥، ص: ٨.

«**بشارة الخوري والشعر الزجلي**»، ١٩٣٦، عدد: ٧٥، ص: ٨.

«**نحن وبشارة الخوري، شعارنا بعد اليوم: قل كلمتك وامشِ**»، ١٩٣٦، عدد: ٧٧، ص: ٩.

«**بشارة الخوري، شاعر العربية الأكبر**»، ١٩٣٨، عدد: ٨٩، ص: ٣.

«**ألف بيت من الشعر على قبر الزهاوي**»، ١٩٣٧، عدد: ٨٩، ص: ٣.

«**فضيحة أخلاقية على قبر الزهاوي**»، ١٩٣٧، عدد: ٩٤، ص: ٩.

«**لماذا فضل بشارة الخوري السفر إلى بغداد**»، ١٩٣٧، عدد: ٩٦، ص: ١١.

«**شعر المناسبات، صوت الأنانية الجامحة والبطون الجائعة**»، ١٩٣٧، عدد: ١٠٠، ص: ١٤.

«**رأي بشارة الخوري في شاعرية شوقي**»، ١٩٤١، عدد: ٣١٧، ص:١.

«**الأخطل الصغير ينظم مغناة**»، ١٩٤١، عدد: ٣١٨، ص: ٥.

«**رأي طه حسين وعلي الجارم في شعر الأخطل الصغير**»، ١٩٤٤، عدد: ٣٧٢، ص: ١.

**من وحي الذكرى:**

«**رائعة الشعر العربي**» قصيدة الأخطل في الملك سعود، ص:٨٩.

**المواسم:**

سابا، فوزي، «**صفحات من حياة الأخطل**»، عدد: ١، ص:٢-٣.

**الورود:**

أصدرت هذه المجلة في أيار ١٩٦١ عدداً خاصاً عن الأخطل، ضمّ بعض المقالات التي كتبت في بشارة الخوري والقصائد التي نظمت فيه، السنة الرابعة عشرة، ج: ٩. وأصدرت في حزيران ١٩٦١، عدداً خاصاً في مهرجان الأخطل جمع فيه ما ألقي في المهرجان من قصائد وخطب، السنة الرابعة عشرة، ج : ١٠.

## سادساً : مقالات الجرائد العربية

**الاتحاد:**

الكيالي، عبدالرحمن، «**خطاب الكيالي في تكريم الخوري**»، حلب، تشرين الأول، ١٩٣٥، عدد: ٥٥٩، ص: ١و٣.

**الأحد:**

«**الأخطل الصغير، ليس الماضي**»، ١٩٦٨، عدد: ٨٩٤، ص:١.

**الأنباء:**

«**الذاتية الجماعية في شعر الأخطل الصغير**»، ١٩٦١، عدد: ٤٧٥، ص: ٧.

**الأنوار:**

«**شعراء العالم في المجر**»، ١٩٦٧، عدد: ٢٢٩٥، ص: ٨.

**التقدم:**

الزعيم، محمد سعيد، «**كلمة الأستاذ الزعيم في مهرجان شاعر العرب**»، ١٩٣٥، عدد: ٤٤٦٣، ص: ٤.

كنيدر، شكري، «**بشارة الخوري الصحافي الشاعر**»، ١٩٣٥، عدد: ٤٤٦٣، ص: ٦.

«**حلب تكرم شاعر العرب**» م. ن. ص: ٢ .

«**متنبئان في حلب، القصيدة الخالدة التي أنشدها بشارة الخوري في الحفلة التي أقيمت لتكريمه**»، ١٩٣٥، عدد: ٤٤٦٣، ص: ١.

**التلغراف:**

«**تكريم شاعر، الهوى والشباب في مصر**»، خطب وقصائد لمحمود تيمور، الدسوقي، الجنبلاطي، وغيرهم،١٩٥٤، عدد: ٢٧١٧، ص: ٢و٧.

**الجريدة الأسبوعية:**

أبو ريشة، عمر، «**رأي عمر أبوريشة في شعر الأخطل**»، ٤ حزيران ١٩٦١، عدد: ٣٣، ص: ٤.

جبر، جميل، «**الأخطل الصغير**»، ٤ أيار ١٩٦١، عدد: ٣٠.

الغضبان، عادل، «**فكرة تكريم الأخطل**»، ٤ أيار ١٩٦١، عدد: ٣٠.

«**الأخطل كما يراه عادل الغضبان**»، ٤ حزيران ١٩٦١، عدد: ٣٣، ص: ٤.

«**مهرجان الأخطل الصغير**»، حزيران ١٩٦١، عدد: ٣٣.

**الجريدة:**

«**ماذا تعرف عن صاحب الهوى والشباب**»، ١٩٦١، عدد: ٢٥٧٤، ص: ١١.

**الزمان:**

تيمور، محمود، «**شاعر الهوى والشباب**»، ١٩٥٤، عدد: ٢١ .

**النهار - ملحق:**

قربان، نقولا، «**كل الأخطل الصغير**»، في ١٨/٧/١٩٦٥، ص:٢٢.

**اليوم:**

«**أديل فاضل الخوري تروي قصة حب الأخطل الصغير**»، ١٩٦٨، عدد: ٧٦٧٦، ص: ٧-٨.

****

## الفهـرس


- تصدير ..... ٣

● **القسم الأول: كتـــابـــات**

- الأخطل الصغير استعراض أدبي، **فؤاد الشايب** ..... ٧
- خطاب **الكيالي** فـي **تكريم الخـوري** ..... ١٣
- هنيئاً لـك أبا عبدالله إمارة الشعر، **بدوي الجبل** ..... ١٩
- شاعر الهوى والشباب **محمود تيمور** ..... ٢١
- رد علـــى «حول رائعة الأخطل الصغير» **المحامي جمال مرسي بدر** ..... ٢٧
- شعراء عرفتهم... الأخطل الصغير، **فوزي سابا** ..... ٢٩
- إلى متاهاتنا وافانا... فأحببناه، **املي فارس ابراهيم** ..... ٣٩
- بشارة الخوري الصحفي، **توفيق وهبة** ..... ٤١
- لبنان في شعر بشارة الخوري، **جورج غريب** ..... ٤٥
- الجو الشعـري عند الأخطل الصغير، **عبداللطيف شرارة** ..... ٥٧
- علاقتنا بالأخطل الصغير، **فاضل سعيد عقل** ..... ٦٣
- الوجدانيـة في شعر بشارة الخوري، **نسيم نصر** ..... ٦٥
- بشارة الخوري كما عرفته، **منصور أبي صالح** ..... ٧٣
- بشارة الخوري.... شاعر الهوى والشباب، **عادل الغضبان** ..... ٧٥
- رسالة **غبطة البطريرك المعوشي** في مهرجان الأخطل ..... ٨١
- في محراب الشاعر ، **عبدالله العلايلي** ..... ٨٣
- يوم الأخطل.. يوم الشرق العربي، يوم مبايعته بالإمارة، **بديع شبلي** ..... ٨٧
- كلمة الحكومة، لدولة الرئيس **صائب سلام** ..... ٨٩
- كلمة الصحافة، **عفيف الطيبي** ..... ٩١
- الشاعر العطية، **سعيد عقل** ..... ٩٣

- «الأخطل الصغير» دراسة فنية لشعره، **أنور المعداوي** ٩٥
- هكذا أرى الأخطل الصغير، **يوسف يونس** ١١٧
- حملنا إلى القمة، **رياض طه** ١٢١
- حامل الصولجان **سعيد عقل** ١٢٢
- منذ الحرب الأولى، الدكتور **فؤاد صروف** ١٢٣
- أغنية جميلة، **الياس الديري** ١٢٤
- صفحة حلا...، **عصام كرم** ١٢٥
- الأخطل الصغير، **الأب طانيوس منعم** ١٢٦
- دور الأخطل الصغير في الشعر العربي المعاصر، **د. إحسان عباس** ١٢٩
- كلمة ألقيت في مهرجان الأخطل الصغير في الأونيسكو ، **حافظ المنذر** ١٥١
- السبك في شعر الأخطل الصغير، **د.علي شلق** ١٥٣
- شعر الأخطل الصغير بشاره عبدالله الخوري، **يوسف الخال** ١٦٥
- صفحات مجهولة من حياة الأخطل الصغير، **فوزي سابا** ١٧١
- الشاعر بشاره الخوري، **الأب رفائيل نخلة اليسوعي** ١٨٩
- الأخطل الصغير شاعر الشعب والحرية والإنسانية، **توفيق إبراهيم** ٢٠٧
- مدخل الى دراسة الشعر العربي الحديث، **أنطون غطاس كرم** ٢١٥
- بشارة عبدالله الخوري أمير الشعراء، **الياس خليل زخريا** ٢٢١
- رحلة..... في شعر «الأخطل الصغير»، **حسين مروة** ٢٢٧
- شعر الأخطل الصغير شاهد لعصره، **روز غريّب** ٢٤٩
- بشاره الخوري « صاحب البرق»، **الياس أبوشبكة** ٢٥٩
- الأخطل الصغير (بشارة الخوري)، **من كتاب أعلام الجيل الأول، أنيس المقدسي** ٢٦٣
- بشاره الخوري، **من أطروحة الدكتور سامي مكارم** ٣٠٧
- لبنان الشاعر، **صلاح لبكي** ٣٢٣

- الأخطل الصغير بين المنبر والديوان، **عبدالمطلب الأمين** ٣٣٣
- الأخطل الصغير، **حبيب مسعود** ٣٤٧
- شاعر ووطن، **سعاد سعيد ملكي** ٣٤٩
- سكت بلبل، **انجال عون شليطا** ٣٥١
- تأبين بشارة الخوري، **المراحل البرازيلية** ٣٥٥
- ذكريات عن الأخطل الصغير، **د. جبور عبدالنور** ٣٥٧
- كان الأخطل الصغير نهراً كبيراً، **نزار قباني** ٣٦٥
- غنائية الأخطل الصغير، **لميعة عباس عمارة** ٣٦٧
- الأخطل الصغير ليس الماضي، **رفيق خوري** ٣٧١
- كان متعاقداً مع الحب، **أنسي الحاج** ٣٧٣
- كان شعره أميناً كالدمع، **أدونيس** ٣٧٥
- من يملك الخلود، **كامل مروة** ٣٧٧
- يأتي من ذاته، **منصور الرحباني** ٣٧٩
- شاعر الحب والأوطان، **قبلان مكرزل** ٣٨١
- من تاريخنا المجهول أو المنسي بشارة عبدالله الخوري، **يوسف إبراهيم يزبك** ٣٨٣
- شخصيات بارزة في تاريخ لبنان، **د. عصام خليفة** ٣٨٧

**● القسم الثاني: قصائد**

***أولاً: في تكريمه***

- محملاً غار القلوب، **محمد مهدي الجواهري** ٣٩٧
- فعقدنا له لواء الإمارة، **صالح جودت** ٤٠٥
- أكرم بمضفور له وبضافر، **عمر أبوريشة** ٤١١
- أنت في دولة القوافي أمير، **أمين نخلة** ٤١٩
- الى أمير الشعراء شاعر الهوى والشباب، **جبران خوري** ٤٢٥

- الى الأخطل الصغير ... بشارة الخوري، **جورج نقولا سركيس** ٤٢٧
- مبايعة الأخطل الصغير **جورج غريب** ٤٢٩
- عاطفة وصدق، بشارة الخوري (**الأخطل الصغير**) ٤٣١

***ثانياً: في رثائه:***

- نديك السمح، **عمر أبوريشة** ٤٣٧
- مستهام غفا، **عبدالمنعم الرفاعي** ٤٤٣
- قف في ربا الخلد، **عزيز أباظة** ٤٤٩
-أغنيك ولا أبكيك، **لميعة عباس عمارة** ٤٦١
- لبنان كان ولم يزل، **أحمد السقاف** ٤٦٣
- أمل الشعر، **شفيق معلوف** ٤٦٩
- الأخطل الصغير، **سعيد عقل** ٤٧١
- فقيد الشعر الأخطل الصغير، **جورج الكعدي** ٤٧٣
- لبنان العنادل، **بديع شبلي** ٤٧٧
- قيثارة الهوى والشباب، **أسد موسى** ٤٨١
- ملك القريض مهداة الى الأخطل الصغير، **ميشال عقل** ٤٨٥
- خبا البرق، **نبيه سلامة** ٤٨٧
- فكنت كطود للبيان على طود، **فيليب لطف الله** ٤٩١
- ويستطيل على أحرارها الدخل، **جورج رشوان** ٤٩٥
- شاعر الأحلام، **زكي قنصل** ٤٩٩
- الأخطل الصغير، **شكيب تقي الدين** ٥٠٣
- عقد من القبلات، **عبدالله بشارة الخوري** ٥٠٧

● **القسم الثالث: مصادر دراسة الأخطل الصغير وبعض المراجع المهمة** ٥٠٩

- الفهرس ٥٣٣